

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

سلسلة الرسائل الجامعية
- ١١٣، ١١٤ -

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

من أول سورة الزخرف إلى آخر سورة الحجرات

تحقيق
د. علي بن عمر السحيباني

من أول سورة ق إلى آخر سورة الطور

تحقيق
د. فاضل بن صالح بن عبدالله الشهري

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبدالعزيز بن سطام آل سعود — أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء العشرون

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي



سلسلة الرسائل الجامعية
- ١١٣، ١١٤ -

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

من أول سورة الزخرف إلى آخر سورة الحجرات

تحقيق
د. علي بن عمر السحيباني

من أول سورة ق إلى آخر سورة الطور

تحقيق
د. فاضل بن صالح بن عبدالله الشهري

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبدالعزيز بن سطام آل سعود أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء العشرون

ح جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الواحدي، علي بن أحمد

التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)./ علي بن عمر السحيباني؛ فاضل بن صالح بن عبدالله الشهري، الرياض ١٤٣٠هـ.

٢٥مج. (سلسلة الرسائل الجامعية)

ردمك: ٤- ٨٥٧- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (مجموعة)

٢- ٨٧٧- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (ج٢٠)

١. القرآن تفسير ٢. الواحدي، علي بن أحمد

أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي ٢٢٧.٣ ١٤٣٠/٨٦٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٨٦٨هـ

ردمك: ٤- ٨٥٧- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (مجموعة)

٢- ٨٧٧- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (ج٢٠)

التَّفْسِيرُ البَسِيْط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

[٢٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّفْسِيرُ البَسِيطُ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

من أول سورة الزخرف إلى آخر سورة الحجرات

تحقيق

د. علي بن عمر السحيباني

تفسير سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٢- ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ قال ابن عباس: قَسَمٌ من الله بالقرآن المبين[١]، يريد الذي بَيَّنَ فيه الفرائض والسنن والشرائع، قال أبو إسحاق: ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ الذي أبانَ طريقَ الهدى من طرق الضلالة، وأبان كلَّ ما تحتاج إليه الأمة[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: صَيَّرناه. والجَعْل يكون بمعنى[٣] التصيير، ذكرنا ذلك في قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] والمعنى: صَيَّرْنا قرآنَ هذا الكتاب عربيًّا، لأن من القرآن العبراني[٤]

---

(١) ذكر ذلك الطبري ١٣/ ٤٧، والبغوي ٧/ ٢٠٥، وابن الجوزي ٧/ ٣٠٢ ولم ينسبوه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٥.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (جعل) ١/ ٣٧٣، «اللسان» (جعل) ١١/ ١١١، «مفردات الراغب» (جعل) ص ٩٤، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٠٥، «تفسير ابن عطية» ١٤/ ٢٣٩.

(٤) قال السيوطي: اختلف الأئمة في وقوع المعرَّب في القرآن، فالأكثرون ومنهم الإمام الشافعي، وابن جرير، وأبو عبيدة، والقاضي أبو بكر، وابن فارس على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى: ﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ وقوله: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّۗ﴾ وقد شدد الشافعي النكير على القائل بذلك، وقال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذاباً بالنبطية فقد أكبر القول. وقال ابن أوس: لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها. وقال ابن جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير =

والسرياني، فما نقل منه إلى العربية صار عربيًا بالتصيير والنقل.

٤- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ قال ابن عباس: في اللوح المحفوظ[١]. ﴿لَدَيْنَا﴾ يريد: الذي عندنا، قال مقاتل: يقول فإن نُسْخته في أم الكتاب، يعني: اللوح المحفوظ[٢].

وقال أبو إسحاق: ﴿أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أصل الكتاب، وأصلُ كلِّ شيء أمُّه، والقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ، والدليل على ذلك: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾[٣] [البروج: ٢١-٢٢].

وقال عبد الرحمن بن سابط: كلُّ شيء كائن إلى يوم القيامة مكتوب في أم الكتاب[٤].

= ألفاظ من القرآن إنها بالفارسية والحبشية والنبطية أو نحو ذلك إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد، وذهب آخرون إلى وقوعه فيه وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية. وعن قوله تعالى: ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ بأن المعنى من السياق: أكلام أعجمي ومخاطب عربي، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية: والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية فهو صادق ومن قال عجمية فصادق، ومال إلى هذا القول الجواليقي، وابن الجوزي، وآخرون. انظر: «الإتقان» للسيوطي ١/ ٣٦٦-٣٦٩.

(١) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ٧٨ ب، والبغوي ٧/ ٢٠٥، والقرطبي ١٦/ ٦٢ ولم ينسبوه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٨٩.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٥.

(٤) انظر: «الدر المنثور» ٧/ ٣٦٦.

قوله: ﴿لَدَيْنَا﴾ يجوز أن يكون من صفة أم الكتاب، كما ذكره ابن عباس[١]، ويجوز أن يكون المعنى: وإنه لدينا في أم الكتاب .﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ قال قتادة: أخبر عن منزلته وفضله وشرفه[٢]، أي: إن كَذَّبتم به يا أهل مكة فإنه عندنا رفيع، شريف، محكم من الباطل، قاله المفسرون[٣].

وقال أهل المعاني: العلي في البلاغة المظهر ما بالخلق إليه حاجة[٤] في أحسن البيان، جهله من جهله، وعلمه من علمه.

٥- قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ قال الفراء[٥] والزجاج[٦]: يقال: ضربت عنه وأضربت عنه، أي: تركته وأمسكت عنه. وقوله: (صفحًا). قال ابن قتيبة: أي: إعراضًا، يقال: صَفَحْت عن فلان، إذا أعرضت عنه، والأصل في ذلك أنك موليه صَفْحةَ عنقك. قال كُثيِّر يذكر امرأةً صفوحًا:

صَفُوحًا فَما تَلْقَاكَ إلا بَخِيلَةً ... فمنْ مَلَّ مِنْها ذَلِك الوَصْلَ مَلَّتِ

أي: معرضة بوجهها[٧].

وقال أبو علي: وانتصاب (صفحًا) من باب: (صُنْعَ الله) لأن قوله: (أفنضرب عنكم الذكر) يدل على أصفح عنكم صفحًا[٨]، واختلفوا في

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٤٨، «تفسير ابن كثير» ٦/ ٢١٦.
(٢) أخرج ذلك الطبري عن قتادة، انظر: «تفسيره» ١٣/ ٤٩، «تفسير الوسيط» ٤/ ٦٣.
(٣) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٠٥، «تفسير الوسيط» ٤/ ٦٤.
(٤) انظر: «غرائب التفسير» للكرماني ٢/ ١٠٦٠.
(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٢٨.
(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٥.
(٧) إلى هنا انتهى ما نقله عن ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ص ٣٩٥.
(٨) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ١٣٨.

معنى الذكر هاهنا، فقال أبو صالح ومجاهد: يعني: ذكر العذاب، والمعنى: يكذبون بالقرآن ولا يعاقبون[١].

قال أبو إسحاق: المعنى: أفنضرب عنكم ذكر العذاب بأن أسرفتم، قال: والدليل على أن المعني هذا قوله: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾[٢] وعلى هذا ضَرْب الذكر: رده وكفه، واختيار الفراء على هذا القول، وقال: المعنى: أفنضرب عنكم ذكر الانتقام منكم والعقوبة لكم، لأن كنتم قومًا مسرفين[٣].

وقال آخرون: معنى: الذكر هاهنا القرآن والتذكير به، قال ابن عباس: يريد: الضرب عنكم الموعظة[٤]، وقال الكلبي: يقول الله لأهل مكة: أفنترك عنكم الوحي صفحًا فلا نأمركم بشيء ولا ننهاكم[٥] ولا نرسل إليكم رسولًا أن كنتم قومًا مشركين، المعنى على هذا: أفنمسك عن إنزال القرآن ونتركه من أجل أنكم لا تؤمنون به[٦]، وهذا معنى قول قتادة: والله لو كان هذا القرآن رُفع حين ردَّه أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله برحمته كرره عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة[٧].

---

(١) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٤٩، وانظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢١٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٦٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٢٠٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٢٧ ونص عبارته: والعرب تقول: قد أضربت عنك وضربت عنك، إذا أردت به: تركتك وأعرضت عنك.

(٤) لم أقف عليه، وكذا رسمها في الأصل، ولعل الصواب: نضرب أو أضرب.

(٥) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ٧٩ أ، والبغوي ٧/ ٢٠٦، وأبو حيان ٨/ ٦ عن الكلبي.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٤٩، «البغوي» ٧/ ٢٠٦، «الجامع» للقرطبي ١٦/ ٦٢.

(٧) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٤٩ عن قتادة، ونسبه البغوي ٧/ ٢٠٦ لقتادة.

قال الأزهري: أفنعرض عن تذكيركم إعراضًا من أجل إسرافكم في كفركم[١].

وقال أبو إسحاق مثل هذا القول أي: أنهملكم فلا نعرفكم ما يجب عليكم لأن أسرفتم[٢]، والاختيار هذا القول، وهو قول ابن زيد واختيار الجبائي[٣] لأنه أليق بما بعده من قوله: (أن كنتم قومًا مسرفين)[٤]، وقرئ ﴿إن كُنتُمْ﴾ بكسر الهمزة وفتحها، فمن فتح فالمعنى: لأن، والكسر على أنه جزاء استغني عن جوابه بما تقدمه، مثل: أنت ظالم إن فعلت، كأنه قال: إن كنتم قومًا مسرفين نضرب[٥].

وقال أبو إسحاق: من كسر فعلى معنى الاستقبال، على معنى: إن تكونوا مسرفين، وقرئ: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾[٦]، وقال الفراء: ومثله ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ﴾ [المائدة: ٢] و(أن صدوكم) بالكسر والفتح وأنشد:

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (صفح) ٤/ ٢٥٧.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٦.

(٣) هو: محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره وإليه نسبة الطائفة (الجبائية) مات سنة ثلاث وثلاثمائة، انظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٤٨٠، «البداية والنهاية» ١١/ ١٢٥، «الأعلام» ٦/ ٢٥٦.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٥٠، «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ٩٨، «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٣٨.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٥.

أَتَجْزَعُ إِنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا جِهَارًا وَلَم تَجْزَعْ لِقَتْلِ ابن خَازِمِ[(١)]

قال: وفي قوله: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ ﴿أَن﴾ الفتح والكسر[(٢)] واختار أبو عبيد النصب، وقال: لأن الله تعالى عاتبهم على ما كان منهم، وعلمه قبل ذلك من فعلهم[(٣)]. ثم عزى نبيه بقوله:

٦-٨- ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٦-٨].

قال ابن عباس: يريد أشد من قومك بطشًا[(٤)]، ويعني: بالأشد بطشًا الأولين الذين ذكر أنه أرسل فيهم الرسول فاستهزؤا به فأهلكهم الله، وهم كانوا أشد بطشًا من قريش.

قال ابن عباس: يعني: أكبر عددًا وأظهر جَلدًا[(٥)]، ونظم الكلام

---

(١) البيت للفرزدق انظر: «ديوانه» ص ٨٥٥، «الخزانة» ٣/ ٦٥٥، «شرح شواهد المغني» ١/ ٨٦، وهو من قصيدة يمدح فيها سليمان بن عبد الملك ويهجو جريراً وقتيبة هو: قتيبة بن مسلم الباهلي القائد المشهور، وأما ابن خازم فهو: عبد الله بن خازم السلمي أمير خراسان من قبل ابن الزبير، والشاهد فيه كسر (إن) وحملها على معنى الشرط، وقد ورد البيت في «تفسير الطبري» ١٣/ ٥٠، «الدر المصون» ٦/ ٩٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٢٧.

(٣) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ٧٩ ب، والشوكاني في «فتح القدير» ٤/ ٥٤٨ عن أبي عبيد، وذكره بهذا اللفظ القرطبي ١٣/ ٦٣ ولكن نسبه لأبي عبيدة فلعله تصحيف (عبيد).

(٤) ذكر ابن الجوزي أن المراد: قريش، ولم ينسبه، انظر: «زاد المسير» ٧/ ٣٠٣، وقال البغوي ٧/ ٢٠٦: أي: أقوى من قومك، وقال القرطبي: الكناية في ﴿مِّنْهُم﴾ ترجع إلى المشركين المخاطبين بقوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ فكنى عنهم بعد أن خاطبهم ١٦/ ٦٣.

(٥) قال القرطبي ١٦/ ٦٤: أقوى من هؤلاء المشركين في أبدانهم وأتباعهم. ولم ينسبه.

يوجب أن يكون التقدير: فأهلكناهم، يعني الأولين، فحذف مفعول الإهلاك لدلالة الكلام عليه: ﴿أَشَدَّ مِنْهُم﴾ منتصب على الحال، وفيه تخويف لكفار مكة، والكناية في (منهم) تعود إلى المشركين الذين خاطبهم بقوله: (أفنضرب عنكم الذكر صفحًا)، كنى عنهم بعد أن خاطبهم[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال الكلبي: سنة الأولين ممن أهلك، وهو قول مجاهد[٢].

قال مقاتل: يعني: سنة الأولين في العقوبة حين كذبوا رسلهم[٣].

وقال قتادة: عقوبة الأولين[٤].

وقال ابن عباس: يريد: وسبق ما أنزل الله في القرون الأولين قوم نوح وعاد وثمود[٥]، وعلى هذا معنى الآية: وسبق ما أنزلنا في إهلاكهم، وهو مَثَلٌ ضربناه لهم، وتقدير الكلام: مثل الأولين لهم.

قال أهل المعاني[٦]: ومضى مثل الأولين لهؤلاء الباقين، أي: أنهم قد سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم، فليحذروا أن ينزل بهم من الخزي ما نزل بهم، فقد ضربنا لهم مثلهم كما قال: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ [الفرقان: ٣٩]، وكقوله: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٦٣.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٥١، «تنوير المقباس» ص٤٨٩.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٨٩.

(٤) «تفسير الطبري» ١٣/ ٥١ فقد أخرجه عن قتادة، ونسبه القرطبي لقتادة، انظر: «الجامع» ١٦/ ٦٤.

(٥) لم أقف عليه، وكذا رسمها في الأصل، ولعل الصواب: (الأولى).

(٦) لم أقف عليه.

أَنفُسَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥] والمعنى: سبق فيما أنزلنا إليك بشبه حال الكفار الماضية بحال هؤلاء في التكذيب، ولما أهلكوا هؤلاء بتكذيبهم، فعاقبة هؤلاء أيضًا الإهلاك لأنهم أشباه بعضهم لبعض، وأما قول المفسرين في تفسير قوله: (مثل الأولين) عقوبتهم وسنتهم[١]، فهو معنى وليس تفسير؛ لأن المعنى ذِكْر بيان ما حل بهم ليعتبر هؤلاء.

ثم ذكر أن هؤلاء مع شركهم وكفرهم يقرون بما هو الحجة عليهم فقال:

٩- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ قال ابن عباس: ولئن سألت قومك يا محمد[٢] ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال: يريد إقرارًا منهم بعدلي وعلمي بخَلْقي، قال الكلبي: وهذا إيمان منهم وهم يخالفون فيشركون به الأصنام[٣].

وقال أهل المعاني: هذا إخبار عن غاية جهلهم، إذ أقروا بالله خالق السموات والأرض، ثم عبدوا معه غيره، وأنكروا قدرته على البعث[٤]، وقد تم الإخبار عنهم[٥] ثم ابتدأ جل وعز دالًّا على نفسه فقال:

١٠- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾[٦] قال صاحب

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٥١، «تفسير الثعلبي» ١٠/ ٧٩ أ، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٠٦، «تفسير الماوردي» ٥/ ٢١٦.

(٢) ذكر ذلك البغوي ٧/ ٢٠٦ ولم ينسبه، وابن عطية ١٤/ ٢٤٢ ولم ينسبه.

(٣) ذكر نحو ذلك في «تفسير الوسيط» ٤/ ٦٥ ولم ينسبه، وكذلك «البغوي» ٧/ ٢٠٧.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٠٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٦٤.

(٥) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس ص٦٤٦.

(٦) نص الآية: ﴿مَهْدًا﴾ قال أبو علي الفارسي: اختلفوا في قوله: ﴿مِهَٰدًا﴾ (طه: ٥٣) =

النظم: أخبر الله عما يقول الكفار إذا سئلوا عمن خلق السموات والأرض[١]، ابتدأ ﷻ وصف نفسه غير حاكٍ ذلك عن الكفار فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾، ولو كان منتظمًا بما قبله من كلام الكفار لوجب أن يكون نظمه: الذي جعل لنا الأرض، والمعنى العزيز العليم الذي أوموا إليه أنه خلقهن هو الذي جعل لكم الأرض مهادًا، قال: ونظيره من كلام الناس: أن يسمع الرجل رجلًا يقول: الذي بنى هذا المسجد فلان العالم، فيقول السامع لهذا الكلام: الزاهد الكريم، كأنه عرفه فزاد في وصفه، فيكون النعتان جميعًا لرجل واحد من رجلين مختلفين، وكذلك قوله ﷻ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ صفة من صفات الله محكية عن الكفار.

قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ صفة من صفاته أضافها ﷻ إلى الصفة التي حكاها عن الكفار؛ لأنها حق، وإن كان من كلام الكفار، وتفسير هذه الآية قد سبق في سورة طه [آية ٥٣].

وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: تهتدون في أسفاركم إلى مقاصدكم، وهذا قول الحسن ومقاتل، والثاني: لتهتدوا إلى الحق [في بالاعتبار][٢] الذي جعل لكم، وهذا معنى قول ابن عباس[٣].

١١- قوله: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ قال ابن عباس: يريد

= في زيادة الألف ونقصانها ههنا في [الزخرف: ١٠] ولم يختلفوا في غيرها. فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر ﴿مِهَٰدًا﴾ بالألف في كل القرآن، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿مَهْدًا﴾ بغير ألف فيها. انظر: «الحجة» ٥/ ٢٢٣.

(١) كذا رسمها في الأصل، ولعله سقط لفظ: (ثم).

(٢) كذا رسمها في الأصل ولعل المراد: (فيه بالاعتبار).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٠، «تفسير الماوردي» ٥/ ٢١٧، «تفسير ابن عطية» ١٤/ ٢٤٣، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٦٤

ليس كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أغرقهم وأهلكهم، بل هو بقدر حتى يكون معاشًا لكم ولأنعامكم[١].

١٢- ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ أي الأصناف والضروب والألوان والذكر والأنثى.

١٣- قوله: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ قال أبو عبيدة: التذكير لـ: ما[٢]، وقال الفراء: أضاف الظهور إلى واحد فيه معنى الجمع بمنزلة الجيش والجند، فلذلك ذكَّر وجمع الظهور[٣].

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ يعني النعمة بتسخير ذلك لكم، مراكب في البر والبحر، وقال الكلبي: هو أن تقول: الحمد لله الذي رزقني هذا وحملني عليه[٤]، وهذا معنى قول ابن عباس: تذكروا كرامة ربكم إذا استويتم عليه، يعني: إكرامه إياكم بتلك المراكب[٥]، ويدل على هذا قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقوله: ﴿وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ قال مقاتل: ذلل لنا هذا المركب[٦]، وقال قتادة: قد علمكم كيف تقولون إذا ركبتم الفلك بقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] ويعلمكم إذا ركبتم الإبل أن

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٥٢، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٠٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٦٤، وقد نسبه القرطبي، والمؤلف في «الوسيط» ٤/ ٦٥ لابن عباس.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٢.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٢٨.

(٤) ذكر ذلك في «الوسيط» ٤/ ٦٥ ونسبه لمقاتل والكلبي.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٠.

تقولوا: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾[١].

قال ابن عباس: يريد: ولا طاقة لنا بالإبل ولا بالفلك ولا بالبحر لولا أن الله سخره لنا[٢] ومعنى المقرن: المطيق في قول المفسرين[٣]، قال أبو عبيدة: فلان مقرن لفلان، أي: ضابط له وأنشد:

ولَسْتُم للصِّعَابِ بمُقرنِينا[٤]

وقال الليث: أقرنت لهذا البرذون والبعير، أي قد أطقته، وكان اشتقاقه من قولك: صرت له قرنًا مطيقًا[٥]، ونحو هذا قال الزجاج وابن قتيبة قال: ومعنى: أنا قرن لفلان، أي: مثله في الشدة[٦].

وقال صاحب النظم: هذا كله خبر عن ظاهره، ومعناه في الباطن أمر؛ لأنه لو كان خبرًا لوجب أن يكون ذلك عامًا في الإتيان والعمل به، فلما لم يكن ذلك عامًا، وكان خاصًّا في بعض، دل ذلك عليه أنه أمر أخرج مخرج الخبر، قال: وقد قيل إن معناه: ليأمركم إذا استويتم عليه أن تذكروا نعمة ربكم كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ٥٤ عن قتادة، ونسبه في «الوسيط» لقتادة.

(٢) نسبه في «الوسيط» لابن عباس. انظر: ٤/ ٦٥.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٥٥، «الماوردي» ٥/ ٢١٨، «القرطبي» ١٦/ ٦٦.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٢، والبيت للكميت وصدره قوله:

ركبتم صعبتي أنشراً وحيفاً

والشاهد قوله: مقرنينا: أي ضابطين. وقد استشهد به النحاس في «معاني القرآن» ٦/ ٣٤١، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٦٦.

(٥) انظر: كتاب: العين ٥/ ١٤٣ (قرن) بلفظ:

صرت له قرينا أي مطيقاً

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٦، «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٩٥.

إلا لآمركم أن تعبدونِ، ولو كان على ظاهر النظم لوجب أن يعبدوه كلهم. والله أعلم.

١٥- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾. قال صاحب النظم: رجع إلى ذكر الكفار الذين قدم ذكرهم في أول السورة، فابتدأ خبرًا عنهم من غير أن يصله في المعنى بما قبله؛ لأنه لا يتصل بشيء مما تقدمه، وإن كان منسوقًا عليه بواو العطف، ومعنى الجزء في اللغة: القطعة والنصيب، وجمعه أجزاء، ويقال: جزأت الشيء بينهم وجزأته، إذا قسمته، تخفف وتثقل[١].

وذكر المفسرون في هذا قولين:

أحدهما: قال ابن عباس: يريد حيث جعلوا الملائكة بنات الله[٢]، وعلى هذا معنى الآية حكموا بأن بعض العباد وهم الملائكة له أولاد.

فمعنى الجعل هنا الحكم بالشيء، وحُذِفَ من الكلام مفعولٌ هو مراد على تقدير: وجعلوا له من عباده جزءًا ولدًا أو بنات.

القول الثاني: أن معنى الجزء ها هنا العدل والشبيه، وذلك أنهم عبدوا الملائكة والجن، فجعلوهم لله عدلًا وشبيهًا، وهذا معنى قول مقاتل وقتادة[٣]، وتقدير هذا القول كتقدير القول الأول؛ لأن المعنى: وجعلوا له

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (جزى) ١١/ ١٤٦، «اللسان» (جزأ) ١/ ٤٧، «كتاب الجيم» ص ٩٣.

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٥٥ عن مجاهد والسدي. ونسبه في «الوسيط» ٤/ ٦٦ لابن عباس ومجاهد والحسن.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٠، «تفسير الطبري» وقد ذكر القولين ١٣/ ٥٥-٥٦، «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٣٩٦، «تفسير الماوردي» ٥/ ٢١٩.

من عباده جزءًا عدلًا، فحذف أحد المفعولين، وذكر أبو إسحاق في الجزء قولًا آخر فقال: أنشدني بعض أهل العلم بيتًا يدل على [أن][(١)] معنى الجزء الإناث، ولا أدري البيت قديمٌ أم مصنوع وهو:

إنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يومًا فلاَ عَجَبٌ قَدْ تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكَارُ أَحْيَانَا[(٢)]

أي: إن ولدت أنثى، قال الأزهري: واستدل قائل هذا القول بقوله ﷿: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] قال: وهذا القول ليس بشيء، والجزء بمعنى الإناث غير موجود في كلام العرب، والشعر القديم الصحيح لا يعبأ بالبيت الذي ذكره لأنه مصنوع[(٣)]، ومعنى الآية: أنهم جعلوا لله من عباده نصيبًا، على معنى أنهم جعلوه نصيب الله من الولد، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، أي: وصفوهم بالأنوثة، وكذبوا في المعنيين جميعًا: في قولهم إنهم بنات الله، وفي أنهم إناث.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ يعني: إن الكافر (لكفور) لجحود لنعم الله (مبين) بيِّن الكفران، والاختيار: القول الأول لقوله:

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) البيت استشهد به ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ص ٣٩٦، والماوردي في «تفسيره» ٥/ ٢١٩، وأبو حيان في «البحر» ٨/ ٨، «اللسان» (جزأ) ١/ ٤٧. وقال الزمخشري: ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث ما هو إلا كذب على العرب ووضع محدث متحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت المرأة ثم صنعوا بيتاً وبيتاً:

إن أجزأت حرة يوماً فلا عجب

زوجتها من بنات الأوس مجزئةً

انظر: «الكشاف» ٣/ ٤١٣.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» بتصرف يسير (جزى) ١١/ ١٤٥.

١٦- ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ وهذا استفهام توبيخ[١]، يقول: اتَّخذ ربكم لنفسه البنات ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ واختصكم وأخلصكم ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾ ويقال: أصفيت فلانًا بكذا، أي: آثرته به، وهذه الآية كقوله: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ الآية [الإسراء: ٤٠] قال أهل المعاني: والحجة عليهم في هذه الآية أنه ليس يحكم من اختار لنفسه أدون المبدلين ولغيره أعلاها، ولو كان على ما يقوله المشركون من اتخاذ الولد، لم يتخذ لنفسه البنات ويصفهم بالبنين، فغلطوا في الأصل وهو: جواز [لاتخاذ][٢] الولد، وفي البناء على الأصل وهو اتخاذ البنات، فنعوذ بالله من الخطأ في الدين، ثم [رادا][٣] احتجاجًا في القول عليهم بقوله.

١٧- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ قال مقاتل: بالذي وصف للرحمن شبهًا[٤]، وقال [مقاتل][٥]: بما جعل لله شبهًا[٦]، وذلك أنهم إذا أجازوا أن تكون الملائكة بنات الله، فقد جعلوا الملائكة شبهًا لله، وذلك أن ولد كل شيء شبهه وجنسه، وهذه الآية مفسرة في سورة النحل [آية ٥٨].

ووجه الاحتجاج عليهم من هذه الآية أن من اسود وجهه بما يضاف إليه مما لا يرضى، فهو أحق أن يسود وجهه بإضافته مثل ذلك إلى من هو

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٥٦، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٠٨، «زاد المسير» ٧/ ٣٠٥.
(٢) كذا رسمها بالأصل، ولعل الصواب (اتخاذ).
(٣) كذا رسمها بالأصل، ولعل الصواب (رد) أو (أراد).
(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩١.
(٥) كذا في الأصل ولعله تصحيف، ولعل الصواب (قتادة).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٥٦، فقد أخرج عن قتادة بلفظ: (بما جعل لله).

أجل منه، فكيف إلى ربه ﷻ.

١٨- قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ قال مقاتل: ينبت في الزينة، يعني: الابنة[١] قال المبرد: تقدير الآية: أو يجعلون له من ينشأ في الحلية يعني البنات، ونحو هذا قال الزجاج والفراء[٢]، وعلى هذا موضع (من) نصب، وهو اختيار أبي علي قال: موضع (من) نصب على تقدير: اتخذوا له من ينشأ في الحلية، على وجه التقريع لهم بما افتروه[٣]، وذكر الفراء قولين قال: وإن شئت جعلت (من) في موضع رفع على الاستئناف، وعلى هذا يضمر الخبر، قال: وإن رددتها على أول الكلام على قوله: ﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ خفضتها[٤].

وقرأ حمزة والكسائي: (ينشؤ) بالتشديد على غير تسمية الفاعل، وهي قراءة ابن عباس وابن مسعود[٥].

قال أبو علي الفارسي: يقال: نشأت السحاب، ونشأ الغلام، فإذا نقل بالهمز تعدَّى إلى مفعول كقوله: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] والأكثر في الأفعال التي لا تتعدى إذا أريد تعديتها أن ينقل بالهمزة، أو بتضعيف العين نحو: فرَّحته وأفرحته،

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩١.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٧، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٢٩، ولم أقف على قول المبرد.

(٣) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ١٤٠.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٢٩.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٥٨، «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٦٤٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٧١، «الإتحاف» ص٤٧٢.

وغرَّمته وأغرمته، وقد جاء منه شيء عدي بتضعيف العين دون الهمز وهو قولهم: لقيت خيرًا، ولقانيه زيد، ولا تقول: ألقانيه. ومن هذا قوله: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥] . ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾ [الإنسان: ١١] فيجوز أن يكون نشأ من ذلك، عدي بالهمزة دون التضعيف؛ لأنا لم نعلم نشأ، كما جاء بلغ وأبلغ، ونجّى وأنجى، وإذا كان كذلك كان الأوجه: أومن ينشأ من الإنشاء، ومن قال (ينشأ) فهو في القياس مثل: فرَّح وأفرح، وغرَّم وأغرم، وإن عزَّ وجود ذلك في الاستعمال. هذا كلامه(١)، وهو كما قال، فإن أحدًا من أهل اللغة لم يحكِ نشأ، ولا حكاه الأزهري عن أحد في كتابه، غير أن الكسائي قال: نشى فهو منشأ ينشأ وينشيه، واختار أبو عبيد هذه القراءة، قال: ومعناه أن الله تعالى فعل ذلك بهن(٢).

قال المبرد: الفرق الذي ذكر أبو عبيد بين (ينشأ وينشا) ليس بشيء، لأنه إذا أنشئ نشأ، ولا ينشَّأ إلا أن ينشأ، وكذلك: إنك ميت، إنما هو ممات؛ لأنه لا يموت حتى يمات، وكذلك كل ما ينسب إلى العبد في خلقه(٣).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ﴾ يعني المخاصمة ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ للحجة قاله الكلبي، وقال قتادة: قلما تتكلم امرأة بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها(٤)، وقال أبو إسحاق: إن الأنثى لا تكاد تستوفي الحجة ولا تبين(٥)،

---

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ١٤٠.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٧١.

(٣) قولا الكسائي والمبرد لم أقف عليهما، وانظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٦٤٦.

(٤) انظر: «تفسير عبد الرازق» ٢/ ١٩٥، «الطبري» ١٣/ ٥٧، «البغوي» ٧/ ٢٠٩.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٧.

والمعنى: أنهم نسبوا إلى الله ما يكرهونه، ومن لا يكاد يقوم بحجته أو يستوفيها، وهذا في ظاهره استفهام وهو إنكار وردٌّ، وهو الذي ذكرنا من أن المراد بالآية البنات، وهو قول جماعة أهل التفسير[(١)] وقد قال ابن زيد: هذه تماثيلهم التي يضربونها من فضة وذهب وينشؤنها في الحلية ثم يعبدونها[(٢)]، والقول هو الأول، قال أبو إسحاق: والأجود أن يكون يعني به المؤنث[(٣)].

١٩- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ﴾ قال أبو إسحاق: الجعل ها هنا في معنى القول والحكم على الشيء، يقول: قد جعلت زيدًا أعلم الناس، أي قد وصفته بذلك وحكمت به.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[(٤)]، وكلٌّ صواب، قد جاء التنزيل بالأمرين جميعًا في وصف الملائكة، وذلك قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، وفي قوله: (عند الرحمن) دلالة على رفع المنزلة، والتقريب كما قال: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١٩٥، «الطبري» ١٣/ ٥٧، «الماوردي» ٥/ ٢١٩.

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٥٧ عن ابن زيد، ونسبه الثعلبي ١٠/ ٨٠ ب لابن زيد، وانظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٢٠.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٧.

(٤) لعل في الكلام سقطًا ها هنا، فكأن المؤلف يشير إلى القراءة الأخرى، وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر: ﴿عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالنون، وقرأ الباقون: ﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالباء، ومما يقوى ذلك أنه غالباً ما ينقل عن «الحجة» لأبي علي الفارسي وهي هكذا في «الحجة» بنفس الشواهد انظر: «الحجة» ٦/ ١٤٠.

وقال في «الوسيط» ٤/ ٦٧ بعد هذا المقطع: وقرئ ﴿عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وكل صواب.

﴿ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾ [النساء: ١٧٢]. وهذا من القرب في المنزلة والرفعة في الدرجة، وليس من قرب المسافة[١]، واختار أبو عبيد: (عباد الرحمن) قال: وفي ذلك تكذيب لقولهم بنات الله، أخبر أنهم عبيده وليسوا بناته[٢]، واختار أبو حاتم: (عند الرحمن)، وقال: إن فيه مدحًا لهم.

وقال المبرد: هذه القراءة أنبأ عن صحة كذبهم مما اختاره القسم[٣]، لأن المعنى أن الملائكة عنده وليسوا عندهم [رواهم][٤]، فكيف حكموا بأنوثتهم، يدل على هذا قوله: ﴿أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ﴾، (فعند) على ما ذكره المبرد ينبئ عن العلم لا عن الدنية[٥].

واختلفوا في قوله: ﴿أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ﴾ فقرأه العامة من الشهود، ويدل عليه قوله: ﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ﴾ [الصافات: ١٥٠]، وقرأ نافع: (أَأُشْهِدُوا) على أفعلوا بضم الهمزة وسكون الشين وقبلها همزة الاستفهام مفتوحة، ثم خففت الهمزة الثانية من غير أن يدخل بينهما الفاء. وروى المسيبي عنه بإدخال الألف بين الهمزتين، و(شهد) الذي يراد به حضر يتعدَّى إلى مفعول به من غير حرف جر كقوله:

---

(١) انظر: «الحجة» ٦/ ١٤٠، «الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٥٦.

(٢) انظر: «اختيار» أبي عبيد في «إعراب القرآن» للنحاس٤/ ١٠٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٧٢.

(٣) كذا رسمها، ولعله سقط لفظ (الأول).

(٤) كذا رسمها، ولعل الصواب (يرونهم).

(٥) قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن الملائكة عباد الله وعنده. «تفسير الطبري» ١٣/ ٥٨، ولم أقف على قول المبرد.

شَهِدْنَا فَمَا تَلْقَى لَنَا مِنْ كَتِيْبَةٍ يَدَ الدَّهْرِ إِلَّا جِبْرَئِيلٌ أَمَامُها[١]

وهذا محذوف المفعول التقدير فيه: شهدنا المعركة أومن اجتمع لقتالها، وهذا الضرب يتعدَّى إلى مفعول واحد، فإذا نقل بالهمز تعدَّى إلى مفعولين تقول: شهد زيد المعركة، وأشهدته إياها، ومن ذلك قوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] [الكهف: ٥١]، فقوله: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ من الشهادة التي هي الحضور، كأنهم وبِّخوا على أن قالوا ما لم يحضروا له، مما حُكْمُه أن يُعْلم بالمشاهدة، ومن قرأ: (أأشْهِدوا) فالمعنى: أو أحضروا ذلك[٣]، ويقوي هذه القراءة قوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١] وقال المبرد: القراءتان تؤولان إلى معنى؛ لأنه لا يشهد هذا الموضع أحد إلا أن يشهده الله[٤]. [فإذا شهدوا وأشهدوا، وإذا شهد فقد شهدوا][٥].

قال ابن عباس: يريد أحضروا أو عاينوا خلقهم.

قال الكلبي ومقاتل: لما جعلوا الملائكة بنات الله سألهم النبي ﷺ فقال: «**ما يدريكم أنهم إناث؟**» قالوا: سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم

---

(١) البيت لحسان بن ثابت في ملحقات «ديوانه» ١/ ٥٢٢، وينسب البيت لكعب بن مالك. انظر: «الخزانة» ١/ ١٩٩، «اللسان» (جبر) ٤/ ١١٤، «الحجة» ٦/ ١٤٢.

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ١٤٢، وفيها: أو من اجتمع لقتالنا، بدل قتالها، وكتاب: التذكرة في القراءات ٢/ ٦٦٦، «الكشف» لمكي ٢/ ٢٥٧.

(٣) كذا رسمها في الأصل وفي «الحجة» (أأشهدوا)، فالمعنى: أأحضروا ذلك، انظر: ٦/ ١٤٦.

(٤) لم أقف على قول المبرد، وقد ذكر نحو ذلك النحاس في «إعراب القرآن» ٤/ ١٠٤.

(٥) كذا رسمها في الأصل، وفي «إعراب القرآن» للنحاس (لأنهم إذا شهدوا فقد أشهدوا).

يكذبوا أنهم إناث، فقال الله: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ أي: ستحفظ شهادتهم ويسألون عنها في الآخرة(١).

٢٠- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ قال الكلبي: بنو مليح(٢) من خزاعة كانوا يعبدون الملائكة، قالوا: لو شاء الرحمن ما عبدناهم، ونحو هذا قال قتادة ومقاتل(٣).

قوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ قال أبو إسحاق: ما لهم بقولهم إن الملائكة بنات الله من علم(٤)، يدل على هذا قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ وقال أصحابنا إنهم عنوا بقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ أنه قدرنا على عبادتها فَلَمْ يعاقبنا؛ لأنه رضي بذلك منا(٥). وذلك كذب منهم، لأن الله تعالى وإن أراد كفر الكافر لا يرضاه، وليس تقديره الكافر على الكفر رضا منه(٦)، فذلك يدل على ذلك .﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: لا علم

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٠، «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩١، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٠٩، «تفسير الوسيط» ٤/ ٦٨.

(٢) بنو مليح بن عمرو بن عامر بن لحي بن قَمَعَة بن إلياس، ويقال إن بني مليح هؤلاء من ولد الصلت بن مالك بن النضر بن كنانة. انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٢٣٨.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٠، «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩١، «القرطبي» ١٦/ ٧٤ .

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٨.

(٥) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ٨١ أ.

(٦) قال ابن كثير رحمه الله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ أي لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام فإنه عالم بذلك وهو يقررنا عليه فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ:

الأول: جعلهم لله تعالى ولداً.

الثاني: دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين. =

لهم بما يدَّعون، ولكنهم يخرصون في ذلك، وهذا إنكار ورد ولا يحتمل أن يكون ردًا لظاهر قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾، لأن هذا القول حق وإن كان من الكافر، لأن الحق حق حيث ما كان، فلا يحتمل أن يكون هذا الإنكار واقعًا إلا على ما أولناه من أن قولهم: لو شاء الرحمن ما عبدنا، لأن هذا القول حق أمرنا أن نعبدهم؛ لأن هذا افتراء وكذب منهم على الله، فهذان قولان صحيحان في معنى الآية:

أحدهما: وهو أن قول أبي إسحاق أن قوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ إنكارٌ لما ذكر عنهم من قوله: ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾، وقوله: ﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾.

والثاني: أنهم [أروا][1] بقولهم: لو شاء الرحمن ما عبدناهم، أنه أمرنا بذلك، وأنه رضي بذلك فقدرنا عليه، فأنكر عليهم، وهذه الآية كقوله: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ في سورة النحل [٣٥].

٢١- قوله تعالى: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ قالوا كلهم: من قبل القرآن، قال مقاتل: يقول هل أعطيناهم كتابًا من قبل

= **الثالث**: عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله ﷻ.

الرابع: احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدراً، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلاً كبيراً فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار. انظر: «تفسير ابن كثير» ٦/ ٢٢٢.

وقال شارح الطحاوية: أما أهل السنة فيقولون إن الله وإن كان يريد المعاصي قدراً فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها، وهذا قول السلف قاطبة فيقولون: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. انظر: «شرح الطحاوية» ١/ ٧٩.

(١) كذا رسمها، ولعل المراد (أرادوا).

القرآن بأن يعبدوا غير الله[١] فهم به مستمسكون.

قال ابن عباس: فهم به يعملون[٢]، وقال الكلبي: يأخذون بما فيه[٣].

وقال أبو إسحاق: أم هل قالوه عن كتاب، والمعنى آتيناهم كتابًا بما قالوه من عبادة غيره[٤].[ذكر أنه لم][٥] يعبدوا غيره بكتاب [إذا][٦] العلم بالحق لا يدرك إلا بالسمع أو بالعقل، وليس يوجب ما يفعلون عقل ولا سمع.

٢٢- ثم ذكر أنهم لم يأتهم كتاب، فقال: ﴿بَلْ﴾ أي ما أتيناهم كتابًا ولكنهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾.

وقال الزجاج: أعلم الله أن فعلهم اتباع ضلالة آبائهم بقوله: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ﴾[٧].

وقال صاحب النظم: أي ليس لهم حجة إلا تقليد آبائهم، وقولهم: إنا وجدناهم على دين فنحن نتبعهم، ومعنى الأمة في هذه الآية: السنة والملة والدين، في قول جميعهم[٨].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٢.

(٢) ذكر ذلك القرطبي في «الجامع» ولم ينسبه. انظر: ١٦/ ٧٤.

(٣) انظر: «تفسير أبي الليث السمرقندي» ٣/ ٢٠٥، «تنوير المقباس» ص٤٩٠ .

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٨.

(٥) كذا في الأصل، ولعل الصواب (ذكر أنهم لم).

(٦) كذا في الأصل، ولعل الصواب (إذ).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٨.

(٨) انظر: «تفسيرالسمرقندي» ٣/ ٢٠٥، «الماوردي» ٥/ ٢٢١، «البغوي» ٥/ ٢١٠.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ وقال ابن عباس: يعنون الضلالة التي هم عليها، جعلوا أنفسهم باتباع آبائهم مهتدين[١].

٢٣- ثم أخبر تعالى أن غيرهم قالوا هذا القول فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي وكما قالوا ﴿مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ الآية.

قوله: ﴿مُتۡرَفُوهَآ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: ملوكها وأشرافها وجبابرتها[٢]، وقال أبو إسحاق قوله: ﴿مُّهۡتَدُونَ﴾ و﴿مُّقۡتَدُونَ﴾، يصلح أن يكون جوابًا لـ: ﴿إِنَّا﴾، و﴿عَلَىٰٓ﴾ من صلته والتقدير: إنا مهتدون على آثارهم، وكذلك مقتدرون، ويصلح أن يكون خبرًا بعد خبر، فيكون (على آثارهم) خبر (إنا) ومهتدون [خبرًا ثان][٣]، وكذلك مقتدون[٤]، فقال الله تعالى لنبيه:

٢٤- ﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ﴾ قال الكلبي: بأعرف دينا وأبين صلاحًا[٥].

وقال أبو إسحاق: المعنى فيه قل: أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتكم بأهدى منه[٦]؟ فأبوا أن يقبلوا ذلك ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

---

(١) ذكر ذلك البغوي ٧/ ٢١٠، وذكر نحوه ابن الجوزي ٧/ ٣٠٨ ولم ينسباه.
(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٢، «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢٠٥، «تنوير المقباس» ص٤٩١.
(٣) كذا في الأصل، وفي معاني الزجاج (ثانياً) ٤/ ٤٠٨.
(٤) نص العبارة عند الزجاج: ويصلح أن يكون خبراً لإنا مهتدون، و﴿عَلَىٰٓ﴾ من صلة مهتدين، وكذلك ﴿مُّقۡتَدُونَ﴾، فيكون المعنى وإنهم مهتدون على آثارهم، وكذلك يكون المعنى مقتدون على آثارهم، ويصلح أن يكون خبراً بعد خبر، فيكون: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ الخبر ويكون ﴿مُّهۡتَدُونَ﴾ خبراً ثانياً، وكذلك ﴿مُّقۡتَدُونَ﴾ ٤/ ٤٠٨.
(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ٨١ ب، «السمرقندي» ٣/ ٢٠٥، «البغوي» ٧/ ٢١٠.
(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٨.

ثم ذكر ما فعل بالأمم المكذبة تخويفًا لهم فقال:

٢٥- ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ الآية. قال ابن عباس: يريد ما صنع بقوم نوح وعاد وثمود[١]، ونحو هذا قال مقاتل[٢].

٢٦- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ قال الكلبي: لما خرج إبراهيم من السرب وهو ابن سبع عشرة سنة، أبصر قومه وأباه يعبدون الأصنام فقال لهم هذا القول[٣].

وقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ قال الكسائي والفراء والمبرد: براء: مصدر لا يثنى ولا يجمع مثل: عدل ورمي، تقول العرب: أنا البرآء منك والخلا، ولا يقولون: البراءان والبراءون، لأن المعنى: ذو البراء، وذو البراء، فإن قلت: بريء وخلي، ثنيت وجمعت[٤]، ثم استثنى خالقه من البراءة فقال:

٢٧- ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ المعنى أنا أتبرأ مما تعبدون إلا من الله ﷻ، ويجوز أن يكون (إلا) بمعنى لكن، فيكون المعنى لكن الذي فطرني ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ أي سيرشدني لدينه ويوفقني لطاعته، قاله ابن عباس[٥]. والوجهان في الاستثناء ذكرهما الزجاج[٦].

٢٨- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: يعني لا إله إلا الله، وقال قتادة: لا يزال في ذريته من يعبد

---

(١) ذكر ذلك الشوكاني في «فتح القدير» ٤/ ٥٥٣ ولم ينسبه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٣.

(٣) ذكر ذلك في «تفسير الوسيط» انظر: ٤/ ٦٩.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٠، «اشتقاق أسماء الله» لأبي القاسم الزجاجي ص٢٤٢.

(٥) ذكر ذلك البغوي ٤/ ٢١٠، والشوكاني ٤/ ٥٥٣ ولم ينسبه.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٩.

الله ويوحده[(١)]، والكناية على هذا في قوله (وجعلها) تعود إلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله والمعنى: وجعل كلمة التوحيد باقية في عقب إبراهيم، ولم يسبق ذكر كلمة التوحيد حتى يكنى عنها.

قال صاحب النظم: قد رضيت العامة بقول المفسرين من غير وقوف على حقيقة مخرج هذه الكلمة، وإذا تأملت الآية رددتها بالاعتبار إلى تأويلها، دلت على قيام لا إله إلا الله فيها مصورة، وذلك أن النفي والتنزيه عند العرب واحد في المعنى.

وقوله ﷻ ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾ مثل قولك: لا، لأنه يتبرأ بها من الشيء.

قوله: ﴿مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ كل معبود عند العرب كان يسمى إلهًا، فقد رجع تأويل هذه الآية بهذا الاعتبار أنها كناية عن الإله، ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ ولا يهدي ولا يفطر إلا الله ﷻ، وكأنه قال: إلا الله، وقد انتظمت الكلمتان بهذا التأويل لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿فِي عَقِبِهِۦ﴾ قال مقاتل: في ذرية إبراهيم، وقال الكلبي: في نسله[(٢)]، وقال الحسن: عقب الرجل: نسله إلى يوم القيامة.

وقال ابن عباس: يريد في ولده وولد ولده إلى يوم القيامة[(٣)].

---

(١) انظر: «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢٠٦ فقد ذكر القول ولم ينسبه، ونسبه الماوردي ٥/ ٢٢٢، والبغوي ٧/ ٢١٠، والقرطبي ١٦/ ٧٧ لمجاهد وقتادة، ونسب القرطبي لابن عباس قوله: في عقبه أي في خلفه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٣، «تنوير المقباس» ص٤٩١، ونص العبارة عند مقاتل: يعني في ذريته، يعني ذرية إبراهيم.

(٣) انظر: «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢٠٦، «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٢٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٧٧.

قال الأزهري: وكل شيء خلف بعد شيء فقد عقبه يعقب عقبًا وعقوبًا، ولهذا قيل لولد الرجل عقبه، ومنه حديث عمر رحمه الله أنه سافر في عقب رمضان، أي في آخره[١].

قوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قال الفراء: أي لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين إذ كانوا من ولد إبراهيم، فذلك قوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إلى دينك دين إبراهيم[٢]، وقال قتادة: لعلهم يتوبون ويرجعون عما هم عليه إلى عبادة الله[٣].

٢٩- ثم ذكر نعمته على قريش فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد المشركين[٤]، يعني أنه متعهم بأنفسهم وأموالهم وأنواع إنعامه عليهم، ولم يعاجلهم بعقوبة كفرهم ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾، وقال مقاتل: يعني القرآن. وقال الضحاك: الإسلام[٥].

﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ مبين لهم الإعلام والأحكام، وقال مقاتل: بين أمره[٦].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (عقب) ١/ ٢٧١، وانظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (عقب) /٢٤٣، «غريب الحديث» لابن الجوزي (عقب) ٢/ ١١١، «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (عقب) ٣/ ٢٦٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣١.

(٣) انظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٢٣، فقد أورد عدة أقوال عن قتادة بلفظ: (يذكرون)، وعن ابن عباس بلفظ (يتوبون)، وعن الفراء: (يرجعون إلى دينك الذي هو دين إبراهيم)، وذكره البغوي ٧/ ٢١١ ونسبه للسدي .

(٤) ذكر ذلك البغوي ٧/ ٢١١ ولم ينسبه، وذكره أبو الليث السمرقندي بلفظ: يعني قومك، ولم ينسبه. انظر: «تفسيره» ٣/ ٢٠٦.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٣، «تفسير البغوي» ٧/ ٢١١ عن الضحاك.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٣.

وقال أهل المعاني: كان من حق ما أنعم الله عليه من الانتفاع ونعته الرسول أن يطيعوه بإجابة رسوله، فلم يجيبوه وعصوا رسوله فلم يقضوا حق إنعامه وهو قوله تعالى:

٣٠-٣١- ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يعني: القرآن ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٠ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ﴾ هلا ﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ الآية. قال الكلبي ومقاتل: قال الوليد بن المغيرة، لو كان هذا القرآن حقًا لنزل عليَّ أو على [ابن][1] مسعود: عمرو بن عمير بن عوف الثقفي جد المختار الكذاب[2]، وكان بالطائف والوليد كان بمكة، وهما القريتان، وقال عطاء عن ابن عباس وقتادة: في عظيم الطائف إنه عروة بن مسعود[3]، وقال مجاهد: عتبة بن ربيعة من مكة، وابن عبد الثقفي من الطائف[4].

وقال أبو إسحاق: المعنى على رجل من رجلي القريتين[5].

وقال أبو علي: من إحدى القريتين[6].

---

(١) كذا في الأصل، وفي «تفسير مقاتل» (أبي).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٣، «تفسير البغوي» ٧/ ٢١١.

(٣) ذكر ذلك البغوي، ونسبه لقتادة انظر: «تفسيره» ٧/ ٢١١، وذكره ابن الجوزي ونسبه لمجاهد وقتادة. انظر: «زاد المسير» ٧/ ٣١١، ونسبه القرطبي لقتادة. انظر: «الجامع» ١٦/ ٨٣. وهو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٦٥، «تفسير البغوي» ٧/ ٢١١، «التعريف الإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام» ص٢٨٧، ورجح النحاس أن المراد بالرجلين: الوليد بن المغيرة، وعروة بن مسعود الثقفي. انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٦/ ٣٥١.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٠٩.

(٦) لم أقف عليه.

٣٢- فقال الله ﷻ إنكارًا وردًا عليهم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: نبوة ربك، وهو قول جميع المفسرين[١]، والمعنى: أنهم [أعرضوا][٢] على الله بقولهم لِمَ لَمْ ينزل هذا القرآن على غير محمد؟ فبين الله ﷻ أنه هو الذي يقسم بفضله ورحمته لا غير، وقال مقاتل في هذه الآية: أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا، أي: أنها ليست بأيديهم، ولكنا نختار لها من نشاء من عبادنا[٣].

ثم قال قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس: يريد أرزاقهم[٤]، واختلفوا في معنى ذكر سبب قسمة المعيشة هاهنا، فقال مقاتل في هذه الآية: يقول لم أعط الوليد وأبا مسعود الذي أعطيناهما من الغنى لكرامتهما على الله، ولكنه قسمة من الله بين الخلق[٥]، فعلى هذا المعنى: نحن أعطيناهما ذلك فلا يغر بهما الغنى ولا يبطر بهما النعمة، فإن من قسمها لهما قادر على نزعها عنهما، ثم ذكر الحكمة في تفضيل بعض على بعض في الرزق في باقي الآية.

وقال أهل المعاني: إن الله قسم النبوة كما قسم الرزق في المعيشة، فليس لأحد أن يتحكم في شيء من ذلك، وكما فضلنا بعضهم فوق بعض في الرزق والمنزلة، كذلك اصطفينا للرسالة من نشاء،وعلى هذا معنى الآية: إنا تولينا قسم معيشتهم، كذلك تولينا قسم النبوة بالرحمة، فلا

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٦٥، «الثعلبي» ١٠/ ٨٢ أ، «الماوردي» ٥/ ٢٢٣.
(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب (اعترضوا).
(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٤.
(٤) لم أقف عليه.
(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٤.

اعتراض لأحد في قسمتنا(١).

وقال آخرون: نبه الله ﷻ بالأدنى على الأعلى، فذكر أنه قسم المعيشة بين عباده بتفضيله من يشاء في الرزق على غيره، وإذا كان هو المتولي لهذه القسمة، فأن يكون هو المتولي لقسمة النبوة، إذ شأن النبوة أعظم ومحلها أرفع، وكما لا يعترض عليه في قسمة الرزق، كذلك لا يعترض عليه في قسمة النبوة(٢).

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يعني الفضل في الغنى في الحياة الدنيا(٣). ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ أي يستخدم بعضهم بعضًا فيسخر الأغنياء بأموالهم الفقراء، هذا قول السدي وابن زيد(٤)، قال الضحاك وقتادة: ليملك بعضهم بما لهم بعضًا فيتخذونهم عبيدًا ومماليك، وهذا معنى قول مقاتل والكلبي(٥).

وقال ابن عباس: يُسخِّر هذا لهذا وهذا لهذا(٦). وهذا القول يحتمل القولين؛ لأن التسخير يكون بالأجر ويكون بالملك(٧)، وذكرنا معنى السخرى في سورة المؤمنين [١١٠]، وقال أبو الحسن الأخفش: اتفق

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٠، «معاني القرآن» للنحاس ٦/ ٣٥٢.

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث السمرقندي» ٣/ ٢٠٦، «تفسير ابن عطية» ١٤/ ٢٥٤.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٤، ولم أقف على نسبته لابن عباس.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ٨٢ أ، «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٢٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٨٣.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٤، «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢٠٦، «الماوردي» ٥/ ٢٢٤.

(٦) قال ابن كثير: قيل معناه: ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا. قاله السدي وغيره. انظر: «تفسير ابن كثير» ٦/ ٢٢٥.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٦٧.

القراء هاهنا على الضم لأنه من السُّخرة وانقياد بعضهم لبعض في الأمور، التي لو لم يَنْقَدْ فيها بعضهم لبعض لم يلتئم قوام العالم[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قال مقاتل: يعني الجنة للمؤمنين خير مما يجمع الكفار من الأموال[(٢)]، وهذا القول اختيار أبي إسحاق فقال: أعلم الله أن الآخرة أحظ من الدنيا[(٣)]، وقال ابن عباس: والنبوة من ربك خير مما يجمعون من الدنيا، والرحمة على هذا القول: النبوة[(٤)] وهو أولى لقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ ولم يختلفوا أنها بمعنى النبوة، كذلك التي في آخر الآية، والمعنى على هذا: أن النبوة لك يا محمد من ربك خير من أموالهم التي يجمعونها.

٣٣- ثم أعلم قلة الدنيا عنده ﷻ فقال: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال قتادة: لولا أن يكون الناس كفارًا[(٥)].

وقال مقاتل: يقول لولا أن يرغب الناس في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة من الخير والرزق[(٦)].

---

(١) لم أقف عليه عند الأخفش وقد ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٨٦، وذكر هذه القراءة أبو حيان في «البحر المحيط» ٨/ ١٣، وقال ابن الجوزي: وقرأ ابن السميفع وابن محيصن ﴿سِخْرِيًّا﴾ بكسر السين، انظر: «زاد المسير» ٧/ ٣١٢، وقال القرطبي: وكل الناس ضموا ﴿سُخْرِيًّا﴾ إلا ابن محيصن ومجاهد قرأ ﴿سِخْرِيًّا﴾ ١٦/ ٨٣.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٤.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٠.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٦٧، فقد أخرج ذلك عن قتادة والسدي، وذكر ذلك الماوردي ٥/ ٢٢٤ ولم ينسبه، والقرطبي ١٦/ ٨٤ ولم ينسبه.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٦٨، «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٢٤.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٤.

وقال الكلبي: لولا أن يجتمعوا على الكفر[١].

﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لهوان الدنيا عليه ﴿سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ قال الشعبي: يعني: الجذوع[٢]، وقال مقاتل: يعني سماء البيت[٣]، وقرئ: (سَقْفًا). فمن قال (سَقْفًا) فهو واحد يدل على الجمع، ألا ترى أنه قد علم بقوله: ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ أن لكل بيت سقفًا، ومن قرأ: (سُقُفًا). فهو جمع سَقْف، مثل: رَهْنَ ورُهُنُ، ويُخَفَّفُ فيقال: رُهْنُ، ومثله في الصفة فَرَسٌ وَرْدٌ، [والجميع][٤] وُرْدٌ [وكذلك][٥] كَثٌ وكُثٌّ، وسَهْمٌ حَشْرٌ وسِهَام حُشْرٌ، وَفُعُلٌ في الجمع يُخَفَّف نحو: أَسَدٍ و[أُسْدٍ][٦]، قال:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٦٨، «تفسير الثعلبي» ١٠/ ٨٢ ب، «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢٠٧

(٢) أخرج ذلك النحاس عن الشعبي لكنها بلفظ: (الجزوع) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٦/ ٣٥٤، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» لعبد بن حميد وابن المنذر عن الشعبي بلفظ: (الجزوع) انظر: «الدر» ٧/ ٣٧٦، والذي يظهر لي أن الصحيح أنها: (الجذوع) بالذال قال ابن فارس: في «معجم مقاييس اللغة» (سقف)، السين والقاف والفاء أصل يدل على ارتفاع في إطلال وانحناء، ومن ذلك السقف سقف البيت لأنه عال مطل، والسقيفة الصفة، والسقيفة كل لوح عريض في بناء إذا ظهر من حائط. انظر: «معجم مقاييس اللغة» (سقف) ٣/ ٨٧. وقال الأزهري: قال الليث: السقف غماء البيت.. قال: والسقيفة كل بناء سُقِف به صفة أو شبه صفة مما يكون بارزاً.. والسقيفة كل خشبة عريضة كاللوح أو حجر عريض يستطاع أن يُسقَفَ به قُترةٌ أو غيرها. انظر: «تهذيب اللغة» (سقف) ٨/ ٤١٣. وذكر ذلك النحاس في «إعراب القرآن» بلفظ: (جذوعاً) ونسبه لسعيد بن جبير والشعبي. انظر: ٤/ ١٠٩.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٤.

(٤) كذا في الأصل وهو تصحيف، والصحيح (وخَيْلٌ).

(٥) سقط من الأصل لفظ (وكذلك).

(٦) سقط من الأصل لفظ (أُسْدٍ).

كَـأنَّ مُـحَـرَّبًـا مِـن أُسْـدِ تَـرْجٍ يُـنـازِلُـهُ لِـنَـابَـيْـهِ قَـبِـيـبُ[١]

وهذا الذي ذكرنا هو كلام أبي إسحاق وأبي علي[٢]، ويدل على صحة قراءة من قرأ بالجمع ما روي عن مجاهد أنه قال: كل شيء من السماء فهو سَقْف، وكل شيء من البيوت فهو سُقُف بضمتين، ويشبه أن يكون اعتبر في هذا قوله[٣]: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]. قوله: ﴿وَمَعَارِجَ﴾ يعني: الدرج في قول جميعهم[٤]، وهومن عرج يعرج، وقد سبق تفسيره [السجدة: ٥] ﴿عَلَيْهَا﴾ أي على المعارج ﴿يَظْهَرُونَ﴾ قال ابن عباس: يرتفعون[٥]، وقال مقاتل: يرتقون[٦].

وقال ابن قتيبة: يعلون، يقال: ظهرت على البيت، إذا علوت سطحه[٧]، ومنه قول الجعدي:

وإنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذلك مَظْهَرا[٨]

---

(١) البيت لأبي ذؤيب في «شرح ديوان الهذليين» ١/ ١١٠ وفيه: ينازلهم بدل ينازله، «اللسان» كذلك ينازلهم. وقب القوم يقبون قبا: صخبوا في خصومة أو تمار. وقب الأسد، والفحل يقب قباً وقَبِيباً إذا سمعت قعقعة أنيابه.. انظر: «اللسان» (قبب) ١/ ٦٥٧، «الحجة» ٦/ ١٤٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٠، «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٤٨.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٤٨.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧٠، «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٢٤، «تفسير الوسيط» ٤/ ٧١، «تغليق التعليق» لابن حجر ٤/ ٣٠٥.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧٠.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٤.

(٧) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٩٧.

(٨) البيت للنابغة الجعدي وصدره قوله: =

يعني مرقى ومصعدًا. قال أبو إسحاق: المعنى: وجعلنا معارج من فضة[١] (و) كذلك:

٣٤- ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾ أي أبوابًا من فضة (و) كذلك ﴿وَسُرُرًا﴾ من فضة، والمعنى لولا[٢] تميل بهم الدنيا فيصير الخلق كفارًا لأعطى الله الكافر في الدنيا غاية ما يتمنى فيها لقلتها عنده، ولكنه ﷻ لم يفعل ذلك لعلمه بأن الغالب على الخلق حب العاجلة.

قال الأخفش: واحد المعارج معراج، ولو شئت قلت في جمعه المعاريج[٣] وإن شئت جعلت الواحد معراجًا بفتح وكسر، كما تقول: مَرقاة ومِرْقاة. قال: وقوله: ﴿يظهرون﴾، يقول: قد ظهر على البيت يظهر، ويظهر ظهورًا وظهورًا، إذا علاه، وظهرت على السطح، إذا صرت عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح: ٢٨] معناه: ليُعْليه، وأظهر الله المسلمين على الكافرين أي: أعلاهم [عليه][٤]، وأظهر على الشيء المسروق، إذا أطلع عليه[٥].

﴿وَسُرُرًا﴾ هو السرير، والعدد أسرة، والجميع السرر.

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا

انظر: «ديوانه» ٦٨، ٧٣. وقد ذكره ابن قتيبة في «غريب الحديث» ١/ ١٢٧، «اللسان» (ظهر) ٤/ ٥٢٩.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١١.

(٢) كذا في الأصل، ولعله سقط لفظ: (أن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٨٨.

(٤) كذا في الأصل، ولعل الصواب (عليهم).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (ظهر) ٦/ ٢٤٨، «الصحاح» (ظهر) ٢/ ٧٣٢.

قوله تعالى: ﴿يَتَّكِـُٔونَ﴾ أصله من الواو، وكان أصل اتَّكى أوتكى، ففعل به مثل ما فُعل باتّزن واتّعد، وقد مضى، ومثل الاتكاء التوكؤ، وهو التحامل على الشيء[1]، ومنه قوله: ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٨].

٣٥- قوله تعالى: ﴿وَزُخْرُفًاۚ﴾ تفسير الزخرف في اللغة: الزينة، وكمال الشيء فيها، ودليل ذلك قوله[2]: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [يونس: ٢٤]، ونحو هذا قال ابن عباس: يريد جمع الزينة[3].

وقال مقاتل: يقول ولجعلنا لهم كلَّ شيء من ذهب[4].

وقال الفراء: جاء في التفسير إنما نجعلها لهم من فضة ومن زخرف، فإذا ألقيت من أوقعتَ الفعلَ عليه فتنصبه، أي وزخرفها تجعل ذلك منه. قال: وقال آخرون: ونجعل لهم مع ذلك ذهبًا وغنى، وهو أشبه الوجهين بالصواب[5].

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ﴾ القراء على تخفيف ﴿لما﴾ و ﴿مَا﴾ لغو، المعنى: لمتاع الحياة الدنيا، (وإن) مخففة من الثقيلة، واللام في ﴿لَما﴾ التي تدخل لتفصل بين النفي والإيجاب في نحو قوله:

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (تكأ) ١٠/ ٣٣٣، (وكأ) ١٠/ ٤١٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٧، «اللسان» (وكأ) ١/ ٢٠٠.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (زخرف) ٧/ ٦٧٢، «الصحاح» (زخرف) ٤/ ١٣٦٩.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧١، «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٩.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٥.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء بتصرف يسير ٣/ ٣٢.

هَبِلَتْكَ أمُّكَ إنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِمًا[١]

ولم تعمل (إن) عمل الفعل لما خففتها لزوال شبهها بالفعل من أجل التخفيف، وحكى سيبويه النصب بها مخففة، والقياس أن لا تعمل إذا خففت بذلك على دخولها على الفعل في نحو: ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦] ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، وقرأ حمزة (لمَّا) بالتشديد، جعل (لما) في معنى: إلا، وحكى سيبويه: نشدتك بالله لَمَّا فَعَلْتَ يعنى: إلا، ويقوي هذه [القراءتان في حرف][٢] (وما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا) وهذا يدل على أن (لما) بمعنى (إلا) وأنَّ (إنْ) بمعنى (ما)[٣].

وقال أبو الحسن: الوجه التخفيف، لأن (لما) في المعنى (إلا) لا يكاد يعرف ولا يكاد يُتكلم بها[٤]، وحُكي عن الكسائي أنه قال: لا أعرف وجه التثقيل[٥].

---

(١) البيت لعاتكة بنت زيد العدوية ابنة عم عمر بن الخطاب من قصيدة تخاطب بها عمرو hابن جرموز قاتل زوجها الزبير بن العوام في معركة الجمل وعجزه:

حلت عليك عقوبة المتعمد

انظر: «المحتسب» لابن جني ٢/ ٢٥٥، «الأضداد» لابن الأنباري ص١٩٠، «شرح ابن عقيل» لألفية ابن مالك ١/ ٣٣٥، لكن صدره: شلت يمينك.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب (القراءة أن في حرف أبي) انظر: «الحجة» ٦/ ١٤٩.

(٣) من بداية ذكر القراءة نقله المؤلف عن «الحجة» لأبي علي مع اختصار لبعض المواضع. انظر: «الحجة» ٦/ ١٤٩، وانظر: «الجنى الداني في حروف المعاني» ص٥٩٤.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٨٨.

(٥) انظر: «الحجة» ٦/ ١٤٩، «تفسير ابن عطية» ١٤/ ٢٥٦.

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ يريد يزول ويذهب ويتغير[(١)]، وقال مقاتل: يتمتعون فيها قليلًا[(٢)]، ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ﴾ يعني الجنة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ خاصة لهم.

٣٦- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنًا﴾ قال أبو زيد وابن الأعرابي: عشى يعشو عَشْوًا وعُشُوًّا، إذا أتى نارًا للضيافة، وعشا يعشو، إذا ضعف بصره[(٣)]، ونحو هذا قال الليث، قال: والعاشية كل شيء يعشو بالليل إلى ضوء نار من أصناف الحيوان كالفراش[(٤)] وغيره وأنشدوا:

مَتَى تَأْتِه تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ
تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَها خَيْرُ مُوقِدِ[(٥)]

وذكر المفسرون وأهل التأويل في هذه الآية قولين:

أحدهما: أن المراد بقوله (يعش): يعم ويضعف بصره.

والآخر: أن المعنى: ومن يعرض عن ذكر الرحمن، والأول قول مقاتل وابن زيد وابن عباس في رواية عطاء وأبي عبيدة وابن قتيبة.

قال مقاتل: يقول: ومن يعم بصره عن ذكر الرحمن، يعني القرآن.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧٢ فقد ذكر المعنى ولم ينسبه، ونسبه في «الوسيط» لابن عباس. انظر: ٤/ ٧٢.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٥.

(٣) انظر: «الصحاح» (عشى) ٦/ ٢٤٢٦، «اللسان» (عشا) ١٥/ ٥٦.

(٤) انظر: «العين» (عشى) ٢/ ١٨٧.

(٥) البيت للحطيئة من قصيدة مدح بها بغيض بن عامر بن شماس. انظر: «ديوانه» ص٢٤٩، «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٤، «الصحاح» (عشا) ٦/ ٢٤٢٦، «اللسان» (عشا) ١٥/ ٥٦، «العين» (عشى) ٢/ ١٧٨، «الكتاب» ٣/ ٨٦.

وقال ابن عباس: ومن يعم عن ذكر الله تعالى.

وقال أبو عبيدة: ومن تظلم عينه، واختاره ابن قتيبة[١].

والقول الثاني: هو قول قتادة، وروي ذلك عن ابن عباس وهو اختيار الفراء وأبي إسحاق[٢].

وشرح الأزهري القولين وبيَّن الأصوب فقال: قال القتيبي معنى قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ أي ومن يظلم بصره، قال: وهذا قول أبي عبيدة، ثم ذهب يرد قول الفراء ويقول: لم أر أحدًا يجيز عشوت عن الشيء، أي: تغافلت عنه كأني لم أره وكذلك تعاميت.

قال الأزهري: أغفل القتيبي موضع الصواب، واعترض مع غفلته على الفراء يرد عليه، فذكرت قوله لأبين عواره، فلا يغتر به الناظر في كتابه، العرب تقول: عَشَوت إلى النار أعشو عَشْوًا، أي قصدتها مهتديًا بها، وعشوت عنها، أي: أعرضت فيفرقون بين (إلى) و(عن) موصولين بالفعل.

قال أبو الهيثم: عشا عن كذا يعشو عنه، إذا مضى، وعشا إلى كذا يعشو إليه عَشْوًا وعُشُوًّا، إذا قصد إليه مهتديًا بضوء ناره، وإنما أتى القتيبي في وهمه الخطأ من جهة أنه لم يفرق بين عشا إلى النار، وعشا عنها، ولم يعلم أن كل واحد منهما ضد الآخر في باب الميل إلى الشيء والميل عنه كقولك: عدلت إلى بني فلان، وعدلت عنهم، وكذلك ملت إليهم، وملت

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٥، «تفسير الطبري» ١٣/ ٧٣، «تنوير المقباس» ص٤٩٢، «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٤، «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٩٨.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧٣، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٢، «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١١.

عنهم، ومضيت إليهم، ومضيت عنهم.

وهكذا قال أبو إسحاق الزجاج في هذه الآية كما قال الفراء[١] قال: معنى الآية: أن من أعرض عن القرآن وما فيه من الحكمة إلى أباطيل المضلين، يعاقبه بشيطان يقيضه له حتى يضله ويلازمه قرينًا له، فلا يهتدي مجازاة له حين آثر الباطل على الحق البين[٢].

قال الأزهري: وأبو عبيدة صاحب معرفة الغريب، وأيام العرب، وهو بليد النظر في باب النحو ومقاييسه، انتهت الحكاية عن الأزهري[٣]، والقول ما اختاره؛ لأن الإعراض عن القرآن صح يعني من العمى عنه، ولهذا الوجه أدلة من التنزيل كقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] وقوله: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ [الجن: ١٧] والأول ليس ببعيد، ويحمل على أنه يعمى عن الاستدلال بحججه والتأويل في تبيانه، ونظيره من التنزيل قوله: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ [الكهف: ١٠١].

قوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ تفسير التقييض قد تقدَّم في سورة السجدة [آية: ٢٥]، قال مقاتل: يعني يضم إليه[٤].

(فهو له) في الدنيا (قرين) يعني صاحبًا يزين له العمى، وقال ابن عباس: فهو له قرين: يريد في الدنيا والآخرة[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١١، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٢، لكنه بأخصر مما هنا، وهذا القول بنصه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٥٦ (عشا) وفي «الوسيط» ٤/ ٧٢.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» وقد اختصر المؤلف في بعض المواضع من كلام الأزهري (عشا) ٣/ ٥٥-٥٧.

(٤) ذكر ذلك المعنى البغوي ٧/ ٢١٣ ولم ينسبه، ولم أقف عليه عند مقاتل.

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٢٦، «تنوير المقباس» ص٤٩٢، وقال القرطبي: =

قوله: ﴿فَهُوَ﴾ يجوز أن يكون كناية عن الشيطان، ويجوز أن يكون كناية عن المعرض، لأن كل واحد منهما قرين لصاحبه، وفي هذا تكذيب للقدرية لأنه تعالى ذكر أنه يسلط الشيطان على الكافر حتى يضله، ويخيل إليه أنه على الهدى وهو على الضلالة، وذلك قوله:

٣٧- ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الهدى، وذكر الكناية عن الشيطان وابن آدم بلفظ الجمع في قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ لأن قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ في مذهب جمع[١] وإن كان اللفظ على الواحد. قاله الفراء[٢].

قوله تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ قال مقاتل: يحسب كفار مكة أنهم على هدى[٣]، وقال أبو إسحاق: الشيطان يصدهم عن السبيل، ويحسب الكفار أنهم مهتدون[٤].

٣٨- ثم عاد إلى لفظ الواحد فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ يعني الكافر، وقرئ (جاءانا) يعني الكافر وشيطانه، قال مقاتل: يعني ابن آدم وقرينه في الآخرة جعلا في سلسلة واحدة[٥].

وروى معمر عن الجريري في هذه الآية قال: بلغنا أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبره أخذ بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار،

= قيل في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية، وهو معنى قول ابن عباس، انظر: «الجامع» ١٦/ ٨٩

(١) انظر: «تفسير ابن عطية» ١٤/ ٢٥٨، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٩٠ .

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٢.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٥.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٢.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٥.

فذلك حيث يقول: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾[١].

قال مقاتل: يعني يقول يتمنى الكافر أن بينهما بعد المشرقين، وأطول يوم في السنة إلى مشرق أقصر يوم في السنة[٢]. ويقال: إنه أراد المشرق والمغرب فقال: المشرقين، وهذا أشبه الوجهين بالصواب؛ لأن العرب قد تجمع الاسمين على تسمية أشهرهما كما قال الفرزدق:

لَنا قَمَرَاها والنّجومُ والطَّوَالِعُ[٣]

يريد: الشمس والقمر، ويقولون للكوفة والبصرة: البصرتان، وللجزيرة والموصل: الموصلان، الغداة[٤] والعصر، ومثله كثير، واختاره أبو إسحاق فقال: غلب لفظ المشرق كما قالوا سُنَّة العمرين يراد: سنة أبي بكر وعمر رحمة الله عليهما[٥].

قوله تعالى: ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ أي: أنت، قال مقاتل والكلبي: فبئس المصاحب معه في النار في سلسلة واحدة[٦]، ويقول الله للكافر في ذلك اليوم.

٣٩- ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ﴾ أي: أشركتم في الدنيا، قاله ابن عباس ومقاتل.

---

(١) أخرج ذلك عبد الرازق في «تفسيره» ٢/ ١٩٦، والطبري ١٣/ ٧٤، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٦/ ٢٢٧.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٥ بلفظ (يعني ما بين مشرق الصيف إلى مشرق الشتاء أطول يوم في السنة، وأقصر يوم في السنة).

(٣) انظر: «ديوان الفرزدق» ص ٥١٩، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٣، «تفسير الطبري» ١٣/ ٧٤، «تهذيب اللغة» (عنى) ٣/ ٢١٤، «تفسير ابن عطية» ١٤/ ٢٥٩.

(٤) في «تفسير الثعلبي» (ويقال الغداة والعشي العصران) ١٠/ ٨٤ أ.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٢.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٥، «تنوير المقباس» ص ٤٩٢.

قال عطاء: لن ينفعكم اليوم هذا الكلام، يعني قوله: يا ليت بيني وبينك، وقال مقاتل: لم ينفعكم اليوم في الآخرة الندم والاعتذار(١)، وهذا إنما يصح أن لو قرئ: (إِنكم في العذاب) بكسر الهمزة على الابتداء، وإذا فتحت الهمزة تفسير للذي لا ينفعهم، وهو اشتراكهم مع شياطينهم في العذاب.

وذكر ابن مجاهد أن ابن عامر قرأ ﴿إِنَّكُمْ﴾ بكسر الألف(٢)، وهو صحيح على ما ذكرنا من قول ابن عباس ومقاتل، وهو على إضمار فاعل ينفعكم، والفاعل ما ذكراهما، والمعنى: ولن ينفعكم اليوم التبرؤ إذ ظلمتم أمس، ودل على التبرؤ قوله: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ والفاعل قد يضمر إذا دلت عليه الحال كقولهم: إذا كان غدًا فأتني، وعلى هذه القراءة ﴿إِنَّكُمْ﴾ ابتداء كلام، ومن إضمار الفاعل في التنزيل قوله: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] أي زادهم قولُ الناس إيمانًا، وقرأه العامة: ﴿أَنَّكُمْ﴾ بفتح الهمزة.

قال المفسرون: لا يخفف الاشتراك عنهم؛ لأن لكل أحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب(٣).

قال المبرد فيما حكى عنه الزجاج: أنهم مُنِعوا روح التأسي، [لأن التأسي](٤) يسهل المصيبة، فأعْلموا أنه لن ينفعهم الاشتراك في العذاب، فإن الله لا يجعل لهم فيه أسوة(٥).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧٥، «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٥.

(٢) انظر: كتاب: السبعة لابن مجاهد ص٥٨٦، «الحجة» ٦/ ١٥٥.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧٥، «الثعلبي» ١٠/ ٨٤ أ، «البغوي» ٧/ ٢١٤.

(٤) (لأن التأسي) ساقط من الأصل وهي هكذا عند الزجاج.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٢.

ومما يدل على أن التأسي يخفف قول الخنساء:

وَلَولا كَثْرةُ البَاكِينَ حَوْلي على إِخْوانهم لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وما يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي ولكِن أُعَزّي النَّفْسَ عَنْهُ بالتَّأَسِّي[(١)]

وقال آخر:

وهَوّنَ وَجْدِي عن خَلِيلِي أنني إذا شِئْتُ لاقيت امرأ ما صاحبه[(٢)]

وذكر أبو علي نحو هذا فقال: ولن ينفعكم اليوم اشتراككم، وفي هذا حرمان التأسي، وهي نعمة يسلبها الله أهل النار، ليكون أشد لعذابهم، ألا ترى أن التأسي قد يخفف كثيرًا من الحزن عن المتأسي كما جاء:

ولكن أُسَلِّي النفْسَ عنه بالتَّأسِّي[(٣)]

٤٠- ثم ذكر الله تعالى أنه لا تنفع الدعوة والوعظ من سبقت له الشقاوة فقال: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ قال ابن عباس: يريد أنهم لا يعقلون ما جئت به ولا يبصرونه، لأن من أعميت قلبه فلا هادي له[(٤)] ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يريد بانت ضلالته بتكذيب الصادق الأمين.

٤١- قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد: الموت[(٥)]، قال مقاتل: يعني: فيميتك[(٦)].

---

(١) انظر: «ديوانه» ص٦٢، «معاني القرآن» للنحاس ٦/ ٣٦٢، «وشواهد الكشاف» ٤/ ٦٤، «الدر المصون» ٦/ ٩٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٩١.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٥٥، ١٥٦، «عجز البيت» للخنساء.

(٤) ذكر ذلك في «الوسيط» عن ابن عباس. انظر: ٤/ ٧٣.

(٥) ذكر ذلك السمرقندي في «تفسيره» ٣/ ٢٠٨، وذكره الشوكاني ٤/ ٥٥٧ ولم ينسبه.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٦.

وقال الكلبي: يعني: قبل أن يريك النقمة في كفار مكة[١]، فإنا منهم منتقمون بالقتل بعدك، يعني: ينتقم منهم بأن كذبوك بعدك[٢].

٤٢- ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ قال ابن عباس: أو نرينك في حياتك ما وعدناهم من الذل والقتل.

﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ قالوا: وقد أري ذلك يوم بدر[٣] والمعنى: أن الله تعالى يقول لنبيه مطيبًا قلبه: إن ذهبنا بك انتقمنا لك منهم بعدك، أو نرينك في حياتك ما وعدناهم من العذاب على تكذيبك ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ متى شئنا عذبناهم، ثم عذبوا يوم بدر، وهذا قول ابن عباس ومقاتل[٤].

وذهب قوم من المفسرين إلى أن هذا في المسلمين وهو مذهب قتادة والحسن، قال قتادة: أكرم الله نبيه وذهب به ولم ير في أمته ما كان من النقمة بعده[٥]، والقول هو الأول لأنه في ذكر المشركين قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ الهاء كناية عن الذي أوحي إليه، وهو القرآن في قوله:

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ص ٤٩٢، «تفسير الوسيط» ٤/ ٧٤.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٦.

(٣) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ٨٤ ب، والبغوي ٧/ ٢١٤ ولم ينسباه، ونسبه القرطبي ١٦/ ٩٢ لابن عباس.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» قال: وهو قول أكثر المفسرين، وكذلك البغوي نسبه لأكثر المفسرين، ونسبه القرطبي لابن عباس وأكثر المفسرين، انظر المواضع السابقة، و«تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٦.

(٥) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٧٥ عن الحسن وقتادة، وأورده بدون سند الثعلبي ١٠/ ٨٤ ب، ونسبه البغوي ٧/ ٢١٤ للحسن وقتادة، وانظر: «تفسير الحسن البصري» ٢/ ٢٧٤، وانظر: «الجامع» ١٦/ ٩٢ فقد نسبه للحسن وقتادة.

٤٣-٤٤- ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾[١] ﴿لَذِكْرٌ لَكَ﴾ قالوا لشرف لك كقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠].

قوله تعالى: ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: لمن آمن منهم، والقوم يحتمل كل من بعث إليه من الناس، ويحتمل أن يراد به قريش و[[٢]] ابن عباس ومقاتل: المؤمنين[٣]، ويكون المعنى على هذا: القرآن شرف لك بما أعطاك الله من الحكمة ولقومك المؤمنين بما عوضهم من إدراك الحق به، وإن قلنا: المراد بالقوم: قريش فشرفهم بالقرآن أنه أنزل على رجل منهم.

وروى الضحاك عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك؟ لم يخبر بشيء، حتى نزلت: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ فكان بعد ذلك إذا سئل قال: لقريش[٤]، وهذا يدل على أن ﷺ فهم من هذا أنه يلي على المسلمين بحكم النبوة وشرف القرآن الذي أنزل على رجل منهم، وقال مجاهد: هو أن يقول الرجل لأخيه: ممن الرجل؟ فيقول: من العرب، فيقول: من أي العرب؟، فيقول: من قريش، فيقول: من أي قريش؟ فيقول: من بني هاشم[٥]، هذا والله هو الذِّكر والشرف، وعلى هذا

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧٦، «تفسير الوسيط» ٤/ ٧٤.

(٢) كذا في الأصل وقد سقط لفظ: (قال).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٦، «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢٠٨، وقد ذكر الأقوال الثلاثة ابن الجوزي ولم ينسبها، قال: **أحدها**: العرب قاطبة، **والثاني**: قريش، **والثالث**: جميع من آمن به، انظر: «زاد المسير» ٧/ ٣١٨.

(٤) أخرج ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ٨٤ ب عن علي وابن عباس، وعزاه السيوطي في «الدر» لابن عدي وابن مردويه عن علي وابن عباس، انظر: «الدر» ٧/ ٣٨٠، ونسبه البغوي لابن عباس ٧/ ٢١٥.

(٥) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد دون ذكر بني هاشم، انظر: «تفسيره» ١٣/ ٧٦، =

القول: القرآن شرف لمحمد وهو شرف للعرب، ثم للأخص فالأخص من قومه، ولما كان شرف قومه به وشرفه بالقرآن، كان القرآن شرفًا للجميع.

وقوله: ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ قال الكلبي: أي عن هذا الشرف هل أديتم شكره[1].

وقال مقاتل: يعني من كذب به، كأن يسأل: لم كذب به؟[2] فيسأل سؤال توبيخ.

وقال أبو إسحاق: سوف تسألون عن شكر ما جعله الله لكم من الشرف[3]، وقال غيره: تسألون عن القرآن وعملكم بما أمرتم به فيه، وعما يلزمكم من القيام بحقه[4].

٤٥- قوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ اختلف المفسرون وأهل التأويل في هذه الآية، فذهب طائفة إلى أن المعنى: واسأل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء، هل جاءتكم الرسل إلا بالتوحيد؟ وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والمقاتلين، واختيار الزجاج والفراء وابن قتيبة[5].

= «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٢٧، ونسبه القرطبي لمجاهد، انظر: «الجامع» ١٦/ ٩٤ .

(١) انظر: «تنوير المقباس» ص ٤٩٢، «تفسير الوسيط» عن الكلبي ٤/ ٧٤.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٦، «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢٠٨.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٣.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٧/ ٣١٨، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٩٤، «تفسير الوسيط» ٤/ ٧٤.

(٥) أخرج ذلك الطبري في «تفسيره» ١٣/ ٧٧ عن قتادة ورجحه، وأورده البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢١٦، وابن عطية في «تفسيره» ١٤/ ٢٦٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣١٩، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٩٦، وانظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٤، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٣٩٩.

قال الزجاج: المعنى: سل أمم من أرسلنا[١]، وعلى هذا فقد حذف المضاف، وقال الفراء: هو أن تسأل التوراة والإنجيل، [فيخبروه أنه كتب][٢] الرسل، فإذا سأل الكتاب فكأنه سأل الرسل[٣].

وقال ابن قتيبة: تقدير الآية: واسأل من أرسلنا، يعني: أهل الكتاب[٤].

قال ابن الأنباري[٥]: وهذا خطأ في النحو؛ لأنه لا يصلح إضمار (إِلَيۡهِ) اتفق النحويون أنه لا يجوز: الذي جلست عبد الله، على معنى: الذي جلست إليه؛ لأن (إليه) حرف منفصل، والمنفصل لا يضمر في صلة الموصول لانفصاله من الفعل؛ لأنه يجري مجرى المظهر. كما أنك إذا قلت: الذي أكرمك أبا عبد الله، لم يجز أن يضمر أباه، وإنما يحسن الإضمار في الهاء المتصلة نحو: الذي أكلت طعامك إذا أكلته، فحذف الهاء تخفيفًا لطول الاسم؛ لأن (الذي) و(أكلت) حرف واحد، ومعنى الآية: تِبَاع من أرسلنا[٦] فيكون هذا من باب حذف المضاف، ومعنى هذا الأمر بالسؤال التقدير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٤.

(٢) كذا في الأصل وفي «معاني الفراء»: (فإنهم إنما يخبرونه عن كتب.. ..).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٤.

(٤) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٣٩٩.

(٥) لم أقف على قول ابن الأنباري، وقد ذكر نحوه النحاس في «إعراب القرآن» ٤/ ١١١، ١١٢.

(٦) انظر: «تفسير ابن عطية» ١٤/ ٢٦٥ بهذا اللفظ، وذكره في «الوسيط» ٤/ ٧٥ عن ابن الأنباري بلفظ: (سل أتباع من أرسلنا).

وقال عطاء عن ابن عباس: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى بعث الله تعالى، آدم ومن ولد من المرسلين، فأذن جبريل ثم أقام وقال: يا محمد تقدم فصلِّ بهم، فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة، قال له جبريل: سل يا محمد [...][١] قبلك من رسلنا، الآية فقال رسول الله ﷺ: «**لا أسأل قد اكتفيت**»[٢].

وهذا قول سعيد بن جبير والزهري، قالوا: جمع له الرسل ليلة أسري به فلقيهم وأمر أن يسألهم، فلم يشكك ولم يسأل[٣].

وذكر أبو إسحاق قولًا ثالثًا وهو: أن يكون الخطاب للنبي ﷺ والمراد: الذين بعث إليهم، كأنه قيل لهم: سلوا الذين أرسلنا إليهم الرسل قبل محمد، هل أتوا بدين غير التوحيد؟ ولكن الكلام خرج على مخاطبته ﷺ كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١][٤].

وذكر صاحب النظم وجهًا آخر [حلفًا فاسدًا][٥] فقال: المعنى سل الأنبياء الذين أرسلناهم من هم لتعرفهم، كما تقول: سل من هذا، أي:

---

(١) كذا في الأصل، وقد سقط لفظ: (من).

(٢) أخرج نحو ذلك الطبري ١٣/ ٧٨ عن ابن زيد، ونسبه البغوي ٧/ ٢١٦ لعطاء عن ابن عباس، ونسبه القرطبي ١٦/ ٩٥ لابن عباس وابن زيد، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ٧٥ لعطاء عن ابن عباس.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧٨، «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٢٨، «البغوي» ٧/ ٢١٦، «زاد المسير» ٧/ ٣١٩، «الوسيط» ٤/ ٧٥، وقد زاد بعضهم نسبته لابن زيد.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج بتصرف في العبارة ٤/ ٤١٤.

(٥) كذا رسمها في الأصل ولم أتبينها.

سل الناس من هذا الرجل، فكأنه قال: سلنا من أرسلنا[١]، وتم الكلام[٢]، ثم قال مبتدئًا قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ على معنى الإنكار أي: ما جعلنا ذلك، فيكونان خبرين لا خبرًا واحدًا، وهذا مما لا يُعرَّج عليه لأن النظم ومعنى الخطاب لا يحتمله.

٤٦- قوله تعالى: ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ قال الكلبي: ألقى عصاه لهم فإذا هي ثعبان مبين فضحك القوم وهزئوا به وقالوا: هل يأته غير هذه؟ قال: نعم، فأراهم يده لها شعاع كشعاع الشمس يضيء لها الوادي فضحكوا منه وهزئوا[٣].

٤٨- قوله تعالى: ﴿إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ قال الكلبي: من التي كانت قبلها[٤].

قال مقاتل: كانت اليد أكبر من العصا، وكان موسى بدأ بالعصا فألقاها ثم أخرج يده فلم يؤمنوا ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ يعني: بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس[٥].

وذهب قوم إلى أن المعنى في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: هي العصا واليد والطوفان والجراد إلى الدم، فكانوا يكذبون ويهزؤن وهي تترادف عليهم التالية أكبر من السابقة، وهي العذاب المذكور في قوله: (وأخذناهم

---

(١) ذكر نحو ذلك أبو حيان في «البحر المحيط» ٨/١٨، والألوسي في «تفسيره» ٢٥/٨٦.

(٢) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس ص ٦٤٨.

(٣) و(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص ٤٩٢، ص ٤٩٣ فقد ذكر نحوه.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/٧٩٦.

بالعذاب) لأنهم عذبوا بهذه الآيات فكانت عذابًا لهم ومعجزات ودلالات لموسى، فغلب عليهم الشقاق [لم][1] يؤمنوا.

٤٩- ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ قال ابن عباس: يقولون أيها العالم، وكان الساحر فيهم عظيمًا يعظمونه ويعزونه ولم يكن صفة ذم[2]، وقيل: إنهم قالوا ذلك جهلًا منهم بصفته.

وقال أبو إسحاق: إنهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر، ولم يناقشهم موسى في مخاطبتهم إياه بذلك رجاء أن يؤمنوا، قوله تعالى: ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ فيمن آمن به من كشف العذاب عنهم[3].

قوله: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: مؤمنون بك، قاله ابن عباس[4] ومقاتل قال: وكان الله عهد إلى موسى لئن آمنوا كشفت عنهم العذاب، فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله:

٥٠- ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ أي: العهد الذي عاهدوا عليه موسى[5] وهو مذكور في قوله: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ الآية من سورة الأعراف [آية: ١٣٤].

ومعنى ذكر هذه القصة ههنا: أن حال موسى مع قومه كحال محمد ﷺ وأن أمره يؤول إلى الاستعلاء كما آل أمر موسى.

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب (فلم أو ولم)، وهي كذلك في «الوسيط» ٤/ ٧٦ .

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٨٠، «تفسير الثعلبي» ١٠/ ٨٦ أ، «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٢٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٩٧، «تفسير الوسيط» ٤/ ٧٦ .

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٤.

(٤) ذكر ذلك البغوي ٧/ ٢١٧، والمصنف في «الوسيط» ولم ينسباه ٤/ ٧٦.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٧، «تفسير البغوي» من غير نسبه ٧/ ٢١٧ .

٥١- قوله تعالى: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ يعني: أنهار النيل، في قول المفسرين تجري من تحتي، قال مقاتل: يعني: أسفل مني[١]، كأنه أراد من تحت قصوره، وهو معنى قول الكلبي: حولي[٢]، وقال قتادة: بين يدي في جناتي[٣].

وقال الحسن: بأمر[٤]، وعلى هذا معناه: تجري تحت أمري، وهو معنى قول عطاء: في قبضتي وملكي[٥].

قوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قال ابن عباس: أفلا تبصرون ما أنا فيه من النعم والخير، وما فيه موسى من الفقر، افتخر عدو الله بملكه[٦].

٥٢- قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ اختلف المفسرون وأهل التأويل في معنى (أم) ها هنا فقال أبو عبيدة: مجازها: بل أنا خير[٧]، وعلى هذا تمام الفصل عند قوله: أفلا تبصرون[٨] ثم ابتدأ فصلًا آخر فقال: (أم أنا خير) على تأويل: أنا خير، وهذا قول مقاتل، قال: ليس باستفهام يعني: بل أنا خير، ونحو هذا قال السدي[٩].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٧.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص ٤٩٣.

(٣) ذكر ذلك البغوي ٧/ ٢١٧، والقرطبي ١٦/ ٩٨، والمؤلف في «الوسيط» ٤/ ٧٦ ونسبوه لقتادة.

(٤) نُسب للحسن في «تفسير البغوي» ٧/ ٢١٧، و«الوسيط» ٤/ ٧٦.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ٨٦ ب.

(٦) ذكر هذا المعنى « الطبري» ١٣/ ٨١ ولم ينسبه، ونسبه في «الوسيط» لقتادة ٤/ ٧٧.

(٧) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٤.

(٨) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس ص ٦٤٩، «المكتفى» للداني ص ٥٠٩ .

(٩) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٧، «تفسير الطبري» ١٣/ ٨١ فقد أخرجه عن السدي.

وقال أبو إسحاق: قال سيبويه والخليل: عطف ﴿أَنَا۠﴾ بأم على ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ كأنه قال: أفلا تبصرون أم تبصرون، قال: لأنهم إذا قالوا له: أنت خير منه، فقد صاروا عنده بصراء، فكأنه قال: أفلا تبصرون أم أنتم بصراء[(١)]، وهذا فيه بعض الغموض، ولا يقف عليه إلا من تأمل وتفكر.

وذكر صاحب النظم وجهًا حسنًا وهو: أن يكون تمام الكلام عند قوله: أم، وقوله: (أنا خير) فصل آخر مبتدأ، على تأويل: أفلا تبصرون أم تبصرون، فكيف ذكر (تبصرون) اكتفاء بذكره في قوله: (أفلا تبصرون) كما يقال في الكلام: أتاكل أم لا، فسكت على الاكتفاء بما قبله من ذكر الأكل، وكذلك يكون إذا قدمت النفي فتقول: ألا تأكل أم تأكل، ثم يكف، ذكر تأكل بعد (أم) اكتفاء بذكره في أول الكلام، فكذلك قوله: أفلا تبصرون أم تبصرون، فكف ذكر (تبصرون) عند (أم) لجري ذكره، وهذا معنى قول مجاهد: أم تام يقف، ثم أنا خير أفلا تبصرون أم قد أبصرتم[(٢)].

وقوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ﴾ قال مقاتل: أفضل ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ يعني: موسى ﴿ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾ يعني: ضعيف ذليل[(٣)]، وقال الكلبي: ضعيف في بدنه[(٤)]، وقال الليث: رجل مهين صغير ضعيف[(٥)].

وقال الزجاج: معنى مهين قليل، يقال: شيء مهين أي: قليل، وهو

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٥، «الكتاب» ٣/ ١٧٣، «الجمل في النحو» للخليل ص٣٢٠، «معاني الحروف» للرماني ص١٧٣، ١٧٤.

(٢) انظر: «المكتفى في الوقف والابتدا» للداني ص٥٠٨، «تفسير الطبري» ١٣/ ٨١.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٧.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٣.

(٥) انظر: «العين» للخليل (مهن) ٤/ ٦١، «تهذيب اللغة» (مهن) ٦/ ٣٢٩.

فعيل من المهانة[١].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ قال ابن عباس: لا يبين الكلام[٢]، وقال الكلبي: لا يكاد يبين حجته[٣]، وقال قتادة والسدي: آفة بلسانه[٤]، وقال الزجاج: يعني اللثغة[٥] التي كانت بلسان موسى[٦].

فإن قيل: أليس موسى سأل الله أن يذهب الرُّتَّةَ[٧] من لسانه بقوله: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه: ٢٧-٢٨] أعطاه ذلك بقوله: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦] فكيف عابه فرعون باللثغة؟ والجواب عن هذا من وجهين: **أحدهما**: أن فرعون أراد: لا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي، ولم يرد أنه لا يوضح ما يتكلم به، وهذا كذب من فرعون وعناد بعد ما رأى من الآية، هذا معنى قول مقاتل[٨].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٥.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٣.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٨٢، «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٧، «الماوردي» ٥/ ٢٣٠.

(٥) قال الأزهري: أخبرني المنذري عن المبرد أنه قال: (اللثغة أن يُعدل بحرف إلى حرف) وقال الليث: الألثغ: الذي يتحول لسانه من السين إلى الثاء والمصدر: اللثغ واللُّثْغَةُ، وقال أبو زيد: الألثغ: الذي لا يُتم رفع لسانه في الكلام وفيه ثقل. انظر: «تهذيب اللغة» (لثغ) ٨/ ٩٢.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٥.

(٧) قال الليث: (الرُّتَّة: عجلة في الكلام. ورجل أرت). وقال ابن الأعرابي: رتَرت الرجل إذا تعتع في التاء وغيرها. انظر: «تهذيب اللغة» (رت) ١٤/ ٢٥٠، وقال ابن قتيبة عند قوله تعالى: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ أي: رَتَّةً كانت في لسانه. انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٢٧٨.

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٧.

والجواب الثاني: عابه مما كان عليه أولًا، وذلك أن موسى كان عند فرعون دهرًا وهو ألثغ لا يكاد يبين، فنسبه فرعون إلى ما عهده عليه من الرُّتَّةَ.

ويقوي الجواب الأول قوله تعالى: ﴿فلولا ألقي عليه أسْوِرة من ذهب﴾ ألا ترى أنه اقترح الآيات، ولم يكتف بما ظهر من معجزته، وليس للأمم أن يقترحوا من الآيات، ما يريدون، بل إذا أتى الرسول بما فيه دلالة على صدقه وجب الإيمان به.

واختلف القراء في ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ فقرءوا بوجهين: أسورة وأساورة، فأسورة جمع سوار لأدنى العدد، كقولك: خِمَارٍ وَأَخْمِرَةٍ، وغُرَابٍ وأَغْرِبَة، ومن قال في سوار: أسوار، جمعه أساوير وأساورة، تكون الهاء عوضًا من الياء نحو: بطاريق وبطارقة، وزناديق وزنادقة، وقدادين وقدادنة، فيكون أساورة: جمع أسوار، وإن شئت فجمع أسورة، كما تقول: أساقٍ في جمع أسقية، وأساقي في جمع أسقية، هذا كلام المبرد(١).

وقال أبو زيد: هو سوار المرأة وأسوار المرأة، وهما قُلْبان يكونان في يديها(٢)، وأسورة جمع سوار مثل: سقاءٍ وأَسْقِيَةٍ، وإزارٍ وآزِرَة، وخوانٍ وأَخوِنَةٍ، وأساورة جمع أسوار، وألحق الهاء في الجمع عوضًا من الياء التي ينبغي أن تلحق في جمع أسوار، على حد إعصار وأعاصير، كذلك أسوار وأساور، ثم يقال: أساورة، ويجوز أن يكون جمع أسورة مثل أسقية وأساق، وهذا كلام أبي علي(٣).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٥ بنحوه، «الدر المصون» ٦/ ١٠٣ ولم أقف على قول المبرد

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (سور) ١٣/ ٥١.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٥١، «الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٥٩.

وقال مقاتل: يقول فهلا ألقى على موسى إلهه الذي أرسله أسورةً من ذهب إن كان صادقًا أنه رسول[١]، وقال الكلبي: كان الرجل إذا ارتفع سوّروه[٢].

وقال مجاهد: كانوا إذا سودُوا رجلًا سوّروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب، يكون ذلك دلالة على سيادته[٣].

قال أبو إسحاق: كأنه لما وصف نفسه بالملك والرياسة فقال: هلا جاء موسى يلقى عليه أسورة من ذهب، يدل على أنها من عند إلهه الذي يدعوكم إلى توحيده[٤].

٥٣- قوله: ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ قال قتادة: متتابعين[٥]، وقال ابن عباس: يعاونونه على من خالفه[٦]، وقال مقاتل: يعينونه على أمره الذي بعث له[٧]، وقال الكلبي: مصدقين له بالرسالة[٨].

وقال أبو إسحاق: أي يمشون معه فيدلون على صحة نبوته[٩]، وقد جمع بين هذه الأقوال كلها لأنه فسر الاقتران وموجبه.

٥٤- قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ يقال: استخفه الفرح،

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٨.

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢٠٩، «زاد المسير» ٧/ ٣٢٢ من غير نسبة.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢١٧، «الجامع» للقرطبي ١٦/ ١٠٠ ونسباه لمجاهد.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٥.

(٥) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٨٣ عن قتادة، ونسبه القرطبي ١٦/ ١٠٠ لقتادة.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٨٣، «تفسير الثعلبي» ١٠/ ٨٧ أ، «البغوي» ٧/ ٢١٧.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٨.

(٨) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٣.

(٩) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٥.

إذا أزعجه وأقلقه، واستخفه إذا حمله على الجهل[١]، ومنه قوله: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠] أي [لا يحميك][٢] على الجهل والميل إليهم، قال مقاتل: فاستفز قومه القبط[٣]، وهو قول الفراء: استفزهم[٤]، والمعنى أزعجهم وحملهم على صفة الجهل بكيده وغروره، وقوله لهم: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ الآية [غافر: ٢٩].

ومن قال هاهنا في تفسير (استخفهم): وجدهم جهالًا خفاف الأحلام[٥]، فليس بالوجه لقوله: ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ وهذا يوجب أنه أمرهم بشيء فيه إزعاجهم فأطاعوه، ولا يقال وجده خفيفًا فأطاعه، لأنك قد تجد إنسانًا خفيف العقل فلا يطيعك، لأنك لم تأمره أو لم يرد هو طاعتك، ويحتاج في هذا التفسير إلى إضْمارٍ لا يجوز، هو أن يكون التقدير: وجده خفيفًا فدعاه إلى الغواية فأطاعه، وإذا قلت: أزعجه فأطاعه، لم يحتج إلى إضمار.

ومعنى ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾: قال ابن عباس ومقاتل: على تكذيب موسى[٦]، والمعنى أنه حملهم على الجهل فقبلوا قوله وكذبوا موسى.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ قالا: عاصين لله[٧].

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٠١.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب (لا يحملنك).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٨.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٥.

(٥) ذكر ذلك الماوردي في «تفسيره» ٥/ ٢٣١ وقال: هو معنى قول الكلبي، وذكره البغوي ٧/ ٢١٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٢٢ بغير نسبة.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٨، «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٣١ وقد نسبه لابن زياد.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٨، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٠١.

٥٥- قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: غاظونا، وقال في رواية الكلبي: أغضبونا، وهو قول مقاتل وقتادة ومجاهد وغيرهم[(١)]، وذكرنا تفسير هذا الحرف عند قوله: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠]، قال عبد الرزاق: غضب ابن جريج في شيء فقيل له: أتغضب يا أبا خالد؟ فقال: قد غضب الذي خلق الأحلام، إن الله تعالى يقول: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أي أغضبونا.

ونحو هذا روي أن وهب بن منبه كان عند عروة بن الزبير وشكا إليه عامل له فأكثروا عليه[(٢)] فقالوا: فعل وفعل وثبتت البينة عليه، فلم يملك وهب نفسه، فضربه على يديه بعصا، فإذا دماء يشخب، فضحك عروة واستلقى على قفاه، وقال: يعيب علينا أبو عبيد الله الغضب في حكمته وهو يغضب. فقال وهب: وما لي لا أغضب، وقد غضب خالق الأحلام. إن الله يقول[(٣)]: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

٥٦- قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ يقال: سلف يسلف، إذا تقدم ومضى، وسلف له عمل صالح، أي: تقدم، والسلف كل شيء قدمته من عمل صالح أو ولد، قرضا وقرض فهو سلف. وهذا وجه واحد، ويقال في جمعه الأسلاف، والسلف أيضًا من تقدم من آبائك وذوي قرابتك، واحدهم سالف، ومنه قول طفيل يرثي قومه:

---

(١) انظر: المرجعين السابقين، و«تفسير الطبري» ١٣/ ٨٤، «الماوردي» ٥/ ٢٣١، «البغوي» ٧/ ٢١٨، «زاد المسير» ٧/ ٣٢٢.

(٢) أي: بالغوا في الشكوى.

(٣) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٠٣، «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢١٠.

مَضَوْا سَلَفًا قَصْدُ السبيلِ عَلَيْهِمُ وصَرْفُ المَنَايا بالرِّجَالِ [سلف][(١)]

وذكر الليث: سلُف بضم اللام يسلُفُ سُلُوفًا فهو سليف، أي تقدم[(٢)]، قال الفراء والزجاج: يقول جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون[(٣)].

وقال ابن عباس: يريد مضوا إلى النار[(٤)].

وقال مجاهد وقتادة: جعلناهم سلفًا لكفار أمة محمد ﷺ إلى النار[(٥)]، وأكثر القراء قرؤوا ﴿سَلَفًا﴾ بالفتح، وهو جمع سالف كما ذكرنا.

قال أبو علي: وفَعَل قد جاء بحروف يراد به الكثرة، وكأنه اسم من أسماء الجمع كقولهم: خادِم وخَدَم، وطالب وطَلَب، وحارِس وحرَس، وحكى أحمد بن يحيى: رائِح وَرَوح.

وقرأ حمزة والكسائي (سُلُفًا) بالضم، وهو جمع سليف من سلُف بضم اللام[(٦)]. ذكره الفراء والزجاج[(٧)]، وقال المبرد: سُلُف يمكن أن يكون جمع سَلَفٍ كقولك: أَسَد وأُسُد، ووثَن ووُثن، وزاد أبو علي: ومما لحقته هاء التأنيث، من هذا: خشبة وخشب، وبدنة وبدن[(٨)].

---

(١) كذا في الأصل، ورواية البيت (تقلب). انظر: «ديوانه» ص٤٠، «تهذيب اللغة» (سلف) ١٢/ ٤٣١، «الدر المصون» ٦/ ١٠٤، «اللسان» (سلف) ٩/ ١٥٩، «البحر المحيط» ٨/ ٢٣.

(٢) انظر: «كتاب العين» (سلف) ٧/ ٢٥٨.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٦، «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٦ .

(٤) ذكر ذلك السمرقندي في «تفسيره» ٣/ ٢١٠ ونسبه لقتادة .

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٨٥، «الماوردي» ٥/ ٢٣٢، «الثعلبي» ١٠/ ٨٧ ب.

(٦) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١١٥.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٦، «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٦ .

(٨) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ١٥٢، «الدر المصون» ٦/ ١٠٤.

وقوله: ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾. قال ابن عباس ومقاتل: يريد عظة لمن بقي بعدهم[١] وآية وعبرة، والمعنى: أن حال غيرهم من المشركين يقاس بحالهم ويجروا مجراهم إذا ماتوا على الطغيان. قال أبو علي: والمثل واحد يراد به الجمع، ومن ثم عطف على سلف، ويدلك على وقوعه أكثر من واحد. قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ﴾ [النحل: ٧٥]، فأوقع لفظ الإفراد على التثنية، وكذلك أفرد في موضع التثنية فيما أنشد سيبويه:

وَسَاقِيَيْنِ مِثْلِ زَيْدٍ وجُعَلْ[٢]

وقد جمع المثل في قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ [الحشر: ٢١] وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، وأفرد في قوله[٣]: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

٥٧- قوله تعالى: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد لما ذكر عيسى، وقدرة الله تعالى فيه وخلقه إياه من غير ذكر، وما كان يفعل من إحياء الموتى وغير ذلك إذا قومك منه يصدون يريد: يضجون كضجيج الإبل بالأثقال[٤].

وقال مجاهد في هذه الآية: قالوا إنما يريد محمدٌ أن نعبده كما عبدَ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٨٥، «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٨.

(٢) هذا صدر البيت وعجزه:

سقبان ممشوقان مكنوزا العضل

انظر: «الكتاب» ٢/ ١٧، «شرح أبيات» سيبويه ص٩٥، «الحجة» ٦/ ١٥٣.

(٣) انظر: «الحجة» ٦/ ١٥٣.

(٤) ذكر ذلك القرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٠٣.

قومُ عيسى عيسى[(١)].

وقال قتادة: لما ذكر عيسى بن مريم جزعت قريش من ذلك وقالوا: ما يريد محمد إلا أن يصنع به كما صنعت النصارى بعيسى ابن مريم[(٢)]. هذا قول هؤلاء، وأريد بهذا المثل قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وهي مذكورة في آل عمران بعد ما ذكرت أحوال عيسى، وما أظهر الله على يده من المعجزات ومعنى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ لما شبه عيسى في إحداث الله إياه من غير فحل بآدم أو خلق من غير أب ولا [آدم][(٣)] إذا قومك منه يصدون، أي يضجون ويقولون: ما يريد محمد إلا أن نعبده[(٤)]، والمعنى على أنهم لما سمعوا ذكر عيسى ظنوا أن محمدًا إنما يذكره بأوصافه ليصنع به قومه ما صنع قوم عيسى بعيسى فلذلك ضجوا.

وفي: ﴿يَصِدُّونَ﴾ قراءتان: ضم الصاد وكسرها. قال الأخفش والكسائي: هما لغتان قريبتان لا تختلفان في المعنى، ونحو ذلك ذكر الفراء، قال الزجاج: ومعناهما جميعًا يضجون[(٥)]. قال: ويجوز أن يكون معنى المضمومة يعرضون[(٦)].

---

(١) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد. انظر: ١٣/ ٨٥، ونسبه الماوردي لمجاهد ٥/ ٢٣٣، ونسبه القرطبي لمجاهد ١٦/ ١٠٢.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» فقد أخرجه عن قتادة ١٣/ ٨٥، ونسبه الماوردي لقتادة ٥/ ١٣٣، وكذلك نسبه القرطبي لقتادة ١٦/ ١٠٢.

(٣) كذا رسمها في الأصل، ولعل الصواب (ولا أم).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٨٥.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٩٠، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٦، «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٦، «معاني القرآن» للنحاس ٦/ ٣٧٦.

(٦) هذا تابع لقول الزجاج في «معاني القرآن» ٤/ ٤١٦.

قال الأزهري: وإذا كان بمعنى يضجون[١]، فالوجه الكسر في يصدون، وبه قرأ ابن عباس وفسره يضجون[٢].

واختاره أبو عبيدة قال: ونرى مَنْ ضمها أراد الصدود عن الحق ولو كان من هذا القبيل [ ][٣] ﴿عَنْهُ﴾ يصدون ولم يكن ﴿مِنْهُ﴾ ولكنه عندنا على ما فسره ابن عباس يضجون.

وقال أبو عبيدة: يصدون يضجون، ومن ضمها أراد يعدلون[٤] ويريغون[٥] وأما تعلق أبي عبيدة بقوله: (منه) ولم يقل عنه، فذلك لا يدل على ترجيح الكسر؛ لأن من ذهب في (يصدون) إلى الضم بمعنى: يعدلون، كان المعنى إذا قومك منه، أي: من أجل المثل يصدون، ولم يصل يصد بـ (من) ومن قرأ بالكسر جعل (من) متصلة به كما تقول: ضج من كذا، وذكر ذلك أبو علي[٦].

وذكر أكثر المفسرين[٧] أن هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزبعرى مع النبي ﷺ لما نزل قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ الآية [الأنبياء: ٩٨] وقد

---

(١) يقال: أَضَجَّ القوم اضجاجاً إذا صاحو وجَلَّبُوا، فإذا جزعوا من شيء وغُلِبُوا قيل: ضجُّوا يَضِجُّون. انظر: «تهذيب اللغة» (ضج) ١٠/ ٤٤٧.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (صد) ١٢/ ١٠٤، «حجة القراءات» ص٦٥٢.

(٣) كذا في الأصل وقد سقط لفظ: (لكان).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٥.

(٥) قال الليث: الرَّوّاغ: الثعلب، وهو أروَغُ من ثعلب، وطريق رائغ مائل، وراغَ فلانُ إلى فلانٍ إذا مال إليه سرًّا. انظر: كتاب: العين (روغ) ٤/ ٤٤٥، «تهذيب اللغة» (راغ) ٨/ ١٨٦.

(٦) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٥٥.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٨٦، «الثعلبي» ١٠/ ٨٧ ب، «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٩.

ذكرنا تلك القصة، وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي ومقاتل[1]، وعلى **هذا القول**: معنى ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلًا﴾ قال مقاتل: ولما وصف ابن مريم شبهًا في العذاب في الآلهة أي: فيما قالوه وعلى زعمهم لأن الله لم يذكر في تلك الآية عيسى ولم يرده بقوله: ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أو إنما أراد أوثانهم ولكنهم ألزموه عيسى جدلًا وعتبًا، ومعنى: (يضجون) على هذا القول صحيح الجدال والمخاصمة أو صحيح السرور، حيث ظنوا أنهم خصموه بتسويتهم بينه وبين آلهتهم، فقد قال بعض المفسرين: يضجون، ولا يتوجه الاعتراض على هذا القول، ويدل على صحة هذا القول الثاني في الآية.

٥٨- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾ وذلك أنهم قالوا

---

(١) أخرج ذلك الواحدي في «أسباب النزول» عن ابن عباس، انظر: «أسباب النزول» ص ٣٩٧، وأورده مقاتل في «تفسيره» بدون سند، انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٨، وأورده السيوطي في «لباب النقول وعزاه» لأحمد والطبراني، انظر: «لباب النقول» ص ١٨٩، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد وعزاه» لأحمد والطبراني قال: وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سيء الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح، انظر: «مجمع الزوائد» ٧/ ١٠٤. وملخص القصة: قال ابن عباس: أراد به مناظرة عبد الله بن الزبعرى مع النبي ﷺ في شأن عيسى وأن الضارب لهذا المثل هو عبد الله بن الزبعرى السهمي حالة كفره لما قالت له قريش إن محمداً يتلوا: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الآية، فقال: لو حضرته لرددت عليه. قالوا: وما كنت تقول له، قال: كنت أقول له هذا المسيح تعبده النصارى، واليهود تعبد عزيراً أفهما من حصب جهنم؟، فعجبت قريش من مقالته ورأوا أنه قد خصم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ ولو تأمل ابن الزبعرى الآية، ما اعترض عليها، لأنه قال: ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾ ولم يقل ومن تعبدون. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٠٣.

رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى، فإن كان عيسى في النار بأنه يعبد من دون الله فكذلك آلهتنا، هذا معنى قول مقاتل، فقال الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ قال مقاتل: ما وصفوا لك ذكر عيسى إلا ليجادلوك به[١].

وقال أبو إسحاق: طلب المجادلة لأنهم قد علموا أن المعني في حصب جهنم أصنامهم[٢].

وقال أبو علي: ما ضربوه إلا إرادة للمجادلة؛ لأنهم قد علموا أن المراد لحصب جهنم ما اتخذوه من الموات[٣]، وعلى القول الأول في الآية الأولى قوله: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعنون محمدًا ﷺ، قاله قتادة[٤]. والمعنى: أنهم يقولون: آلهتنا خير أم[٥] فنحن لا ندع عبادتها لعبادة محمد ﷺ وهو سؤال تقرير أن آلهتهم خير.

قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي ما قالوا لك هذا القول إلا طلبًا للخصومة منه، ثم ذكر أنهم أصحاب خصومة، فقال: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ الخَصِم الشديد الخصومة، وكذلك الجَدِل[٦]، والقول الثاني أظهر وسياق الآيات عليه أدل وهو قوله:

٥٩- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ قال ابن عباس: يريد ليس بولد ولا

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٩.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٦.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٥٤.

(٤) أخرج ذلك الطبري عن قتادة. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٨٨، «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٣٤، ونسبه القرطبي لقتادة. انظر: «الجامع» ١٦/ ١٠٤.

(٥) كذا في الأصل، ولعله قد سقط لفظ (محمد).

(٦) انظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٣٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٠٤ .

إله، إنما هو عبد أنعمنا عليه، خلقته من روحي وكلمتي، وقال مقاتل: أنعمنا عليه بالنبوة(١).

﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، قال الكلبي: معتبرًا(٢).

وقال مقاتل: يعني أنه وغيره ليعتبروا حين [ولده](٣) من غير أب.

وقال قتادة: آية لبني إسرائيل(٤).

والمعنى: أنهم يعرفون به قدرة الله فيعلمون أن من قدر على خلق ولد من غير أب قادر على ما يشاء، فهو مثل لهم يشبهون به ما يرون من أعاجيب صنع الله تعالى، ثم [خاطبهم](٥) كفار مكة فقال:

٦٠- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً﴾ أي لو نشاء لأهلكناكم ولجعلنا بدلكم ملائكة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ يكونون خلفًا منكم، قاله الكلبي(٦)، وقال قتادة: يخلف بعضهم بعضًا مكان ابن آدم، وقال محمد: يعمرون الأرض بدلًا منكم، وقول قتادة معنى قول ابن عباس في رواية عطاء قال: كما جعلت في ولد آدم أمة بعد أمة، وقومًا بعد قوم خلفًا من قوم(٧).

قال الأزهري: و(من) قد يكون للبدل كقوله: لجعلنا منكم، يريد بدلًا

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٩، ولم أقف على قول ابن عباس.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص٧٩٣.

(٣) كذا رسمها في الأصل ولعل الصواب (ولد)، انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٧٩٩، ٨٠٠.

(٤) انظر: «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢١١، «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٠، «الطبري» ١٣/ ٨٩.

(٥) كذا في الأصل، ولعل الصواب (خاطب).

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٣.

(٧) أخرج الطبري قول قتادة، وأخرج القول الثالث عن مجاهد. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٨٩، وأورد الماوردي قول الكلبي ونسبه للسدي. انظر: «تفسيره» ٥/ ٢٣٥، وأورد القرطبي قول قتادة، ونسبه لابن عباس. انظر: «الجامع» ١٦/ ١٠٥.

منهم[١]، ونحو هذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل[٢].

٦١- ثم رجع إلى ذكر عيسى فقال قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ قال ابن عباس والمفسرون: يعني نزول عيسى من السماء من أشراط الساعة وأهوالها، ويكون التقدير على هذا ظهوره أو نزوله.

وروي عن الحسن وقتادة أنهما قالا: الكناية في (وإنه) تعود إلى القرآن، يدل على مجيء الساعة، أو به يعلم أحوال الساعة وأهوالها[٣]، وقوله: ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال ابن قتيبة: يُعلم به قرب الساعة[٤].

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ قال ابن عباس: لا تكذبوا بها[٥]، وقال مقاتل: لا تشكوا في الساعة[٦]، وقول ابن عباس جيد؛ لأن الامتراء يوصل بفي، يقال: امترى فيه، كقوله: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤]، وهاهنا وصل بالباء لأنه بمعنى التكذيب، ومن شك في شيء فقد كذب به ﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾،

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (خلف) ٧/ ٤٠٠.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٨٩، «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٠، «الماوردي» ٥/ ٢٣٥.

(٣) أخرج الطبري ١٣/ ٩٠،٩١ القولين، والأول عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي، وأخرج القول الأول الثعلبي ١٠/ ٨٨ ب، وذكر القولين الماوردي ٥/ ٢٣٥، وأورد القولين القرطبي ١٦/ ١٠٥، ونسب الأول لابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي، ونسب الثاني للحسن وقتادة وسعيد بن جبير.

(٤) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٤٠٠.

(٥) ذكر ذلك البغوي ٧/ ٢٢٠ عن ابن عباس. انظر: «تفسيره» ٧/ ٢٢٠، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ٧٩ لابن عباس. انظر: ٤/ ٧٩.

(٦) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٢٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٠٧ وقد نسب قول ابن عباس للسدي، «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٠.

قال مقاتل: على التوحيد[1]، ﴿هَٰذَا﴾ قال ابن عباس: يريد الذي أنا عليه[2] ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ من دين إبراهيم.

٦٣- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ قال قتادة ومقاتل: يعني الإنجيل[3].

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ مذهب أبي عبيدة أن بعض ها هنا بمعنى الكل[4]، وذكرنا ذلك عند قوله: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] وعلى هذا المعنى، ولأبين لكم ما تختلفون فيه، قال ابن عباس: يعني ما تختلفون فيه، يعني أحكام التوراة[5]، وقال السدي: يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا في أمر عيسى، وقيل: لأبين لكم أمر دينكم دون أمر دنياكم[6]، وعلى هذه الأقوال ليس المراد بالبعض الكل.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٢٠، «زاد المسير» ٧/ ٣٢٦، فقد ذكرا قول مقاتل من غير نسبة ولم أجد هذا القول له في «تفسيره» ٣/ ٨٠٠.

(٢) ذكر ذلك البغوي ولم ينسبه، وكذلك ذكره في «الوسيط» ٤/ ٧٩ ولم ينسبه .

(٣) أخرج الطبري ١٣/ ٩٢ قول قتادة، «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٣٦، وانظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٠.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٥، وأورد الطبري ١٣/ ٩٢ هذا القول قال: وقيل إن معنى البعض في هذا الموضع بمعنى الكل، واستشهد ببيت من الشعر للبيد وهو قوله:

تـرَّاك أمـكـنـةٍ إذا لـم أرضـهـا   أو يعتلق بعض النفوس حمامها

(٥) ذكر ذلك في «الوسيط» ونسبه لمجاهد، وذكر عن ابن عباس: ما تختلفون فيه من أمري وأمر دينكم انظر: «الوسيط» ٤/ ٨١.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٩٢، «تفسير البغوي»، وقد نسب قول السدي لقتادة ٧/ ٢٢٠ وقال الطبري: (كان بينهم اختلاف كثير في أسباب دينهم ودنياهم)، فقال لهم: أبين لكم بعض ذلك، وهو أمر دينهم دون ما هم فيه مختلفون من أمر دنياهم، فلذلك خص ما أخبرهم أنه يبينه لهم.

وقال مقاتل: هذا كقوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: ٥٠] [قد مر][١] فذكر في تفسير هذه الآية ما أحل لهم في الإنجيل مما كان محرمًا عليهم في التوراة كاللحوم من الإبل، والشحوم من كل حيوان، وصيد السمك في يوم السبت[٢].

وقال أبو إسحاق: الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه، وبين لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه[٣]، وما بعد هذا مفسر فيما مضى[٤]، إلى قوله:

٦٦-٦٧- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ قال ابن عباس: هل يرتقبون إلا القيامة[٥]. يعني أنها تأتيهم لا محالة بغتة، فكأنهم يرتقبونها وإن كانوا أمواتًا، فهم يرقبونها لأنه من يكفر بالبعث والقيامة إذا مات، علم أنه حق فهو يرتقبها، ولكن لا يدري متى تفجأه فهو قوله: ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ في الدنيا، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني في الآخرة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يعني أن الخلة إذا كانت على المعصية والكفر صارت عداوة يوم القيامة ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعني الموحدين المؤمنين الذين يخال بعضهم بعضًا على الإيمان والتقوى، فإن خلتهم لا تصير عداوة، وهذا معنى قول المفسرين[٦].

---

(١) كذا في الأصل، ولعله قد سقط حرف الواو.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٠.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٨.

(٤) لعله في سورة مريم عند قوله: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ آية: ٣٧، وفي سورة الأحزاب عند قوله: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ آية: ٢٠.

(٥) ذكر ذلك في «تفسير الوسيط» ٤/ ٨٠ ولم ينسبه .

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٩٤، «الثعلبي» ١٠/ ٨٩ أ، «الوسيط» ٤/ ٨٠ .

٦٨- ﴿يَٰعِبَادِ﴾ قال مقاتل: إذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد: يا عبادي ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾ يعني من العذاب .﴿ٱلْيَوْمَ﴾ فإذا سمع النداء رفع الخلائق رؤسهم فيقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ فينكس أهل الأديان رؤسهم غير المسلمين[1]،

قال أبو إسحاق: ﴿ٱلَّذِينَ﴾، في موضع نصب على النعت لـ ﴿عِبَادِى﴾ لأن [ ][2] منادى مضاف[3].

٦٩-٧٠- قال النحاس وصاحب النظم وأبو حاتم[4]: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ابتداء، وخبره مضمر على تقدير يقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾، أو يكون الخبر ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ ويجوز أن يكون التقدير: هم الذين آمنوا بآياتنا.

وقال صاحب النظم: وعلى كلا الوجهين دليل في الفصل، فقوله: ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ دليل لمن جعل (الذين) منتظمًا بالآية الأولى؛ لأن آخر الكلام وأوله خطاب.

٧١- قوله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ دليل على القول الآخر على تأويل الذين آمنوا يقال لهم: ادخلوا الجنة، ويطاف عليهم.

وقوله: ﴿تُحْبَرُونَ﴾ قال: تكرمون وتنعمون.

قال الكلبي: تكرمون إكرامًا يبالغ فيه[5]. والحبرة المبالغة فيما وصف

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٢.

(٢) كذا في الأصل، وقد سقط لفظ ﴿عِبَادِى﴾ وهي كذلك مثبتة عند الزجاج.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٩.

(٤) لم أقف على أقوال هؤلاء وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس٤/ ١١٩، «الدر المصون»٦/ ١٠٦

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٤.

بجميل[١]، وهذا مما سبق تفسيره في سورة الروم [آية: ١٥] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾، قال مقاتل: بأيدي غلمان[٢].

﴿بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ قال الكلبي: بقصاع[٣]، قال الليث: الصحيفة شبه قصعة مُسْلَنْطِحَة عريضة، والجمع الصحاف[٤].

قال الأعشى:

والمَكَاكِيكُ والصِّحَافُ من الفضـ ـةِ والضامِراتُ تحت الرِّحالِ[٥]

قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٍ﴾، قال الفراء: الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن له، وأنشد لعدي[٦]:

مُـتَّـكِـئًـا تُـصْـفَـقُ أبـوابُـهُ يَسْعَى عَلَيْه العَبْدُ بـالـكُوبِ

وقال أبو عبيدة: الأكواب الأباريق التي لا خراطم لها[٧].

---

(١) قال في «تهذيب اللغة» (حبر) ٥/ ٣٢ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يخرج رجل من النار قد ذهب حِبْرُه وسِبْرُه**». قال أبو عبيد قال الأصمعي: حِبْرُه وسِبْرُه: هو الجمالُ والبهاءُ. يقال فلان حَسَن الحِبْرِ والسِّبْرِ.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٢.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٤.

(٤) قال ابن سيده: (الصحفة: شبه قصعة مُسْلَنْطِحَةَ عريضة وهي تُشبع الخمسة ونحوهم). انظر: «اللسان» (صحف) ٩/ ١٨٧، وانظر: قول الليث في «كتاب العين» (صحف) ٣/ ١٢٠، «تهذيب اللغة» (صحف) ٤/ ٢٥٤.

(٥) انظر: «ديوان» الأعشى ص٤١، «تهذيب اللغة» (صحف) ٤/ ٢٥٤، «اللسان» (صحف) ٩/ ١٨٧.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٧، والبيت لعدي بن زيد بن حماد بن أيوب من زيد مناة بن تميم. انظر: «معاني الفراء» ٣/ ٣٧، «تهذيب اللغة» (كوب) ١٠/ ٤٠٠، «الدر المصون» ٦/ ١٠٦، «اللسان» (صفق) ١٠/ ٢٠٣، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١١٤.

(٧) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٦.

وقال أبو إسحاق: واحدها كوب وهو إناء مستدير لا عروة له(١).

قال ابن عباس: هي الأباريق التي ليس لها آذان(٢)، وقال مقاتل: يعني الأكواب التي ليست لها عرا مدورة الرأس(٣).

وقوله تعالى: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ وقرئت: ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ بإثبات الهاء، قال المبرد: الأصل إثبات الهاء والحذف استخفاف، وهو حسن كثير، كما تقول: الذي ضربت زيد، والأصل ضربته، وإنما استخفوا في هذا الموضع حذف المفعول لأن (الذي) اسم، وضربت اسم الفاعل، والهاء المفعول، فلما اجتمع ذلك استخفوا الحذف، وكان المجيء بالهاء مع (ما) أحسن منه مع (الذي)؛ لأن (الذي) أطول من (ما)، ولأن (ما) مبهمة تقع للمؤنث والمذكر، والمجيء بالهاء يفصل بينهما، والذي والتي تنبيان عن أنفسهما فيستغنى عن الهاء، وفي هذا دليل على حسن قراءة من قرأ (تشتهيه)(٤).

وقال أبو علي الفارسي: حذف هذه الهاء من الصلة في الحسن كإثباتها، إلا أن الحذف يرجح على الإثبات بأن ما كان من هذا النحو في التنزيل جاء على الحذف، من ذلك قوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١] ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩] ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤١٩.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٣٨، «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٢.

(٤) انظر: «الحجة» لابن خالويه ص٣٢٣، «الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٦٢، «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٦٥٤، وهي قراءة: نافع وابن عامر وحفص عن عاصم. «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٠، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم: ﴿تَشْتَهِيَ﴾ بغير هاء.

﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ [هود: ٤٣] و﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ [طه: ٦٩]. ويقوي الحذف من جهة القياس أنه اسم قد طال، والأسماء إذا طالت فقد يحذف منها كما حذفوا من اشهيباب، واحميرار، الياء لطول الاسم، وقد جاءت مثبتة في قوله: ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥][1].

قوله تعالى: ﴿وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ﴾ قال الكسائي: يقال للشيء: يَلِذ بالكسر لَذَاذًا ولذاذة بفتح اللام فيهما، فإذا كنت أنت الفاعل كان فعلت منه مكسورًا، ويفعل مفتوحًا، تقول: لَذِذْتُ الشيء أَلَذُّه، مثل استلْذَذْته[2].

قال مقاتل[3]: وفيها ما تشتهي الأنفس من شيء وتلذ الأعين، أنه ما من شيء تشتهيه نفس أو استلذته عين إلا وهو في الجنة، وقد عبر الله بهذين اللفظين عن جميع نعيم أهل الجنة، فإنه ما من نعمة إلا وهي تصيب النفس أو العين يستحسن بالعين أو يستطاب بالنفس، ثم تمم هذه النعم بقوله: ﴿وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لأنها لو انقطعت لم تطب، فإن الشيء إذا طاب بعضه [بناه][4]، فإذا دام كان أطيب له.

٧٢- وقوله: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ﴾ يعني الجنة التي ذكرها في قوله: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا﴾[5] وقد ذكرنا في رواية الجنة قولين في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ وابن عباس قال في هذه الآية: خلق الله لكل نفس جنة ونارًا،

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٥٨.

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (لذذ) ٢/ ٥٧٠، «اللسان» (لذذ) ٣/ ٥٠٦.

(٣) قول مقاتل هذا غير موجود في «تفسيره» لهذه الآية ٣/ ٨٠٢.

(٤) كذا رسمها وهي غير منقوطة.

(٥) كذا في الأصل وهو تصحيف ونص الآية ﴿تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

والكافر يرث نار المؤمن، والمؤمن يرث جنة الكافر.

٧٦- قوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾، وقال الكلبي ومقاتل: وما ظلمناهم بتعذيبهم، وما عذبناهم على غير ذنب(١).

﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم لما جنوا عليها من الشرك والكفر، قال أصحابنا: ولا يتصور الظلم من الله تعالى لأنه متصرف في ملكه على الإطلاق، كيف ما تصرف، وإنما الظلم أن يفعل الفاعل ما ليس له فعله و﴿هُمْ﴾ في قوله: ﴿هم الظالمين﴾ عماد وفصل(٢).

٧٧- ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ قال ابن عباس: يريد خازن جهنم(٣).

﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قال الكلبي: ليقض علينا الموت.

وقال مقاتل: لينزل علينا ربك الموت، والمعنى أنهم توسلوا بمالك إلى الله تعالى ليسأل الله تعالى ليميتهم حتى يستريحوا من شدة العذاب، فيسكت عنهم مالك ولا يجيبهم أربعين سنة في قول الكلبي(٤)، وألف سنة فيما روي عن ابن عباس(٥).

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٥، «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٢.

(٢) ﴿هُمْ﴾ ها هنا فصل كذا يسميها البصريون، وهي تأتي دليلاً على أن ما بعدها ليس بصفة لما قبلها، وأن المتكلم يأتي بخبر الأول، ويسميها الكوفيون العِماد، وهي عند البصريين لا موضع لها في رفع ولا نصب ولا جر. انظر: «معاني الزجاج» ٤/ ٤١٩.

(٣) أخرج ذلك الطبري عن السدي. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٩٩، ونسبه ابن الجوزي ٧/ ٣٢٩ للمفسرين، وذكره السمرقندي في «تفسيره» ٣/ ٢١٣ ولم ينسبه، وذكره القرطبي ١٦/ ١١٦ ولم ينسبه.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٥، «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٣.

(٥) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٩٩ عن ابن عباس، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» =

قال القرظي: لا يجيبهم ثمانين سنة، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون، ثم يلحظ إليهم بعد الثمانين فيقول[١]: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾، قال مقاتل: يقول مقيمون في العذاب[٢].

٧٨- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ وهو من قول مالك لهم فيها فيما ذكر مقاتل، و[٣] غيره من المفسرين هو من كلام الله تعالى في مخاطبة الكفار يقول[٤]: إليكم يا معشر قريش محمدًا ﷺ[٥]. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد كلكم كارهون لما جاء به محمد ﷺ[٦].

٧٩- قوله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا﴾ الإبرام معناه في اللغة الإحكام. يقال: أبرمت الأمر، أي أحكمته[٧]، قال مجاهد ومقاتل: أم أجمعوا أمرًا فإنا مجمعون[٨]، والمعنى بل أحكموا أمرًا في كيد محمد والمكر به، فإنا محكمون أمرًا في مجازاتهم.

= ٢/ ٤٤٨، وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح، وذكر ذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٢٢، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ١١٧.

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١١٧.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٣.

(٣) كأن في الكلام سقطًا ها هنا ولفظه (قال).

(٤) كأن في الكلام سقطًا ها هنا ولفظه (لقد أرسلنا) كذا لفظها عند الطبري. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٩٩.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٩٩، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٢٣.

(٦) ذكر ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٣٠، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ١١٨، وذكره المؤلف في «الوسيط» ٤/ ٨٢ عن ابن عباس.

(٧) انظر: اللسان (برم) ١٢/ ٤٣.

(٨) أخرج ذلك الطبري عن قتادة بهذا اللفظ، وأخرجه عن مجاهد بلفظ: (مجمعون) إن كادوا شرًّا كدنا مثله. انظر: ١٣/ ١٠٠، وانظر: «تفسير مجاهد» ص٥٩٥.

قال مقاتل: نزلت في تدبيرهم في المكر به في دار الندوة(١)(٢).

وهو ما ذكر الله في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠]. وقد ذكرنا القصة(٣). قال أبو إسحاق: أم أحكموا عند أنفسهم أمرًا من كيد أو شر فإنا محكمون مجازاتهم(٤).

٨٠- ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما [يسرونهم](٥) من غيرهم مما يتناجون به بينهم .﴿بَلَى﴾ نسمع ذلك، ﴿وَرُسُلُنَا﴾ من الملائكة، يعني الحفظة، ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

٨١- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ كثرت الوجوه في هذا التفسير، فالأصح منها، والذي عليه أكثر أهل العلم قول مجاهد، قال: يقول إن كان لله ولد في قولكم، فأنا أول من عبد الله ووحده(٦)، واختاره الزجاج فقال: إن كان للرحمن ولد في قولكم كما قال: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: ٢٧] أي في

---

(١) هي دار بمكة أحدثها قصي بن كلاب بن مرة لما تملك مكة وهي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة، وجعلها بعد وفاته لابنه عبد الدار بن قصي، ولفظه: مأخوذ من الندى والنادي والمنتدى، وهو مجلس القوم الذين يندون حوله، أي: يذهبون قريباً منه ثم يرجعون، وقد أصبحت دار الإمارة في زمن معاوية بن أبي سفيان. انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٤٢٣.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٣.

(٣) في سورة الأنفال: آية ٣٠.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٠.

(٥) كذا لفظها في الأصل، ولعل الصواب (يسرونه).

(٦) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٩٥، «تفسير الطبري» ١٣/ ١٠١، «الماوردي» ٥/ ٢٤٠ «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١١٩.

قولكم، والله ﷻ لا شريك له[١]. والمعنى إن كنتم تزعمون أن للرحمن ولدًا جل وعز فأنا أول الموحدين؛ لأن من عبد الله واعترف أنه إلهه فقد دفع أن يكون له ولد، واختاره ابن قتيبة فقال: لما قال المشركون لله ولد ولم يرجعوا عن مقالتهم بما أنزل الله على رسوله من التبرؤ من ذلك، قال الله لرسوله: قل لهم إن كان للرحمن ولد أي عندكم وفي ادعائكم فأنا أول العابدين؛ أي: أول الموحدين، ومن وحد الله فقد عبده، ومن جعل له ولدًا وندًا فليس من العابدين، وإن اجتهد، ومنه قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليوحدون[٢]، واختاره الأزهري أيضًا فقال: المعنى إن كان للرحمن ولد في دعواكم، فالله ﷻ واحد لا شريك له، وهو معبودي الذي لا ولد له ولا والد[٣].

الوجه الثاني: أن يكون ﴿ٱلْعَـٰبِدِينَ﴾ من عبد بمعنى غضب، قال ابن عباس: إن كان للرحمن ولد كما تزعمون فأنا أول من غضب للرحمن أن يقال: له ولد[٤] وأنشد:

متى ما يَشَأْ ذُو الوُدِّ يَصْرِمْ خَلِيلَه وَيَعْبَدْ عليه لا محالَة ظَالِما[٥]

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٠.

(٢) انظر: «مشكل القرآن وغريبه» لابن قتيبة ٢/ ١٢٤.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (عبد) ٢/ ٢٣١.

(٤) ذكر ذلك البغوي ٧/ ٢٢٣ ولم ينسبه، وانظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٤١، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٢٠.

(٥) لم أقف على قائل هذا البيت، والشاهد فيه قوله: ويعبد عليه: أي يغضب عليه. وقد استشهد ابن جرير في «تفسيره» ١٣/ ١٠٢ بالبيت نفسه. وكذلك استشهد به ابن عطية ١٤/ ٢٧٨، وكذلك استشهد به السمين الحلبي في «الدر المصون» ٦/ ١٠٨ ونسبه محققو «الدر» للمرقش الأصغر. انظر: «المفضليات» ص٥٠٢.

قال: يريد وغضب، وهذا صحيح في اللغة، قال النضر: العبد: طول الغضب[١].

وروى أبو عبيد عن الفراء: عَبَدَ عليه وأحِنَ، أي: غضب[٢]، والعَبَد يكون بمعنى الأنف، ومنه قول الفرزدق:

وأَعْبَدُ أَنْ أَهْجُو كُلَيْبًا بِدَارِمِ[٣]

أي: آنف[٤]، ابن الأعرابي في قوله: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ أي الغضاب، وهذا قول أبي عبيدة والمبرد في (العابدين) هاهنا: أنه معنى الآنفين ولكن (إن) عندهم قوله: ﴿إِن كَانَ﴾ بمعنى: (ما) قالوا: ومعنى الآية: ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي: الآنفين مما قلتم والمنكرين له.

قال أبو عبيدة: ومجاز الفاء في أنا مجاز الواو[٥].

وقال الكسائي: يقال: رجل عابِد وعَبِدُ، وآنِف وأنِفُ.[٦]

وقال ابن قتيبة: يقال عَبِدتُ من كذا أعبدُ عَبَدًا[٧]، وأكثر ما يأتي

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (عبد) ٢/ ٢٣٨.

(٢) انظر: «اللسان» (عبد) ٢/ ٢٧٥.

(٣) هذا عجز بيت، وصدره:

أولئك قوم إن هجوني هجوتهم

والشاهد قوله: أعبد. أي آنف، وقد ورد البيت في «اللسان» (عبد) ٣/ ٢٧٥، وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٦، «المحتسب» لابن جني ٢/ ٢٥٨، «الدر المصون» ٦/ ١٠٨، «تهذيب اللغة» (عبد) ٢/ ٢٣٨.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (عبد) ٢/ ٢٣٨ وهي كذا في الأصل ولعله سقط لفظ (قال).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٦.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (عبد) ٢/ ٢٣٠، فقد نقل قول الكسائي.

(٧) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٤٠١.

الأسماء من فَعِلَ يفعل على فَعَل كالوجل والفزع، وربما يأتي عليها نحو: صدٍ صاد، وكذلك عبد وعابد.

وذهب قوم إلى أن (إن) بمعنى: (ما)، و(العابدين) من العبادة وهو قول الكلبي[(١)] ومقاتل، والمعنى: ما كان للرحمن ولد[(٢)] فأنا أول العابدين، يعني: أول الموحدين من أهل مكة، واختاره ابن الأنباري فقال: معناه: ما كان للرحمن ولد، والوقف على الولد، ثم تبدأ فتقول: فأنا أول العابدين له، على أنه لا ولد له[(٣)]، والوقف على العابدين تام. وهذا قول الحسن وقتادة[(٤)].

وفي الآية قول آخر ذكره السدي فقال: قال الله تعالى لمحمد ﷺ: قل لهم إن كان للرحمن ولد كما تقولون، لكنت أول من يعبده ويطيعه[(٥)]، أي: إن كان له ولد فأنا أول من عبده بأن له ولدا، ولكن لا ولد له، ومعنى هذا القول: لو كان له ولد لعبدته، كما تقول: لو دعت الحكمة إلى عبادة غير الله لعبدته ولكنها لا تدعو إلى عبادة غيره، كما تقول: لو دل الدليل لقبلت به، ولكنه لا يدل، فهذا تحقيق لنفي الولد.

وقول آخر في الآية يروى عن ابن عيينة أنه سئل عن هذه الآية فقال: يقول فكما أني لست أول من عبد الله، فكذلك ليس لله ولد[(٦)]،

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (عبد) ٢/ ٢٣٠ فقد نقل قول الكلبي.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٥.

(٣) انظر: «الإيضاح» لابن الأنباري ٢/ ٨٨٦.

(٤) انظر: قول ابن الأنباري بنصه في «تهذيب اللغة» (عبد) ٢/ ٢٣١، وكذلك قولي الحسن وقتادة. وانظر: «المكتفى» للداني ص٥١١.

(٥) انظر: قول السدي في «تهذيب اللغة» (عبد) ٢/ ٢٣٠، «المكتفى» للداني ص٥١١.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (عبد) ٢/ ٢٣٠، «تفسير الوسيط» ٤/ ٨٣.

وهذا كما تقول إن كنت [كاذبًا][١] فأنا حاسب، تريد لست أنت كذا ولا أنا، وتأويل الآية ليس للرحمن ولد كما لست أنا أول من عبد الرحمن، فقد عبده قبلي ناس، هذا وجه ما ذكره ابن عيينة، وهو حسن صحيح في معنى الآية.

٨٢- ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية.

قوله: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ قال مقاتل: عما يقولون من الكذب.

٨٣- ﴿فَذَرْهُمْ﴾ يعني كفار مكة حين كذبوا بالعذاب في الآخرة عصوا في باطلهم ولهوا في دنياهم[٢]. ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟﴾ يوم القيامة.

٨٤- قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ قال قتادة: يعبد في السماء ويعبد في الأرض[٣]، قال مقاتل: يوحد في السماء ويوحد في الأرض[٤].

وقال المبرد: تأويله والله أعلم: رَبٌّ من هناك، ورَبٌّ من هاهنا كقوله: سبحان الله[٥]، ونحو هذا قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، وقد مر الكلام فيه مستقصى.

قال أبو علي: نظرت فيما يرتفع به (إله) فوجدت ارتفاعه يصح بأن يكون خبر مبتدأ محذوف من الصلة راجع إلى الموصول كأنه: وهو الذي

---

(١) كذا في الأصل، وفي «الوسيط» ٤/ ٨٣ بلفظ (كاتباً) وهو الصواب .

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٥.

(٣) أخرج ذلك الطبري عن قتادة. انظر: «تفسيره» ١٣/ ١٠٤، ونسبه ابن الجوزي لمجاهد وقتادة. انظر: «زاد المسير» ٧/ ٢٣٣.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٦.

(٥) لم أقف على قول المبرد.

في السماء هو إله، وتقدير هذا الحذف من الصلة هنا حسن لطولها، وقد استحسن الخليل ذلك، فإذا كان التقدير على هذا ارتفع هذا المحذوف بالابتداء و﴿إِلَٰهٌ﴾ خبره والظرف الذي هو قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ متعلق بقوله: ﴿إِلَٰهٌ﴾ وموضعه نصب وإن كان مقدمًا عليه، ألا ترى أنهم قد أجازوا كل يوم ثوب فاعمل فيه، والمعنى مقدم. والمعنى: إنما هو عن الإخبار بالآلهة لا عن الكون في السماء، أي: أنه تعالى اسمه يقصد بالعبادة في السماء والأرض. انتهى(١).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لأن خَلْق السموات والأرض يدل على الحكمة والعلم.

٨٦- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ ذكر المفسرون في هذه الآية قولين:

أحدهما: إن الذين يدعون من دونه هم عزير وعيسى والملائكة، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء والكلبي، وقول مجاهد ومقاتل(٢)، وقال ابن عباس: يريد أن الملائكة لا تشفع إلا لمن شهد بالحق(٣)، وقال مجاهد: لا يشفع عيسى ولا عزير ولا الملائكة إلا من شهد بالحق(٤).

وقال مقاتل: قال النضر بن الحرث ونفرٌ معه: إن كان ما يقول محمد حق، فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد، فأنزل الله هذه

---

(١) ذكر ذلك في «الوسيط» عن أبي علي الفارسي ٤/ ٨٣، ولم أقف عليه عند أبي علي.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٩٦. وأخرجه الطبري ١٣/ ١٠٥ عن مجاهد، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ٩٢ أ، «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٦، «زاد المسير» ٧/ ٣٣٤ .

(٣) لم أقف عليه.

(٤) «تفسير مجاهد» ص٥٩٦ ، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٠٥ عن مجاهد.

الآية، يقول: لا تقدر الملائكة الذين تعبدونهم لأن يشفعوا لأحد، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾[(١)] والمعنى على هذا القول: لا يشفع هؤلاء إلا لمن شهد بالحق، فأضمر اللام[(٢)] أو يقال التقدير: إلا شفاعة من شهد بالحق فحذف المضاف، وهذا على لغة من يعدي الشفاعة بغير لام فيقول: شفعت فلانًا، بمعنى شفعت له، كما تقول: كلمته وكلمت له، ونصحته ونصحت له.

القول الثاني: أن الذين يدعون من دونه كل معبود من دون الله، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ عزير وعيسى والملائكة، وهذا قول قتادة قال: إنهم عبدوه من دون الله ولهم شفاعة عند الله ومنزلة[(٣)]، ومعنى ﴿من شهد بالحق﴾ قال ابن عباس: من شهد أنه لا إله إلا الله وحده وأن محمدًا عبده ورسوله[(٤)]، وقال مقاتل: إلا من شهد بالتوحيد من بني آدم[(٥)].

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الله واحد لا شريك له فيشفعون لهؤلاء، وفي هذا دليل على أنه لا تتحقق الشهادة بالعلم، وأجمع أصحابنا أن شرط الإيمان طمأنينة القلب على ما أعهده بحيث لا يتشكك إذا شكك، ولا يضطرب إذا حرك لقوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني شهدوا على علم وبصيرة[(٦)]، قال إبراهيم: يشهد وهو يعلم أنك كذلك، قال مجاهد:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٦، «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٤٢، «زاد المسير» ٧/ ٢٣٣.

(٢) انظر: «الدر المصون» ٦/ ١٠٨، «تفسير ابن عطية» ١٤/ ٢٨١.

(٣) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٠٥ عن قتادة، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ٩٢ ب، «زاد المسير» ٧/ ٣٣٤.

(٤) ذكر ذلك القرطبي في «الجامع» عن ابن عباس. انظر: ١٦/ ١٢٢.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٦.

(٦) ذكر ذلك في تفسير «الوسيط» ٤/ ٨٤.

يعلمون أن الله ربهم[١].

٨٧- قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ الآية مفسرة في أواخر سورة العنكبوت [آية: ٦١] وفي غيرها.

٨٨- ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾، قال ابن عباس: شكا إلى ربه تخلف قومه عن الإيمان[٢]، واختلفوا في انتصاب ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ فذكر الأخفش والفراء فيه قولين: **أحدهما**: أنه نصب على المصدر بتقدير، وقال ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ وشكا شكواه إلى ربه، يعني: النبي ﷺ فانتصب ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ بإضمار قال.

والثاني: أنه عطف على ما تقدم من قوله: إنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله[٣].

وقال أبو إسحاق: والذي أختاره أنا أن يكون نصبًا على معنى: وعنده علم الساعة، ويعلم قيله[٤]، وشرح أبو علي هذا القول فقال: نصب قيله على الحمل على موضع [..][٥] الساعة مفعول بها وليست بظرف والمصدر مضاف إلى المفعول به ومثل ذلك قوله:

---

(١) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٩٦، «تفسير الطبري» ١٣/ ١٠٥.

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٠٦ عن قتادة. وانظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ٩٢ ب من غير نسبة، ونسبه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٣٤ لابن عباس.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٨، ولم أجده في «معاني الأخفش»، وانظر: «الدر المصون» ٦/ ١٠٩.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢١.

(٥) كذا في الأصل وقد سقط لفظ [﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ لأن]، انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٦٠.

قَـد كُـنْـتُ دَايَـنْـتُ بِـه حَـسَّـانَـا مَـخَـافَـةَ الإفْـلاسِ والـلَّـيَـانَـا[١]

وكما أن الليان محمول على ما أضيف إليه المصدر من المفعول به، كذلك وقوله: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ لما كان معناه يعلم الساعة حملت ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ على ذلك، قال: ويجوز أن يكون حمله على: يقول قيله، فيدل انتصاب المصدر على فعله، وكذلك قول كعب:

يَسْعَى الوشَاةُ حَوَاليها وقِيلِهم إنَّك يا ابْن أبي سَلْمَى لَمَقْتُولُ[٢]

وقرأ عاصم وحمزة: وقيله بالجر، قال الأخفش والفراء والزجاج: الجر على قوله: وعنده علم الساعة وعلم قيله يا رب[٣]، والاختيار القراءة الأولى[٤]، وهو الموافق لما ذكره المفسرون.

قال ابن عباس في تقدير الآية: أيحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يا رب، ونحو هذا قال مقاتل[٥].

---

(١) الرجز لرؤبة بن العجاج، انظر: «ديوانه» ص ١٨٧، «الكتاب» ١/ ١٩١، «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٦٠، وداينت: من المداينة وهي البيع بالدين، بها أي بالإبل، وحسان: اسم رجل، والليان: مصدر لويته بالدين ليا ولياناً إذا مطلته، يقول: داين بالإبل حسان لأنه رجل مليء لا يماطل مخافة أن يداين غير حسان ممن ليس بمليء فيماطل لإفلاسه، انظر: «الكتاب» ١/ ١٩١.

(٢) البيت لكعب بن زهير في «ديوانه» ص ١٩ من قصيدته المشهورة بالبردة، وانظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٦٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٢٤ .

(٣) «الحجة» ٦/ ١٦٠، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٨، «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢١، «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٣.

(٤) انظر: «كتاب السبعة» لابن مجاهد ص ٥٨٩، «الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٦٢، «الحجة في القرءات السبع» لابن خالويه ص ٣٢٣.

(٥) «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٧، وذكر هذا المعنى بغير نسبة: البغوي ٧/ ٢٢٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٣٤ .

وقال المبرد: العطف على المنصوب حَسَن[١]، وإن تباعد المعطوف من المعطوف عليه؛ لأنه لا يجوز أن يفصل بين المنصوب وعامله والمجرور، يجوز ذلك فيه على قبح؛ لأنه لا يفصل بينه وبين عامله إلا في ضرورة، ومعنى النصب: أنا لا نسمع قيله، وهو معطوف على منصوب قد تباعد منه، وكان حسنًا في المنصوب، ولما كان معنى الجر: وعنده علم الساعة وعلم قيله، فتح لما وصفنا، وقرأ ناس من غير السبعة: وقيله يا رب، بالرفع.

وقال أبو إسحاق: الرفع على معنى: وقيله هذا القول قول يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون[٢].

قال أبو علي: الرفع يحتمل ضربين: أحدهما: أن يجعل الخبر، وقيله يا رب مسموع ومتقبل، فيا رب منصوب الموضع بقيله المذكورة، وعلى القول الآخر بقيل المضمر وهو من صلته، ولا يمتنع ذلك من حيث امتنع أن يحذف بعض الموصول، ويبقى بعضه، لأن حذف القول [قد كثر][٣] حتى صار بمنزلة المذكور، وقد يحتمل بيت كعب الرفع على هذين الوجهين[٤]، والقيل مصدر كالقول، ومنه قول النبي ﷺ: «**نهى عن قيل وقال**»[٥].

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٣، «الدر المصون» ٦/ ١٠٩.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢١، «الحجة» ٦/ ١٦٠.

(٣) كذا في الأصل وفي «الحجة» (قد أضمر).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٦١.

(٥) أخرجه البخاري عن المغيرة: «**إن الله كره لكم ثلاثاً**..» الحديث، كتاب الزكاة باب قول الله: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ٢/ ١٣١، وفي الأدب باب عقوق =

قال أبو عبيد: يقال قلت قولًا، قال وسمعت الكسائي يقول في قراءة عبد الله ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ [مريم: ٣٤] قال الفراء: القال في معنى القول، مثل العيب والعاب[١].

وقال الليث: تقول العرب كثير فيه: القيل والقال[٢]، أبو زيد: يقال: ما أحسن قيلك وقولك ومقالتك ومقالك وقالك، خمسة أوجه[٣].

قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ قال ابن عباس: أمسك عنهم، وقال مقاتل: أعرض عنهم وقل سلام، اردد عليهم معروفًا[٤].

وقال ابن عباس: يريد مداراة حتى ينزل حكمي[٥].

قال المبرد: قال سيبويه: إنما معناه المتاركة كما تقول: سلام بسلام أي تركًا بترك[٦]، وهذا كقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] وقد مر. وقال الفراء: رفع (سلام) بضمير (عليكم) وما أشبهه، ولو

= الوالدين ٧/ ٧٠، وفي الرقاق باب ما يكره من قيل وقال ٧/ ١٨٣، وفي الاعتصام باب ما يكره من كثرة السؤال ٨/ ١٤٢، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل ٢/ ١٤٣٠، وأخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة ٢/ ٣٢٧، ٣٦٠، ٣٦٧، وعن المغيرة ٤/ ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠.

(١) انظر: هذه الأقوال في «تهذيب اللغة» للأزهري من قوله: ومنه قول النبي.. (لقى) ٩/ ٣٠٤، «اللسان» (قول) ١١/ ٥٧٣.

(٢) انظر: «كتاب العين» (قول) ٥/ ٢١٣.

(٣) انظر: قولي الليث وأبي زيد في «تهذيب اللغة» (لقى) ٩/ ٣٠٥.

(٤) أورد ذلك القرطبي ١٦/ ١٢٤ عن ابن عباس لكن بلفظ: أعرض عنهم، وانظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٧.

(٥) انظر: «تفسير الوسيط» ذكر ذلك عن عطاء ٤/ ٨٤.

(٦) انظر: «الكتاب» ١/ ٣٢٦.

كان: وقل سلامًا، كان صوابًا[١].

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ قرئ: بالتاء والياء، فمعنى التاء أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يقول للمشركين: سلام عليكم ويقول لهم سلام فسوف تعلمون، ومن قرأ بالياء حمل على الغيبة التي هي (فاصفح عنهم .. فسوف يعلمون)[٢] قال ابن عباس: وهذا وعيد وتهدد من الله تعالى.

قال ابن عباس: وقوله: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ منسوخ بالسيف[٣].

وقال مقاتل: نسخ السيف الإعراض والسلام[٤].

وقال قتادة: أمر بالصفح عنهم ثم أمر بقتالهم[٥].



---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٨.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٦١، «الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٦٣.

(٣) ذكر ذلك ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» عن ابن عباس ص ٤٥٥، وذكره ابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» ولم ينسبه ص ٥٥، وذكره من غير نسبة هبة الله بن سلامة في «الناسخ والمنسوخ» ص ١٥٨.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٠٧.

(٥) أخرج ذلك الطبري عن قتادة، انظر: «تفسيره» ١٣/ ١٠٧، ونسبه القرطبي لقتادة ١٦/ ١٢٤.

سورة الدخان

تفسير سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٢- ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ قال ابن عباس: يريد القرآن وما أنزل فيه من البيان والحلال والحرام[1]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ قال الكلبي: أقسم بـ حم والقرآن[2] ذلك لقد أنزلناه، فجواب القسم على ما ذكر:

٣- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾، وكذلك هو عند أهل التفسير.

وقال النحاس: يجوز أن يجعل جواب القسم: (إنا أنزلناه حم) فيكون تمام الكلام عند قوله: ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ وإن جعلت جواب القسم (إنا أنزلناه)، اتصل بالكلام الأول[3].

قال صاحب النظم: لولا أن قوله (إنا أنزلناه) صفة القرآن والذي أقسم به وأخبر عنه، لاحتمل أن يكون جوابًا للقسم، ولكن ليس من عادتهم أن يقسموا بنفس الشيء إذا أخبروا عنه.

---

(١) قال في «تنوير المقباس»: (وأقسم بالكتاب المبين لقد قضى ما هو كائن أي بين، ويقال أقسم بالحاء والميم والقرآن المبين بالحلال والحرام والأمر والنهي) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٦، ونسبه في «الوسيط» لابن عباس. انظر: ٤/ ٨٥.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص ٤٩٦.

(٣) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس ص٦٥٤، لكن بلفظ: إن جعلت جواب القسم ﴿حمٓ﴾ كان هذا وقفًا، وإن جعلت الجواب: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ فالوقف: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.

قوله: ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ أي كثيرة الخير، والليلة التي أنزل فيها كتاب الله مباركة، بأن الخير ينمو فيها على ما دبره الله من علو مرتبتها بالخير الذي قسمه الله فيها، واختلفوا في الليلة المباركة فقال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي: إنها ليلة القدر(١). نزل القرآن جملة من عند ذي العرش إلى السماء الدنيا، وقد ذكرنا كيفية ذلك عند قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وهذا قول قتادة ومقاتل وابن زيد ومجاهد(٢)، وبه قال الأكثرون: واختاره الزجاج(٣) لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، قال مقاتل: كان ينزل من اللوح المحفوظ كل ليلة قدرٌ من الوحي على مقدار ما ينزل به جبريل على النبي ﷺ في السَّنَة كلها إلى مثلها من العام المقبل، حتى نزل القرآن كله في ليلة القدر(٤).

وقال عكرمة: هي ليلة النصف من شعبان(٥).

قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾. قال ابن عباس: منذرين بالقرآن من عصى الله(٦).

---

(١) ذكر ذلك الماوردي ولم ينسبه. انظر: ٥/ ٢٤٤، ونسبه ابن الجوزي للأكثرين. انظر: «زاد المسير» / ٣٣٦، وذكره السمرقندي ولم ينسبه. انظر: تفسيره ٣/ ١١٥.

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٠٧ عن قتادة وابن زيد. وانظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨١٧.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٣.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨١٧.

(٥) أخرج ذلك الطبري عن عكرمة. انظر: تفسيره ١٣/ ١٠٩، وذكره البغوي عن عكرمة. انظر: تفسيره ٧/ ٢٢، ونسبه ابن الجوزي لعكرمة. انظر: «زاد المسير» ٧/ ٣٣٨، ونسبه القرطبي لعكرمة. انظر: «الجامع» ١٦/ ١٢٦.

(٦) لم أقف عليه.

٤- قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ أي في تلك الليلة المباركة. ﴿يُفْرَقُ﴾ أي يفصل ويبين ويضبط، من قولهم: فرقت الشيء أفرقه فرقًا وفرقانًا[(١)]، والأمر الحكيم المحكم، يعني أمر السنة إلى مثلها من العام المقبل يقضي الله في تلك الليلة ما هو كائن في السنة من الخير والشدة والرخاء والأرزاق والآجال ومحو وتثبيت ما يشاء، وهذا قول عامة المفسرين، روى مهران[(٢)] عن ابن عباس في هذه الآية قال: يكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر، حتى الحُجّاج يقال: يحج فلان[(٣)].

وروى عنه [سعيد بن يحيى][(٤)]. في هذه الآية قال: إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى[(٥)].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (فرق) ٩/ ١٠٥، و«مفردات» الراغب (فرق) ص٣٧٧.

(٢) لعله: مهران أبو صفوان حديثه في الكوفيين روى عن ابن عباس، وعنه الحسن بن عمرو النُقيمي، قال أبو زرعة لا أعرفه إلا في الحديث وذكره ابن حبان في «الثقات». انظر: «ميزان الاعتدال» ٤/ ١٩٦، و«تهذيب التهذيب» ١٠/ ٣٢٨.

(٣) انظر: «تفسير البغوي»، وقد نسبه لابن عباس ٧/ ٢٢٧، ونسبة في «الوسيط» لابن عباس انظر: ٤/ ٨٥، وانظر: «زاد المسير» ٧/ ٣٣٨، وقد نسبه لابن عباس، ونسبه القرطبي لابن عباس. انظر: ١٦/ ١٢٧.

(٤) كذا في الأصل وهو تصحيف والصحيح (سعيد بن جبير) لأن سعيد بن يحيى متأخر، فلم يلق ابن عباس، فقد توفي سنة ٢٤٩هـ. وانظر: تفسير الطبري، وقد نسبه لسعيد ابن جبير عن ابن عباس ١٣/ ١٠٩، وكذلك نسبه المؤلف لسعيد بن جبير عن ابن عباس. انظر: تفسيره «الوسيط» ٤/ ٨٥.

(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي على شرط مسلم. انظر: «المستدرك مع التلخيص» ٢/ ٤٤٨.

٥- قوله تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ قال أبو إسحاق: ﴿أَمْرًا﴾ نصب بيفرق، بمنزلة يفرق فرقًا، لأن أمرًا بمعنى فرقًا، وهذا قول الفراء[١]، ونحو هذا قال المبرد في وجه الانتصاب، إلا أنه لم يجعل في موضع مصدر ﴿يُفْرَقُ﴾ وجعله بمنزلة مصدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ فقال: انتصابه انتصاب المصادر وهو في موضع قولك [ ][٢]. إنزالًا، والأمر اسم مشتمل على جميع الأخبار، والتقدير: إنا أنزلناه أمرًا من عندنا، ونحو هذا قال الأخفش: إنا أنزلناه أمرًا[٣].

وحكى أبو علي الفارسي عن أبي الحسن أنه حمل قوله: ﴿أَمْرًا﴾ على الحال و(ذو الحال)[٤] قوله: ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ وهو نكرة[٥].

قوله تعالى ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ قال المفسرون: يعني محمدًا ﷺ[٦]، وقال صاحب النظم: يعني به الأنبياء.

٦- قوله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ذكر الفراء وأبو إسحاق في انتصاب الرحمة ما ذكرنا في قوله: ﴿أَمْرًا﴾ وزاد وجهًا آخر وهو: أن يكون مفعولًا

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٤، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٩.

(٢) سقط من الأصل لفظ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾. وانظر: قول المبرد في «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٦، و«فتح القدير» ٤/ ٥٧٠.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٩١.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٩١، و«إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٦، ومشكل «إعراب القرآن» لمكي ٢/ ٢٨٧.

(٥) كذا في الأصل وهي غير واضحة، وقد نقل مكي عن الجرمي: هو حال من نكرة، وهو: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ فحسن ذلك لما وصف النكرة بـ﴿حَكِيمٌ﴾.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١١٠، و«الثعلبي» ١٠/ ٩٣ ب، و«البغوي» ٧/ ٢٢٨.

له على تقدير: إنا أنزلناه رحمة، أي: للرحمة[(١)]، وهذا معنى قول صاحب النظم: ﴿رَحْمَةً﴾ نصب على السبب؛ لأنه سبب لما ذكر أنه فعله.

قال ابن عباس: يريد رأفة مني بخلقي[(٢)].

وقال الكلبي: نعمة من ربك بما بعثنا إليهم من الرسل[(٣)].

وقال مقاتل: رحمة من ربك لمن آمن به من المؤمنين .﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لمن دعاه .﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بخلقه. قاله مقاتل[(٤)].

٧- قوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالرفع والخفض، فالرفع على قوله: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وإن شئت على الاستئناف على معنى: هو رب السموات هذا قول الفراء والزجاج[(٥)]، وزاد أبو علي وجهًا آخر فقال: ويكون ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مبتدأ وخبره الجملة التي [عادت][(٦)] الذكر منها إليه، وهو قوله: لا إله إلا هو، ومن خفضه جعله بدلًا من ﴿رَبِّكَ﴾المتقدم ذكره[(٧)].

قوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ قال عطاء والكلبي عن ابن عباس: يريد من الهواء وغير ذلك من خَلْق[(٨)] .﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ بذلك، وهو أنه لا إله

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٩، و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٤.

(٢) ذكره البغوي عن ابن عباس. انظر: تفسيره ٧/ ٢٢٨، ونسبه في «الوسيط» لابن عباس. انظر: ٤/ ٨٦.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٦.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٢٨، و«تفسير مقاتل» ٣/ ٨١٨.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٩، و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٤.

(٦) كذا في الأصل، ولعل الصواب (عاد).

(٧) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٦٥.

(٨) ذكر ذلك في «الوسيط» ولم ينسبه. انظر: ٤/ ٨٦.

غيره، وهذه الآية مفسَّرة في سورة الشعراء [آية: ٢٤].

٩- قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ قال ابن عباس: في ضلال يتمادون[١]، وقال مقاتل: في شك من هذا القرآن يهزؤن به لاهين عنه[٢].

١٠- قوله: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ أي فانتظر، ويقال ذلك في المكروه، والمعنى: انتظر يا محمد عذابهم، فحذف مفعول الارتقاب لدلالة ما ذكره بعده عليه وهو قوله: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ويجوز أن يكون ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ﴾ مفعول الارتقاب[٣].

قوله تعالى: ﴿بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ اختلفوا في معنى الدخان هاهنا، فالأكثرون على أن هذا الدخان كان حين دعا النبي ﷺ على قومه بمكة لما كذبوه فقال: «**اللهم سبعًا كسني يوسف**»[٤] فارتفع القطر، وأجدبت الأرض فأصابت قريشًا شدة المجاعة حتى أكلوا العظام والكلاب والجيف، فكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السماء دخان، وهذا قول عطاء عن ابن عباس[٥] ومقاتل ومجاهد[٦] واختيار الفراء والزجاج وابن منبه، وهو قول ابن مسعود، وكان ينكر أن الدخان إلا هذا الذي أصابهم من شدة

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨١٨.

(٢) انظر: «إملاء ما منَّ به الرحمن» ٢/ ٢٣٠.

(٣) ذكر ذلك في «الوسيط» عن ابن عباس. انظر: ٤/ ٨٦.

(٤) أخرج هذا الحديث البخاري في صحيحه -كتاب التفسير- تفسير سورة الدخان- باب [٢]: يغشى الناس هذا عذاب أليم ٦/ ٣٩، ومسلم -كتاب صفات المنافقين وأحكامهم -باب (٧) الدخان ٣/ ٢١٥٧، والإمام أحمد ١/ ٢٨٠، ٤٢١، ٤٤١.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١١١، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٢٩، ولم أقف على نسبته لابن عباس.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨١٨، و«تفسير مجاهد» ص ٥٩٧.

الجوع، كالظلمة في أبصارهم حتى كانوا يرون دخانًا، فعلى هذا: الدخان هو الظلمة التي في أبصارهم من شدة الجوع[١].

وذكر ابن قتيبة معنيين آخرين أحدهما: أن الجوع يقال له: دخان، ليُبْس الأرض في سنة الجدب، وانقطاع المطر وارتفاع الغبار فيه، فيشبه ما يرتفع منه بالدخان، ولهذا يقال لسنة المجاعة الغبراء، ومنه جوع أغبر، وهذا معنى قول مجاهد في قوله: ﴿بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ قال: الجدب وإمساك القطر عن كفار قريش[٢]. قال: وربما وضعت العرب الدخان موضع الشر إذا علا فيقولون: كان بيننا أمر ارتفع له دخان[٣].

القول الثاني في الدخان: أنه آية من آيات الله مرسلة على عباده قبل مجيء الساعة، فيدخل في أسماع أهل الغي ويعتري أهل الإيمان منه كهيئة الزكام، وهذا قول ابن عباس [والحسين][٤] وابن عمر وعلي[٥]. روى الحارث[٦] عنه أنه قال: الدخان لم يمض بعد يأخذ المؤمنين كهيئة الزكام،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٣٩، و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٤، و«تفسير الطبري» ١٣/ ١١٢، و«الدر المنثور» ٧/ ٤٠٦.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٩٧.

(٣) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٤٠٢، و«مشكل القرآن وغريبه» ٢/ ١٢٥.

(٤) كذا في الأصل وهو تصحيف، والصحيح (الحسن).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١١٣، وتفسير الثعلبي ١٠/ ٩٤ ب، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٢٩، و«زاد المسير» ٧/ ٣٣٩.

(٦) هو الحارث بن قيس الجعفي الكوفي. روى عن ابن مسعود وعلى وعنه خيثمة ويحيى ابن هانئ قال ابن المديني: قتل مع علي، وقال ابن حبان في الثقات: مات الحارث في ولاية معاوية، وصلى أبو موسى على قبره بعد ما دفن. انظر: «تهذيب التهذيب» ٢/ ١٥٤، و«الإصابة» ١/ ٣٧٠.

وينفخ الكافر حتى يَنْقدَّ[١].

١١- قوله تعالى: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ من صفة قوله: (بِدُخَانٍ) والناس على القول الأول في الدخان: أهل مكة. وعلى القول الثاني: عام[٢].

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال الفراء: يراد به ذلك العذاب. قال: ويقال: إن الناس كانوا يقولون لهذا الدخان: عذاب[٣]، وعلى هذا تقدير الكلام يقولون: هذا عذاب أليم، وقال صاحب النظم: (هذا) إشارة إليه وإخبار عن دنوه واقترابه، كما يقال في الكلام: هذا الشتاء فاعدد له، وهذا العدو فاستقبله، على التقريب.

١٢- قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ هذا على ما ذكرنا من التقدير: يقولون هذا عذاب أليم ربنا اكشف، وإن لم يضمروا القول هناك أضمرت هنا، والعذاب قال الكلبي: الجوع والدخان[٤] ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ أي: بمحمد والقرآن.

١٣- قال الله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾، قال ابن عباس: كيف يتعظون، والمعنى أن الله أبعد عنهم الاتعاظ والتذكير بعد توليهم عن محمد وتكذيبهم إياه[٥]. وهو قوله: ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ بين الرسالة لم يكن عندهم بكذاب.

---

(١) أخرج ذلك عبد الرزاق عن علي. انظر: تفسيره ٢/ ٢٠٦، وأورده السيوطي في الدر عن علي، وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٧/ ٤٠٧.

(٢) ذكر ذلك القرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٣١.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٠.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٦.

(٥) ذكر ذلك القرطبي عن ابن عباس. انظر «الجامع» ١٦/ ١٣٢.

١٤- ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ الكلام كله في موضع الحال على تقدير: كيف يتذكرون متولين عن رسول مبين قد جاءهم. ﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾ أي: هو معلم يعلمه بشر.

١٥- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾ التقدير: [كاشفو][1] العذاب لأنه إخبار عما لم يمض، ولكنه خفف بحذف النون كقوله: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] وقد مر. قال المفسرون: يعني عذاب الجوع. ﴿قَلِيلًا﴾. قال مقاتل: يعني: يوم بدر. ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ أي: في كفركم وتكذيبكم[2]، أعلمهم الله أنهم لا يتعظون، وإذا زال عنهم المكروه عادوا في طغيانهم، وهذه الآيات تدل على صحة القول الأول في الدخان[3].

١٦- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ تفسير البطش قد تقدم [الأعراف: ١٩٥]، قال صاحب النظم: التأويل (إِنَّا مُنتَقِمُونَ) (يَوْمَ نَبْطِشُ)، فقوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾ ظرف لقوله: ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ قال أبو إسحاق: ﴿يَوْمَ﴾ لا يجوز أن يكون منصوبًا بقوله: ﴿مُنْتَقِمُونَ﴾ لأن ما بعد ﴿إِنَّا﴾ لا يجوز أن يعمل فيما قبلها، ولكنه منصوب بتقدير: واذكر يوم نبطش البطشة الكبرى[4]، واختلفوا في ذلك اليوم، فالأكثرون على أنه

---

(١) كذا في الأصل وهو تصحيف والصحيح (كاشفون). قال النحاس: (﴿كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾ الأصل كاشفون حذفت النون تخفيفًا. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٧.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨١٩.

(٣) وهو الذي رجحه الطبري في تفسيره ١٣/ ١١٤، وهو ما أصاب قريش من الجهد بدعاء رسول الله ﷺ عليهم.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٥.

يوم بدر، وهو قول ابن مسعود وابن عباس في رواية عطاء والكلبي ومجاهد ومقاتل وابن سيرين وأبي العالية، قالوا: إن كفار مكة لما كشف عنهم الجوع عادوا إلى التكذيب فانتقم الله منهم يوم بدر(١)، وأنا أقول هو يوم القيامة(٢).

وقال أهل المعاني: معنى البطش الأخذ بيده(٣)، وأكثر ما يكون بوقع الضرب المتتابع، وأجري إيقاع الألم المتتابع مجراه.

١٧- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ قال ابن عباس: ابتلينا(٤)، وقال أبو إسحاق: بلونا(٥)، والمعنى: عاملناهم معاملة المختبر ببعث الرسول إليهم، ودعاهم إلى الحق.

قوله: ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ قال ابن عباس وقتادة: يريد موسى(٦)، واختلفوا في معنى الكريم هاهنا، فقال الكلبي: كريم على ربه(٧) يعني: بما

---

(١) أخرج ذلك الطبري عنهم. انظر: «تفسيره» ١٣/ ١١٦، ١١٧، و«تفسير مقاتل» ٣/ ١٩، و«تفسير مجاهد» ص ٥٩٧، و«تفسير الوسيط» ٤/ ٨٧.

(٢) أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس والحسن انظر: تفسيره ١٣/ ١١٧، و«زاد المسير» ٧/ ٣٤٢، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٠٠، و«تفسير الوسيط» ونسبه لابن عباس والحسن. انظر: ٤/ ٨٧

(٣) البطش: تناول الشيء بصولة. انظر: «مفردات الراغب» كتاب الياء ص٥٠.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أجده في «معاني القرآن» للزجاج وقد ذكره البغوي في تفسيره ٧/ ٢٣٠، والسيوطي في «الدر المنثور» ونسبه لابن عباس ٧/ ٤٠٩، وذكره الشوكاني في تفسيره ونسبه للزجاج، انظر: «فتح القدير» ٤/ ٥٧٤.

(٦) أخرج ذلك الطبري عن قتادة. انظر: تفسيره ١٣/ ١١٨، وذكره الماوردي ولم ينسبه ٥/ ٢٤٩.

(٧) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٦.

استحق من الإكرام والإجلال بطاعة ربه.

وقال مقاتل: حسن الخلق[١].

وقال الفراء: يقال: كريم من قومه؛ لأنه قل ما بعث نبي إلا من سر[٢] قومه[٣].

وقال صاحب النظم: معنى هذه الآية على التقديم والتأخير والتقدير، ولقد جاء قوم فرعون رسول كريم وفتناهم؛ لأن الفتنة كانت بعد مجيء الرسول.

١٨- قوله تعالى: ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ قال صاحب النظم: المعنى يقول لهم: أدوا إليَّ، أي: يأمرهم به.

وقال غيره: المعنى وجاءهم رسول بأن أدوا[٤]، فحذف الجار، ويستقيم الكلام من غير تقدير الجار؛ لأنك تقول: أرسلت إليه أن يفعل كذا، وهذا من قول موسى لفرعون وذويه، يقول: ادفع إليَّ بني إسرائيل ولا تعذبهم أي: أطلقهم من عذابك كما قال: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥]. وهذا قول ابن عباس والمفسرين[٥].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٠.

(٢) كذا في الأصل، وفي بعض نسخ معاني الفراء [سرا] والمثبت في معاني الفراء [في شرف قومه] وقال الأزهري في تهذيب اللغة: [سرى] قال ابن السكيت وغيره: يقال: سَرُوَ الرجلُ يَسْرُوُ وسرا يَسرو وسَرِي يَسْرَى: إذا شرُف، انظر: ١٣/ ٥٢.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٠.

(٤) انظر: مشكل «إعراب القرآن» لمكي ٢/ ٢٨٩.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١١٨، و«تفسير الماوردي» ٥/ ٢٤٩، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٣٠.

قال مقاتل: يقول خل سبيلهم فإنهم أحرار فلا تستعبدهم[(١)].

وذكر الفراء والزجاج وجهًا آخر وهو: أن يكون ﴿أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ نصبًا على النداء، ويكون المعنى: أن أدوا إلي ما أمركم الله به يا عباد الله[(٢)].

وذكر الأزهري وجهًا آخر وهو: أن يكون: ﴿أَدُّوٓاْ إِلَىَّ﴾ بمعنى استمعوا إلي، كأنه يقول: أدوا إلي سمعكم أبلغكم رسالة ربكم[(٣)].

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ قال ابن عباس: ائتمنني الله على وحيه[(٤)].

١٩- ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ قال: لا تتجبروا على الله.

وقال قتادة: لا تعتدوا على الله، وقال مقاتل: يريد وحِّدوه[(٥)].

﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة بينة يخضع لها كل جبار، وقال الحسن: لا تستكبروا على الله بترك طاعته، وعن ابن عباس: لا تطغوا بافتراء الكذب على الله[(٦)].

٢٠- قال المفسرون: فلما قال لهم هذا، توعدوه بالقتل[(٧)]، فقال:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٠.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٠، و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٥.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (أدى) ١٤/ ٢٣٠ .

(٤) لم أقف عليه منسوبًا لابن عباس. وانظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٣٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٣٤.

(٥) أخرج الطبري عن قتادة بلفظ: (لا تبغوا على الله). انظر: تفسيره ١٣/ ١١٩، و«تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٠.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١١٩، و«تفسير الماوردي» ٥/ ٢٤٩.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ٩٥ ب، و«تفسير الماوردي» ٧/ ٢٣١، و«تفسير البغوي» ٢٣١، و«تفسير الوسيط» ٤/ ٨٨.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ قالوا: أن تقتلون، قال أبو صالح: ترجمون [بالقتل][(١)] وتقولوا ساحر كذاب[(٢)].

٢١- ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى﴾ أي: لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لأجل برهاني، ولما آتيتكم به من الحجة، فاللام في (لي) لام الأجل[(٣)].

﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾ قال الكلبي: فاتركوني لا معي ولا علي[(٤)]، وقال قتادة: خلوا سبيلي[(٥)]، قال ابن عباس: فاعتزلوا أذاي[(٦)]. وعلى هذا حذف المضاف.

٢٢- قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ قال صاحب النظم: الفاء في: ﴿فَدَعَا﴾ دليل على أنه متصل بخبر قبله لم يذكر، على تأويل أنهم كفروا ولم يؤمنوا، فدعا موسى ربه بأن هؤلاء قوم مجرمون، قال الكلبي ومقاتل: مشركون لا يؤمنون.

٢٣- فأجاب الله دعاءه وأمره أن يسري[(٧)] وهو قوله: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ قال مقاتل: فاستجاب الله له فأوحى إليه أن أسر بعبادي[(٨)] يعني من آمن به من بني إسرائيل .﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه، أعلمه الله

---

(١) كذا في الأصل، وهو تصحيف والصحيح (بالقول).

(٢) أخرج ذلك الطبري عن أبي صالح. انظر: «تفسيره» ١٣/ ١١٩، وذكره الماوردي في «تفسيره» ٥/ ٢٥٠.

(٣) كذا ذكر القرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٣٥.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٧.

(٥) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ١٣/ ١٢٠.

(٦) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٣١، فقد نسبه لابن عباس، وكذلك في «الوسيط» نسبه لابن عباس. انظر: ٤/ ٨٨.

(٧) انظر: «تنوير المقباس» ص ٤٩٧، و«تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢١.

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢١.

تعالى أنهم سيتبعونهم، والمعنى في ذلك أن الله تعالى إنما أمرهم بالسُّرَى ليلًا ليكون سببًا لاتباع فرعون وقومه إياهم، فيكون ذلك الاتباع سببًا للغرق. قاله صاحب النظم.

٢٤- قوله تعالى: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ﴾ وقال أبو عبيدة: أي ساكنًا. وأنشد قول بشر بن أبي خازم:

فإن أَهْلِكْ عُمَيْرُ فَرُبَّ زَحْفٍ يُشبهُ نَقْعُهُ رَهْوًا ضَبَابًا[1]

أي: يشبه نقعه ساكنًا بالضباب، ونحو هذا قال الفراء[2] والمبرد[3] وابن قتيبة[4].

قال الليث: الرَّهْو مشي في سكون[5]. يقال رَهَا يَرْهُو رهوًا فهو رَاهٍ، ومن هذا يقال: عيش راهٍ إذا كان حافظًا وادعًا، وأفعلُ ذلك سهوًا رهوًا، أي ساكنًا بغير تشدد، أبو عبيد عن الأصمعي، يقال لكل ساكن لا يتحرك ساجٍ وراه، والإرْها الإسكان، ومعنى الآية على هذا القول قال الليث: بلغنا أن موسى لما دخل البحر عَجلَ وأَعْجَل أصحابه، فأوحى الله إليه: واترك البحر رهوًا، أي: ساكنًا على [هِينَتِكَ[6]، والرهو من نعت موسى][7]

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٨، و«اللسان» (رها) ١٤/ ٣٤١.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤١.

(٣) انظر: قول المبرد في «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٩.

(٤) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٤٠٢.

(٥) انظر: «كتاب العين» (رهو) ٤/ ٨٣.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (رها) ٦/ ٤٠٣، ٤٠٤ (رها) ٦/ ٣٧٠، و«اللسان» (رها) ١٤/ ٣٦٠ فقد ورد فيهما بنصه.

(٧) كذا في الأصل، وفي «كتاب العين» (والرهو من نعت سير موسى) وأهل التفسير يقولون في قوله تعالى: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ﴾: أي: ساكنًا على هِينةٍ.

وقومه، وليس من نعت البحر، إنما هو كما تقول للرجل: رفقًا، هذا كلامه، وليس بالسائغ في معنى الآية لأنه لم يقل أحد من المفسرين ولا من أهل المعاني أن الرهو من نعت موسى، وأيضًا فإن (اترك البحر) لا يدل على معنى اعبره وجاوزه واقطعه، ومعنى الآية ما ذكره مجاهد وقتادة ومقاتل[(١)].

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿رَهْوًا﴾ قال: ساكنًا هو أي كهيئته بعد أن ضربه، يقول: لا تأمره يرجع، اتركه حتى يدخله آخرهم[(٢)].

وقال قتادة: لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبع فرعون وجنوده فقيل له: (واترك البحر رهوًا) يقول: كما هو طريقًا يابسًا[(٣)]. وقال مقاتل: لما قطعوا البحر قالوا لموسى: اجعل لنا البحر كما كان، فإنا نخشى أن يقطعه فرعون في آثارنا، فأراد موسى أن يفعل ذلك، فقال الله تعالى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ قال: يعني: صفوفًا[(٤)]، فعلى قول مجاهد معناه: اتركه ذا رهو أي: ساكنًا كما هو، وعلى قول قتادة ومقاتل: الرهو بمعنى السكون، إنما الرهو الفرجة بين الشيئين.

قال الأصمعي: [مَرَّ فالج[(٥)] بأعرابي][(٦)] فقال: سبحان الله رهو بين

---

(١) وهو أنهم قالوا يبسًا، أخرج ذلك الطبري عن مجاهد وقتادة ١٣/ ١٢٢، وانظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢١.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ص ٥٩٨، و«تفسير الوسيط» عن مجاهد ٤/ ٨٨.

(٣) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ١٣/ ١٢١.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢١ بلفظ: (يعني صفوفًا ويقال ساكنًا) ولم أتوصل إلى معنى صفوفًا.

(٥) الفلج: الفحج في الساقين، والفلج في الثنيتين. «تهذيب اللغة» (فلج) ١١/ ٨٧.

(٦) كذا لفظها في الأصل وهو تصحيف، والصحيح (ومر بأعرابي فالج). انظر: «تهذيب اللغة» (رها) ٦/ ٤٠٥، وفي اللسان: نظر أعرابي إلى بعير فالج.

سنامين أي: فجوة. فقال: رهى ما بين رجليه أي: فتح[١]، ونحو هذا قال مجاهد فيما روى عنه إسحاق بن عبد الله بن الحارث[٢] قالا: (رهوًا) طريقًا[٣]، يعنون الطريق بين الماء، ونحو هذا قال في رواية الوالبي: سمتًا[٤]، وهو بمعنى: الطريق.

وعبارات المفسرين في تفسير الرهو مختلفة، وذكرنا ما وافق اللغة، قال الربيع: سهلًا[٥]، وقال الضحاك: دمثًا[٦]، وقال عكرمة: يبسًا[٧]، وكل هذا من نعت الطريق الذي أظهره الله في البحر، وكأن ذلك الطريق يجمع هذه الأوصاف، وقال أبو سعيد: الرهو ما اطمأن وارتفع ما حوله[٨].

وقوله: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ﴾ يريد دعه كما فلقته لك؛ لأن الطريق في البحر كان رهوًا بين ملقى البحر، وهذا القول أيضًا من نعت الطريق غير أنه

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (رها) ٦/ ٤٠٥.

(٢) هو إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن كنانة العامري مولاهم، ويقال: الثقفي، وقد ينسب إلى جده، أرسل عن النبي ﷺ، وروى عن أبي هريرة وابن عباس مرسلًا، وذكره ابن حبان في الثقات في التابعين، وأخرج له ابن خزيمة في صحيحه. انظر: «تهذيب التهذيب» ١/ ٢٣٨.

(٣) انظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٥٠، و«الدر المنثور» ٧/ ٤١٠.

(٤) أخرج ذلك الطبري من رواية علي بن أبي طلحة ١٣/ ١٢١، ونسبه الماوردي لابن عباس ٥/ ٢٥٠.

(٥) أخرج ذلك الطبري عن الربيع ١٣/ ١٢١، وذكره الماوردي ٥٨/ ٢٥٠، ونسبه القرطبي للربيع. انظر: «الجامع» ١٦/ ١٣٧.

(٦) أخرج ذلك الطبري عن الضحاك ١٣/ ١٢٢.

(٧) أخرج ذلك الطبري عن عكرمة ١٣/ ١٢٢، ونسبه القرطبي لعكرمة. انظر: «الجامع» ١٦/ ١٣٧.

(٨) انظر: «تهذيب اللغة» (رها) ٦/ ٤٠٦.

يقول: الرهو اسم لطريق مطمئن بين ربوتين وشبه الطريق بين فلقي الماء به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ أخبر الله تعالى موسى أنه يغرقهم ليطمئن قلبه في ترك البحر كما جاوزه.

٢٥- قوله: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ﴾ قال صاحب النظم: كم هاهنا دلالة على الكثرة، ودلت الآية على أنه أغرقهم وأخرجهم من هذه الجنات وما اتصل بها، وهذه الآية وما بعدها مفسرة في سورة الشعراء [آية: ٥٧].

٢٦- قوله تعالى: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ قال مجاهد وسعيد بن جبير: يعني به المنابر هاهنا[(١)]، وقال عطاء: هي منابر كانت بمصر يعظم فرعون عليها[(٢)]، وقال آخرون: هي المجالس الحسنات من مجالس الملوك[(٣)].

٢٧- ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ قال علماء اللغة: نعمة العيش بفتح النون: حسنه وغَضَارته ونعمة الله مَنُّهُ وعطاؤه[(٤)]، وقال المفسرون: وعيش لين رغد كانوا متنعمين[(٥)]، وتفسير الفاكهة قد تقدم في سورة يس [آية: ٥٥].

٢٨- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ قال أبو إسحاق: موضع ﴿كَذَٰلِكَ﴾ رفع على خبر الابتداء المضمر، المعنى: الأمر كذلك[(٦)].

قال الكلبي: كذلك أفعل بمن عصاني[(٧)].

---

(١) أخرج ذلك الطبري عنهما ١٣/ ١٢٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره»، ونسبه لمجاهد وسعيد بن جبير ١٠/ ٩٦ أ.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٢٣، و«تفسير الماوردي» ٥/ ٢٥١.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (نعم) ٣/ ١٠، و«اللسان» (نعم) ١٢/ ٥٨٢.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٢٣، و«الثعلبي» ١٠/ ٩٦ أ، و«الماوردي» ٥/ ٢٥٢.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٦.

(٧) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٣٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٣٩.

قال مقاتل: هكذا فعلنا بهم[١].

٢٩- قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ روى أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد إلا له في السماء بابان باب يخرج منه ويرزق، وباب يدخل فيه عمله فإذا مات فقداه وبكيا عليه**»[٢] وتلا هذه الآية، قال: وذلك أنهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملًا صالحًا يبكي عليهم ولم يصعد لهم إلى السماء كلام طيب ولا عمل صالح فيبكي عليهم، وهذا قول جميع المفسرين ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل وقتادة، قالوا: لم تبك عليهم مصاعد أعمالهم على السماء، ولا مواضع سجودهم[٣] من الأرض.

وقال مجاهد: ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحًا[٤]، فقلت له: أتبكي؟ فقال: أو تعجب!! وما للأرض لا تبكي

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٢.

(٢) أخرج ذلك الترمذي في سننه كتاب التفسير باب (٤٦) ومن سورة الدخان، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة ويزيد بن إبان الرقاشي يضعفان في الحديث ٥/ ٣٨٠، وأخرجه الثعلبي في تفسيره عن أنس ١٠/ ٩٦ ب، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٨/ ٣٢٧، والخطيب في «تاريخ بغداد» ١١/ ٢١٢، وأخرجه أبو يعلى في مسنده عن أنس. انظر: ٧/ ١٦٠، وأشار محقق المسند إلى ضعفه، وذكره أيضًا ابن حجر في «المطالب العالية» وعزاه إلى أبي يعلى وقال إسناده: ضعيف، انظر: «المطالب العالية» ٣/ ٣٦٩.

(٣) أخرج ذلك الطبري عنهم، انظر: تفسيره ١٣/ ١٢٥، و«تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٢، وكذا رسمها في الأصل ولعل المراد (إلى السماء).

(٤) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد، انظر: تفسيره ١٣/ ١٢٥، ونسبه ابن كثير لمجاهد، انظر: «تفسيره» ٦/ ٢٥٤، ونسبه في «الوسيط» لمجاهد، انظر: ٤/ ٩٠.

على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود، وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه فيها دوي كدوي النحل[١]، وهذا قول ثان لأنه لم يخص موضعًا منهما بالبكاء كما خص الأولون.

وذكر أهل المعاني في هذا قولين آخرين أحدهما: أن التقدير: أهل السماء والأرض، فحذف المضاف والمعنى: ما بكت عليهم الملائكة ولا المؤمنون، بل كانوا بهلاكهم مسرورين، والثاني: أن العرب تقول في هذا كالرجل العظيم الشأن، أظلمت له الشمس، وكسف القمر لفقده، وبكته الريح والبرق والسماء والأرض، يريدون المبالغة في وصف المصيبة وأنها قد شملت وعمت، وليس ذلك بكذب لأنهم جميعًا متواطئون عليه، والسامع له يعرف مذهب القائل فيه ونيتهم في قولهم: أظلمت الشمس، كادت تظلم، وكذلك في سائر الألفاظ التي يقصدون بها التعظيم والاستقصاء في الصفة. ومعنى الآية: أن الله تعالى حين أهلك فرعون وقومه وأورث منازلهم وجناتهم غيرهم لم يبك عليهم باك ولم يجزع جازع ولم يوجد لهم فَقْد، ولو كانت السماء والأرض ممن تبكي لم تبك على هؤلاء لاستحقاقهم العقوبة والهلاك، والقولان: ذكرهما ابن قتيبة[٢] وغيره.

---

(١) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره ٦/ ٢٥٤، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لعبد ابن حميد وأبو الشيخ، انظر: «الدر» ٧/ ٤١٢.

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص ١٢٦، و«معاني القرآن» للزجاج ٦/ ٤٠٥، و«تفسير الماوردي» ٥/ ٢٥٢، و«زاد المسير» ٧/ ٣٤٥، و«الزاهر» لابن الأنباري ١/ ٢٨٤.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ لم يُنْظَروا حين أَخْذِهم لتوبة ولا لغيرها قاله: ابن عباس وغيره[١].

٣٠- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيَ إِسْرَاءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ يعني قتل الأبناء واستخدام النساء والتعب في العمل.

٣١- ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ هذا مُكررَةٌ على قوله: ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي: نجيناهم من العذاب ونجيناهم من فرعون[٢] ويجوز أن يكون ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ من صلة العذاب[٣] والمعنى: من العذاب الذي كان يلحقهم من جهة فرعون.

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: كان عاليًا على عباد الله من المشركين والمعنى: كان جبارًا عاصيًا من المشركين ونحو هذا رواه الكلبي عنه[٤] والعالي: إذا أطلق كان صفة مدح، وهاهنا مقيد بأنه عال في الإسراف، والعالي في الإحسان صفة مدح، والعالي الإساءة صفة ذم[٥].

٣٢- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يعني: بني إسرائيل على علم علمه الله فيهم (عَلَى الْعَالَمِينَ) على عالمي زمانهم، قاله ابن عباس والكلبي ومقاتل[٦] وقتادة والجميع، قال مجاهد: فضلناهم على

---

(١) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ٧/ ٢٣٢ ولم ينسبه، وذكره في «الوسيط» ولم ينسبه، انظر: ٤/ ٩٠.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٢٦، و«الثعلبي» ١٠/ ٩٦ ب، و«البغوي» ٧/ ٢٣٢.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٣١.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٢٦، و«تنوير المقباس» ص ٤٩٧.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٤٢.

(٦) انظر: قول مقاتل في تفسيره ٣/ ٨٢٢، وانظر: «تنوير المقباس» ص ٤٩٧، =

من هم بين ظهرانيه[١].

قال أهل المعاني: ويدل على هذا التخصيص قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ الآية [آل عمران: ١١٠] هذا مقتضى أنه ما اختارهم على من هو خير منهم، وإنما اختارهم على من في وقتهم من العالمين[٢].

٣٣- قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْأَيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾ أكثر المفسرين على أن البلاء المبين معناه النعمة البينة الظاهرة، وعنى بالآيات فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى والتوراة، وغير ذلك من النعم التي أنعمها الله عليهم، وهذا قول مجاهد ومقاتل والكلبي[٣] وغيرهم، [وهذا ذهب][٤] آخرون إلى أن معنى البلاء هاهنا الاختبار والتجربة[٥] فذكر ابن عباس[٦] في رواية عطاء في هذه الآية أنه أراد بالبلاء المبين: السلسلة التي كانت في زمان داود وقصتها مشهورة. قال: ويريد الساريتين اللتين من دنا

= و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٤٢.

(١) أخرج الطبري قولي قتادة ومجاهد في «تفسيره» ١٣/ ١٢٧، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٦/ ٢٥٥.

(٢) هذا قول ابن جرير الطبري، انظر: «تفسيره» ١٣/ ١٢٧، وابن كثير في «تفسيره» ٦/ ٢٥٥ والزجاج في «معاني القرآن» ٤/ ٤٢٧، والنحاس في «إعراب القرآن» ٤/ ١٣٢.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٢٧، و«تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٣، و«تفسير الماوردي» ٥/ ٢٥٤ و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٣٣.

(٤) كذا في الأصل ولعل الصواب (هذا وذهب).

(٥) انظر: «الكشاف» للزمخشري ٣/ ٤٣٣، و«فتح القدير» للشوكاني ٤/ ٥٧٦، و«روح المعاني» للألوسي ٢٥/ ١٢٦.

(٦) لم أقف عليه.

يدخل بينهما فإن اعترف أخرج فرجم، وإن لم يعترف [النصاعليه فتعلناه][١] ويعمل الرجل الذنب فيصبح يجده مكتوبًا على بابهن وأمور كثيرة.

٣٤-٣٥- ثم رجع إلى ذكر كفار مكة فقال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ ۝٣٤ إِنْ هِيَ﴾ إضمار على شريطة التفسير، وقد تقدمت نظائره[٢] ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: ما الموتة إلا موتة نموتها في الدنيا ثم لا نبعث، وهو قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ أي: بمبعوثين.

٣٦- ﴿فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ الذين ماتوا[٣] أي: ابعثوهم لنا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنا نُبْعث بعد الموت، قال الفراء: يخاطبون النبي ﷺ وحده وهو كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١] ومنه قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾[٤] [المؤمنون: ٩٩].

٣٧- ثم خوفهم الله مثل عذاب الأمم الخالية، فقال: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وهذا استفهام إنكار أي: ليسوا خيرًا منهم، بمعنى أقوى وأعتى وأشد منهم، قال ابن عباس: (أهم خير) يريد أشد[٥]، قال أبو عبيدة:

---

(١) كذا رسمها في الأصل، ولعل المعنى: (التصقتا عليه فقتلتاه).

(٢) كقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩].

(٣) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٣٣، و«زاد المسير» ٧/ ٣٤٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٤٤.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٢.

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ولم ينسبه ٥/ ٢٥٥، وذكره الزمخشري ونسبه لابن عباس، انظر: «الكشاف» ٣/ ٤٣٤.

ملوك اليمن كان كل واحد منهم يسمى تبعًا؛ لأنه يتبع صاحبه، والظل يسمى تبعًا؛ لأنه يتبع الشمس، وموضع تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الإسلام، وهم ملوك العرب الأعاظم(١) وأنشد فقال:

أو لا يقولُ اللهُ في آياتِه والله يوحي ما يشاء وينزل
أنتم كتُبَّع أو كسائِرِ قَوْمِهِ بل قومُ تبَّعٍ في الفضائل أفْضَلُ(٢)

وأنشد قول متمم:

وعِشْنَا بخيرٍ في الحَيَاةِ وقَبْلَنَا أَصَابَ المَنَايَا رَهْط كِسْرًا وتُبَّعا

وقالت عائشة رضي الله عنها: "كان تبع رجلًا صالحًا"(٣).

وقال كعب: ذَمَّ الله قومه ولم يذمَّه(٤)، قال وهب: نهى رسول الله ﷺ عن سب أسعد وهو تبع، وكان على دين إبراهيم(٥).

وقال الكلبي: وهو أبو كرب أسعد بن ملكيكرب(٦)، وتبع اسم الملك منهم كفرعون وك هامان.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٩.

(٢) لم أقف على قائل هذين البيتين.

(٣) أخرجه الحاكم عن عائشة، وقال: حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، انظر: المستدرك كتاب التفسير ٢/ ٤٥٠، وأخرجه الطبري عن عائشة ١٣/ ١٢٨، ونسبه البغوي لعائشة، انظر: «تفسيره» ٧/ ٢٣٤، ونسبه في «الوسيط» لعائشة، انظر: «تفسير الوسيط» ٤/ ٩١.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٢٩، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٣٤، و«زاد المسير» ٧/ ٣٤٨، و«الجامع لأحكام القرآن» عن كعب ١٦/ ١٤٦.

(٥) ذكر ذلك السيوطي في «الدر المنثور» ٧/ ٤١٥، وعزاه لابن المنذر وابن عساكر.

(٦) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٣٣، و«تنوير المقباس» ص ٤٩٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٤٦.

٣٨- قوله تعالى: ﴿لَٰعِبِينَ﴾ قال مقاتل: لم يخلقهما عابثين لغير شيء[١].

٣٩- قوله: ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ قال الكلبي والفراء: أي: للحق[٢].

وقال أبو إسحاق: أي: لإقامة الحق[٣].

قال ابن عباس: يريد: للثواب والعقاب[٤] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: يريد المشركين.

٤٠- ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ قال ابن عباس: يريد: يوم يفصل الرحمن بين العباد وهو يوم القضاء[٥]، ﴿مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يريد: البر والفاجر، قال مقاتل: ميعادهم أجمعين، يوافي يوم القيامة الأولون والآخرون.

٤١- ثم نعت ذلك اليوم فقال[٦]: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد قريبًا من قريب[٧]، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٤.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص ٤٩٧، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٢.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٧.

(٤) ذكر هذا المعنى البغوي في تفسيره ولم ينسبه. انظر: ٧/ ٢٣٥.

(٥) ذكر البغوي في تفسيره هذا المعنى ولم ينسبه. انظر: ٤/ ٢٣٥، وكذلك ورد من غير نسبة في «تفسير الوسيط» ٤/ ٩١.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٤.

(٧) ذكر ذلك البغوي ولم ينسبه. انظر: «تفسيره» ٧/ ٢٣٥، ونسبه ابن الجوزي لمقاتل، انظر: /٣٤٨، وذكره السمرقندي في «تفسيره» ولم ينسبه. انظر: ٣/ ٢٢٠، والقرطبي ولم ينسبه ١٦/ ١٤٨.

لا ينصر المؤمن الكافر لقرابته، ولا يغني عنهم شيئًا، والمراد بقوله: ﴿مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾ الكفار، ألا ترى أنه ذكر المؤمن فإنه يشفع له، وقال الكلبي: استثنى الله المؤمنين، فإنه يشفع بعضهم في بعض(١)، وعلى هذا موضع ﴿مَن﴾ نصب لأنه استثناء منقطع عن أول الكلام، يريد اللهم إلا ﴿مَن رَّحِمَ﴾ ويجوز أن يكون قوله: ﴿مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾ على العموم، ثم استثنى المؤمنين فقال:

٤٢- ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ فيكون: ﴿مَن﴾ في موضع رفع كما تقول: لا يقوم أحدٌ إلا فلان، والمعنى: لا يغني قريب إلا المؤمن، والوجهان في الاستثناء ذكرهما الفراء(٢)، وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قال مقاتل: العزيز في نقمته من أعدائه الذين لا شفاعة لهم، الرحيم بالمؤمنين الذين استثنى في هذه الآية(٣).

٤٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ قد تقدَّم تفسيره في سورة الصافات [آية: ٦٢].

٤٤- قوله تعالى: ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ قال ابن عباس: يريد طعام أبي جهل، وهو قول مجاهد ومقاتل(٤)، وقال الكلبي: الأثيم: الفاجر، وهو هاهنا الوليد بن المغيرة المخزومي(٥)، والأثيم: معناه: ذو الإثم، يقال:

(١) انظر: «تنوير المقباس» ص ٤٩٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٢، و«تفسير الطبري» ١٣/ ١٣٠.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٤.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ٩٧ ب، و«تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٤، وذكره البغوي ولم ينسبه، انظر: ٧/ ٢٣٦.

(٥) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٢٢٠، و«تنوير المقباس» ص٤٩٨.

أثم يأثم إثمًا، فهو أثِمٌ وأثيم[١].

٤٥- قوله: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ سبق تفسيره في سورة الكهف [آية: ٢٩]، وقد شَبَّه الله تعالى هذا الطعام بالمهل وهو: دردي الزيت وعكر القطران على ما ذكره المفسرون[٢] كما سبق بيانه [الكهف: ٢٩]، وتم الكلام هاهنا ثم أخبر عن غليانه في بطون الكفار فقال[٣]: ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ وقرئ: (يغلي) بالياء فمن قرأ بالتاء فلتأنيث الشجرة، ومن قرأ بالياء حَمَلَه على الطعام في قوله: ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ لأن الطعام هو الشجرة في المعنى، ألا ترى أنه خبرُ الشجرة، والخبر في المعنى إذا كان مفردًا هو المبتدأ، واختيار أبي عبيد الياء قال: لأن الاسم المذكر يعني: المهل هو الذي يلي الفعل، فصار أَوْلى به للتذكير وللقرب وكذلك في قوله: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ﴾ [آل عمران: ١٥٤] و﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم﴾ [الأنبياء: ٨٠] و ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧] يختار الياء في هذه الآيات[٤].

قال أبو علي: لا يجوزُ أن يحمل الغلي على المهل؛ لأن المهل لا يغلي في البطون إنما يغلي ما شبه به[٥]، وأما سائر الآيات التي ذكرها فالياء والتاء فيها سواء لأن كل واحد مما فيها هو الآخر، فالنطفة والمني سواء.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (أثم) ١٥/ ١٦٠، و«المفردات» للراغب (أثم) ص١٠.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٢٤٠، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٣٠٣، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٣٦.

(٣) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس ص٦٥٦.

(٤) أورد النحاس اختيار أبي عبيد في «إعراب القرآن» ولم يؤيده بل رده كما رده وضعفه أبو علي الفارسي، انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٣٤.

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٦٦، و«المسائل العضديات» ص١١٦.

٤٦- قوله تعالى: ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ قال ابن عباس: الماء إذا اشتد غليانه فهو حميم[١].

٤٧- قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾ أي: يقال للزبانية: خذوه يعني: الأثيم فاعتلوه، قُرِئ بكسر التاء، قال الليث: العتل أن تأخذ بتَلْبيب الرجل فتعتله أي: تجرّه إليك وتذهب به إلى حَبْس أو بلية[٢]، وأخذ فلان بزمام الناقة فعتلها، وذلك إذا قبض على أصل الزمام عند الرأس وقادها قودًا عنيفًا.

وقال ابن السكيت: عَتَلْته إلى السجن، وعَتَنْتهُ فأنا أَعْتُلُهُ وأعْتِنه[٣] إذا دَفَعْته دفعًا عنيفًا[٤]، وهذا معنى قول جميع أهل اللغة في معنى العتل[٥] وذكروا اللغتين ضم التاء وكسرها وهما صحيحان[٦] مثل: ﴿يَعَكُفُونَ﴾ و﴿يَعْكِفُونَ﴾ و﴿يَعْرِشُونَ﴾ و﴿يَعْرُشُونَ﴾. وأنشدوا للفرزدق فقال:

لَيْسَ الكِرَامُ بِنَاحِلِيكَ أَبَاهَمُ ... حتى تُرَدَّ إلى عَطِيَّةَ تُعْتَلُ[٧]

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٣٣، وقد ذكر المعنى ولم ينسبه، كما ذكره من غير نسبة كل من البغوي في تفسيره ٧/ ٢٣٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٤٩.

(٢) انظر: «كتاب العين» (عتل) ٢/ ٦٩.

(٣) في «تهذيب اللغة» زيادة لفظ: (وأَعْتُنُه) ٢/ ٢٧٠.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (عتل) ٢/ ٢٧٠.

(٥) انظر: «جمهرة اللغة» (تلع) ٢/ ٢١، و«مقاييس اللغة» (عتل) ٤/ ٢٢٣، والصحاح (عتل) ٥/ ١٧٥٨، و«اللسان» (عتل)١١/ ٤٢٣، و«المفردات» للراغب (عتل) ص ٣٢١.

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتُلُوهُ﴾ بضم التاء، عبيد عن أبي عمرو: ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ و﴿فاعْتُلُوه﴾ بالكسر والضمّ جميعًا، وقرأ الباقون: ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ بالكسر، انظر: «السبعة» لابن مجاهد ص ٥٩٢، ٥٩٣، و«الحجة» لأبي علي ٦/ ١٦٥.

(٧) انظر: «ديوانه» ص ٧٢٢، و«تفسير الطبري» ١٣/ ١٣٣.

وقال أبو إسحاق: المعنى: يا أيها الملائكة خذوه فاعتلوه[(١)].

قال مجاهد ومقاتل: ادفعوه على وجهه[(٢)]، وقال الكلبي: سوقوه إلى سواء الجحيم قال: وسط الجحيم[(٣)]، كقوله: ﴿فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥].

٤٨- ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ﴾ قال مقاتل: يعني: أبا جهل، وذلك أن مالكًا خازن جهنم يضربه ضربة على رأسه بمَقْمع من حديد فيثقب رأسه عن دماغه فيجري دماغه على جسده ثم يصب الملك فيه ماء حميمًا قد انتهى حَرُّه فيقع في بطنه، فيقول الملك: ذق العذاب[(٤)] فذلك قوله: ﴿ذُقْ﴾ ونحو هذه الآية قوله: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩] قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ قال عكرمة والكلبي: التقى النبي ﷺ وأبو جهل فقال له النبي ﷺ: «**إن الله أمرني أن أقول لك** ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾» [القيامة: ٣٤] "فقال: يامحمد بأي شيء تهددني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئًا إني لمن أعز هذا الوادي وأكرمه على قومه، فقتله الله يوم بدر وأذله وعيره بكلمته وأنزل هذه الآية[(٥)]، وهذا قول أهل التفسير قالوا: إنه كان يقول أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم، فيقول له الملك: ذق العذاب أيها المتعزز المتكرم، يوبخه ويصغره[(٦)]. قال أبو إسحاق:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٨.

(٢) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد ١٣/ ١٣٣، وانظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٥.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٨. (٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٥.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٤٩٨، و«الدر المنثور» ٧/ ٤١٨، وأخرج الطبري نحوه عن قتادة ١٣/ ١٣٤، ونسبه القرطبي لعكرمة، انظر: «الجامع» ١٦/ ١٥١.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ٩٨ أ، و«تفسير الماوردي» ٥/ ٢٥٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٥١، و«تفسير الوسيط» ٤/ ٩٢.

المعنى: ذق هذا العذاب، إنك أنت القائل: أنا العزيز الكريم[١].

وقال أبو علي الفارسي: المعنى: إنك أنت العزيز الكريم في زعمك وفيما تقوله، فأجري ذلك على حسب ما كان يذكره أو يُذْكَر به ومثله قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٧٤] أين شركائي فيما تفترون وتدعون، وهذا كما روي أن زهرة اليمن[٢] قال في جرير:

أَبْلِغْ كُلَيْبًا وأَبْلِغْ عَنْكَ شَاعِرَهَا ... أَنِّي الأَعَزُّ وأَنِّي زَهْرةُ الْيَمَنِ[٣]

فأجابه جرير:

أَلَمْ تَكُنْ في وُسُومٍ قد وَسَمْتُ بها ... مَنْ حَانَ مَوْعِظَةٌ يا زَهْرةَ اليَمَنِ[٤]

أي: زهرة اليمن فيما تقول، وكذلك أبو جهل كان يقول إنه أعز الوادي وأمنعهم. فعلى ما كان يقول جاء في التنزيل حكاية، ونحو هذا قال صاحب النظم قال: هذا على وجه المعارضة والتبكيت، ودلالة على أنه أخبر أنه قال في الخطاب أنا العزيز الكريم، وهو شبيه بقول الكفار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] كأنه لما قال لهم أنزل عليَّ الذكرُ من الله عارضوه بهذا كالمستهزئين به، كذلك يستهزأ بأبي جهل ويوبخ بما زعم وادَّعى به، وليس كذلك.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٨.

(٢) لم أقف على ترجمته.

(٣) ورد هذا البيت في «الحجة» لأبي علي ٦/ ٤٦٧، و«المسائل الحلبيات» ص ٨٢، و«الخصائص» لابن جني ٢/ ٤٦٣، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٤٠٥، و«الدر المصون» ٦/ ١١٨، و«تفسير ابن عطية» ١٤/ ٣٠٠.

(٤) انظر: «ديوان جرير» ص ٤٣٠، حان: هلك، الوسوم: جمع وسم وهو أثر الكي ويريد به هنا أذى هجائه، والشاهد قوله: (يا زهرة اليمن) أي: يا من قال إني زهرة اليمن، ولست عندي كذلك، والذي في الديوان: يا حارث اليمن.

وقال بعض أهل المعاني: هذا على معنى النقيض، كأنه قيل إنك أنت الذليل المهان[١]، وهذا كما خاطب قوم شعيبًا: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧] يعنون السفيه الجاهل، وقد مر، وقرأه العامة (إنك) بكسر الألف على الابتداء، وقرأ الكسائي بالفتح على معنى: ذق بأنك، أي: هذا القول الذي قلته في الدنيا، قاله الفراء وأبو علي[٢]، وعلى هذا الواقع عليه يضمر على تأويل: ذق العذاب، وكذلك هو في قراءة العامة[٣].

وقال صاحب النظم: من فتح الهمزة كان قوله: ﴿ذُقْ﴾ واقعًا على تأويل: ذق، وقال هذا القول وجزاؤه[٤]، وقال مقاتل: فلما ذاق العذاب قال الملك الخازن: إن هذا العذاب ما كنتم به تمترون يعني: تشكون في الدنيا أنه غير كائن والمعنى تكذبون به[٥]، كقوله: ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١] وقد مر قبل.

٥١-٥٢- ثم ذكر مستقر المتقين فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ قال ابن عباس: يريد: أصحاب النبي ﷺ في خلود دائم[٦]، وعلى هذا المعنى: أنهم قد أمنوا الشخوص، وقال مقاتل: أمينٍ

---

(١) انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي ٢/ ٢٩١.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٣، و«الحجة» لأبي علي ٦/ ١٦٧.

(٣) انظر: كتاب «السبعة في القراءات» لابن مجاهد ص ٥٩٣، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢/ ٢٦٥٨، و«تحبير التيسير» لابن الجزري ص ١٧٩، و«الدر المصون» ٦/ ١١٨.

(٤) يظهر أن فيه سقطًا ولكن كتاب «نظم القرآن» مفقودًا، ولم أتوصل إلى النص فيما لدي من مراجع.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٥.

(٦) لم أقف عليه.

من الموت[١]. وقال الضحاك: أمنوا أن يموتوا وأن يعروا وأن يجوعوا[٢].

وقد جمع أبو إسحاق هذه الأشياء فقال: قد أمنوا فيه الغِيَر[٣]، وقرأه العامة (مقام) بفتح الميم يراد به المجلس والمشهد، ووصفه بالأمن يقوي أنه يراد به المكان، ووصف بالأمن كما يوصف بالخوف، [وقرأ عامر][٤] ونافع بضم الميم، فيحتمل أن يراد به المكان من أقام، فيكون على هذا معنى القراءتين واحدًا، وقد يجوز أن يجعله مصدرًا ويقدر المضاف محذوفًا على تقدير في موضع إقامة[٥].

٥٣- قوله: ﴿مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ مر تفسيره في سورة الكهف [آية: ٣١].

قوله: ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ أي: لا يرى بعضهم قفا بعض ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما وصفنا يكون حالهم والمعنى: الأمر كذلك الذي ذكرنا ووصفنا.

٥٤- قوله: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجًا كما يزوج النعل بالنعل، جعلناهم اثنين اثنين[٦]، وقال يونس: أي: قرناهم بهن[٧]، وليس من عقد التزويج، والعرب لا تقول: تزوجت بها، إنما يقولون: تزوجتها، والتنزيل يدل على ما قال يونس، وذلك قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧] ولو كان على تزوجت بها،

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٥.

(٢) ذكر ذلك السيوطي في «الدر المنثور» ٧/ ٤٢٠، وعزاه لابن أبي شيبة عن الضحاك.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٨.

(٤) كذا في الأصل ولعل الصواب: (وقرأ ابن عامر). انظر: «الحجة» ٦/ ١٦٧، و«الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٦٥.

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٦٧، ١٦٨، و«الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٢٦٥.

(٦) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٩.

(٧) انظر: «الصحاح» (زوج) ١/ ٣٢٠.

لكان زوجناك بها، قال ابن سلام وقال أبو البيداء تميم[١]: تقول تزوجت امرأة وتزوجت بامرأة، وحكى الكسائي أيضًا: زوجنا بامرأة، وزوجناه امرأة، ولا يبعد أن يكون قوله (زوجناكها) على أنه حذف الحرف فوصل الفعل، وذكره الأزهري تقول العرب: زوجت امرأة، وتزوجت امرأة، وليس من كلامهم: تزوجت بامرأة[٢].

وقال الفراء: هي لغة في أزد شنوءة[٣] هذا كلامه، وقول أبي عبيدة حسن لأنه جعل قوله: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ من التزويج الذي هو بمعنى: جعل الشيء زوجًا، لا بمعنى عقد النكاح، ومن هذا يجوز أن يقال: كان فردًا وزوجته بآخر، كما يقال شفعته بآخر، فإنما يمتنع الباء عند من يمتنع إذا كان بمعنى التزويج، ونحو هذا قال الأخفش في هذه الآية: جعلناهم أزواجًا بالحور[٤].

وقال مجاهد: أنكحناهم الحور العين التي يحار فيها الطرف، باديًا مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمِرْآة، من رقة الجلد وصفاء اللون[٥]، وقال قتادة: بجَوَارٍ بيض[٦].

---

(١) لم أهتد إلى ترجمته.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (زاج) ١/ ١٥٢ بلفظ: تقول العرب زوجته، و«اللسان» (زوج) ٢/ ٢٩٣.

(٣) انظر: قول الفراء في «تهذيب اللغة» (زاج) ١١/ ١٥٢، ولم أقف عليه في معاني الفراء.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٩١.

(٥) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد ١٣/ ١٣٦، وانظر: «تفسير مجاهد» ص٥٩٨، ونسبه ابن حجر في «تغليق التعليق» لمجاهد، انظر: ٤/ ٣١٠.

(٦) ذكره الطبري بلفظ: (بيض عين)، ونسبه لقتادة، انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٣٦، وقال القرطبي: الحور: البيض في قول قتادة والعامة، انظر: «الجامع» ١٦/ ١٥٢.

وقال ابن عباس: الحور في لغة العرب: البيض[١].

وقال مقاتل: الحور: البيض الوجوه، العين: الحسان الأعين[٢].

وأصل الحور البياض والتحوير التبييض، وذكرنا ذلك في تفسير الحوريين، وعين حوراء، إذا اشتد بياضُها، واشتد سوادُ سوادها، ولا تسمى المرأة [حمراء][٣] حتى تكون مع حور عينيها بيضاء لون الجسد[٤].

وقال أبو عبيد: الحوراء: الشديدة بياض العين الشديدة سوادها[٥]، و(العين) جمع عَيْناء، وهي: العظيمة العينين من النساء، قال اللحياني: إنه لأعين، إذا كان ضخم العين واسعها، والأنثى عيناء، [والجمع عين عينًا][٦]، ويدل على أن المراد بالحور في هذه الآية البيض، قراءة ابن مسعود: بعيس عين[٧]، والعيس: البيض.

قال الحسن: الحور العين، عجائزكم ينشئهن الله خلقًا آخر[٨]، وقال

---

(١) ذكر ذلك الألوسي ونسبه لابن عباس والضحاك وغيرهما، انظر: «روح المعاني» ٢٥/ ١٣٥، ونسبه القرطبي لقتادة والعامة، انظر: «الجامع» ١٦/ ١٥٢.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٦.

(٣) كذا في الأصل وهو تصحيف والصحيح (حوراء).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (حار) ٥/ ٢٢٩.

(٥) انظر: اللسان (حور) ٤/ ٢١٨، وغريب الحديث لأبي عبيد (حور) ١/ ٢١٧.

(٦) كذا في الأصل وفي «تهذيب اللغة»: (والجميع منها عين). انظر: قول اللحياني في «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٠٦.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٣٦، و«معاني القرآن» للزجاج ٦/ ٤١٦، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٤، و«المحتسب» لابن جني ٢/ ٢٦١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٥٢.

(٨) لم أقف عليه.

أبو هريرة: لسن من نساء الدنيا[(١)].

٥٥- قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ قال ابن عباس: قد أمنوا الموت والأسقام والأوجاع والتخم[(٢)].

٥٦- قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال أهل المعاني: جعل الموت في مقاساة الآلام والأسباب التي يحدث عندها الموت، كالطعام الذي يكره ذوقه، فلذلك استعير له الذوق وهو في الحقيقة عَرَض لا يذاق[(٣)].

فإن قيل: أليس أهل النار لا يموتون، فلم بشر أهل الجنة بهذا مع مشاركة غيرهم في هذا المعنى؟ قيل: إن أهل الجنة في حياة هنيئة بشارتهم بالخلود تزيدهم سرورًا وقرة عين، وأهل النار يموتون موتات كثيرة بما يقاسون من الشدة، وانتفاء الموت عنهم يزيدهم حسرةً وشدة وَجْد[(٤)].

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال ابن عباس: يريد: التي كانت في الدنيا[(٥)]، وقال مقاتل: يعني: المرة الأولى التي كانت في الدنيا[(٦)].

قال أبو إسحاق: المعنى: لا يذوقون فيها الموت البتة سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، وهذا كما قال[(٧)] ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه وذكر الثعلبي ١٠/ ٩٨ ب، عن قتادة: آمنين من الموت والأوصاب والشيطان، ونسبه البغوي ٧/ ٢٣٧، لقتادة، ونسبه القرطبي ١٦/ ١٥٤ لقتادة.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ص ٤١٧، ٤١٨.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٦.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٨.

ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ﴾ [النساء: ٢٢] أي: سوى ما قد سلف، ونحو هذا قال الفراء قال: ومثله في الكلام: لك عندي ألف إلا مالك عندي من قِبَلِ فلان، ومعناه: سوى مالك علي من قِبَلِه، قال: (وإلا) قد تكون حظًا مما قبلها وقد تكون زيادة عليه، فالحط كقولك: لك علي ألف إلا مائة، والزيادة كالتي في هذه الآية فهو زيادة على ما قبل، إلا كما ذكرنا في المثال من الكلام[١].

وقال بعض أهل المعاني: (إلا) بمعنى: بعد، أي: بعد الموتة الأولى، وقيل (إلا) بمعنى: لكن، كأنه قيل: لكن الموتة الأولى[٢]، وقد ذاقوها، وذكر ابن قتيبة وجهًا حسنًا فقال: إنما استثنى الموتة الأولى وهي في الدنيا، من موت في الجنة؛ لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله وقدرته إلى أسباب من أسباب الجنة، فيلقون الروح والريحان، ويرون منازلهم من الجنة، وتفتح لهم أبوابها، فإذا ماتوا في الدنيا فكأنهم ماتوا في الجنة لا تصالهم بأسبابها ومشاهدتهم إياها، فجاز أن يستثني الموتة الأولى من مكانهم في الجنة[٣].

٥٧- قوله: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَۚ﴾ قال الفراء والزجاج: المعنى: فعل ذلك ربهم فضلًا وتفضلًا منه[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٤.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٣، فقد ذكر أنها تأتي بمعني بعد، وذكر القرطبي المعنيين. انظر: «الجامع» ١٦/ ١٥٤، وانظر: «غرائب التفسير وعجائب التأويل» للكرماني ٢/ ١٠٨٠.

(٣) انظر: مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ١/ ٢١٥ (بتصرف).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٤، و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٢٩.

٥٨- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ قال مقاتل: يعني القرآن يقول هوناه على لسانك[١]، قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لكي يتعظوا فيؤمنوا به فلم يؤمنوا به، يقول الله لنبيه: ﴿فَارْتَقِبْ﴾ يعني: فانتظرهم[٢] العذاب فإنهم ﴿مُّرْتَقِبُونَ﴾ منتظرون هلاكك ويقال: فانتظر الفتح والنصر عليهم، إنهم ينتظرون غلبتك وقهرك[٣].



---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٢٦.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب (فانتظر لهم).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٣٩، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٣٧.

سورة الجاثية

تفسير سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٢- قوله: ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ قال صاحب النظم: هذا فصل يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون مبتدأ وخبرًا، فيكون قوله ﴿حم﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿تنزيل الكتاب﴾ خبرًا له، ويكون قوله: ﴿إن في السموات﴾ مبتدأ آخر، والثاني: أن يكون قوله: ﴿حم﴾ قَسَمًا، وقوله: ﴿تنزيل الكتاب﴾ نعتًا له على إضمار[1] (هو) كما تقول في الكلام: والله هو الرحمن الرحيم إنك لظالم، فيكون جواب القسم قوله تعالى:

٣- ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال مقاتل: إن في خلق السموات والأرض - وهما خلقان عظيمان[2]- ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وعلى هذا يقدر المضاف، واختاره الزجاج قال: ويدل عليه قوله: وفي خلقكم[3]، ويجوز أن يقدر المضاف وتكون الآيات: الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب.

٤- قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يريد وفي خلق أنفسكم من تراب ثم من نطفة إلى أن يصير إنسانًا، و(بث) تفرق على الأرض من جميع ما خلق، واختلاف ذلك من المشي على رجلين وعلى أربع وعلى

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٣٩.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٥.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣١.

البطن، آيات ودلالات على توحيد مَنْ خلقها (لقوم يوقنون) أنه لا إله غيره[١].

وجاز الرفع في قوله: (آيات) من **وجهين** ذكرهما الزجاج والمبرد وأبو علي[٢]:

أحدهما: العطف على موضع (أن) وما عمل فيه؛ لأن موضعها رفع بالابتداء، فيحمل الرفع فيه على الموضع كما تقول: إن زيدًا منطلق وعمرو، وإن زيدًا أخوك وخالد و﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣] لأن معنى قوله: ﴿أن الله بريء﴾ هو الله بريء، وهذا نظير قولك: لست بقائم ولا قاعد، أو لست بجبان ولا بخيلًا، عطف الثاني على موضع الباء.

والوجه الآخر: أن يكون قوله: ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ﴾ مستأنف، ويكون الكلام جملة معطوفة على جملة كما تقول: إن زيدًا منطلق وعمرو خارج، جعلت قولك: عمرو خارج، كلامًا آخر، كما تقول: زيد في الدار وأخرج غدًا إلى بلد كذا، فإنما حدث بحديثين اثنين، ووصلت أحدهما بالآخر بالواو.

وهذا الوجه هو اختيار أبي الحسن، قال: لأنه قد صار على كلام آخر نحو: إن في الدار زيدًا، وفي البيت عمرو؛ لأنك إنما تعطف الكلام كله على الكلام كله[٣].

وهذا الوجه أيضًا قول الفراء قال: الرفع على الاستئناف بعد (أن)؛

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٥، ونسبه في «الوسيط» لابن عباس ومقاتل. انظر: «تفسير الوسيط» ٤/ ٩٤.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣١، و«المقتضب» للمبرد ٤/ ٣٧١، و«الحجة» لأبي علي ٦/ ١٦٩.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٦٩، و«إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٤٠، ولم أقف عليه في «معاني القرآن» للأخفش.

تقول العرب: إن لي عليك مالا وعلى أخيك، ما ينصبون الثاني ويرفعونه[١]، فيكون قوله "آيات" على هذا الوجه مرتفعًا بالظرف على قول من رأى الرفع بالظرف، أو بالابتداء في قول من لم ير الرفع بالظرف، وقرأ حمزة والكسائي (آيات) وكذلك ﴿وتصريف الرياح آيات﴾ كسرا فيها وهو في موضع نصب على النسق على أن قوله: ﴿إن في السموات﴾ على معنى وإن في خلقكم آيات، ويقوي هذه القراءة أنها في قراءة عبد الله وأُبي "لآيات" ودخول اللام يدل على أن الكلام محمول على (أن)، وإذا كان محمولًا عليها حَسُن النصب على ما قرأ حمزة، وصار كل موضع من ذلك كأن (أن) مذكورة فيه بدخول اللام؛ لأن هذه اللام إنما تدخل على خبر (أن) أو على اسمها، ولا اختلاف في جواز هذه القراءة وحسنها في قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ﴾، ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ﴾: فإن فيه عطفًا على عاملين مختلفين، وذلك أنه عطف بحرف واحد وهو الواو في قوله (واختلاف الليل) على عاملين أحدهما: الجار الذي هو في قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ والآخر: "إن" في قوله: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بعطف آيات على (إن) بهذه الواو وحدها، وسيبويه وكثير من النحويين لا يجيزونه، ووجه جواز ذلك هاهنا أن يقدر (في وأن) في قوله:

٥- ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ﴾ كأنه قيل: وأن في اختلاف الليل، و(إن) فإن كانت محذوفة من اللفظ فهو في حكم المثبت فيه، وذلك أن ذكره قد تقدَّم في قوله: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بعطف آيات فأما الجار فقد تقدَّم ذكرُه في قوله (في السموات .. وفي خلقكم) فلما تقدم ذكره في هذين، قدر فيه

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٥. بلفظ (الرفع على الاستئناف فيما بعد أن).

الإثبات في اللفظ وإن كان محذوفًا منه كما قدر سيبويه في قوله:

أكلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امرأً ونارًا[١] تَوَقّدُ بالليْلِ نَارًا[٢]

أن كُلا في حكم الملفوظ به، واستغني عن إظهاره بتقدم ذكره، ويجوز أن تقدر آيات متكررة كررتها لما تراخى الكلام وطال، كما قال بعض المشايخ في قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ﴾ [التوبة: ٦٣] قال (أن) هي الأولى كررت، وهذا النحو في كلامهم غير ضيق، هذا كله كلام المبرد وأبي علي ومعنى[٣] كلام أبي إسحاق قوله تعالى:

٦- ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ قال ابن عباس: يريد هذا الذى قصصنا عليك من آيات الله بها[٤] ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ قال أبو إسحاق: بعد كتاب [[٥]] ﴿وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ قرئ بالياء والتاء، واختار أبو عبيد: الياء لأن قبله غيبة، وهو قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وهذا خبر عنهم.

---

(١) كذا في الأصل وهو تصحيف، والصحيح (ونارٍ) حيث ذكره الجميع بجر نارٍ وهو الشاهد من البيت حيث عطفه على ما عملت فيه كل.

(٢) البيت لأبي دؤاد الإيادي. انظر: الكتاب لسيبويه ١/ ٦٦، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٤١، و«الحجة» لأبي علي ٦/ ١٧١، و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٢، و«الدر المصون» ٦/ ١٢٣، وفي «الكامل» للمبرد منسوب لعدي بن زيد العبادي. انظر: الكامل ١/ ٢٨٧.

(٣) انظر: «الكامل» للمبرد ١/ ٢٨٧، و«الحجة» لأبي علي ٦/ ١٧١، و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٢.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٥.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٢، وهي كذا في الأصل وفي «معاني الزجاج» بلفظ (بعد كتاب الله).

فإن قيل: إن في أول الكلام خطابًا وهو قوله: (وفي خلقكم) قيل: الغيبة التي ذكرنا أقرب إلى الحرف المختلف فيه، والأقرب إليه أولى أن يحمل عليه، واحتج أيضًا بأن قال في أول الآية خطاب للنبي ﷺ ولا يكون في خطابه قوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، ووجه قول من قرأ بالتاء: أن "قل" فيه مقدر على تأويل: قل لهم فبأي حديث بعد ذلك يؤمنون[2].

قال المبرد: والتأويل في جميع هذا إنما هو الإبلاغ، فيجوز أن يستغنى عن أن يقال (قل) مع أن القول كثيرًا ما يضمر كقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ﴾[3] [الرعد: ٢٣].

٧- قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ هذه الآية وما بعدها نزلت في النضر ابن الحارث، قاله الكلبي ومقاتل[4].

٩- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ قال مقاتل: يعني وإذا سمع من آيات القرآن شيئًا اتخذها هزوا[5] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ قال الأخفش: رد الكلام إلى معنى الكل في قوله ﴿ويل لكل أفاك﴾ فلذلك جمع[6].

١٠- قوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ قال ابن عباس: يريد أمامهم

---

(١) انظر: اختيار أبي عبيد في «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٤١.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٧٣، و«السبعة» لابن مجاهد ص٥٩٤، و«حجة القراءات» لابن زنجلة ص٦٥٩.

(٣) انظر: «الكامل» للمبرد ١/ ٣٧٨.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص ٤٩٩، و«تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٦، وذكر ذلك السمرقندي في «تفسيره» ٣/ ٢٢٣، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٤١.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٦.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٩٢.

جهنم[١]، وقال مقاتل: يريد هو في الدنيا، ومن بعده له في الآخرة جهنم[٢]، وذكرنا الكلام في هذا في سورة إبراهيم عند قوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [آية:١٦]. ﴿وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ﴾ من الأموال التي جمعوها ﴿شَيْـًٔا﴾ ولا ما عبدوا من دون الله من الآلهة.

١١- قوله: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ قال مقاتل: هذا القرآن بيان من الضلالة[٣]، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد كل ما جاء به محمد ﷺ بيان للمؤمنين[٤].

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ وقرئ (أليم) رفعًا[٥]، والرجز العذاب بدلالة قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٥٩]. وقوله: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ [الأعراف:١٣٤] فمعنى قوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾: لهم عذابٌ من عذاب أليم، وإذا كان عذابهم من عذاب أليم، كان عذابهم أليمًا، قوله: ﴿من رجز﴾ على هذا صفة للعذاب؛ لأنه نكرة، من رفع أليمًا كان المعنى: لهم عذاب أليم من عذاب، وليس فائدته كالفائدة في القراءة الأولى، وإذا كان كذلك فيحمل على أمرين: أحدهما: أن قوله ﴿من عذاب﴾ يكون صفة مؤكدة، والصفة قد تجيء على وجه التأكيد كما روي في بعض الحروف (وَلِيَ نَعْجَةٌ أنثى) وقوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم:٢٠] وقولهم: أمس الدابر،

---

(١) ذكر ذلك القرطبي في «الجامع» عن ابن عباس. انظر: ١٦/ ١٥٩، ونسبه في «الوسيط» لابن عباس. انظر: ٤/ ٩٥.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٦.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٦.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٥٩ فقد نسبه لابن عباس.

(٥) وهي قراءة ابن كثير وعاصم في رواية حفص. انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٧٤.

والآخر: أن يحمل الرجز على الذي بمعنى الرجس الذي هو النجاسة على الإبدال للمقاربة، يعني النجاسة فيه قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٦] وكان المعنى: لهم عذاب من تجرع رجس أو شرب رجس، فيكون من تَبْيينًا للعذاب مِمَّ هو[١].

١٢-١٣- قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعني من شمس وقمر ونجم ومطر وثلج وبرد ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار، قاله ابن عباس[٢]، معنى تسخيره لنا: هو أنه هيأها لانتفاعنا بها، فهو مسخر لنا من حيث إننا ننتفع به على الوجه الذي نريد.

قوله تعالى: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ قال: كل ذلك رحمة منه لكم، وقال أبو إسحاق: (جميعًا) منصوب على الحال[٣]، والمعنى: كل ذلك منه تفضل وإحسان، والوقف يحسن على قوله (جميعًا)[٤].

قوله تعالى: ﴿مِّنْهُ﴾ أي ذلك التسخير منه لا من غيره، فهو فضله وإحسانه قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله فيوحدونه.

١٤- قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ قال الفراء: هذا خبر في منزلة الأمر، كأنه قيل: قل للذين آمنوا اغفروا، ولكنه جزم بالتشبيه بالجزاء والشرط، كقوله: قم تصب خيرًا، وليس كذلك، ولكن العرب إذا أخرج الكلام في مثال غيره وهو مقارب له، أعربوه

---

(١) هذا كله منقول عن «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٧٤، ١٧٥.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٤٢، ولم أقف عليه في «معاني الزجاج».

(٤) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس ص٦٥٩.

بإعرابه، فهذا من ذلك[١] وقد استقصينا الكلام في هذه المسألة عند قوله: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣١].

واختلفوا في سبب نزول الآية، قال ابن عباس في رواية عطاء، وهو قول مقاتل[٢]: نزلت في عمر رضي الله عنه، قال ابن عباس: يريد عمر بن الخطاب خاصة ﴿يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ يريد: عبد الله بن أبي، وذلك أنهم تولوا في غزاة[٣] بني المصطلق[٤] على بئر يقال له المريسيع[٥] فأرسل عبد الله غلامه ليستقي الماء فأبطأ عليه، فلما أتاه قال له ما حبسك؟ قال غلام عمر: تَعدّ على فضل البير، فما ترك أحدًا يستقي حتى ملأ قرب

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٥، ٤٦.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٠، و«تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٧، و«زاد المسير» ٧/ ٣٥٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٦١.

(٣) كانت هذه الغزوة في شعبان من السنة السادسة من الهجرة وكان قائد بني المصطلق الحارث ابن أبي ضرار، أبو جويرية بنت الحارث التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد ذلك.

انظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٣٣٣، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٥٦.

(٤) هم: بطن من خزاعة من القحطانية وهم بنو المصطلق واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة غزاهم النبي ﷺ واشتهرت بغزوة بني المصطلق وذلك سنة ست من الهجرة على ماء لهم يقال له: المريسيع. انظر: «معجم قبائل العرب» ٣/ ١١٠٤.

(٥) المُرَيسِيعُ: بالضم ثم الفتح وياء ساكنة ثم سين مهملة مكسورة وياء أخرى وآخره عين مهملة في الأشهر، ورواه بعضهم بالغين معجمة. كأنه تصغير المرسوع وهو الذي انسلقت عينه من السهر، وهو اسم ماء في ناحية قُديد إلى الساحل، سار النبي ﷺ في سنة خمس وقال أبو إسحاق في سنة ست إلى بني المصطلق من خزاعة لما بلغه أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي قد جمع له جمعا فوجدهم على ماء يقال له المريسيع فقاتلهم وسباهم. انظر: «معجم البلدان» ٥/ ١١٨.

النبي ﷺ وقرب أبي بكر وملأ لمولاه، فقال عبد الله: ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل: سمن كلبك يأكلك، فبلغ قوله عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه إليه فأنزل الله هذه الآية.

وقال مقاتل: شتم رجل من كفار قريش بمكة عمر، فهَمَّ عمر أن يبطش به، فأمره الله بالعفو والتجاوز وأنزل هذه الآية[١].

وروى ميمون بن مهران [[٢]] فنحاص اليهودي، قال لما نزل قوله ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾ قال: احتاج رب محمد، فلما سمع بذلك عمر اشتمل على سيفه وخرج في طلبه، فأنزل الله هذه الآية، فبعث النبي ﷺ في طلبه حتى رَدَّه[٣].

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه[٤].

وقال مقاتل: لا يخشون مثل عذاب الأمم الخالية[٥].

وقال مجاهد: لا ينالون نعم الله أو نقم الله[٦]، وذلك أنهم لا يؤمنون به فلا يرجون ثوابه ولا يخافون عقابه، كما قال ابن عباس، وذكرنا أيام الله عند تفسير قوله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] وأجمعوا أن هذه الآية

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٧، و«تفسير السمرقندي» ٣/ ٢٢٤، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٤٢.

(٢) كذا في الأصل وقد سقط لفظ (أن).

(٣) أخرج ذلك الثعلبي. انظر: تفسيره ١٠/ ١٠٠ أ، والواحدي في «أسباب النزول» ص٣٩٩ وأورده ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٥٨.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٧.

(٦) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد ٣/ ١٤٤.

نزلت قبل أن يؤمر النبي ﷺ بقتال أهل مكة وأنها منسوخة بآية القتال[١]، إلا على ما رواه عطاء عن ابن عباس، فإن على روايته نزلت الآية بعد الأمر بالقتال؛ لأنه ذكر أن الآية نزلت بعد غزوة بني المصطلق[٢] والصحيح أنها نزلت قبل الأمر بالقتال والله أعلم، قال قتادة[٣]: نسختها ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] وقال أبو صالح[٤]: نسختها ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩] الآية.

قوله تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد يجازي الذين أحسنوا الجنة، والذين أساؤوا بالعذاب[٥]، وقال مقاتل: لكن نجزي بالمغفرة قومًا يعملون الخير[٦].

---

(١) ذكر ذلك الطبري في تفسيره ١٣/ ١٤٤، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٦٢٥، ومكي في «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ص٣٥٥، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص ٤٥٩، وابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» ص٥٥، وابن البارزي في «ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه» ص ٤٩، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» ص١٩١.

(٢) وقد رجح الدكتور سليمان اللاحم أن الآية محكمة في تحقيقه لكتاب «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٦٢٦، وقال ابن الجوزي أيضًا: ويمكن أن يقال أنها محكمة وذكر رواية عطاء عن ابن عباس. انظر: «نواسخ القرآن» لابن الجوزي ص ٤٦٠، كما ذكر المؤلف رواية عطاء في «أسباب النزول» ص ٣٩٩، وذكرهما أيضًا القرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٦١.

(٣) أخرج ذلك الطبري عن قتادة. انظر: «تفسيره» ١٣/ ١٤٤، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٦٢٦.

(٤) أخرج ذلك الطبري عن أبي صالح. انظر: تفسيره ١٣/ ١٤٥، وذكره ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص ٤٦٠.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٧.

وقال آخرون: معنى الآية: قل للمؤمنين يتجاوزوا عن الكفار ليجزي الله الكفار بما كسبوا من الإثم ليوفيهم عقاب سيئاتهم بما عملوا من ذلك، قيل لا تكافؤنهم أنتم لنكافيهم نحن[(١)]، ثم ذكر المؤمنين وأعمالهم والمشركين وأعمالهم بقوله:

١٥- ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الآية.

١٦- قوله تعالى: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني التوراة ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ يعني الفهم في الكتاب، وقوله: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني المنَّ والسلوى، قاله الكلبي ومقاتل[(٢)].

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تقدم تفسيره في سورة الدخان، [آية: ٣٢] قال ابن عباس: لم يكن أحد من العالمين في زمان بني إسرائيل أكرم على الله ولا أحب إليه منهم[(٣)].

١٧- قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ قال ابن عباس: يعني ما بين لهم من أمر النبي ﷺ وأنه مهاجر من تهامة إلى يثرب يكون أنصاره أهل يثرب[(٤)].

قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ مفسر في سورة: حم عسق [آية: ١٤] وغيرها من السور [آل عمران: ١٩].

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٧/ ٣٥٩.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٠، و«تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٧.

(٣) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ٧/ ٢٤٣، عن ابن عباس، ونسبه في «الوسيط» لابن عباس. انظر: ٤/ ٩٧.

(٤) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره»، ولم ينسبه. انظر: ٧/ ٢٤٣، ونسبه القرطبي لابن عباس ١٦/ ١٦٣.

١٨- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ قال الفراء: يقال دين وملة ومنهاج، كل ذلك يقال(١).

وقال أبو عبيدة: على طريقة وسنة(٢).

وقال المبرد: على منهاج وقصد، وبذلك سميت شريعة النهي(٣)؛ لأنها يوصل منها إلى الانتفاع، والشرائع في الدين المذاهب التي شرعها الله لخلقه، وهذا الحرف مما قد تقدم تفسيره [الشورى: ١٣، ٢١].

قال ابن عباس: يريد على دين ظاهر رضيته لك(٤) ﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال يريد: قريظة والنضير(٥).

وقال مقاتل: الذين لا يعملون توحيد الله يعني كفار قريش(٦)، وقال الكلبي: إن رؤساء قريش قالوا للنبي ﷺ وهو بمكة: ارجع إلى ملة آبائك فهم كانوا أفضل منك(٧) وأسن، فأنزل الله هذه الآية.

١٩- ثم ذكر أن اتباعهم لا ينفعه، وأنهم لا يدفعون عنه ولا ينفعونه فقال: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئًا: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قال ابن عباس:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٦.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٠.

(٣) انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ٤/ ١٦٩٤، ولم أقف عليه عند المبرد.

(٤) ذكر ذلك الماوردي في «تفسيره» ونسبه لابن زيد. انظر: ٥/ ٢٦٤، ونسبه القرطبي لابن عباس لكن بلفظ (على هدى من الأمر) انظر: ١٦/ ١٦٣.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٦٤.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٨.

(٧) ذكر ذلك مقاتل ٣/ ٨٣٨، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٤٣.

يريد المنافقين أولياء اليهود[١]، وقال الكلبي، ومقاتل: يعني مشركي مكة بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين الشرك[٢]، وهم أمة محمد ﷺ، وقال عطاء: يريد المهاجرين والأنصار[٣].

٢٠- قوله: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يعني القرآن[٤]، كأنه قال هذا القرآن، (هذا) إشارة إلى القرآن، قاله الزجاج[٥]، وقال أبو عبيدة: مجازها مجاز القرآن بصائر للناس[٦]، وذكرنا تفسير هذه الآية في آخر سورة الأعراف [آية: ٢٠٣].

٢١- قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال الكلبي: نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث، وفي ثلاثة رهط من المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، قالوا للمؤمنين: والله ما أنتم على شيء وإن كان ما تقولون حقًّا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا[٧].

قال مقاتل: قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نُعْطَى في الآخرة من الخير مثل ما تعطون. فقال الله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ﴾ وهو استفهام إنكار ﴿ٱجْتَرَحُوا۟

---

(١) ذكر ذلك القرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٦٤ عن ابن عباس.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٠، و«تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٨.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٤٧ لكن نسبه لابن زيد، وانظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٨.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٢.

(٦) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٠.

(٧) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٠، و«تفسير السمرقندي» ٣/ ٢٢٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٦٥.

﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ عملوا الشرك[١]، واجترح معناه في اللغة: اكتسب[٢]، قال أبو عبيدة: اجترحوا: اكتسبوا[٣]، وأنشد للأعشى:

وهو الدَّافِعُ عن ذِي كُرْبَةٍ أَيْدِي القَوْمِ إذا الجَانِي اجْتَرَحْ[٤]

وذكرنا الكلام في تفسير هذا الحرف عند قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ [المائدة: ٤] قال ابن عباس: افتعلوا السيئات، يريد الشرك والنفاق[٥].

قوله تعالى: ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ قرئ (سواء) رفعًا ونصبًا، واختار أبو عبيد النصب[٦] [موقع (نجعلهم) عليهم[٧]] قال: وهو عندنا وجه التأويل إن أحسنوا أن نجعلهم وهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء.

وقال الفراء: إذا نصبت (سواء) كانت بمنزلة قولك: رأيت القوم سواء صغارهم وكبارهم، ومررت بقوم سواء صغارهم وكبارهم[٨].

وقال أبو إسحاق: من قرأ بالنصب جعله في موضع مستويًا[٩]، وهو

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٩.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (جرح) ٤/ ١٤١، و«اللسان» (جرح) ٢/ ٤٢٣.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٠.

(٤) انظر: «ديوان الأعشى» ص ١٦١، و«الزاهر» لابن الأنباري ١/ ٢٦٨.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٧٥، و«الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٦٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٦٥، وقد أشار إلى اختيار أبي عبيد.

(٧) كذا رسمها في الأصل، وذكر النحاس في «إعراب القرآن» اختيار أبي عبيد بلفظ (بوقوع "نجعلهم" عليها). انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٤٥.

(٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٧.

(٩) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٣.

قول الأخفش[(١)].

قال أبو علي: من نصب (سواء) جعل المحيا والممات بدلًا من الضمير المنصوب في "نجعلهم" فيصير التقدير: أن نجعل محياهم ومماتهم سواء، على أنه مفعول ثانٍ لنجعل، فيكون انتصاب (سواء) على القول حسنًا، قال: ويجوز أن نجعله حالًا، ويكون المفعول الثاني قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وإذا كان كذلك أمكن أن يكون سواء منتصبًا على الحال، وعلى هذه القراءة الضمير في محياهم ومماتهم للقبيلتين المؤمنين والكافرين[(٢)].

ومعنى الآية: ما ذكره مجاهد عن ابن عباس قال: المؤمن مؤمن محياه مؤمن مماته، والكافر كافر محياه كافر مماته[(٣)]. يعني أَحسِبوا أن حياتهم وموتهم كحياة المؤمنين وموتهم، كلا فإنهم يعيشون كافرين ويموتون كافرين، والمؤمنون يعيشون مؤمنين ثم يموتون مؤمنين، وقد مَيَّز الله بين الفريقين في مواضع من كتابه، فجعل حزب الإيمان في الجنة وحزب الكفر في السعير، هذا كله على القراءة بالنصب[(٤)]، وأما بالرفع فقال أبو إسحاق: الاختيار عند سيبويه والخليل وجميع البصريين الرفع لأن (سواء) في مذهب المصدر، تقول: ظننت زيدًا سواءً أبوه وأمه[(٥)]، قال أبو

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٩٢.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي بتصرف ٦/ ١٧٧.

(٣) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد. انظر: «تفسيره» ١٣/ ١٤، و«تفسير مجاهد» ص٦٠٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٦٦.

(٤) قرأ الكسائي وحمزة وحفص عن عاصم (سواءً) نصبًا، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم (سواءٌ محياهم) رفع.
انظر: «الحجة» ٦/ ١٧٥، و«حجة القراءات» لابن زنجلة ص ٦٦١.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٣، والكتاب لسيبويه ٢/ ٣٤، ولم أقف على اختيار الخليل، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٤٦.

علي: ليس الوجه في الآية نصب سواء.

وأجراه على ما قبله على حد قولك: مررت برجل ضارب أبوه؛ لأنه ليس باسم فاعل ولا ما شبه به من حسن وشديد ونحو ذلك، إنما هو مصدر فلا ينبغي أن يجرى على ما قبله كما يجرى اسم الفاعل وما شبه به، لتَعرِّيه من المعاني التي أعمل لها فاعلُ، وما شُبِّه به عَمَلُ الفعل[١].

وقال المبرد: وجه الكلام الرفع؛ لأن (سواء) في معنى المصدر وليس باسم الفاعل، فلا يكون اسمًا لما قبله كما تقول: جعلت زيدًا مستويًا أمره، قال ووجه جواز النصب فيه أن المصدر يدل على الفعل وإن لم يكن اسم الفاعل، ومن قال هذا: مررت برجل تمام درهمه[٢].

وقال أبو علي: ومن قال مررت برجل خير منه أبوه، وبسرجٍ خزٍّ صُفَّتُهُ، وبرجل مائةٍ إبلُهُ، استجاز أيضًا أن يجري (سواء) على ما قبله، ووجه القراءة بالرفع أن الكلام قد تم عنده قوله ﴿آمنوا﴾ والضمير في ﴿نجعلهم﴾ المفعول الأول، والمفعول الثاني: ﴿كالذين آمنوا﴾ وارتفع سواء بأنه خبر ابتداء مقدم تقديره: محياهم ومماتهم سواء، والضمير على هذه القراءة في المحيا والممات تعود على الكفار دون الذين آمنوا، والمعنى: محياهم محيا سوء ومماتهم كذلك، أي: أن محياهم ومماتهم يستويان في الذم والبعد من رحمة الله، ويجوز أن يكون الضمير للقبيلتين[٣].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٧٥.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٧٧.

والمعنى: ما رواه قيس[١] بن سعد عن مجاهد قال: يموت المؤمن على إيمانه ويبعث عليه ويموت الكافر على كفره ويبعث عليه[٢]، وتأويل هذا أن محيا القبيلتين ومماتهم سواء، الكفار يعيشون كافرين ويموتون كافرين، والمؤمنون على الضد من ذلك، كما قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: المؤمن مؤمن في الدنيا والآخرة، والكافر كافر في الدنيا والآخرة[٣].

قوله تعالى: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ قال ابن عباس: بئس ما حكموا[٤]، وقال مقاتل: بئس ما يقضون من الجور حين يرون أن لهم في الآخرة ما للمؤمنين[٥]، ثم ذكر أنه خلق السموات للحق ولجزاء كل نفس بما كسبت، كي لا يظن الكافر أنه لا يُجْزَى بكفره، وأنه يستوي مع المؤمن وهو قوله:

---

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج ابن ساعدة الأنصاري الخزرجي الساعدي يكني أبا الفضل، وقيل: أبو عبد الله. وقيل: أبو عبد الملك، وكان من فضلاء الصحابة وأحد دهاة العرب وكرمائهم، قال ابن عيينة: كان ضخمًا حسنًا طويلًا، مات في خلافة عبد الملك. وقيل: في آخر خلافة معاوية سنة ٨٥هـ.
انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير ٤/ ٢١٥، و«تهذيب التهذيب» ٨/ ٣٩٥، و«الإصابة» ٣/ ٢٤٩ (٧١٧٧).

(٢) لم أقف على هذه الرواية وقد أخرج ابن جرير عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحو هذه الرواية .
انظر: «تفسير ابن جرير» ١٣/ ١٤٨، و«تفسير مجاهد» ص ٦٠٠، و«الدر المنثور» ٧/ ٤٢٦.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٤٨، و«تفسير مجاهد» ص ٦٠٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٦٦.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٩.

٢٢- ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ﴾.

٢٣- قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ ذكر المفسرون في هذا قولين: روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية قال: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر، ونحو هذا قال الكلبي[١] عنه، وقال مقاتل: نزلت في الحارث[٢] بن قيس، وذلك أنه هوي الأوثان فعبدها[٣]، القول الثاني: قال قتادة: هو الكافر لا يهوى شيئًا إلا ركبه لا يخاف الله[٤]، وهو قول الحسن ورواية عطاء عن ابن عباس قال: إذا هوي شيئًا هو لله سُخْطٌ اتبعه وترك ما لله فيه رضًا[٥].

قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ قال ابن عباس: يريد علم ما يكون قبل أن يخلقه[٦]، وقال سعيد بن جبير ومقاتل: على علمه فيه[٧]، قال أبو

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٠ ب، و«تفسير الماوردي» ٥/ ٢٦٥، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٤٥، و«تفسير الوسيط» ٤/ ٩٩، و«تنوير المقباس» ص٥٠١.

(٢) هو: الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم السهمي كان أحد المستهزئين الذين يؤذون النبي ﷺ، وهو ابن العيطلة وهي أمه، وكان يأخذ حجرًا يعبده فإذا رأى أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني، أكل حوتًا مملوحًا فلم يزل يشرب الماء حتى مات.

انظر: «الكامل» لابن الأثير ٢/ ٤٨.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٣٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٦٧.

(٤) أخرج ذلك الطبري عن قتادة. انظر: تفسيره ١٣/ ١٥٠، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٤٥.

(٥) انظر: «تفسير الحسن البصري» ٢/ ٢٨١، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٤٥، و«تفسير الوسيط» ٤/ ٩٩، و«تفسير الشوكاني» ٥/ ٨.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٥١، و«تفسير الماوردي» ٥/ ٢٦٥، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٤٥ ولم ينسبه.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٤٠، و«تفسير الوسيط» ٤/ ٩٩ عن سعيد بن جبير.

إسحاق: أي: على ما سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ وقال ابن عباس: يريد بالأمر الذي سبق في أم[(٢)] الكتاب، وقال مقاتل: طبع على سمعه فلم يسمع الهدى، وعلى قلبه فلم يعقل الهدى[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ قالا: يعني: ظلمة فلا يبصر الهدى[(٤)]، ونظير هذه الآية ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] الآية، وليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة؛ لأن الله تعالى صرح بمنعه إياهم عن الهدى حين أخبر أنه ختم على قلب هذا الكافر وسمعه[(٥)] ثم أكد ذلك بقوله: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ قال مقاتل: بعد إذ أضله الله، والتقدير: بعد إضلال الله ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أيها المنكرون قدرة الله وتوحيده فتعرفون أنه قادر على ما يشاء[(٦)].

٢٤- ﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني: منكري البعث ﴿مَا هِىَ﴾ ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: ما هم فيه من الحيرة ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ قال مقاتل: نموت نحن

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٣.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٤٠.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠١، و«تفسير مقاتل» ٣/ ٨٤٠.

(٥) قال ابن جرير: في قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وخذله عن محجة الطريق وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي ولو جاءته كل آية. ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن يوفقه لإصابة الحق وإبصار محجة الرشد بعد إضلال الله إياه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أيها الناس فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا فلن يهتدي أبدًا، ولن يجد لنفسه وليًّا مرشدًا، ١٣/ ١٥٠، ١٥١.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٤٠.

ويحيا آخرون يخرجون من أصلابنا، فنحن كذلك أبدًا[١]، وهذا قول المفسرين. والمعنى: نموت نحن وتحيا أولادنا، فيموت قوم ويحيا قوم[٢]، قال الفراء: وفعل أبنائهم الذين يجيئون بعدهم كفعلهم، وهو في العربية كثير[٣].

وذكر أبو إسحاق وجهين آخرين؛ **أحدهما**: أن المعنى: نحيا ونموت، والواو للاجتماع، وليس فيها دليل على أن أحد الشيئين قبل الآخر. **والثاني**: يقولون: ابتدأنا موات في أصل الخلقة، ثم نحيا[٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ قال الكلبي والمفسرون: وما يهلكنا إلا طول العمر واختلاف الليل والنهار[٥]، قال قتادة: إلا العمر[٦]، قال ابن عيينة: كان أهل الجاهلية يقولون: الدهر هو الذي يهلكنا هو الذي يميتنا ويحيينا[٧].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٤٠.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٥١، و«الثعلبي» ١٠/ ١٠٣ أ، و«الماوردي» ٥/ ٢٦٦، و«البغوي» ٧/ ٢٤٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٧٠، و«تفسير ابن كثير» ٦/ ٢٦٩.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٨.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٤.

(٥) انظر: «تفسير السمرقندي» ٣/ ٢٢٦، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٤٥، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١٠٠.

(٦) أخرج ذلك الطبري عن قتادة. انظر: «تفسيره» ١٣/ ١٥٢، و«تفسير الماوردي» ٥/ ٢٦٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٧٠.

(٧) انظر: «تفسير سفيان بن عيينة» ص٣١٩، وأخرجه الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٠٣ أ، ونسبه القرطبي لابن عيينة ١٦/ ١٧٠، وهذا معنى حديث متفق عليه ولفظه: «قال =

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ﴾ الذي قالوه ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ أي لم يقولوا ذلك من علم علموه، بل قالوه ضلالًا شاكين، وهو قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ قال مقاتل: يعني: ما يستيقنون إنما يتكلمون بالظن[١].

٢٧- قوله تعالى: ﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ قال مقاتل والكلبي: يعني: المكذبين الكافرين، والمبطلون أصحاب الأباطيل[٢].

٢٨- قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ قال الليث: الجُثُو الجلوس على الركب[٣] كما يُجْثَى بين يدي الحاكم، وقال أبو عبيدة: جاثية على الركب[٤]، يراد: أنها غير مطمئنة. قال أبو إسحاق: معناه جاثية جالسة على ركب، يقال: جثا فلان يجثو إذا جلس على ركبته، ومثله جذا يجذو، والجذو أشد استيفازًا؛ لأنه على أطراف الأصابع[٥]، قال ابن عباس: يريد نجثوا على ركبنا ننتظر القضاء[٦]، وقال مقاتل: جاثية على الركب عند

= الله ﷻ يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار». أخرجه البخاري في عدة مواضع منها في كتاب التفسير سورة الجاثية، باب ١ وما يهلكنا إلا الدهر ٦/ ٤١، ومسلم كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب النهي عن سب الدهر ٢/ ١٧٦٢.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٤٠.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٤١، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٤٦، و«زاد المسير» ٧/ ٣٦٣.

(٣) انظر: «كتاب العين» (جذو) ٦/ ١٧١، وتهذيب اللغة (جثا) ١١/ ١٧٢ من غير نسبة، ومفردات الراغب (جثا) ص ٨٨.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٠.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٥.

(٦) ذكر الماوردي في تفسيره أنه بمعنى: مجتمعة، ونسبه لابن عباس ٥/ ٢٦٧، وذكره أبو حيان في تفسيره ٨/ ٥٠.

الحساب[١]، وقال مجاهد: مستوفزين على الركب[٢] وينشد هاهنا:

أخَاصِمُهُم مَرةً قائمًا وأحْدُو إذا ما جَثَوا للرُّكَب[٣]

٢٩- قوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ المفسرون على أن الكتاب ها هنا اللوح المحفوظ[٤]، وقد ذكر أنه ديوان الحفظة[٥].

قوله: ﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي يشهد عليكم بالحق، ويستعار النطق للكتاب على معنى التبيين، يقال: نطق الكتاب بكذا، ونطق به التنزيل، على معنى بينه بيانًا شافيًا حتى كأنه ناطق[٦]، وقال ابن قتيبة: يراد أنهم يقرأونه فيذكرهم ويدلهم، فكأنه ينطق عليهم[٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ﴾ قال أبو عبيدة: نثبت وهو قول الضحاك وقال ابن قتيبة: نكتب[٨]. ومعنى نستنسخ: نأمر بالنسخ، وفيه قولان من المعنى. **أحدهما**: نأمر الملائكة بنسخ ما تعملون، أي كَتْبه وإثباته عليكم، والآخر: نأمر بانتساخ ما يعملون من أم الكتاب، وكلا

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٤١.

(٢) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد. انظر: «تفسيره» ١٣/ ١٥٤، و«تفسير مجاهد» ص٦٠٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٧٤.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٤١، و«زاد المسير» ٧/ ٣٦٤.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٠٥ أ، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٤٧، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١٠٠ و«تنوير المقباس» ص٥٠١، و«زاد المسير» ٧/ ٣٦٤.

(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٧٥، والبحر المحيط ٨/ ٥١.

(٧) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٤٠٥.

(٨) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١١، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٤٧، فقد ذكر قول الضحاك، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٤٠٦.

القولين مروي عن ابن عباس[١]، القول الأول رواه الكلبي واختاره الفراء، والاستنساخ أن الملكين يرفعان عمل الرجل صغيره وكبيره، فيثبت الله من عمله ما كان له ثواب أو عقاب، ويطرح منه اللغو الذي لا ثواب فيه ولا عقاب، كقولك: هلم واذهب، فذلك الاستنساخ[٢].

القول الثاني: رواه مقسم عن ابن عباس: أن الله وكَّل ملائكةً مطهرين يستنسخون من أم الكتاب كل عام في رمضان ما يكون من بني آدم، فيعارضون حفظة الله على العباد عشية كل خميس فيجدون ما جاء به الحفظة من أعمال العباد موافقًا لما في كتابهم الذي استنسخوه من ذلك الكتاب، ليس فيه زيادة ولا نقصان[٣]، وقال مقاتل: يستنسخ من اللوح المحفوظ يعني: نسخه أعمالكم قبل أن تعملوا[٤].

قال مقسم: قال ابن عباس: ألستم قومًا عربًا، هل تكون النسخة إلا من كتاب[٥]؟ وعلى هذا القول الاستنساخ أن يأمر الله الملائكة باتخاذ النسخة من أم الكتاب، وعلى القول الأول تكتب النَّسَخةُ عليهم من أعمالهم التي يعملونها، واختار الزجاج القول الثاني، وقال: الاستنساخ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٥٦، و«معاني القرآن» للنحاس ٦/ ٤٣٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٧٥، و«تفسير ابن كثير» ٦/ ٢٧١.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٨- ٤٩، و«تنوير المقباس» ص٥٠١.

(٣) ذكر ذلك السيوطي في «الدر المنثور» ٧/ ٤٣١، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٧٥. كلاهما عن ابن عباس، ونسبه ابن كثير لابن عباس، انظر: «تفسيره» ٦/ ٢٧١.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٤١.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٥٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٧٥، و«الدر المنثور» ٧/ ٤٣٠، وقد نسبوه لابن عباس.

لا يكون إلا من أصل، وهو أن يستنسخ كتابًا من كتاب[١]، وروى ابن عمر عن النبي ﷺ في هذه الآية معنى القول الثاني مثل ما ذكرنا[٢].

٣١- قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: جواب (أما) محذوف لأن في الكلام دليلًا عليه، المعنى: وأما الذين كفروا فيقال لهم: ألم تكن، فدلت الفاء في قوله: (أفلم) على قولك: فيقال لهم[٣].

قوله: ﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ قال مقاتل: تكبرتم على الإيمان بالقرآن[٤].

﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ منكرين كافرين قاله ابن عباس[٥].

٣٢- قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ قال مقاتل: يعني البعث كائن[٦] ﴿وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ يعني: القيامة لا شك فيها أنها كائنة، وقرئ (والساعة) رفعًا ونصبًا.

قال أبو إسحاق: من نصب فعطف على الوعد، ومن رفع فعلى معنى: وقيل الساعة لا ريب فيها[٧].

قال أبو علي: الرفع في (الساعة) من وجهين أحدهما: أن يقطعه من الأول فيعطف جملة على جملة، والآخر: أن يكون المعطوف محمولًا

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٥.

(٢) ذكر ذلك السيوطي في «الدر المنثور» ٧/ ٤٣٠.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٥.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٤١.

(٥) ذكر ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٦٥، عن ابن عباس.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٣/ ٨٤٢.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٥.

على معنى "إن" وما عملت فيه وموضعها رفع[١]، ومن نصب حمله على لفظ "إن" مثل: إن زيدًا منطلق وعمرًا قائم، وموضع قوله: "لا ريب فيها" رفع بأنه في موضع خبر (إن) وقد عاد الذكر إلى الاسم، لأن قوله: (لا ريب فيها) في معنى: حق، وكأنه قال: والساعة حق[٢].

وقال الأخفش[٣]: الرفع أجود في المعنى في كلام العرب، أكثر إذا جاء بعد إن اسمٌ معطوف أو صفة أن يرفع، قال: والنصب عربي ويقوي ما قال قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] فالعاقبة لم تقرأ إلا رفعًا[٤].

قوله تعالى: ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ قال الكلبي: هم أهل مكة قالوا: ما ندري ما يقول، ولكنا نظنه ظنًا في غير يقين أنه كما قلت[٥]، وقال ابن قتيبة: أي ما نعلم ذلك إلا حديثًا وظنًا وما نستيقنه[٦].

٣٣- قوله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾ يعني في الآخرة ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ وهي الشرك والكفر.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٧٩.

(٢) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٦٩، و«حجة القراءات» لابن زنجلة ص ٦٦٢.

(٣) هذا ليس في «معاني القرآن» للأخفش، وقد نقله المؤلف عن «الحجة» لأبي علي ونص العبارة في «الحجة»: "الرفع أجود في المعنى، وفي كلام العرب، وأكثر إذا جاء بعد خبر إن اسم معطوف أو صفة أن يرفع.." ٦/ ١٨١.

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٨١.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٤٠٦.

٣٤- ﴿وَقِيلَ﴾ يعني: الكفار ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ نترككم في النار، قاله ابن عباس ومقاتل[١] ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ قال الفراء: كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا[٢].

وقال الزجاج: كما تركتم الإيمان والعمل ليومكم[٣] هذا، وقد فسرنا هذا القول في سورة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة [آية: ١٤].

٣٥- قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ قال ابن عباس: لا يقبل الله منهم توبة ولا عذرًا، وروي عنه: لا يعاتبون بعد ذلك، انقطعت المعاتبة[٤].

قال الفراء: لا يراجَعون الكلامَ بعد دخولهم النار[٥].

وقال أبو إسحاق: لا يُلتمسُ منهم عملٌ ولا طاعة[٦].

وذكرنا معنى الاستعتاب فيما تقدم [فصلت: ٢٤].

تمت.



---

(١) أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس. انظر: تفسيره ١٣/ ١٥٨، و«تفسير مقاتل» ٣/ ٨٤٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٩.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٦.

(٤) ذكر ذلك البغوي في تفسيره، ولم ينسبه ٧/ ٢٤٨، وكذلك ذكره ابن الجوزي ولم ينسبه ٧/ ٣٦٦.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٤٩.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٦.

سورة الأحقاف

تفسير سورة الأحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿حمٓ﴾ الآيات نظم ابتداء هذه السورة كنظم ابتداء سورة الجاثية وقد ذكرنا ما فيه.

٣- قوله: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: لم نخلقهما باطلا عبثًا لغير شيء، ما خلقناهما إلا للثواب والعقاب[1]، وقد مر تفسير هذه الآية في مواضع [الحجر: ٨٥].

قوله تعالى: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال المفسرون: يعني يوم القيامة، وهو الأجل الذي تنتهي إليه السموات والأرض، وهذا إشارة إلى فنائها وانقضاء أمرها[2]، ثم ذكر أن الكفار أعرضوا بعد أن قام لهم الدليل بخلق السموات والأرض، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ خوفوا به في القرآن معرضون أي: لم يتعظوا بالقرآن[3] ثم دعاهم إلى الدليل لهم على بطلان ما يعبدون من الأوثان بقوله:

٤- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ وهي مفسَّرة في سورة فاطر [آية: ٤٠] إلى قوله:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ١٥، ونسبه في «الوسيط» لابن عباس. انظر: ٤/ ١٠٢.

(٢) انظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٧١، و«البغوي» ٧/ ٢٥١، و«القرطبي» ١٦/ ١٧٨.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ١، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٥١.

﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ أي: ائتوني بكتاب من قبل القرآن فيه برهان ما تدعون من عبادة الأصنام ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾، قال أبو عبيدة: أي بقية، ويقال: ناقة ذات أثارة، أي بقية من شحم[(١)]، ونحو هذا ذكر الفراء[(٢)]، والزجاج[(٣)] في معنى الأثارة أنها البقية.

قال ابن قتيبة: أي بقية علم عن الأولين[(٤)]، وزاد الفراء فقال: ويقال أو شيء مأثور من كتب الأولين، قال: وأثارة على المصدر مثل: السماحة والشجاعة[(٥)]، وزاد الزجاج فقال: (أثارة) معناها علامة من علم[(٦)].

وقال المبرد: أثارة ما يؤثر من علم، كقولك: هذا حديثٌ يؤثَرُ عن فلان، ومن ثَمَّ سميت الأخبار الآثار، يقال: في الأثر كذا وكذا، قال: وقالوا في الأثارة: الشيء الحسن البهي في العين، يقال للناقة: ذات أثارة، إذا كانت ممتلئة تروق العين، يقال: أثرة وأثارة على فَعَلة وفَعَالة، فهذا ما ذكره علماء اللغة في تفسير هذا الحرف[(٧)]، وهو ينقسم إلى أقوال ثلاثة:

الأول: البقية، واشتقاقه من: أَثَرْتُ الشيء أُثِيره إِثَارَة، كأنها بقية تستخرج فتثار، وهو قول الحسن[(٨)].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٠.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٨.

(٤) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٤٠٧.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٠.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٨.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (أثر) ١٥/ ١١٩، و«الصحاح» (أثر) ٢/ ٥٧٤، و«اللسان» (أثر) ٤/ ٥.

(٨) أخرج ذلك الطبري عن الحسن. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٢/ ٣، و«تفسير الحسن البصري» ٢/ ٢٨١، و«زاد المسير» ٧/ ٣٦٩.

الثاني: من الأثر الذي هو الرواية[١]، ومنه قول الأعشى:

إنَّ الـذي فيـه تَـمَـارَيْـتُـمَـا بُـيِّـنَ لـلـسَّـامِـعِ والأَثِـرِ[٢]

الثالث: من الأثر بمعنى العلامة[٣]، وعلى [هذا المعاني][٤] يدور كلام المفسرين، روى عطاء عن ابن عباس؛ قال: يريد أو شيء ترويه عن نبي كان قبل محمد ﷺ.

وقال مقاتل: أو رواية من علم عن الأنبياء أن لله شريكًا[٥]، وقال: هذا قول مجاهد وعكرمة والقرظي[٦]، وعلى هذا الأثارة مصدر يقال: أثر يأثر أثرًا وأثارة بمعنى روى، وقال في رواية الكلبي: بقية من علم[٧]، وعلى هذا معنى قول قتادة: خاصة من العلم؛ لأن الخاصة من العلم بقية منه بقيت عند خواص العلماء[٨]، ويحتمل قول قتادة وجهًا آخر، وهو أن تكون الأثارة من إيثار والاستيثار يقال: أثرت فلانًا بكذا، إذا خصصته به

---

(١) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد. انظر: تفسيره ١٣/ ٢/ ٣، و«تفسير مجاهد» ص٦٠٢، و«تفسير الماوردي» ٥/ ٢٧١.

(٢) انظر: «ديوانه» ص ٩٢، و«اللسان» (أثر) ٤/ ٦، و«تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٠٦ ب، و«الدر المصون» ٦/ ١٣٥.

(٣) وهذا قول الزجاج، انظر: «معاني القرآن» ٤/ ٤٣٨، و«زاد المسير» ٧/ ٣٦٩.

(٤) كذا رسمها في الأصل ولعل الصواب (هذه المعاني).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ١٥، ونسبه في «الوسيط» لعطاء. انظر: ٤/ ١٠٣.

(٦) أخرج الطبري عن مجاهد بلفظ: (أحد يأثر علمًا) ١٣/ ٢/ ٣، وذكر الماوردي عن عكرمة ميراث من علم ٥/ ٢٧١، وذكر الثعلبي قول القرظي بلفظ: الإسناد ١٠/ ١٠٦ ب، وذكره أيضًا القرطبي ١٦/ ١٨٢.

(٧) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٢.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٣/ ٢، و«الماوردي» ٥/ ٢٧١، و«القرطبي» ١٦/ ١٨٢.

واستأثر فلان بكذا، إذا اختص به دون غيره[١]، ومنه قول الأعشى:

اسـتـأثَـرَ اللهُ بـالـوَفـاءِ وبـ الحَمْدِ وولّى الملامَةَ الرَّجُلا[٢]

ويقال لفلان: أثرة بكذا أو أثارة، أي اختصاص، ويؤكد ما قلناه قراءة السلمي والحسن (أو أَثَرةٍ من علم)[٣]، والمعنى على هذا: ائتوني بعلم تنفردون به دوننا، فإنا لا نعلم أن لله شريكًا، وهذا وجه حسن، وروى أبو سلمة[٤] عن ابن عباس والشعبي أيضًا عنه في قوله: ﴿أَوۡ أَثَـٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ قال: هو علم الخط[٥]، وهو خط كان تخطه العرب في الأرض.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**قد كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه، عَلِمَ عِلْمَه**»[٦]. والمعنى على هذا: ائتوني بعلم من قبل الخط الذي

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (أثر) ١٥/ ١٢٢، و«اللسان» (أثر) ٤/ ٨، و«معاني القرآن» للنحاس ٦/ ٤٤٠.

(٢) انظر: «شرح المعلقات العشر» ص ١٣٧، و«اللسان» (أثر) ٤/ ٨.

(٣) ذكره هذه القراءة الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٠٦ ب، والماوردي في «تفسيره» ٥/ ٢٧١، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٨٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٨/ ٥٥، وهي بفتح الهمزة والثاء.

(٤) هو: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

(٥) أخرج ذلك الحاكم عن أبي سلمة عن ابن عباس، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. انظر: «المستدرك» التفسير ٢/ ٤٥٤.
كما أخرج رواية الشعبي عن ابن عباس وقال: هذه زيادة عن ابن عباس في قوله ﷻ غريبة في هذا الحديث، وسكت عنه الذهبي ٢/ ٤٥٤.

(٦) أخرج مسلم في «صحيحه» عن معاوية بن الحكم السلمي في حديث طويل، وفيه قال: قلت: ومنا رجال يخطون قال: "**كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك**"، انظر: «صحيح مسلم» كتاب المساجد، باب ٧، تحريم الكلام في الصلاة.. ١/ ٣٨١، وفي كتاب السلام، باب ٣٥، تحريم الكهانة وإتيان الكهان =

تخطونه في الأرض، وكأنه قيل لهم ذلك لأنهم كانوا يعدونه علمًا لهم وبيانًا في الأمور فقيل لهم: ائتوني بعلم من هذه الجهة على ما تدعونه حقًّا إن كنتم صادقين أن لله شريكًا. واشتقاق هذا القول من الأثر بمعنى العلامة، والخط أثر.

٥- ثم ذكر ضلالة هؤلاء. فقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ إلى قوله: ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ قال ابن عباس: لا يثيبه ولا يرزقه إلى يوم القيامة[1]. قال مقاتل: أبدًا، يعني: لا يستجيب له أبدًا ما دامت الدنيا، فإذا قامت القيامة كانت الآلهة أعداء لمن عبدها في الدنيا[2]، وهو قوله:

٦- ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾، وهذا كقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢] وقد مر. قال ابن عباس: يريد الملائكة وعيسى وعزير وكل ما عبد من دون الله أعداء لمن عبدهم[3] ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾؛ لأنهم يقولون: ما دعوناهم إلى عبادتنا وتبرؤوا من عبادتهم كما قال: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

٨- قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا: ما هذا القرآن إلا شيء ابتدعته من تلقاء نفسك فقال الله: ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ﴾.

= ٢/ ١٧٤٩، كما أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٥/ ٤٤٧، والنسائي في «السنن» كتاب السهو، باب ٢٠، الكلام في الصلاة ٣/ ١٤، وأبو داود في «السنن» كتاب الطب، باب ٢٣، في الخط وزجر الطير ٤/ ٢٢٩.

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ١٦.

(٣) لم أقف عليه.

قال مقاتل: لا تقدروا على أن تردوا عني عذابه[١]، وهذا كقوله: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الفتح: ١١] ومثله في التنزيل كثير.

وقال ابن عباس: لا تمنعونني من الله[٢] والمعنى: أنكم لا تقدرون أن تدفعوا عني عقاب الله، فكيف أفتري على الله لأجلكم وأنا أعلم هذا، وفيه تبعيد لقولهم افتريته، ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: بما تقولون في القرآن وتخوضون فيه من التكذيب به، والقول فيه أنه سحر وكهانة، قاله المفسرون[٣]، وكل خوض في الحديث إفاضة كقوله[٤]: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] وقد مر.

﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ قال مقاتل: يعني فلا شاهد أفضل من الله بيني وبينكم أن القرآن جاء من الله ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في تأخير العذاب عنكم حين لا يعجل عليكم بالعقوبة[٥].

وقال ابن عباس: يريد لأوليائه وأهل طاعته[٦].

وقال أبو إسحاق: معنى الغفور الرحيم هاهنا دعاهم إلى التوبة، معناه: أن من أتى من الكبائر العظام بمثل ما أتيتم به من الافتراء على الله[٧]، وعليَّ ثم تاب فالله غفور رحيم له.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ١٦.   (٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ٥، و«زاد المسير» ٧/ ٣٧١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٨٤، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١٠٤.

(٤) انظر: اللسان (خوض) ٧/ ١٤٧.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ١٦، ١٧.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) نص العبارة عند الزجاج: (من افتراء على الله جل وعلا ثم تاب فإن الله غفور رحيم) ٤/ ٤٣٩.

٩- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قال أبو عبيدة: أي ما كنت أولهم[(١)]، ونحو هذا قال الفراء[(٢)]، والزجاج[(٣)] وقال المبرد: البدع والبديع من كل شيء المبتدأ، والبدعة ما اخترع مما لم تجر به سنة، ورجل بدع من قوم أبداع[(٤)] قال عدي بن زيد:

فَلاَ أنا بِدْعٌ مِنْ حَوَادِثَ تَعْتَرِي   رِجالًا عَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسَى وأسْعُدِ[(٥)]

وقال الكسائي: رجل بدع وامرأة بدعة، وامرأتان بدعتان، ونساء بدع، بكسر الباء وفتح الدال، وأبداع[(٦)].

قال المفسرون: ما أنا بأول رسول بعث، قد أرسل قبلي رسل كثيرون[(٧)].

قال مقاتل: وهذا جواب لقولهم أما وجد الله نبيًّا غيرك[(٨)].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ روي عن ابن عباس في

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٠.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٩.

(٤) انظر: الصحاح (بدع) ٣/ ١١٨٣، و«اللسان» (بدع) ٨/ ٦، و«إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٦٠.

(٥) استشهد بهذا البيت الطبري ١٣/ ٢/ ٦، وابن عطية ١٥/ ١٣، والقرطبي ١٦/ ١٨٥، وأبو حيان ٨/ ٥٦، وفي «شعراء النصرانية» ص ٤٦٥، و«المفضليات» ٨٢٩.

(٦) انظر: قول الكسائي في اللسان (بدع) ٨/ ٧.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ٦، و«تفسير الماوردي» ٥/ ٢٧٢، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٥٢، و«تغليق التعليق» ٤/ ٣١١.

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ١٧.

هذا قولان قال في رواية عطاء: لما نزلت هذه الآية فرح المشركون واليهود والمنافقون فقالوا كيف نتبع نبيًا لا يدري ما يُفعلُ به ولا بنا، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ [الفتح: ١-٢] الآيات إلى قوله[١]﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥] فبين الله ما يفعل به وبمن اتبعه من المؤمنين، ونسخت هذه الآية، وأرغم الله أنف المنافقين والمشركين واليهود، ورحم النبي ﷺ والمؤمنين، وقال قتادة في هذه الآية: نسختها ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ وهذا قول أنس وعكرمة[٢].

وقال في رواية الكلبي: لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ بمكة رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء فقصَّها على أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا فيها فرجًا مما هم فيه من أذى المشركين، ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك فقالوا: يا رسول الله ما رأينا الذي قلت ومتى نهاجر[٣] إلى الأرض التي رأيت، فسكت رسول الله ﷺ وأنزل الله ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ يعني: لا أدري أخرج إلى الموضع الذي أُرِيتهُ في منامي أم لا، ثم قال لهم: إنما هو شيء أريته في منامي، ما أتبع إلا ما يوحى إلي، يقول: لم يوح إلي ما أخبرتكم، وعلى هذا لا نسخ في الآية، وهذا القول اختيار الفراء[٤] والزجاج[٥].

---

(١) ذكر الطبري رواية عن ابن عباس نحو هذا المعنى وأخصر منه. انظر: ١٣/ ٢/ ٧.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ٧، و«الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ص ٣٥٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٨٥.

(٣) انظر: «تفسير أبي الليث السمرقندي» ٣/ ٢٣٠.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٠- ٥١.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٣٩، وقال مكي: فأما من قال معناه: وما =

وروى أبو بكر الهذلي عن الحسن: في هذه الآية قال: أما في الآخرة فمعاذ الله أن لا يدري ما يفعل به، قد علم أنه في الجنة، ولكنه يخاطب بهذا المشركين، يقول: لا أدري ما يفعل بي في الدنيا، أموت أم أقتل كما قتلت الأنبياء قبلي[(١)] ﴿وَلَا بِكُمْۖ﴾ أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أيش يفعل بكم مما فعل بالأمم المكذبة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾، قال ابن عباس: يريد ما أبلغكم إلا ما بعثني الله به إليكم[(٢)]، وقال مقاتل: ما أتبع إلا ما يوحى إلي من القرآن، إذا أمرت بأمر فعلته، ولا أبتدع ما لم أومر به[(٣)].

﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ قال ابن عباس: أنذركم عذاب الله وأبين لكم ما يبعدكم من الله ويقربكم إلى الله[(٤)].

١٠- قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ قال صاحب النظم: يقال: إن قوله (أرأيتم) نظم وضع للسؤال والاستفتاء وقيل للتنبيه، فلذلك لا يقتضي مفعولًا كما قال: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ١٣] وقد تقدَّم الكلام في هذا.

وقال أبو علي: الاستفهام الذي يقع موقعَ المفعول الثاني محذوف

= أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا من تقلب الأحوال فيها، فالآية عنده محكمة، انظر: «الإيضاح» لمكي ص٣٥٦.

(١) أخرج ذلك الطبري عن الحسن ورجحه. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٢/ ٧، وأخرجه أيضًا النحاس عن الحسن، ورجحه. انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٦٢٨، ورجحه أيضًا ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص ٤٦٤، ورجحه أيضًا ابن كثير في «تفسيره» ٦/ ٢٧٧.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ١٧.

(٤) لم أقف عليه.

الكلام بالمفعول الأول، وكان التقدير: أتأمنون عقوبة الله أو ألا تخشون انتقامه[١]، ومثله من غير حذف المفعول الثاني قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ﴾ الآية [فصلت: ٥٢]، وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ﴾ [القصص: ٧١] فالاستفهام في الآيتين هو المفعول الثاني لأرأيتم؛ لأنه بمعنى أخبروني، هذا هو الكلام وليس ما ذكره صاحب النظم بشيء. قوله: ﴿إِن كَانَ﴾ يعني القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد عبد الله بن سلام، ونحو هذا روى الكلبي عنه أنه الشاهد من بني إسرائيل عبد الله بن سلام، وهو قول مجاهد وقتادة ومقاتل والضحاك وابن زيد والحسن[٢]، وبه قال من الصحابة عوف بن مالك الأشجعي وسعد بن أبي وقاص.

ويؤكد ذلك ما روي في حديث مقتل عثمان أن عبد الله أتاه لينصره فخرج إلى الناس وقال: إنه قد نزل في آيات من كتاب الله نزلت فيَّ، وشهد من بني إسرائيل على مثله[٣]، وذكر كلامًا طويلا.

قوله: ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ قال ابن عباس: يريد على ما جئتكم به[٤]، قال

---

(١) انظر: «المسائل الحلبيات» لأبي علي ص٧٧.

(٢) انظر: أقوال هؤلاء في «تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ١٠، ١١، و«تفسير الماوردي» ٥/ ٢٧٣، و«تفسير مقاتل» ٤/ ١٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٨٨، و«تنوير المقباس» ص ٥٠٣، و«البحر المحيط» ٨/ ٥٧.

(٣) أخرج ذلك الترمذي في كتاب التفسير باب ٤٧، ومن سورة الأحقاف ٥/ ٣٨١، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٤) لم أقف عليه.

صاحب النظم: ليس لمثل هاهنا معنًى مقصود إليه، هو فصل وصلة[١] كقوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٣٧] وتأويله: وشهد شاهد من بني إسرائيل عليه، أي على أنه من عند الله، وقال أبو إسحاق: الأجود أن يكون (على مثله) على مثل شهادة النبي ﷺ[٢].

قوله: (فَآمَنَ) يعني الشاهد وهو ابن سلام ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان فلم تؤمنوا، واختلفوا في تقدير جواب قوله: (إن كان من عند الله) فقال صاحب النظم: جوابه محذوف على تقدير: أليس قد ظلمتم[٣] فكان قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ دليلًا على هذا الجواب.

وقال الزجاج: تقديره: فآمن واستكبرتم أتؤمنون[٤]، وقال غيره فآمن واستكبرتم أفما تهلكون[٥]، وقال الحسن: جوابه من أضل منكم[٦]، ووجه تأويل الآية: أخبروني ماذا تقولون إن كان القرآن حقًا من عند الله، وشهد على ذلك عالم بني إسرائيل وآمن به وكفرتم واستكبرتم ألستم تستحقون العقاب، وأنكر قوم منهم الشعبي ومسروق أن يكون الشاهد عبد الله بن سلام، وقالوا: إن إسلامه كان بالمدينة قبل وفاة رسول الله ﷺ بعامين، وآل

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٨٩، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١٠٤.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٠.

(٣) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» للعكبري ٢/ ١١٥٥، و«زاد المسير» ٧/ ٣٧٤، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١٠٥.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٠.

(٥) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره ونسبه لمذكور ٥/ ٢٧٤، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٧٤، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٥٧.

(٦) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره ٥/ ٢٧٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٧٤، وأبو حيان ٨/ ٥٧، والمؤلف في «الوسيط» ٤/ ١٠٥.

﴿حمٓ﴾ نزل بمكة[١]، ثم لم يأت للآية بوجه من التأويل صحيح غير الإنكار، على أن ابن سيرين قد قال في هذه الآية: كانت تنزل الآية فيؤمر أن توضع في سورة كذا، يعني: أن هذه الآية يجوز أن تكون نازلة بالمدينة وأمر أن توضع في سورة مكية[٢].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد قريظة والنضير[٣]، وقال مقاتل: يعني اليهود[٤]، قال أبو إسحاق: أعلم الله ﷻ أن هؤلاء المعاندين خاصة لا يؤمنون بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: قد جعل جزاءهم على كفرهم بعد ما تبين لهم الهدى، مَدَّهم في الضلالة[٥].

١١- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يعني من كفر من اليهود للذين آمنوا، يعني ابن سلام وأصحابه،

---

(١) أخرج ذلك الطبري عن الشعبي ومسروق. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٢/ ٩، وذكره الماوردي في «تفسيره» ٥/ ٢٧٣، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٥٥.
وهذا هو الوجه الذي رجحه ابن جرير الطبري قال: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل لأن قوله ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش واحتجاجًا عليهم لنبيه ﷺ وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر فتوجه هذه الآية أنها نزلت فيهم.. ١٣/ ٢/ ١٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٦/ ٤٤٤، وتفسير الفخر الرازي ٢٨/ ١٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٨٨.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ١٩.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٠.

وهذا قول السدي.

وقال في رواية الكلبي[(١)] الذين كفروا أسد[(٢)] وغطفان[(٣)] لما أسلم جهينة[(٤)] ومزينة[(٥)] قالوا: لو كان ما جاء به محمد خيرًا ما سبقنا إليه رعاء البهم؛ يعنون جهينة ومزينة وأسلم وغِفَارًا[(٦)].

وقال مقاتل: الذين كفروا قريش، والذين آمنوا أصحاب محمد ﷺ[(٧)].

---

(١) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٠٩ ب، والبغوي في تفسيره ٧/ ٢٥٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٧٥، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٩٠.

(٢) هو: بنو أسد بن خزيمة: قبيلة عظيمة من العدنانية تنتسب إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وهي ذات بطون كثيرة منازلهم كانت بلادهم فيما يلي الكرخ من أرض نجد وفي مجاورة طي.
انظر: «نهاية الأرب» للقلقشندي ص ٤٧، و«معجم قبائل العرب» لكحالة ١/ ٢١.

(٣) هم: بنو غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بطن عظيم متسع كثير الشعوب والأفخاد وقد حاربهم رسول الله ﷺ في غزوة الخندق وهي الأحزاب.
انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص ٢٤٨، و«معجم قبائل العرب» ٣/ ٨٨٨.

(٤) هم: بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سويد بن أسلم حي عظيم من قضاعة من القحطانية كانت مساكنهم ما بين الينبع ويثرب قاتلوا مع خالد بن الوليد في فتح مكة وقاتلوا في غزوة حنين.
انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص ٤٤٤، و«معجم قبائل العرب» ١/ ٢١٦.

(٥) هم: بنو عمرو بن أد عثمان وأوس، وأمهما مزينة بنت كلب بن وبرة، فنسب ولدها إليها، كانت مساكن مزينة بين المدينة ووادي القرى.
انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص ٢٠١، و«معجم قبائل العرب» ٣/ ١٠٨٣.

(٦) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٠٩ب، والماوردي في «تفسيره» ٥/ ٢٧٤، وانظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٣.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ١٩.

وقال الحسن: كانت غفار وأسلم أهل سلة في الجاهلية، أي سرقة، فلما أسلموا قالت قريش: لو كان خيرًا ما سبقونا إليه[١].

وذكر صاحب النظم في اللام في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وجهين: **أحدهما** أن تكون اللام بمنزلة الإيماء إليهم، كأنه يقول: وقال الذين كفروا لو كان هذا الذي جاء به محمد خيرًا لما سبقنا هؤلاء إليه، فقام قوله: (للذين آمنوا) مقام هؤلاء بالتفسير لهم مَن هم، **والوجه الآخر**: أن يكون المعنى: وقال الذين كفروا للذين آمنوا على المخاطبة كما تقول: قال زيد لعمرو، ثم ترك المخاطبة[٢] ولون الكلام كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢] قوله: ﴿وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ﴾ أي: ولما لم يصيبوا الهداية بالقرآن فسينسبونه إلى الكذب وهو قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ﴾ أي: أساطير الأولين. ويدل على أن المراد بقوله: (الذين كفروا) اليهود قوله: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ﴾ يعني قبل: القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ يريد التوراة ﴿إِمَامٗا﴾ يقتدى به ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ من الله ﷻ للناظر فيه بما يجد من نور الهدى، وفي الكلام محذوف به يتم المعنى على تقدير: فلم يهتدوا به، ودل على هذا المحذوف قوله في الآية الأولى: ﴿وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ﴾[٣]، وذلك أن في التوراة بيان بعث النبي ﷺ والإيمان به فتركوا ذلك، وهذا

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكر السمين الحلبي في «الدر المصون» أن اللام يجوز أن تكون لام العلة أي لأجلهم، وأن تكون للتبليغ. انظر: «الدر المصون» ٦/ ١٣٧.

(٣) ذكر ذلك البغوي في تفسيره /٢٥٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٧٦، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٩١، والمؤلف في «تفسير الوسيط» ٤/ ١٠٥.

معنى قول مقاتل؛ لأنه قال: ومن قبل هذا القرآن قد كذبوا بالتوراة لقولهم[(١)] ﴿إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٤٨].

قال أبو إسحاق: (إمامًا) منصوب على الحال ورحمةً عطف عليه[(٢)]، وتقدير الكلام: وتقدمه كتاب موسى إمامًا؛ لأن معنى (ومن قبله) تقدمه وتم الكلام[(٣)]، ثم قال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ قال المفسرون: للكتب التي قبله[(٤)].

قال أبو إسحاق: مصدق لما بين يديه، كما قال: ﴿كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٣٠] وحذف هاهنا التقدم[(٥)].

١٢- قوله: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ والمعنى: وهذا كتاب مصدق له أي لكتاب موسى، فحذف للعلم به، و ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوب على الحال، المعنى: مصدق لما بين يديه عربيًّا، وذكر (لسانًا) توكيد كما تقول: جاءني زيد رجلًا صالحًا، فتذكر رجلًا توكيدًا، قال وفيه وجه آخر وهو: وهذا كتاب مصدق النبي ﷺ فيكون التقدير مصدق ذا لسان عربي[(٦)]، وذكر الأخفش هذين القولين أيضًا[(٧)].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ١٩.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٠.

(٣) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس ص ٦٦١، و«المكتفى» للداني ص ٥٢١.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٥٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٩١.

(٥) الذي في «معاني القرآن» للزجاج: (وحذف له هاهنا أعني من قوله: "وهذا كتاب مصدق" لأن قبله ومن قبله كتاب موسى، فالمعنى وهذا كتاب مصدق له، أي مصدق التوراة) ٤/ ٤٤١.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤١.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٩٣.

قوله: ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابن عباس: أشركوا[١]، وقال مقاتل: يعني مشركي مكة[٢].

وفي قوله (لينذر) قراءتان[٣]: التاء: لكثرة ما ورد من هذا المعنى بالمخاطبة كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥] و﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢] والياء لتقدم ذكر الكتاب، فأسند الإنذار إلى الكتاب كما أسند إلى الرسول ﷺ في قوله: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾، ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ١-٢].

وقوله: ﴿وبشرى﴾، قال إسحاق: الأجود أن يكون (وبشرى) في موضع رفع، المعنى: وهو بشرى للمحسنين. قال: ويجوز أن يكون في موضع نصب على معنى: لتنذر الذين ظلموا وتبشر المحسنين بشرى[٤]، وزاد الفراء هذا الوجه بيانًا فقال: النصب على (لتنذر الذين ظلموا) وتبشر، فإذا وضعت في موضعه بشرى أو بشارة، نصبت، ومثله في الكلام: أعوذ بالله منك. وسَقْيًا لفلان، كأنه قال: وسقى الله فلانًا، وجئت لأكرمك وزيارة لك وقضاء لحقك، معناه لأزورك وأقضي حقك، فتنصب الزيارةَ والقضاءَ بفعل مضمر[٥].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٣.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ١٩.

(٣) قرأ ابن نافع وابن عامر والبزي بالتاء، وقرأ الباقون بالياء. انظر: «الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٧١، و«حجة القراءات» لابن زنجلة ص ٦٦٢.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤١.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٢، والكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ١١٠ أ.

قوله تعالى: (لِلْمُحْسِنِينَ) قال عطاء والكلبي[١] ومقاتل[٢]: وبشرى بالجنة للموحدين المؤمنين.

١٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ روى الأسود بن هلال[٣] عن أبي بكر الصديق، في هذه الآية، قال: استقاموا على ما افترض عليهم[٤]، وقال مقاتل: استقاموا على المعرفة فلم يرتدوا عنها[٥]. وهذه الآية مفسَّرة في سورة حم السجدة [آية: ٣٠].

١٥- قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ قد تقدَّم الكلامُ في نظير هذه الآية في سورة العنكبوت [آية: ٣٠] ولقمان [آية: ١٤].

قوله: ﴿حُسْنًا﴾ قال مقاتل: برًّا[٦] وقرئ (إحسانًا) والإحسان خلاف الإساءة، والحسن خلاف القبح، فمن قال (إحسانًا) فحجته قوله في سورة بني إسرائيل: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] لم يختلفوا فيه، وانتصابه على المصدر، وذلك أن معنى قوله (ووصينا الإنسان): أمرناه بالإحسان أي ليأت الإحسان إليهما دون الإساءة، ولا يجوز أن يكون انتصابه بوصينا؛ لأن وصينا قد استوفى مفعوليه أحدهما: الإنسان، والآخر: المتعلق بالباء، ومن قال (حُسْنًا) كان المعنى ليأت في أمرهما أمرًا ذا حسن

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٣. (٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ١٩.

(٣) هو: الأسود بن هلال المحاربي كوفي قتل في الجماجم سنة نيف وثمانين، وقيل: أدرك الجاهلية وحديثه عن الصحابة في الصحيحين وغيرهما عن معاذ بن جبل. انظر: «أسد الغابة» ١/ ٨٨، و«الإصابة» ١/ ١٠٥.

(٤) أخرج ذلك الطبري في «تفسيره» ١٢/ ٢/ ١٥، وذكره القرطبي في «الجامع» ١٥/ ٣٥٨.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ١٩، ٢٠.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ١٩، ٢٠.

أي: ليأت الحسن في شأنهما دون القبح، وحجته ما في العنكبوت ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [آية: ٨] لم يختلف فيه، فأما الباء في قوله: ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾ فإنها تتعلق بوصينا بدلالة قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥١- ١٥٣] ويجوز أن تتعلق بالإحسان، يدل على ذلك قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠] وعلى هذا تعلقها بمضمر يفسره الإحسان؛ لأنه يجوز تقدمها على الموصول، ولكن يضمر ما يتعلق به، ويجعل الإحسان مفسرًا لذلك المضمر، كأنه قيل: ووصينا الإنسان أن يحسن بوالديه، ومثل هذا قول الراجز:

كان جَزَائِي بالعَصَا أَنْ أُجْلَدَا[١]

في قول من علق الباء بالجلد، ولم يعلقه بالجزاء[٢] قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ وقرئ (كَرْهًا)[٣] والكَرْه المصدر من كَرِهْتُ الشيء أَكْرَهُهُ، والكُرْه الاسم، كأنه الشيء المكروه، قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] فهذا[٤] وقال: ﴿أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩] فهذا في موضع حال، ولم تقرأ بغير الفتح، فما كان مصدرًا أو في موضع الحال فالفتح فيه أحسن، وما كان اسمًا نحو: ذهب به على كُرهٍ، كان الضم فيه أحسن، وقد قيل إنهما لغتان، فمن ذهب إلى ذلك جعلهما مثل الشَّرْبِ والشُّرْب، والضَّعف والضُّعف، والفَقْر والفُقْر،

---

(١) الرجز للعجاج. انظر: «المحتسب» ٢/ ٣١٠، و«شرح الأبيات المشكلة الإعراب» لأبي علي ص ١١٩، و«الحجة» ٦/ ١٨٢.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٨٢.

(٣) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو. انظر: «الحجة» ٦/ ١٨٤.

(٤) فيه زيادة لفظ (بالضم). انظر: «الحجة» ٦/ ١٨٤.

ومن غير المصادر الدَّفُ والدُّف، والشَّهْد والشُّهْد[١].

قال المفسرون: حملته أمه في مشقة ووضعته في مشقة[٢]، وليس يريد ابتداء الحمل؛ لأن ذلك لا يكون مشقة، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ [الأعراف: ١٨٩] يريد ابتداء الحمل، فإنها تحمل علقة ومضغة، فإذا ثقلت حينئذ حملته كرهًا، يدل على ما ذكرنا قول ابن عباس في هذه الآية: يريد ثقل عليها يعني الولد في حملها إياه، ووضعته كرها، يريد شدة الطلق[٣].

قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ يريد أن مدة حمله إلى أن فصل من الرضاع كانت هذا القدر، والمعنى: أنهما يقعان في ثلاثين شهرًا من ابتداء الحمل إلى أن يفصل. روى مسلم بن صبيح عن ابن عباس قال: حملته ستة أشهر والفصال حولين، وروى عكرمة عنه قال: إذا حملت تسعة أشهر أرضعته إحدى وعشرين شهرًا، وإذا حملته ستة أشهر أرضعته أربعة وعشرين شهرًا[٤].

وهذه الآية نازلة في أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٥]، روى ذلك

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٨٤.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ١٥، و«تفسير الماوردي» ٥/ ٢٧٦، و«تفسير ابن كثير» ٦/ ٢٨٠.

(٣) ذكر ذلك في «الوسيط» عن ابن عباس، انظر: ٤/ ١٠٧.

(٤) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٥٧، وأخرجه ابن كثير في «تفسيره» عن عكرمة عن ابن عباس ٦/ ٢٨١.

(٥) أورد ذلك المؤلف في «أسباب النزول» بدون سند ص ٤٠١، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١١٠ ب، وكذلك ذكره البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٥٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٧٨.

الكلبي وعطاء عن ابن عباس. وهو قول مقاتل[١] واختيار صاحب النظم قال: لأن الله تعالى قد وَقَّتَ الحمل والفصال هاهنا بتوقيت يعلم أنه قد ينقص ويزيد لاختلاف الناس في الولادة، فدل هذا على أنه مقصود به إنسان بعينه كان حمله وفصاله ثلاثين شهرًا، فيمكن أن يكون أبو بكر كان حمله وفصاله هذا القدر، ويدل على ما ذكرنا قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾، إلى آخر الآية، وقد علمنا أن كثيرًا ممن بلغ هذا المبلغ من المؤمنين وغيرهم لم يكن منه هذا القول، فثبت بذلك أن هذا في إنسان بعينه وهو الصديق رضي الله عنه[٢]، والآية من باب حذف المضاف لأن التقدير: ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهرًا.

قال الأزهري المعنى: ومَدَى الحَمْل للمرأة منتهى الوقت الذي يفصل فيه الولد عن رضاعه ثلاثون شهرًا[٣]، والكلام في معنى الفصال قد تقدم في سورة البقرة [آية: ١٢٣].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ اختلفوا في معنى بلوغ الأشد هاهنا فروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد ثمان عشرة سنة، وذلك أن أبا بكر صحب رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي ﷺ ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في التجارة فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد رسول الله ﷺ في ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله من الدين فقال له: مَنْ الرجل

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٠.

(٢) وهو الذي ورد في سبب نزول الآية كما سبقت الإشارة إليه، وقد ذكر السيوطي في «الدر» أنه أخرجه ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «الدر المنثور» ٧/ ٤٤١.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (فصل) ١٢/ ١٩٣.

الذي في ظل السدرة؟ فقال: ذاك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: هذا والله نبي، وما استظل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم إلا محمد نبي الله، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، وكان لا يكاد يفارق رسول الله ﷺ في أسفاره وحضوره فلما نبئ رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة وأبو بكر ابن ثمان وثلاثين سنة فأسلم وصدق رسول الله ﷺ فلما بلغ أربعين سنة قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾[1] الآية.

وروى مجالد عن الشعبي قال: الأشد بلوغ الحلم، إذا كتبت له الحسنات وكتبت عليه السيئات[2]، وقال الحسن: هو بلوغ الأربعين[3] والأكثرون من أهل التفسير على أنه ثلاث وثلاثون سنة وهو قول مجاهد[4] ورواه عن ابن عباس، وقول مقاتل وقتادة، واختيار الفراء[5] والزجاج، قال الزجاج: الأكثر أن يكون ثلاثًا وثلاثين سنة؛ لأن الوقت الذي يكمل فيه الإنسان في بدنه وقوته واستحكام شبابه أن يبلغ بضعًا وثلاثين سنة[6]،

---

(١) ذكر ذلك المؤلف في «أسباب النزول» ص ٤٠١، وأورده البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٥٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٧٨، وقال رواه عطاء عن ابن عباس، وذكره القرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٩٤.

(٢) أخرج ذلك الطبري في تفسيره ١٣/ ٢/ ١٦، وذكره الماوردي ونسبه للشعبي ٥/ ٢٧٦.

(٣) ذكر ذلك الماوردي في «تفسيره» ٥/ ٢٧٧، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٩٤ عن الحسن.

(٤) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد وقتادة، انظر: «تفسيره» ١٣/ ٢/ ١٦، وانظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٠، ونص العبارة عنده: فهو في القوة والشدة من ثماني عشرة إلى الأربعين سنة.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٢.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٢.

وقال الفراء: الأشبه بالصواب ثلاث وثلاثون؛ لأن الأربعين أقرب في النسق إلى ثلاث وثلاثين منها إلى ثمان عشرة، ألا ترى أنك تقول: أخذت عامة المال أو كله، فيكون أحسن من قولك: أخذت أقل المال أو كله، ومثله قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [المزمل: ٢٠] فبعض ذا قريب من بعض، فهذا سبيل كلام العرب[١].

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ قال ابن عباس: دعا ربه فقال: اللهم ألهمني[٢] ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ يريد: هديتني وجعلتني مؤمنًا صديقًا، لا أشرك بك شيئًا.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ عن علي أنه قال: هذه الآية في أبي بكر أسلم أبواه جميعًا، ولم يجتمع لأحد من الصحابة المهاجرين أبواه غيره، أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده[٣].

قال المفسرون: ووالداه أبو قحافة عثمان بن عمرو، وأم الخير بنت صخر بن عمرو[٤].

وقوله: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ قال ابن عباس: فأجابه الله تعالى فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم: بلال، وعامر بن فهيرة، ولم يَدَع شيئًا من الخير إلا أعانه الله عليه.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٢.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٥، و«ابن كثير» ٦/ ٢٨٢ فقد ذكرا المعني من غير نسبة.

(٣) أخرج ذلك الثعلبي في «تفسيره» عن علي ١٠/ ١١٠ب، وذكره البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٥٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٧٨، من غير نسبة، ونسبه القرطبي لعلي. انظر: ١٦/ ١٩٤، وكذلك نسبه في «الوسيط» لعلي. انظر: ٤/ ١٠٧.

(٤) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ٧/ ٢٥٧، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٩٤.

وقوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ قال أبو إسحاق: معناه: اجعل ذريتي صالحين[١].

قال ابن عباس: فلم يبق له ولد ولا والد ولا والدة إلا آمنوا بالله وحده[٢]. وقال مقاتل: يعني واجعل أولادي مؤمنين، فأسلموا أجمعون[٣].

قال المفسرون: ولم يكن أحد من الصحابة أسلم هو ووالده وبنوه وبناته إلا أبو بكر[٤].

قال مقاتل: ثم قال أبو بكر: ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من الشرك ﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ يعني المخلصين بالتوحيد[٥]. وقال عطاء: إني رجعت إلى كل ما تحب[٦] وأسلمت لك بقلبي ولساني.

١٦- وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي أهل هذا القول: ﴿ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾ قرئ بضم الياء على بناء الفعل للمفعول وقرئ بالنون المفتوحة، وكذلك ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾ وكلاهما في المعني واحد؛ لأن الفعل وإن كان مبنيًّا

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٢.

(٢) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٥٨، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٩٥، والمؤلف في «الوسيط» ٤/ ١٠٨.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٠.

(٤) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ٧/ ٢٥٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٧٨، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٩٥.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٠.

(٦) ذكر ذلك الماوردي في هذه الجملة عن ابن عباس بلفظ: رجعت عن الأمر الذي كنت عليه ٥/ ٢٧٨، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» بنص عبارة المؤلف ولم ينسبه ٧/ ٣٧٨، وكذلك ذكره في «الوسيط» عن عطاء عن ابن عباس. انظر: ٤/ ١٠٨.

للمفعول فمعلوم أنه لله سبحانه، فبناؤه للمفعول في العلم بالفاعل كبنائه للفاعل كقوله: ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] والفعل معلوم أنه لله وإن بني للمفعول كقوله: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ووجه قول من قرأ بالنون أنه قدم تقدم قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ فكذلك يُتَقَبَّلُ(١).

وقوله: ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ يعني: الأعمال الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن، فالأحسن بمعنى التحسن كقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ﴾ [الزمر: ٥٥] وقد مر، وقال بعض أهل المعاني: الحسن من الأعمال المباح الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب، والأحسن ما يوجب الثواب من خير وطاعة(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ قال الحسن: هذا لمن أراد الله كرامته(٣)، وقال عطاء: يريد ما كان في الشرك.

قوله: ﴿فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ قال مقاتل: (في) بمعنى: مع(٤)، وعلى هذا المعنى أنه يفعل بهم ما يفعل بأصحاب الجنة كما تقول: يعطى زيد مع القوم، ويجوز أن يكون المعنى: ونتجاوز عن سيئاتهم في جملة ما نتجاوز عنهم وهم أصحاب الجنة؛ لأنهم أهل التجاوز عنهم، وكأنه قال: ونتجاوز

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون، وقرأ الباقون بالياء. انظر: كتاب «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٨٤، و«السبعة» لابن مجاهد ص٥٩٧، و«الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٧٢، و«حجة القراءات» لابن زنجلة ص ٦٦٤.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٩٦.

(٣) انظر: «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢٣٣.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢١.

في جملة من نتجاوز عنهم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ قال أبو إسحاق: هو مصدر مؤكد لما قبله؛ لأن قوله (نتقبل) و(نتجاوز) بمعنى الوعد لأن الله قد وعدهم القبول، فوعد الصدق توكيد لذلك[٢].

قال المفسرون: ومعنى (وعد الصدق): هو ما وعد الله أهل الإيمان أن يتقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم[٣]، ومعنى التجاوز في اللغة: ترك الوقوف على الشيء، يقال: جاز عنه وتجاوز، ثم استعمل بمعنى العفو؛ لأنه بمعنى الترك للذنب والمحاسبة عليه[٤]، ووعد الصدق من باب إضافة الشيء إلى نفسه؛ لأن الصدق هو ذلك الوعد الذي وعده الله فهو كقوله[٥]: ﴿حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥] هذا على مذهب الكوفيين، وعند البصريين يكون التقدير: وعد الكلام الصدق، والكتاب الصدق فحذف الموصوف[٦].

وقوله: ﴿الذي كانوا يُوعَدُون﴾، قال الكلبي: كانوا يوعدون في

(١) قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: أي هؤلاء المتصفون بما ذكرنا التائبون إلى الله المنيبون إليه المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار، هم الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم، فيغفر لهم الكثير من الزلل ونتقبل عنهم اليسير من العمل. انظر: «تفسير ابن كثير» ٦/ ٢٨٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٣.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ١٨، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٥٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٩٦، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١٠٨.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (جوز) ١١/ ١٤٩، و«الصحاح» (جوز) ٣/ ٨٧٠.

(٥) انظر: «وضح البرهان في مشكلات القرآن» ٢/ ٢٩٦.

(٦) انظر: «فتح القدير» للشوكاني ٥/ ١٩.

الدنيا على لسان الرسل[١]، وهو قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٢].

١٧- قوله: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾ ذكر المفسرون في هذه الآية قولين، الأكثرون على أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر[٢]، وهو قول ابن عباس[٣] وأبي العالية والسدي ومقاتل[٤] ومجاهد قالوا: نزلت فيه قبل إسلامه[٥] كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى وهو قوله "أف لكما". قال مقاتل: يعني الرديء من القول[٦]، وذكرنا تفسير أُف، والقراءة فيه في سورة بني إسرائيل [آية: ٢٣]، قال المفسرون: دعاه أبواه إلى الإسلام وأخبراه بالبعث بعد الموت فقال: ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ أي: من القبر يعني: أبعث بعد الموت ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ يعني الأمم الخالية، فلم أر أحدًا منهم، فأين عبد الله بن جدعان، وأين عثمان بن

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٤، وذكر هذا المعنى الماوردي، ولم ينسبه. انظر: «تفسيره» ٥/ ٢٩، وأيضًا ذكره ابن الجوزي، ولم ينسبه. انظر: «زاد المسير» ٧/ ٣٧٩.

(٢) أخرج ذلك البخاري في صحيحه. انظر: كتاب التفسير سورة الأحقاف باب «والذي قال لوالديه أف لكما..) ٢/ ٦/ ٤١.

(٣) أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٢/ ١٩، وانظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٧٩، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٥٨، و«الجامع» للقرطبي ١٦/ ١٩٧.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٥٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٩٧، و«تفسير ابن كثير» ٦/ ٢٨٤، و«تفسير مقاتل» ٤/ ٢١.

(٥) وقد ضعف هذا القول ابن كثير في تفسيره ٦/ ٢٨٤، وكذلك ضعفه ابن حجر في الفتح، فقال: قلت: لكن نفي عائشة أن تكون نزلت في عبد الرحمن وآل بيته أصح إسنادًا وأولى بالقبول. انظر: «فتح الباري» التفسير ٨/ ٥٧٦.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢١.

عمرو[١] وفلان وفلان[٢].

قوله تعالى: ﴿وَهُمَا﴾ يعني والديه ﴿يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يدعوان الله بالهدى وأن يقبل بقلبه إلى الإسلام والمعنى: يستغيثان بالله من كفره وإنكاره، فلما حذف الجار وصل الفعل، ويجوز أن يكون الباء حذف لأنه أريد بالاستغاثة الدعاء على ما قال المفسرون يدعوان الله، والاستغاثة بالله دعاء ليغيثك فيما نابك، فلما أريد به الدعاء حذف الجار[٣]؛ لأن الدعاء لا يقتضيه ومثله كثير.

قوله: ﴿وَيْلَكَ﴾ أي: ويقولون له: ويلك ﴿ءَامِنْ﴾ صدق بالبعث ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ فَيَقُولُ﴾ لهما ﴿مَا هَٰذَآ﴾ الذي تقولان من أمر البعث وتدعوانني إليه ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقال الحسن وقتادة: هذه الآية مرسلة عامة، وهي نعت عبد كافر عاق لوالديه[٤]، وكانت عائشة رضي الله عنها تنكر أن تكون الآية في عبد الرحمن، وقالت: إنها في فلان بن فلان وسَمَّت رجلًا[٥]. وقال أبو إسحاق: من قال إنها نزلت في عبد الرحمن قبل إسلامه يبطله.

١٨- قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ الآية، فأعلم الله أن

---

(١) هو: عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة من عدنان جد جاهلي بنوه بطن من مزينة منهم زهير بن أبي سلمى وآخرون صحابة وشعراء محدثون.
انظر: «جمهرة الأنساب» ص ١٩٠، و«الأعلام» ٤/ ٢١٢.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١١١ أ، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٥٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٩٨، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١٠٩.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٩٨، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١٠٩.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٥٩، و«الجامع» ١٦/ ١٩٧، فقد نسباه للحسن وقتادة.

(٥) انظر: «فتح الباري» ٨/ ٥٧٦، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٥٩، و«زاد المسير» ٧/ ٣٨٠، و«الجامع» للقرطبي ١٦/ ١٩٧.

هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب، وإذا أعلم بذلك فقد أعلم أنهم لا يؤمنون وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين وسرواتهم، أجاب الله فيه دعاء أبيه فأسلم، والتفسير الصحيح أنها نزلت في الكافر العاق(١)، وقال صاحب النظم: ذكر الله تعالى في الآيتين قبل هذه من بر بوالديه وعمل بوصية الله، ثم ذكر من لم يعمل بالوصية فقال لوالديه: أف لكما بصفة العقوق، حيث لم يطع الله في قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] وعلى هذا القول نزلت في كافر عاق مات على عقوقه وكفره، ثم دخل فيها من كان بهذه الصفة لقوله بعد هذا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ والذين قالوا الآية في عبد الرحمن قبل إسلامه قالوا: في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾. نزل في الذين ذكرهم عبد الرحمن من المشركين الذين ماتوا قبله هم الذين حق عليهم القول، وليس عبد الرحمن من جملتهم؛ لأنه آمن وحسن إيمانه، ذكر ذلك الكلبي(٢) ومقاتل(٣)، وهذه الآية مفسَّرة في سورة ﴿حمٓ﴾ السجدة [آية: ٢٥].

١٩- قوله تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾ ذكر ابن عباس ومقاتل: أن هذه الآية خاصة في المؤمنين.

قال ابن عباس: يريد من سبق إلى الإسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو بساعة(٤).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٣.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٤.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٢.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٥٩، فقد ذكر هذا القول ونسبه لابن عباس، وكذلك نسبه في «الوسيط» لابن عباس. انظر: ٤/ ١١٠.

وقال مقاتل: يعني ولكل فضائل بأعمالهم[١]، وذهب بعضهم إلى الإشارة في هذه الآية إلى إسلام عبد الرحمن، فإنه كان مسبوقًا بالإسلام، فبين الله للسابق درجة وللمسبوق درجة، ومذهب ابن زيد أن الآية في الفريقين من المؤمنين والكافرين، فقال: (ولكل) يعني من الفريقين درجات، قال: درج أهل الجنة تذهب علوًّا، ودرج أهل النار تذهب سفالًا[٢].

وقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾ يعني: أن الدرجات المتفاوتة كانت لهم من أعمالهم ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يريد مجازاة أعمالهم وثواب أعمالهم قاله ابن عباس، ومقاتل[٣].

٢٠- قوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ قال مقاتل: يعني يكشف الغطاء عنها لهم فينظرون إليها، يعني كفار مكة[٤].

قوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ قرئ بالاستفهام والخبر، قال الفراء[٥] والزجاج[٦]: العرب توبخ بالألف، وبحذف الألف فتقول: أذهبت ففعلت كذا وكذا، وذهبت ففعلت كذا وكذا، والمعنى في القراءتين: يقال لهم هذا فحذف القول، قال أبو علي: وجه الاستفهام أن هذا النحو قد جاء بالاستفهام نحو: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ﴾ [الأحقاف: ٣٤]، ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٢.

(٢) أخرج ذلك الطبري عن ابن زيد. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٢/ ٢٠، وانظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٥٩، و«تفسير ابن كثير» ٦/ ٢٨٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٩٩.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٢. ولم أقف على نسبته لابن عباس.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٢. ولم أقف على نسبته لابن عباس.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٤.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٤.

إِيمَٰنِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ووجه الخبر أن المراد هاهنا التقرير، فالاستفهام مثل الخبر، ألا ترى أن هذا الاستفهام الذي يراد به التقرير لا يجاب بالفاء كما يجاب بها إذا لم يكن تقريرًا، فكأنهم يوبَّخُون بهذا الذي يخبرون به ويُبَكَّتُون[1]، قال الكلبي: يعني اللذات وما كانوا فيه من المعايش وتمتعهم بها في الحياة الدنيا[2].

وذكر المفسرون عن النبي ﷺ والصحابة أخبارًا في هذه الآية، أنهم كانوا يجتنبون نعيم العيش ولذته بالطيبات في الدنيا[3]؛ لأن الله تعالى وبخ الكافرين بذلك، وذلك مذهب الصالحين يؤثرون في الدنيا التقشف والزهد رجاء أن يكون ثوابهم في الآخرة أكمل، ولا عتب على المؤمن في التمتع بما أحل الله له وأباحه من نعيم العيش والتمتع بالطيبات في الدنيا، وإنما وبخ الكافر بذلك؛ لأنه تمتع بها ولم يؤد شكر المنعم بطاعته والإيمان به، والمؤمن يؤدي بإيمانه شكر المنعم فلا يوبَّخ بتمتعه، وهذا معنى قول مقاتل[4]، وهو حسن، قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: تتكبرون عن عبادة الله والإيمان به ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ تعصون.

٢١- قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: واذكر يا محمد لقومك أهل مكة [وهودًا][5] -عليه السلام- (إذ أنذر

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٨٩.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٤، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١١٠.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ٢١، و«زاد المسير» ٧/ ٣٨٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٠٠، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١١٠.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٢.

(٥) كذا في الأصل ولعل الصواب (هودًا). وانظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٢، ولم أقف على نسبته لابن عباس.

قومه) حذرهم عذاب الله إن لم يؤمنوا، وقوله (بالأحقاف) قال أبو عبيد عن الأصمعي[(١)]: الحقف الرمل المعوج، ومنه قيل للمعوج محقوقف، وقال الفراء: الأحقاف واحدها حقف، وهو المستطيل المشرف[(٢)].

وقال أبو عبيدة: الأحقاف الرمال، وأنشد:

بَاتَ إلى أرْطَاةِ حِقْفٍ أحْقَفا[(٣)]

قال المبرد: الأحقاف واحدها حقف، وهو الكثيب المكتبر غير العظيم وفيه اعوجاج، يقال للشيء: احقوقف، إذا هم بأن تلاقى طرفاه، كما قال العجاج:

سَمَاوَةُ الهِلالِ حتَّى احقَوْقَفَا[(٤)]

ويقال أيضًا في جميع الحقف حقاف وحقوف، قال امرؤ القيس:

ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ[(٥)]

---

(١) انظر: قول أبي عبيد في «تهذيب اللغة» (حقف) ٤/ ٦٨، وانظر: «العين» للخليل (حقف) ٣/ ٥١.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٤.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٣، وقد نسب هذا الرجز للعجاج، ونسبه إليه أيضًا الطبري في «تفسيره» ١٣/ ٢/ ٢٣، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٠٣.

(٤) انظر: «الكامل» للمبرد ١/ ١٥٠، ١٥٣، و«الكتاب» لسيبويه ١/ ٣٥٩، وانظر: ملحقات «ديوان العجاج» ص٨٤، و«تهذيب اللغة» (حقف) ٤/ ٦٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٠٣.

(٥) البيت بتمامه:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى ... بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

الحقاف: ما ارتفع من الأرض وغلظ. والعقنقل: الرمل المتعقد الداخل بعضه في بعض. انظر: «ديوانه» ص١١٥، و«شرح المعلقات العشر» ص٢٨، و«الدر المصون» ٦/ ١٤١.

وقال رؤبة:

مثل الأقاحِ اهْتَزَّ بالحُقُوف[(١)].

وذكر الكلبي سبب هذه الرمال واعوجاجها، فقال: هي رمال نضب الماء عنها زمان الغرق، كما ينضب الماء عن المكان من الجبل ويبقى أثره[(٢)] وينضب أيضًا عن مكان أسفل من ذلك، ويبقى أثره دون ذلك، فذلك الأحقاف.

قال ابن عباس: الأحقاف واد بين عمان ومهرة[(٣)]، وإليها تنسب الجمال المهرية[(٤)]، وقال عطاء عنه: هي رمال بلاد الشِّحر، وهو قول قتادة[(٥)]، وقال مقاتل: هي دكاك الرمل باليمن في حضرموت[(٦)(٧)].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكر ذلك الثعلبي عن الكلبي ١٠/ ١١٤ أ، والقرطبي عن الكلبي ١٦/ ٢٠٤.

(٣) مَهَرة: قال العمراني: مهرة بلاد تنتسب إليها الإبل، قلت: هذا خطأ إنما مهرة قبيلة وهي مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة تنسب إليهم الإبل المهرية وباليمن لهم مخلاف يقال بإسقاط المضاف إليه، وبينه وبين عُمان نحو شهر وكذلك بينه وبين حضرموت فيما زعم أبو زيد وطول مخلاف مهرة أربع وستون درجة وعرضه سبع عشرة درجة وثلاثون دقيقة.
انظر: «معجم البلدان» ٥/ ٢٣٤.

(٤) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١١٤ أ، والماوردي في تفسيره ٥/ ٢٨٢، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٦٢، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٠٤.

(٥) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١١٤ أ، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٦٢.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٣.

(٧) حضرموت: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبها قبر هود -عليه السلام-، ولها مدينتان يقال لإحداهما تريم وللأخرى شبام. وعندها قلاع وقرى. =

وقال مجاهد: هي أرض حِسْمَى[(١)(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ قال مقاتل: وقد مضت الرسل من قبل هود ومن بعده إلى قومهم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يعني: لم يبعث رسولًا من قبل هود ولا من بعد هود إلا أمر بعبادة الله وحده[(٣)]،

وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ كلامٌ اعترض بين إنذار هود وكلامه لقومه[(٤)]، لأن التقدير: إذ أنذر قومه بالأحقاف فقال: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فذكر فصلًا مؤكدًا لهذا الكلام، ثم عاد إلى كلام هود لقومه بقوله[(٥)]:

٢٢- ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهذا معنى قول مقاتل، فقالوا لهود: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ قال ابن عباس ومقاتل: لتصدنا عن

= وقال ابن الفقيه: حضرموت مخلاف من اليمن بينه وبين البحر رمال، وبينه وبين مخلاف صُداء ثلاثون فرسخًا. وقيل: مسيرة أحد عشر يومًا. وقال الإصطخري: بين حضرموت وعدن مسيرة شهر. انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٢٧٠.

(١) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد انظر: «تفسيره» ١٣/ ٢/ ٢٣، وأورده الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١١٤ أ.

(٢) حسمى: بالكسر ثم السكون مقصور، يجوز أن يكون أصله من الحسم وهو المنع. وهو أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القرى ليلتان، وأهل تبوك يرون جبل حسمى في غربيهم وفي شرقيهم شَرَورَى، وبين وادي القرى والمدينة ست ليال. وحِسمى أرض غليظة وماؤها كذلك لا خير فيها ويقال آخر ماء نضب من ماء الطوفان حسمى فبقيت منه هذه البقية إلى اليوم فلذلك هو أخبث ماء. انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٢٥٨.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٣.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٧/ ٣٨٤.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٧/ ٣٨٤.

عبادة آلهتنا[١].

وقال أبو إسحاق: لتصرفنا عنها بالإفك[٢][٣]، ثم استعجلوا العذاب فقالوا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ إن العذاب نازل بنا، قال هود:

٢٣- ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي هو يعلم متى يأتيكم العذاب، وهذا معنى قول المفسرين[٤]، يعني: يعلم نزول العذاب بكم، ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ أي: من الوحي والإنذار، يعني: أنا مبلغ والعلم بوقت العذاب عند الله و﴿وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ قال عطاء: تجهلون عظمة الله وما يراد بكم من العذاب، وقال الكلبي: تجهلون الأمر أنه من الله[٥]، وقال أبو إسحاق: أي أدلكم على الرشاد وأنتم تصدون وتعبدون آلهة لا تنفع ولا تضر[٦].

٢٤- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ ذكر المبرد في الضمير في (رأوه) قولين أحدهما: أنه عاد إلى غير مذكور وبيَّنه قولُه تعالى: ﴿عَارِضًا﴾[٧]، كما قال: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] ولم يذكر الأرض، ولكن يدل عليها العلم بها وما دل عليه الكلام، وعلى هذا الضمير يعود إلى السحاب كأنه قيل: فلما رأوا السحاب عارضًا، وهذا قول المفسرين

---

(١) انظر: «الطبري» ١٣/ ٢/ ٢٤، و«القرطبي» ١٦/ ٢٠٥، و«تفسير مقاتل» ٤/ ٢٣.

(٢) أفَكَ يأفِكُ وأفِكَ يَأفَكُ إذا كذب، والإفْكُ: الإثم، والإفك: الكذب. انظر: «تهذيب اللغة» (أفك) ١٠/ ٣٩٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٥.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ٢٥، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٦٣.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٥ ولم أقف على قول عطاء.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٥.

(٧) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٦٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٠٥.

واختيار الزجاج[(١)]، ويكون هذا من باب الإضمار على شريطة التفسير، القول الثاني: أن الضمير عاد إلى: (ما) في قوله: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾، فلما رأوا ما يوعدون[(٢)] عارضًا.

قال أبو زيد: العارض السحاب يراها في ناحية السماء[(٣)].

وقال أبو عبيدة: العارض من السحاب الذي يرى في قطر من أقطار السماء بالعشي، ثم يصبح وقد حبا حتى استوى[(٤)]، وهذا قول مقاتل: العارض بعض السحابة ثم تطبق السماء[(٥)].

قوله: ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ قال المفسرون: كان عاد قد حبس عنهم المطر أيامًا فساق الله إليهم سحابة سوداء فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث[(٦)]، فلما رأوه مستقبل أوديتهم استبشروا[(٧)] ﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ﴾ والمعنى: ممطر إيانا، وهذا كقوله: ﴿هَدْيَاۢ بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقد مر.

قال عمرو بن ميمون: كان هو قاعدًا في قومه فجاء سحاب

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ٢٥، و«تفسير الثعلبي» ١٠/ ١١٤ ب، و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٥.

(٢) ذكر القولين السمين الحلبي في «الدر المصون» ٦/ ١٤١.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٦٩.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٣.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٣.

(٦) المُغِيث: بالضم ثم الكسر وآخره ثاء مثلثة: اسم الوادي الذي هلك فيه قوم عاد، وقال أبو منصور: بين معدن النَّقْرة والرَّبذة ماء يعرف ماوان ماء وشروب. انظر: «معجم البلدان» ٥/ ١٦٢.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ٢٥، و«تفسير الثعلبي» ١٠/ ١١٤ ب.

مكفهر[١]، فقالوا: هذا عارض ممطرنا، فقال هود: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾[٢] قال مقاتل: وكان استعجالهم حين قالوا لهود: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾[٣] ثم بين ما هو فقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والريح التي عذبوا بها نشأت من ذلك السحاب الذي رأوه، قال ابن عباس: كانت الريح تطير بهم بين السماء والأرض حتى أهلكتهم[٤].

٢٥- ثم وصف الريح فقال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال مقاتل: تهلك كل شيء من الناس والدواب والأموال[٥].

وقال ابن عباس: يريد كل شيء بعثت إليه[٦].

﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ بإذن ربها ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ يعني: عادًا ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ قرأه عاصم وحمزة: ﴿يُرَىٰٓ﴾ بالياء مضمومة ﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾ بالرفع، قال أبو إسحاق: تأويله لا يرى شيئًا إلا مساكنهم؛ لأنهم قد هلكوا[٧].

قال أبو علي: تذكير الفعل في هذه القراءة أحسن من لحاق علامة التأنيث، من أجل جمع المساكن، وذلك أنهم حملوا الكلام في هذا الباب على المعنى، فقالوا: ما قام إلا هند، ولم يقولوا: ما قامت، لما كان

---

(١) قال الأصمعي: (المكفهِرَ من السحاب: الذي يَغلَظ ويركَبُ بعضهُ بعضًا)، انظر: «تهذيب اللغة» (المكفهر) ٦/ ٥٠٨.

(٢) أخرج ذلك الطبري عن عمرو بن ميمون انظر «تفسيره» ١٣/ ٢/ ٢٦.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٣.

(٤) ذكر ذلك القرطبي في «الجامع» عن ابن عباس ١٦/ ٢٠٦، ونسبه في «الوسيط» لابن عباس، انظر: ٤/ ١١٣.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٥.

(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٠٦.

(٧) انظر: «معاني الزجاج» ٤/ ٤٤٦.

المعنى: ما قام أحد، حملوه على هذا، وإن كان المؤنث يرتفع بهذا الفعل والتأنيث فيه لم يجئ إلا في شذوذ وضرورة[(١)]، كقوله:

فما بَقِيتْ إلا الضُّلُوعُ الجَرَاشِعُ[(٢)]

وقرأ الباقون: (لا تَرى) بفتح التاء (إلا مساكنَهم) بالنصب على معنى: لا ترى أيها المخاطب، والمساكن مفعول بها، و(ترى) في القراءتين جميعًا من رؤية العين، المعنى: لا تشاهد شيئًا إلا مساكنهم، كأنها قد زالت عما كانت عليه من كثرة الناس بها وما يتبعهم مما يقتنونه[(٣)].

٢٦- قال ابن عباس: فلم يبق إلا هود ومن آمن معه.

ثم خوف كفار مكة وذكر فضل عاد بالقوة والأجسام عليهم فقال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ قال مقاتل: أي: من الخير والتمكين في الأرض[(٤)].

وقال الكلبي: يعني: ملكنا عادًا وأمهلناهم من العمر فيما لم نمكن لكم من العمر والمهلة[(٥)]، والمعنى: مكناهم في الشيء الذى لم نمكنكم فيه يا أهل مكة من الدنيا وكثرة الأموال وشدة الأبدان.

---

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي ٦/ ١٨٦.

(٢) هذا عجز بيت لذي الرمة وصدره قوله:

بَرَى النَّحْزُ والأَجْرَازُ ما في غُرُوضِها

انظر: «ديوانه» ص ٣٤١، و«المحتسب» ٢/ ٢٠٧، و«الحجة» ٦/ ١٨٦، و«الدر المصون» ٦/ ١٤٢.

(٣) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٧٤، و«إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٧٠.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٦.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٥٠٥.

قال المبرد: (مَا) في قوله: ﴿فِيمَا﴾ بمنزلة (الذي)، و(إِن) بمنزلة (ما) وتقديره: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه[١]، ونحو هذا قال الكسائي والفراء[٢]، والزجاج وزاد بيانًا فقال: (إن) في النفي مع (ما) التي في معنى (الذي) أحسن اللفظ من (ما) لاختلاف اللفظين[٣].

وقال ابن قتيبة: معنى الآية: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ فزيدت (أن)[٤]، فقال ابن الأنباري[٥]: وهذا غلط لأن كتاب الله ﷻ ليس فيه حرف لا معنى له، بل كل حرف يفيد فائدة ويزيد معنى، والعرب لا تزيد (إن) على (ما) إذا كانت بمعنى (الذي) والاستفهام والتعجب، بل يزيدونها عليها إذا كانت جحدًا على جهة التوكيد بها، فيقولون: ما إن قمت، وما إن لقيت عبد الله، يؤكدون الجَحْد "بإن" قال دريد ابن الصمة:

مـا إنْ رأيـتُ ولا سُـمِـعـتُ بـه كـالـيَـوْمِ طـالـي أَيْـنُـقٍ صُـهْـب[٦]

أراد: ما رأيت، وقال لبيد:

غُودِرت بعدَهم وكنتُ بطُولِ صُحْبتِهِم ضَنِينَا
ما إنْ رِأيْتُ ولا سَمِعْتُ بمِثْلِهِم في العَالَمِينا[٧]

---

(١) انظر: «الدر المصون» ٦/ ١٤٢، و«تفسير الفخر الرازي» ٢٨/ ٢٩.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٦/ ٥٦، و«إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٧٠.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٦.

(٤) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ٢/ ١٣٠، و«تفسير غريب القرآن» ص ٤٠٨.

(٥) ذكر في «كتاب الاضداد» حول هذه الآية ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ معناه: في الذي قد مكناكم فيه. انظر: «كتاب الأضداد» ص ١٨٩.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) لم أقف عليه.

والعرب تجمع بين الحرفين إذا اتفق معناهما إذا كان لفظهما مختلف كقوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠]. و(ما) في هذه الآية بمعنى (الذي) فلا يزاد معها (إن) لا يقال: ما إن قبضت ديناراك، بمعنى الذي قبضت ديناراك، ثم ذكر الله تعالى أنهم أعرضوا عن قبول الحجج والتفكر فيما يدلهم على التوحيد مع ما أعطاهم الله تعالى من الحواس التي بها تدرك الأدلة قال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ الآية، وفي هذا تخويف لأهل مكة، وضرب المثل لهم بحالة من قبلهم، فإنهم لما لم يستدلوا على توحيد الله ولم يقبلوا ممن دعاهم إليه لزمتهم الحجة ولم تغن عنهم مدارك الأدلة شيئًا، فأهل مكة إن صنعوا كصنعهم استحقوا مثل عذابهم، ثم زاد في التخويف فقال:

٢٧- ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ قال ابن قتيبة: يريد: باليمن والشام[1] ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ بيناها ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل أهل القرى ﴿يَرْجِعُونَ﴾، والمراد بالتصريف التقديم؛ لأنه كان قبل الإهلاك، وقال قوم: تقدير الكلام: وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلم يرجعوا ﴿فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ﴾.

٢٨- فلم ينصرهم منا ناصر وهو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ

---

(١) قول قتيبة هذا غير موجود في تأويل المشكل، وتفسير غريب القرآن، والذي ذكر الطبري، قال كحجر ثمود وأرض سدوم ومأرب ونحوها، انظر: «تفسيره» ٢٩/٢/١٣. وقال الثعلبي: كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوها. انظر «تفسيره» ١١٦/١٠ أ.

وقال في «الوسيط»: وأراد بالقرى المهلكة باليمن والشام، انظر: ٤/ ١١٤، وقال القرطبي: يريد حجر ثمود وقرى لوط ونحوهما مما كان يجاور بلاد الحجاز، وكانت أخبارهم متواترة عندهم. انظر: «الجامع» ١٦/ ٢٠٩.

﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾ وهذا يدل على أنه لم ينصرهم من الله ناصر حين حلَّ بهم العذاب، وقولهم: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا﴾ القربان: ما يتقرَّبُ به إلى الله(١) وهو في الأصل مصدر، وقد مر(٢)، قال ابن قتيبة: اتخذوهم آلهة يتقرب بها إلى الله(٣).

قوله تعالى: ﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ أي: اتخاذهم الآلهة دون الله كذبهم وافتراؤهم، و(اتخذوا) يدل على الاتخاذ.

٢٩- قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ قال المفسرون: لما أيس رسول الله ﷺ من قومه أهل مكة أن يجيبوه خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام، فلما انصرف إلى مكة فكان ببطن نخلة(٤) قام يقرأ القرآن في صلاة الفجر مَرَّ به نفر من أشراف جن نصيبين كان إبليس بعثهم ليعرف السبب الذي أوجب حراسة السماء بالرجم، فدفعوا إلى النبي ﷺ وهو يصلي فاستمعوا لقراءته، وهذا قول ابن عباس في رواية مجاهد والكلبي وقول عبدالله وسعيد بن جبير ومقاتل(٥).

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (قرب) ٩/ ١٢٤.

(٢) ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ [المائدة: آية ٢٧].

(٣) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ٢/ ١٣٠.

(٤) هي: قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة، بينهما الطرف على الطريق وهو بعد أبرق العزّاف للقاصد إلى مكة، انظر: «معجم البلدان» ١/ ٤٤٩ - ٤٥٠، وقال ابن حجر: هي موضع بين مكة وطائف. قال البكري: على ليلة من مكة وهي التي ينسب إليها بطن نخلة ووقع في رواية مسلم بنخل بلا هاء والصواب إثباتها، انظر: «فتح الباري» / ٦٧٤.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ٣٠، و«تفسير مجاهد» ص ٦٠٣، و«تنوير المقباس» ص٥٠٦ و«تفسير مقاتل» ٤/ ٢٧، و«الدر المنثور» ٧/ ٤٥٢، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١١٥.

وقال آخرون: بل أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجِنَّة ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن، فصرف إليه نفر من الجن ليستمعوا منه وينذروا قومهم، وهذا معنى قول قتادة[1]، واختلفوا في عدد النفر، فقال ابن عباس: كانوا سبعة[2]، وقال الكلبي ومقاتل[3]: كانوا تسعة، وهو قول زر بن حبيش[4]، وقوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ من صفة النكرة، وهذا يدل على أنهم أتوا لاستماع القرآن، لأن المعنى: نفرًا مستمعين القرآن، أي طالبين سماعه، فهذا يدل على صحة القول الثاني.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ إن عاد الضمير إلى النبي ﷺ فهو من تلوين الخطاب، وإن عاد إلى القرآن وهو الظاهر، فالمعنى: فلما حضروا استماعه[5] قالوا: انصتوا، قال زر بن حبيش: قالوا صَهٍ[6]، وهو كلمة الإسكات.

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٧/ ٣٨٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢١٢.

(٢) أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس، انظر: «تفسيره» ١٣/ ٢/ ٣٠، ونسبه في «الوسيط» لابن عباس، انظر: ٤/ ١١٥.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٦، و«تفسير مقاتل» ٤/ ٢٧، ونسبه الهيثمي في مجمع الزوائد لابن عباس، انظر: ٧/ ١٠٦، ونسبه في «الوسيط» للكلبي ومقاتل، انظر: ٤/ ١١٥.

(٤) أخرج ذلك الطبري عن زر بن حبيش، انظر: تفسيره ١٣/ ٢/ ٣١، ونسبه الهيثمي في «مجمع الزوائد» لزر بن حبيش وقال: رواه البزار ورجاله ثقات. انظر: «مجمع الزوائد» ٧/ ١٠٦، وهو في «كشف الأستار» ٣/ ٦٨ عن زر.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢١٥، و«الدر المصون» ٦/ ١٤٤.

(٦) أخرج ذلك الطبري عن زر. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٢/ ٣٣، وأخرجه الهيثمي في «كشف الأستار» عن زر. انظر: «كشف الأستار» ٣/ ٦٨.

قال ابن عباس والمفسرون: قال بعضهم لبعض اسكتوا[١]، وذلك أنهم ازدحموا وركب بعضهم بعضًا حبًا للقرآن وحرصًا عليه، قال ابن مسعود: لما فتح النبي ﷺ القرآن ليلة الجن غشيته أسودة كثيرة[٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ قال أبو إسحاق: أي فلما تلى عليهم القرآن حتى فرغ منه[٣]. ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد بما أمرهم به رسول الله ﷺ من توحيده وفرائضه وأحكامه[٤].

والمعنى: أن هؤلاء الذين استمعوا القرآن انصرفوا إلى قومهم بعد الاستماع محذرين إياهم بأس الله إن لم يؤمنوا، وهذا يدل على أن هؤلاء آمنوا بالنبي ﷺ ولو لم يؤمنوا لم يخبر عنهم بإنذار قومهم، ولهذا قال مقاتل في تفسير (منذرين): مؤمنين[٥].

٣٠- ثم أخبر عنهم بما قالوا لقومهم وهو قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ يعنون القرآن، قال مقاتل: وكانوا مؤمنين بموسى[٦].

٣١- قوله تعالى: ﴿أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس والمفسرون:

---

(١) ذكر المعنى من غير نسبة البغوي في «تفسيره» ٧٥/ ٢٦٩، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢١٥.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢١٢.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٧.

(٤) أخرج الطبري عن ابن عباس يقول: انصرفوا منذرين عذاب الله على الكفر به. انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٣٣ .

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٧.

(٦) المرجع السابق.

يعنون محمدًا ﷺ قالوا: وهذه القصة تدل على أن محمدًا ﷺ كان مبعوثًا إلى الجن كما كان مبعوثًا إلى الإنس[(١)(٢)].

قال مقاتل: ولم يبعث الله نبيًا إلى الإنس والجن قبله ﷺ[(٣)].

٣٢- وقوله: ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس ومقاتل يقول: لا يعجز الله فيسبقه ويفوته، ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ أنصار يمنعونه من الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني: الذين لا يجيبون إلى الإيمان ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ قال مقاتل: فأقبل إلى النبي ﷺ من الجن الذين أنذروا سبعون رجلًا فقرأ النبي ﷺ عليهم القرآن فأمرهم ونهاهم[(٤)]. واختلفوا في حكم مؤمني الجن؛ فروى سفيان عن ليث قال: الجن ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم كونوا ترابًا مثل البهائم[(٥)]، وهذا مذهب جماعة من أهل العلم قالوا: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار، وتأولوا قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[(٦)].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٧٠، و«زاد المسير» ٧/ ٣٩٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢١٧، و«تفسير ابن كثير» ٦/ ٣٠٤، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١١٥.

(٢) ومما يدل على ذلك ما ورد في «صحيح مسلم» كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١/ ٣٧٠، من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي**..». وذكر منها: «**وبعثت إلى كل أحمر وأسود**». قال مجاهد: الأحمر والأسود: الجن والإنس. وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢١٧.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٣٠، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١١٥.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٢٨.

(٥) أخرج ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٠ أ، وأورده البغوي في تفسيره ٧/ ٢٧٠.

(٦) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ٧/ ٢٧٠، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢١٧.

وذهب قوم إلى أنهم كما يعاقبون في الإساءة يجازون بالإحسان، وهو مذهب مالك وابن أبي ليلى[١] قال الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون[٢].

٣٣- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ﴾ قال مقاتل[٣]: نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين أنكر البعث، وقد مضت القصة في آخر سورة يس [آية: ٧٧][٤].

واختلفوا في وجه دخول الباء في قوله: ﴿بقادر﴾ وهو خبر (أن) والباء لا تدخل في خبرها، فقال أبو عبيدة: مجازها قادر، والعرب تؤكد الكلام بالباء وهي مُسْتغنًى عنها[٥].

وقال الأخفش: هذه الباء كالباء في قوله: ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [يونس:٢٩] وقوله: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[٦] [المؤمنون:٢٠] فعلى قولهما الباء زائدة مؤكدة.

---

(١) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره. انظر: ١٠/ ١٢٠ أ، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٧٠، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢١٨.

(٢) أخرج ذلك الثعلبي عن الضحاك. انظر المراجع السابقة.
وقال ابن كثير في تفسيره: والحق أن مؤمنيهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف، وقد استدل لهذا بقوله ﷻ: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾، وفي هذا الاستدلال نظر. وأحسن منه قوله جل وعلا: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.. ٦/ ٣٠٥.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٣٠.

(٤) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد. انظر: «تفسيره» ١٢/ ٣٠، وأورده الواحدي في «أسباب النزول» ص ٣٨٥، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٨.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٣.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٩٤.

وقال الفراء: دخلت الباء لِلَم، والعرب تدخلها مع الجحد مثل قولك: ما أظنك بقائم، وما أظن أنك بقائم، وأنشد:

فَمـا رَجَعَـتْ بـخـائِبـةٍ رِكَـابُ   حَكِيمُ بنُ المسَيَّبِ مُنْتهَاها[(١)]

وهذا مذهب الكسائي[(٢)]، ونحو هذا قال الزجاج، وزاد بيانًا فقال: لو قلت: ظننت أن زيدًا بقائم، لم يجز ولو قلت: ما ظننت أن زيدًا بقائم، جاز بدخول (ما) قال ودخول (إن) إنما هو توكيد الكلام فكأنه في تقدير: أليس الله بقادر على أن يحيي الموتى[(٣)].

وزاد أبو علي شرحًا فقال: هذا من الحمل على المعنى، وأدخل الباء لما كان الكلام في معنى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ﴾ [يس: ٨١].

قال: ومثل ذلك من الحمل على المعنى:

بَـادَتْ وغَـيَّـرَ آيَـهُـنَّ مَـعَ الـبِـلَـى   إلَّا رَوَاكِـدَ جَـمْـرُهُـنَّ هَـبَـاءُ[(٤)]

ومُـشَـجَّـجٌ أمَّـا سَـواءُ قَـذَالِـه   فـبـدا وغـيـب سَـارَه الـمَـعْـزَاءُ[(٥)]

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٦، ٥٧، وانظر: «مغني اللبيب» ١/ ٩٤، و«تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ٣٥، وانظر: «الجنى الداني في حروف المعاني» للمرادي ص ٥٥، وقد نسبه: للقحيف العقيلي. وانظر: «بصائر ذوي التمييز» للفيروزابادي ٢/ ١٩٥.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٧٤.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٧.

(٤) معنى بادت: تغيرت وبليت، أي: غير البيود آيهن، والآي: جمع آية، وهي آثار الديار وعلاماتها، والبلى: تقادم العهد، والرواكد: الأثافي لركودها وثبوتها، والهباء: الغبار جعل الجمر كالهباء لقدمه وانسحاقه.

(٥) هذا موضع الشاهد والمشجج: الوتد من أوتاد الخباء وتشجيجه: ضرب رأسه لتثبيته، والقذال: عنى به أعلى الوتد وهو من الدابة معقد العذار بين الأذنين وسواؤه: وسطه، وساره: سائره أي جميعه، وهي لغة في سائره. والمعزاء: =

لما كان معنى الكلام: بها رواكد، حمل مشجج على ذلك(١).

٣٥- قوله: ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ تفسير العزم قد تقدَّم ذكره [البقرة: ٢٢٧، وآل عمران: ١٥٩] قال ابن عباس في رواية عطاء وأبي صالح: يريد نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى، ونحو هذا روى معمر عن قتادة(٢).

وقال أبو العالية: هم ثلاثة: نوح وإبراهيم وهود، ومحمد ﷺ رابعهم(٣).

وقال الحسن: هم أربعة إبراهيم وموسى ودواد وعيسى، أما إبراهيم فإنه ابتلي في نفسه وولده ووطنه فوجد صادقًا، وأما موسى فإنه عزم ولم يشك حين قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ﴾ الآية [الشعراء: ٦١]. وأما داود فإنه لما نُبِّهَ على زلته بكى أربعين سنة، وأما عيسى فإنه لم يضع في الدنيا لبنة على لبنة(٤).

= الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة جمعها الأماعز، وكانوا يتحرون النزول في الصلابة ليكونوا بمعزل عن السيل، والشاهد فيه رفع مشجج على المعنى.
والبيتان لذي الرمة وقيل للشماخ. انظر: ملحقات «ديوان ذي الرمة» ٣/ ١٨٤، و«ديوان الشماخ» ص٤٢٨، و«الكتاب» لسيبويه ١/ ١٧٣، و«اللسان» (شجج) ٢/ ٣٠٤.

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي ٥/ ٣١٣، ٦/ ١٨٧.

(٢) أخرج ذلك الطبري عن عطاء ١٣/ ٢/ ٣٧، وانظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٨٨، و«البغوي» ٧/ ٢٧٢، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢١٩، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١١٦.

(٣) انظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٨٨، و«زاد المسير» ٧/ ٣٩٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٢٠، و«تفسير أبي الليث السمرقندي» ٣/ ٢٣٧.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٢١ ب، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٢١، عن الحسن، وانظر: تفسير الحسن ٢/ ٢٨٦.

وقال مقاتل: هم ستة: نوح صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح[(١)]، ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر، ويوسف صبر على البئر والسجن، وأيوب صبر على الضر[(٢)].

وقال الكلبي: هم أمروا بالقتال فأظهروا المكاشفة وجاهدوا في الدين[(٣)]، فهذا قول المفسرين في تفسير أولي العزم من الرسل.

وأما أهل المعاني والمحققون من العلماء فإنهم قالوا: كل الرسل أولو العزم، ولم يبعث الله رسولًا إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل.

و(من) في قوله: ﴿من الرسل﴾ تبيين لا تبعيض[(٤)] كما يقال: أكسية من الخز، وكأنه قيل له: اصبر كما صبر الرسل قبلك على أذى قومهم، ووصفهم بالعزم لصبرهم ورزانتهم.

وهذا قول ابن زيد[(٥)] وذكره الكلبي فقال: ويقال كل الرسل قد كان ذا عزم[(٦)].

---

(١) هذا على القول بأن الذبيح إسحاق لا إسماعيل، وهو قول ضعيف.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٣١، ٣٢، و«الثعلبي» ١٠/ ١٢١ ب، و«البغوي» ٧/ ٢٧٢.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٢١ أ، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٧١، عن الكلبي، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١١٦.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٢١ أ، و«وضح البرهان في مشكلات القرآن» ٢/ ٢٩٨، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٧١.

(٥) أخرج ذلك الطبري عن ابن زيد. انظر: تفسيره ١٣/ ٢/ ٣٧، و«تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٢١ أ، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٧١.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٢١ أ، و«تنوير المقباس» ص ٥٠٦.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد العذاب، ومفعول الاستعجال محذوف من الكلام، وهو ما ذكره ابن عباس(١)، وكان النبي ﷺ ضجر بعض الضجر وأحب أن ينزل الله العذاب بمن أبى من قومه، فأمر بالصبر وترك الاستعجال، ثم أخبر أن ذلك منهم قريب(٢) بقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ أي: من العذاب في الآخرة: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ وقال الكلبي: لم يمكثوا في القبور إلا ساعة(٣)، وقال مقاتل: لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار(٤)، والمعنى أنهم إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من النهار، أو كأنه لم يكن لهول ما عاينوا؛ ولأن الشيء إذا مضى كأنه لم يكن وإن كان طويلًا ألا تسمع قول القائل:

كأنَّ شيئًا لم يَكُنْ إذا مَضَى كأنَّ شيئًا لم يَزَل إذا أَتَى(٥)

وتم الكلام(٦) ثم قال: ﴿بَلَٰغٌ﴾ أي: هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم كما قال: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] الآية، والبلاغ بمعنى التبليغ، وهذا مذهب المفسرين والقراء، من أن قوله (بلاغ)

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ٣٧، و«تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٢٢ ب، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٧٢، فقد ذكروا المعنى ولم ينسبوه لابن عباس.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٢، و«زاد المسير» ٧/ ٣٩٣، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١١٧.

(٣) انظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٨٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٢٢، وقد نسبا القول للنقاش.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٣٢، و«تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ٣٧.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «القطع والائتناف» ص٦٦٤.

ابتداء كلام آخر[١]، وقال مقاتل في قوله (بلاغ) يقول: كأنهم تبلغوا فيها، والبلاغ على هذا القول بمعنى التبليغ[٢]، والمعنى: أن طول لبثهم في الدنيا كأنه تبلغ. والقول هو الأول.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: العاصون الخارجون عن أمر الله. يعني: أن العذاب لا يقع إلا بهم فيما بلغهم محمد ﷺ عن الله، ولهذا قال قوم: ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية[٣].

قال أبو إسحاق تأويله: لا يهلك مع رحمة الله وتفضله إلا القوم الفاسقون[٤].



(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٢ ب، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٧٣، و«زاد المسير» ٧/ ٣٩٣، و«القطع والائتناف» للنحاس ص ٦٦٤، و«النشر في القراءات العشر» ص٤٨٢.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٣٢.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٨، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٧٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٢٢، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١١٧.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٤٤٨.

سورة محمد

تفسير سورة محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال مقاتل: بتوحيد الله[(١)] ﴿وَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء ومجاهد: يريد مشركي قريش أهل مكة، وما فعلوا بالنبي ﷺ وأصحابه[(٢)]، وقال في رواية الكلبي: يعني المطعمين ببدر وهم اثنا عشر رجلاً[(٣)].

وذكر مقاتل أسماءهم، أبو جهل والحارث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبي وأمية ابنا خلف ومنبه[(٤)] ونبيه[(٥)] ابنا الحجاج، وأبو البختري بن

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٨.

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٣٩ عن مجاهد، وانظر: «الجامع» للقرطبي ١٦/ ٢٢٣.

(٣) انظر: «تفسير السمرقندي» ٣/ ٢٣٩، «تنوير المقباس» ص٥٠٦.

(٤) هو: منبه بن الحجاج السهمي نديم جاهلي من أشراف قريش في الجاهلية وزنادقتها، قتله أبو قيس الأنصاري في وقعة بدر. «المحبر» ص١٦١، «طبقات ابن سعد» ٢/ ١٨، «الأعلام» ٧/ ٢٨٩.

(٥) نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة السعدي السهمي القرشي أبو الرزام شاعر من ذوي الوجاهة في قريش قبل الإسلام، قتل في وقعة بدر. «خزانة البغدادي» ٣/ ١٠١، «المحبر» ١٦٠، «الأعلام» ٨/ ٨.

هشام[١] وزمعة بن الأسود[٢] وحكيم بن حزام والحارث[٣] بن عامر بن نوفل.

قوله تعالى: ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ قال الكلبي[٤] ومقاتل[٥]: أبطلها لأنها كانت في غير إيمان، يعني إطعامهم الطعام وصلتهم الأرحام.

قال أبو إسحاق: أحبطها فلا يرون في الآخرة لها ثواباً[٦] والمعنى: أنها تصير كأن لم تكن، من قول العرب: ضل اللبن في الماء. وقال عطاء: يريد أضل كيدهم الذي كادوا به النبي ﷺ[٧].

٢- قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال مجاهد عن ابن عباس: يعني: الأنصار[٨].

وقال الكلبي: هم أصحاب محمد ﷺ[٩].

---

(١) هو: العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى قتل يوم بدر، قيل قتله عمر وقيل غيره، وهو من المستهزئين وممن عمل على شق الصحيفة. انظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ٣٧٥، «تاريخ الطبري» ٢/ ٣٣٦، «طبقات ابن سعد» ٢/ ١٨.

(٢) هو: زمعة بن الأسود بن عبد يغوث بن عبد الملك بن أسد أحد زعماء قريش في الجاهلية. انظر: «الكامل» لابن الأثير ٢/ ٦١، «سيرة ابن هشام» ١/ ٣١٥، «طبقات ابن سعد» ٢/ ١٨.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٢٣.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص٥٠٧.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٣.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥.

(٧) أورد الثعلبي هذا القول ونسبه للضحاك. انظر: «تفسيره» ١٠/ ١٢٣ أ، وكذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٧٧، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٢٣.

(٨) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٢/ ٣٩، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٢٤.

(٩) انظر: «تنوير المقباس» ص٥٠٧.

وقال مقاتل: نزلت في بني هاشم وبني المطلب[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قال المبرد: البال الحال في هذا الموضع، وقد يكون في غير هذا القلب، يقول القائل: ما يخطر هذا على بالي، أي: على قلبي[٢]، قال مجاهد عن ابن عباس: أي: حالهم في الدنيا[٣]، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد: شأنهم[٤]، وذكرهما الكلبي فقال: حالهم وشأنهم[٥]، وقال مقاتل: زين أمرهم في الإسلام[٦].

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد عصمهم أيام حياتهم[٧]، وهذا تفسير حسن مبينٌ لما أجمله المفسرون من إصلاح الأمر والشأن والحال، وقد علم أن الله لم يرد بذلك إعطاء المال والثروة؛ لأن أصحاب النبي ﷺ لم يكونوا مياسير ذوي [ذروه[٨]] وإنما المراد بهذا الإصلاح، إصلاح الأعمال

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٣.

(٢) ذكر قول المبرد هذا النحاس في «إعراب القرآن» ٤/ ١٧٨، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٢٤، المؤلف في «الوسيط» ٤/ ١١٨.

(٣) أخرج الطبري عن قتادة وابن زيد قال: حالهم في الدنيا، انظر: ١٣/ ٢/ ٣٩.

(٤) أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس ومجاهد ١٣/ ٢/ ٣٩، ونسبه الماوردي في «تفسيره» لمجاهد ٥/ ٢٩١، ونسبه القرطبي ١٦/ ٢٢٤ لمجاهد وغيره.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٥٠٧.

(٦) الذي عند مقاتل: أصلح بالتوحيد حالهم في سعة الرزق ٤/ ٤٣.

(٧) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره» عن ابن عباس قال: عصمهم أيام حياتهم يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا. انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٧٧. كما أورده بهذا النص أيضًا عن ابن عباس المؤلف في «الوسيط» ٤/ ١١٨.

(٨) كذا رسمها في الأصل، وهي إما أن تكون تصحيف: ثروة، أو يكون معناه: مأخوذ من ذروة الشيء، وهو أعلاه: أي لم يكونوا من ذوي الذروة وهي المنزلة العالية في الغنى والسعة في المال.

حتى لم يعصوا.

٣- ثم ذكر السبب في ذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: ذلك الإضلال والإصلاح لاتباع الذين كفروا الباطل، قال ابن عباس: يعني الشرك[١]، وقال مقاتل: يعني عبادة الشيطان[٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ قال ابن عباس: يعني التوحيد وتصديق النبي ﷺ[٣]، وقال مقاتل: يعني القرآن[٤].

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ قال عطاء: يريد: فمصير الذين كفروا إلى النار، ومصير الذين آمنوا إلى الجنة[٥].

وقال مقاتل: يعني حين ذكر إضلال أعمال الكفار وتكفير سيئات المؤمنين[٦].

قال أبو إسحاق: أي كذلك يبين الله للناس أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين، أي كالبيان الذي ذكر، انتهى كلامه[٧]، والضمير في (أمثالهم) يعود إلى الذين كفروا والذين آمنوا[٨].

ومعنى (أمثالهم): ما ذكر من إضلال أعمال أولئك الكفرة، فصار

---

(١) انظر: «تفسير أبي الليث» السمرقندي ٣/ ٢٤٠، و«الجامع» للقرطبي ١٦/ ٢٢٥.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٤.

(٣) قال القرطبي: الحق: التوحيد والإيمان ولم ينسبه انظر: «الجامع» ١٦/ ٢٢٥.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٤.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٤.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٦.

(٨) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٢٥، «الدر المصون» ٦/ ١٤٦.

ذلك مثلاً لمن كان على مثل شأنهم وما ذكر من تكفير سيئات أولئك المؤمنين، فصار ذلك مثلاً لمن كان على مثل شأنهم، فمن كان كافراً أضل الله عمله، ومن كان مؤمناً كفَّر (سيئه)، هذا معنى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾، وجائز أن يعود الضمير إلى الناس وهم الكفار والمؤمنون[١].

ولما ذكر ما يعمل بالكفار علم المؤمنين كيف يصنعون بهم إذا لقوهم فقال:

٤- قوله تعالى[٢]: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ قال أبو عبيدة: هذا كقول العرب: يانفس صبراً[٣]، وقال الفراء: نصب على الأمر، والذي نصب به مضمر[٤].

قال أبو إسحاق: معناه: فاضربوا الرقاب ضرباً، منصوب على الأمر وتأويله: فاقتلوهم، ولكن أكثر مواضع القتل ضرب العنق، فأعلمهم الله كيف القصد، وليس يتوهم بهذا أن الضرب محصور على الرقبة فقط[٥].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ قال ابن عباس: أكثرتم القتل ومضى تفسير الإثخان[٦] عند قوله: ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٦٧]

---

(١) انظر: «الدر المصون» ٦/ ١٤٦.

(٢) كذا نصها في الأصل.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٤.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٧.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٦.

(٦) قال الأزهري: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾، قال أبو العباس: معناه: حتى إذا عليتموهم وقهرتموهم وكثر فيهم الجراح فأعطو بأيديهم. قال: وقال ابن الأعرابي: أثخن: إذا غلب وقهر وقال أبو زيد: يقال: أثخنت فلانًا معرفة: أي: قتلته معرفة، ورصنته معرفة: نحو الإثخان. انظر: «تهذيب اللغة» (ثخن) ٧/ ٣٣٤.

وقوله: ﴿فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ قال ابن عباس والمفسرون: يريد الأسر يعني إذا بالغتم في قتلهم فأسروهم، فالأمر بعد المبالغة في القتل[١] كما قال: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] وأما الوثاق: فهو اسم من الإيثاق، وقد يوضع موضع المصدر يقال: أوثقه إيثاقاً ووثاقاً، ومنه قوله: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٦] والوِثاق بالكسر اسم الشيء الذي يوثق به كالرباط[٢].

قال المفسرون: أمر الله تعالى بشد وثاق الأسارى كيلا يقتلوا ويهربوا[٣]، فأمر أولاً بالقتل ثم بالأسر، ثم ذكر الحكم في الأسر بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ قال أبو إسحاق: أي بعد أن تأسروهم إما مننتم عليهم منًّا، فأطلقوهم بغير عوض، وإما أن تفدوا فداء[٤]، واختلف المفسرون في هذه الآية، فذهب كثير منهم إلى هذا الحكم، وهو المن والفداء منسوخ بالقتل، وهو قوله ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وهو قول مجاهد وقتادة والحسن ومقاتل والضحاك والسدي وابن جريج ورواية عطاء عن ابن عباس قالوا: إما السيف وإما الإسلام[٥].

---

(١) قال الزجاج: ﴿أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل. فالأسر بعد المبالغة في القتل. انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٦، وذكر هذا المعنى البغوي في «تفسيره» ولم ينسبه ٧/ ٢٧٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ولم ينسبه ٧/ ٣٩٧، وقال السمرقندي: يعني: حتى إذا قهرتموهم وأسرتموهم فشدوا الوثاق يعني: فاستوثقوا أيديهم من خلفهم. انظر: «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢٤٠.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (وثق) ٩/ ٢٦٦، «اللسان» (وثق) ١٠/ ٣٧١.

(٣) ذكر ذلك الطبري في «تفسيره» ١٣/ ٢/ ٤٠.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٦.

(٥) أخرج الطبري قول ابن جريج والسدي وقتادة وابن عباس والضحاك. انظر: =

وقال سعيد بن جبير: إذا أثخن بالقتل فادى ومنّ[1] وقال الشعبي: الأسير يمن عليه، أو يفادى، وهذا مذهب ابن عمر وعطاء ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[2] قال في قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ [الأنفال: ٦٧] الآية قال: ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله في الأسارى: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ فجعل الله النبي -ﷺ- والمؤمنين بالخيار في الأسارى إن شاؤوا قتلوهم، وإن شاؤوا استعبدوهم، وإن شاؤوا فادوهم[3] ونحو هذا روى المبارك بن فضالة عن الحسن.

قال أبو عبيد[4]: والقول عندنا هذا، ولم يزل رسول الله ﷺ كان[5] عاملاً بهذه الأحكام التي أباحها له في الأسارى حتى توفاه الله على ذلك، ولا نعلمه نسخ شيء منها، بل كان يعمل بها على ما أراه الله من الأحكام التي أباحها له في الأسارى، وجعل الخيار والنظر فيها إليه حتى قبضه الله

= «تفسيره» ١٣/ ٢/ ٤١، وذكر القرطبي قول قتادة ومجاهد. انظر: «الجامع» ١٦/ ٢٢٧، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٧٨، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٣/ ٥، «نواسخ القرآن» لابن الجوزي ص٤٦٦.

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٢٨.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢/ ٤١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٢٨، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٧٨.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٤١، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٨٧.

(٤) انظر: «الناسخ والمنسوخ» في القرآن العزيز» لأبي عبيد ص٢١١.

(٥) كذا رسمها في الأصل ووردت كذلك في إحدى نسخ كتاب «الوسيط» للمؤلف وعند أبي عبيد بلفظ: (وذلك أنه كان عاملًا بالآيات كلها من القتل والفداء والمن حتى توفاه الله). ص٢١١.

على ذلك، لم ينسخ من أحكامهم شيء، والإمام مخير في الذكور والمذكورين منهم بين أربع خلال وهي: القتل والاسترقاق والفداء والمن، إذا لم يدخل ذلك ميل بهوى في العفو ولا طلب الذّحل[١] في العقوبة، ولكن على النظر للإسلام وأهله، هذا كلامه[٢].

ومذهب الشافعي رحمه الله مثل ما ذكر[٣] في أحكام الأسارى من تخير الإمام في هذه الأربع الخلال في الأسارى الوثنية وفي أهل الكتاب[٤]، يزيد حكم خامس؛ وهو: أخذ الجزية عنهم إذا قبلوها وإن كان بعد الأسر.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ تفسير الأوزار ومأخذها من اللغة قد تقدم[٥].

---

(١) طلب الذحل: أي طلب الثأر. وقيل: وطلب مكافأة بجناية جنيت عليك أو عداوة أتيت إليك. انظر: «تهذيب اللغة» (ذحل) ٤/ ٤٦٥، «اللسان» (ذلل) ١١/ ٢٥٦.

(٢) «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص ٢١١-٢١٦.

(٣) انظر: «أحكام القرآن» للشافعي ١/ ١٥٨.

(٤) قال ابن قدامة: من أسر من أهل الحرب على ثلاثة أضرب: أحدها النساء والصبيان. فلا يجوز قتلهم ويصيرون رقيقًا للمسلمين ؛ لأن النبي ﷺ نهى عن قتل النساء والولدان، وكان عليه الصلاة والسلام يسترقهم إذا سباهم. الثاني: الرجال من أهل الكتاب والمجوس الذين يقرون بالجزية فيتخير الإمام فيهم بين أربعة أشياء: القتل، والمن بغير عوض، والمفاداة بهم، واسترقاقهم. الثالث: الرجال من عبدة الأوثان وغيرهم ممن لا يقر بالجزية فيتخير الإمام فيهم بين ثلاثة أشياء: القتل أو المن والمفاداة ولا يجوز استرقاقهم، وعن أحمد جواز استرقاقهم وهو مذهب الشافعي. وبما ذكرنا في أهل الكتاب قال الأوزاعي والشافعي وأبو ثور. انظر: «المغني» لابن قدامة ١٣/ ٤٤.

(٥) قال الفراء في قول الله جل وعز: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ قال: يريد آثامها وشركها حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم. انظر: «تهذيب اللغة» (وزر) ١٣/ ٢٤٣، =

قال أبو إسحاق: (حتى) موصولة بالقتل والأسر، المعنى: فاقتلوهم وأسروهم حتى تضع الحرب أوزارها[(١)]. قال ابن عباس في رواية عطاء: حتى لا يبقى أحد من المشركين[(٢)]، يريد عبدة الأوثان.

وقال مجاهد: حتى لا يكون دين إلا الإسلام[(٣)].

وقال الحسن: حتى يعبد الله ولا يشرك به[(٤)].

وقال سعيد بن جبير: يعني خروج عيسى بن مريم[(٥)]، ونحو هذا قال مقاتل: وقال: أراد بالأوزار الشرك[(٦)]، وقال قتادة: حتى لا يكون شرك[(٧)].

وقال ابن حيان[(٨)]: حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وهذه الأقوال معناها واحد وهو ما ذكره الفراء فقال: (أوزارها) آثامها وشركها، والمعنى: حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم، قال: والهاء التي في (أوزارها) للحرب، وإنما يراد أوزار أهلها، وهم أهل الشرك خاصة كقولك: حتى تنفي الحرب

= «اللسان» (وزر) ٤/ ٢٨٢. وقال ابن قتيبة: أصل الوزر: ما حملته فسمي السلاح. أوزارًا لأنه يحمل. انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٤٠٩.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٦.

(٢) أورد هذا القول ابن الجوزي في «زاد المسير» ولم ينسبه ٧/ ٣٩٧، ونسبه في «الوسيط» لابن عباس انظر: ٤/ ١٢٠.

(٣) ذكر ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٩٧، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٢٨، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١٢٠.

(٤) انظر: «تفسير الحسن البصري» ص٢٨٨، «الدر المنثور» ٧/ ٤٥٩.

(٥) ذكر ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٩٧، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٢٨، والمؤلف في «الوسيط» ٤/ ١٢٠.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٤.

(٧) أخرج ذلك الطبري عن قتادة انظر: «تفسيره» ١٣/ ٤٢.

(٨) أي مقاتل بن حيان، ولم أقف عليه.

أوزارها، يريد أوزار المشركين[(١)] هذا كلامه. وتأويله: حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين بأن يسلموا فلا يبقى دين غير الإسلام ولا يعبد وثن. والأوزار في هذاالتفسير بمعنى الإجرام والآثام، وهذا المعنى موافق لقوله ﷺ: **«والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال»**[(٢)].

قال أبو إسحاق: أي: اقتلوهم وأسروهم حتى يؤمنوا، فما دام الكفر فالجهاد والحرب قائمة أبداً[(٣)].

وذُكر في هذا المعنى وجهان آخران. أحدهما: أن معنى الأوزار هاهنا الأسلحة وآلات الحرب، وهو اختيار أبي عبيد[(٤)] وابن قتيبة[(٥)] واحتجَّا بقول الأعشى:

وَأَعْـدَدْتُ لِـلْـحَـرْبِ أَوْزَارَهَـا رِمَـاحـاً طِـوالاً وَخَـيْـلاً ذُكُـورا[(٦)]

ففسر الأوزار بالرماح، قال ابن قتيبة: وأصل الوزر ما حملته، فسمي السلاح أوزاراً، لأنه يحمل، قال: والمعنى: حتى تضع أهل الحرب

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٧.

(٢) قطعة من حديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب ٣٥، في الغزو مع أئمة الجور ٣/ ٤٠، كما أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» برقم ٢٣٦٧، عن أنس ﷺ ٢/ ١٤٣، وأورده الزيلعي في «نصب الراية» وقال: قال المنذري في مختصره: يزيد بن أبي نُشْبَة في معنى المجهول، وقال عبد الحق: يزيد بن أبي نُشْبَة هو رجل من بني سليم، لم يرو عنه إلا جعفر بن برقان. انظر: «نصب الراية» ٣/ ٣٧٧.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٦.

(٤) انظر: قول أبي عبيد في «تهذيب اللغة» (وزر) ١٣/ ٢٤٤.

(٥) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٤٠٩.

(٦) انظر: «ديوان الأعشى» ص٧١، «تهذيب اللغة» ١٣/ ٢٤٤، «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٤٠٩، «الدر المصون» ٦/ ١٤٧، و«الجامع» ١٦/ ٢٢٩.

السلاح، ثم يعود هذا إلى ما ذكره الفراء: حتى يسلموا أو يسالموا[١].

الوجه الثاني: أن معنى الحرب هاهنا: القوم المحاربون، يقال: هؤلاء حرب لفلان، إذا كانوا يعادونه ويحاربونه. والتأويل: حتى يضع المحاربون لملة الإسلام السلاح والشرك والآثام بالسلم والإسلام[٢]، وللحرب تأويلان وللأوزار تأويلان على [ذكرنا[٣]].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال أبو إسحاق: الأمر ذلك، قال: ويجوز أن يكون منصوباً على معنى: افعلوا ذلك[٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد بغيركم[٥].

وقال مقاتل: لانتصر منهم بملك واحد[٦]، والمعنى: إن الله تعالى قادر على الانتصار منهم بغيركم من الملائكة، أو يهلكهم ويعذبهم بما يشاء، ﴿وَلَٰكِن﴾ يأمركم بالحرب ﴿لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ قال ابن عباس: يريد مَنْ قُتِلَ من المؤمنين فمصيره إلى النعيم والثواب، ومن قُتِل من

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٧.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٧٩، و«زاد المسير» لابن الجوزي ٧/ ٣٩٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٢٩.

(٣) كذا في الأصل ولعل الصواب (على ما ذكرنا).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧.

(٥) ذكر القرطبي قول ابن عباس لكن بلفظ: (لأهلكم بجند من الملائكة) ١٦/ ٢٣٠.

(٦) هذا القول غير موجود في «تفسير مقاتل» عند هذه الآية انظر ٤/ ٤٤، وقد أورده السيوطي بلفظ: (لأرسل عليهم ملكًا فدمر عليهم) وعزاه لابن المنذر وابن جريج. انظر: «الدر المنثور» ٧/ ٤٦١، ونسبه القرطبي لابن عباس بلفظ: "لأهلكهم بجند من الملائكة" انظر: «الجامع» ١٦/ ٢٣٠.

المشركين فمصيره إلى العذاب، [وهو[١]] الذي ذكر ابن عباس هو معنى الابتلاء، وذلك أن الله تعالى ابتلى الفريقين أحدهما بالآخر ليثبت المؤمن ويكرمه بالشهادة، ويخزي الكافر ويذله بالقتل.

وقال أبو إسحاق: أي ليمحص المؤمنين وليمحق الكافرين[٢].

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي جاهدوا المشركين.

﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ يعني: كما يضل أعمال الذين كفروا في قوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، وقرأ أبو عمرو: ﴿والذين قتلوا في سبيل الله﴾ والوجه قراءة العامة؛ لأنها أعم من حيث إنها تشمل مَنْ قاتل ولم يقتل، ومن قاتل وقُتل وقد حصل للمقاتل الثواب كما حصل للمقتول، فكان أولى لعمومه. وعلى قراءة أبي عمرو يختص المقتول[٣] بقوله: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ وحجة أبي عمرو[٤] ما قال قتادة[٥] ومقاتل[٦]: أن المراد بقوله: (والذين قتلوا في سبيل الله) قتلى أحد من المؤمنين، غير أن قوله:

---

(١) كذا رسمها، ولعل الصواب (وهذا) وانظر هذا القول في «الوسيط» ٤/ ١٢٠.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧.

(٣) هذا المحظور لا يرد على هذه القراءة. فالتعبير بـ (قتلوا) لبيان أن القتال مظنة القتل ولو لم يُقتل المقاتل فإنه كان معرضًا نفسه لذلك. وعليه فحتى على هذه القراءة لا يختص ما ورد فيها من مثوبة بمن قتل فحسب. وبذلك لا يعكر على «تفسيره» ما ورد عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي ٦/ ١٩٠، «الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٧٦، «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٦٦٦.

(٥) أخرج ذلك الطبري عن قتادة انظر: «تفسيره» ٢٣/ ٤٤، وذكره عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ٢٢١، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٨٠.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» إلا أنه قال قتلى بدر ٤/ ٤٥، وقال أبو الليث السمرقندي قتلى يوم أحد وبدر. انظر: «تفسيره» ٣/ ٢٤١.

٥- ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ ينقض هذا القول، فإن ابن عباس قال: سيهديهم إلى أرشد الأمور ويعصمهم أيام حياتهم في الدنيا[1]، وهذا لا يحسن في وصف المقتولين، وحمل أبو إسحاق إصلاح البال في الموضعين من هذه السورة على إصلاح أمر المعاش وحال الدنيا، وقال: أراد أنه يجمع له خير الدنيا والآخرة، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٦٦] إلى قوله: ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ وبقوله: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١١] إلى قوله: ﴿أَنْهَارًا﴾[2] ويمكن أن يقال على قول قتادة ومقاتل [يعني[3]] الآية: سيهديهم إلى طريق الجنة ويصلح بالهم، وحالهم في الآخرة بإرضاء خصومهم وقبول أعمالهم وما شاكل ذلك.

٦- وقوله: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: إذا دخلوا الجنة حياهم الله بما يحيون به، وأعطاهم ما أعطاهم، ثم يقال لهم تفرقوا إلى منازلكم فيتفرقون إليها، فلهُم أعرفُ بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم[4].

وقال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون، كأنهم

---

(١) ذكر ذلك ابن الجوزي ونسبه لابن عباس ولم يذكر قوله: (ويعصمهم...). انظر: «زاد المسير» ٧/ ٣٩٨، وذكره المؤلف في «الوسيط» عن ابن عباس. انظر: ٤/ ١٢١.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧.

(٣) في الأصل كتبت (يعني) ولعل الصواب (معنى).

(٤) أخرج الطبري عن مجاهد وابن زيد نحو هذه الرواية. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٢/ ٤٤، وكذلك ذكر نحوه البغوي ونسبه لأكثر المفسرين. انظر: «تفسيره» ٧/ ٢٨٠، وكذلك ذكره القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٣١ ولم ينسبه، وذكره في «الوسيط» ولم ينسبه. انظر: ٤/ ١٢١.

ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدًا[١].

هذا قول عامة المفسرين وأهل المعاني[٢] وتلخيصه ما قال أبو عبيدة: (عرفها لهم): بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال[٣]، على أن مقاتل بن حيان جعل هذا تعريفاً باستدلال، فإنه يقول: بلغنا أن الملك الذي وكل بحفظ عمل ابن آدم يمشي في الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتي أقصى منزل هو له فيعرفه كل شيء أعطاه الله في الجنة، فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه، فهذا تعريف بوساطة الملك[٤]، والأول تعريف من قبل الله تعالى، وروي عن سلمة بن كهيل أنه قال: (عرفها لهم) طرقها[٥] وعلى هذا التعريف واقع على الطرق إلى الجنة، على معنى: إن الله يعرفهم طرقها حتى يهتدوا إليها، ويكون التقدير: عرف طرقها لهم، فحذف المضاف[٦].

وقال الحسن: وصف الله الجنة في الدنيا لهم فإذا دخلوها عرفوها بصفتها[٧]. وعلى هذا القول هذا التعريف وقع في الدنيا. ويكون المعنى:

---

(١) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٤٤، وأورده الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٥ أ، وأورده البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٨٠.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٨، «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٤٠٩، «معاني القرآن» للنحاس ٦/ ٤٦٥.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٤.

(٤) ذكر ذلك أبو حيان في البحر المحيط ونسبه لمقاتل. انظر: البحر ٨/ ٧٥. وذكره الشوكاني مختصرًا ونسبه لمقاتل انظر: «فتح القدير» ٥/ ٣١.

(٥) ذكر ذلك النحاس في «معاني القرآن» ونسبه لسلمة بن كهيل ٦/ ٤٦٦، وذكر معنى هذا القول الشوكاني في «فتح القدير» ولم ينسبه ٥/ ٣١.

(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٣١.

(٧) ذكر ذلك الماوردي في «تفسيره» ونسبه للحسن ٥/ ٢٩٤، وانظر: «تفسير الحسن البصري» ٢/ ٢٨٨، ونسبه القرطبي للحسن. انظر: «الجامع» ١٦/ ٢٣١.

يدخلهم الجنة التي عرفها لهم، واللام في (لهم) لام الأجل، وهذه الأقوال كلها من التعريف الذي هو واقع المعرفة.

وروي عن ابن عباس قول آخر، قال عطاء: يريد طيبها لهم[١]، وهذا القول اختيار المؤرج[٢] وأصحاب اللغة[٣] وأصله من العَرْف وهو الرائحة الطيبة، وطعام مُعرّف، أي: مطيب، وأنشدوا قول الأسود بن يعفر:

فَتُدخِلُ أيدٍ في خناجرَ أُقْنِعت لِعَادتِها من الخَزِيرِ المُعَرَّفِ[٤]

وعلى هذا معنى الآية: طيبها لهم بما خلق فيها من الروائح الطيبة، وقال بعض أهل المعاني: طيبها لهم بضروب الملاذ التي تتقبلها النفس تقبل ما تعرفه ولا تنكره[٥]، وروى أبو العباس عن بعضهم في قوله: (عرفها لهم). قال: هو وضع الطعام بعضه على بعض من كثرته، وخزير معرَّف بعضه على بعض[٦]، وعلى هذا القول هو من العُرْف المتتابع كعُرْف الفرس.

---

(١) ذكر هذا القول الماوردي في «تفسيره»، ولم ينسبه ٥/ ٢٩٤، ونسبه في «الوسيط» لعطاء عن ابن عباس ٤/ ١٢١، وذكره البغوي ونسبه لعطاء ٧/ ٢٨٠.

(٢) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٥ أ.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (عرف) ٢/ ٣٤٥.

(٤) البيت استشهد به ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ولم ينسبه ص٤١٠، وهو في «تهذيب اللغة» منسوب للأسود بن يعفر ٢/ ٣٤٥، ومعنى أقنعت: مدت ورفعت للفم والخزير: الحساء من الدسم.

وقد استشهد بالبيت الثعلبي في «تفسيره» ولم ينسبه ١٠/ ١٢٥ أ.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٦/ ٤٦٦، و«زاد المسير» ٧/ ٣٩٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٣١.

(٦) انظر: قول أبي العباس في «تهذيب اللغة» (عرف) ٢/ ٣٤٥، وفي «الجامع لأحكام القرآن» من غير نسبة ١٦/ ٢٣١.

٧- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ قال أهل المعاني: إن تنصروا دين الله(١) ورسوله بالجهاد، إلا أنه أضيف النصر إلى الله تفخيماً لشأنه وتعظيماً وتلطفاً في الاستدعاء إليه كالتلطف في ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقوله: ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ أي بالغلبة على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ قال الكلبي ومقاتل: يعني عند القتال(٢)، وقيل: على الإسلام(٣)، وروي عن ابن عباس على الصراط(٤).

٨- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ قال الكلبي: يعني: كفار قريش(٥)، وقال قتادة: هي للكفار خاصة(٦)، وهذا أشبه لأن قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾ يعم المؤمنين كلهم، كذلك ما بعده من حكم الكفار، ومعنى التَّعْس في اللغة: قال النضر: التعس: الهلاك. وتعس: هلك(٧).

وقال أبو الهيثم: تعس يتعس معناه: انكب وعثر فسقط على يديه، وأتعسه الله(٨).

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٣٢.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص٥٠٧، «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٥.

(٣) ذكر هذا القول والذي قبله الثعلبي في «تفسيره» ولم ينسبهما ١٠/ ١٢٥ أ، وكذلك القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٣٢.

(٤) ذكر هذا القول القرطبي في «الجامع» ولم ينسبه ١٦/ ٢٣٢، وكذلك ذكره الشوكاني مع القولين السابقين ولم ينسبها. انظر: «فتح القدير» ٥/ ٣١.

(٥) قال في «تنوير المقباس»: (أبطل حسناتهم ونفقاتهم يوم بدر) ص٥٠٧.

(٦) أخرج الطبري عن قتادة قال: هي عامة للكفار ١٣/ ٤٦.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (تعس) ٢/ ٧٨.

(٨) انظر: «اللسان» (تعس) ٦/ ٣٢.

وقال أبو إسحاق: التعس في اللغة: الانحطاط والعثور[١].

وروى أبو عبيد عن أبي عبيدة: تعسه الله وأتعسه في باب فعَلت وأفعلت بمعنى واحد، قال شمر: لا أعرف: تعسه الله، ولكن يقال: تعس بنفسه وأتعسه الله، وذكر عن الفراء قال: يقال تَعَسْتَ، إذا خاطبت الرجل. فإذا صرت إلى أن تقول فَعَل قلت: تعِس بكسرالعين، قال شمر: وهكذا سمعته في حديث عائشة: تعس مسطح[٢]، وأنكر شميل، وأبو الهيثم: تعس بكسر العين. قال ابن شميل: تقول العرب: تَعِسَ فما انتعش وشيكَ فلا انْتَقَشْ إذا دعيت[٣] على إنسان، وأنشد[٤] أبو الهيثم بيت الأعشى:

فالتَّعْسُ أَدْنَى لهَا من أنْ أَقول لَعَا[٥]

قال: ولا يجوز تعس، ولو جاز لقال: فالتعس أدنى لها، هذا قول

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨.

(٢) أخرج ذلك البخاري عن عائشة رضي الله عنها. انظر: «صحيح البخاري»، كتاب التفسير باب ٢٥، ومن سورة النور ٥/ ٣٣٢.

(٣) نص الحديث عند البخاري عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش..). انظر: «صحيح البخاري» كتاب الجهاد والسير، باب ٧٠، الحراسة في الغزو في سبيل الله ٣/ ٢٢٢.

(٤) انظر: هذا النص من قوله: روى أبو عبيد عن أبي عبيدة في «تهذيب اللغة» (تعس) ٢/ ٧٨ وانظر: «اللسان» (تعس) ٦/ ٣٢.

(٥) انظر: «ديوان الأعشى» ص١٠٥، و«تهذيب اللغة» (تعس) ٢/ ٧٩، «اللسان» (تعس) ٦/ ٣٢، والكشاف ٣/ ٤٥٤، وقال في مشاهد الإنصاف: يقال للعاثر لعا لك، دعاء له بالانتعاش، وتعسًا لك دعاء عليه بالسقوط، يريد أنها لا تعثر ولو عثرت فالدعاء عليها أحق بها من الدعاء لها. انظر: «مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف» ص٧٦.

أهل اللغة في تفسير التعس وتعريفه.

وأما المفسرون، فقال ابن عباس: يريد في الدنيا العثرة وفي الآخرة التردي في النار[١].

وقال مقاتل: فنكسًا لهم. قال: ويقال: فخيبة لهم[٢]، وهو قول الضحاك[٣]، وقال أبو العالية: سقوطًا لهم[٤]، وقال ابن زيد: شقاء[٥].

وقال ابن جرير: فخزياً وبلاء[٦]. وقال المبرد: فمكروهًا لهم وسوءًا قال: وإنما يقال هذا لمن دُعي عليه بالشر والهلكة[٧].

وأما إعراب الآية ونظمها فقال أبو إسحاق: (الذين) في موضع رفع على الابتداء ويكون: (فتعسًا لهم) الخبر[٨]، قال صاحب النظم: موضع الفاء جزم على الجزاء؛ لأنه منسوق على قوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ وإنما جاء بالفاء في الجواب، لأن ذلك لم يوجبه عليهم إلا بشريطة الكفر،

---

(١) ذكر ذلك أبو حيان في البحر منسوبًا لابن عباس لكن بلفظ: (في الدنيا القتل..). انظر: البحر المحيط ٨/ ٧٦، وذكره البغوي في «تفسيره» ولم ينسبه. انظر: «تفسيره» ٧/ ٢٨١، ونسبه الزمخشري لابن عباس لكن بلفظ: (في الدنيا القتل وفي الآخرة التردد في النار). انظر: «الكشاف» ٣/ ٤٥٤.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٥.

(٣) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٨١، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٣٢.

(٤) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٥ أ، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٨١.

(٥) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٥ أ، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٨١، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٣٢.

(٦) انظر: «جامع البيان» للطبري ١٣/ ٤٥.

(٧) لم أقف على هذا القول.

(٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨.

وهذا الذي قاله صاحب النظم قد تقدم شرحُه في مواضع، منها قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ٢٧٤] إلى قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ وقوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٨٤] ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٩٥] وانتصب (تعساً) على الدعاء كما تقول: سقياً له ورعياً، على معنى: سقاه الله سقياً، ورعاه رعياً، كذلك هاهنا تعسهم الله تعساً على قول أبي عبيدة وعلى قول غيره: أتعسهم الله فتعسوا تعساً[(١)]، ولهذا التقدير عطف بقوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ على ﴿فَتَعْسًا﴾ لأن التقدير: فأتعسهم الله وأضل أعمالهم، قاله الفراء[(٢)].

٩- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الإتعاس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قال الفراء والزجاج: كرهوا القرآن ونبوة المصطفى ﷺ وسخطوا ما أنزل الله عليه[(٣)]، وهذا معنى قول المفسرين[(٤)].

وقال سفيان وعمرو بن ميمون: كرهوا الفرائض[(٥)] التي أنزل الله من الصلاة والزكاة.

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يعني: ما عملوا من شيء يريدون به الله ؛ لأنها لم تكن في إيمان، ولا يقبل الله إلا من المتقين[(٦)].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (تعس) ٢/ ٧٩، «الدر المصون» ٦/ ١٤٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٨.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٩، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨.

(٤) انظر: «جامع البيان» للطبري ١٣/ ٤٦، «تفسير السمرقندي» ٣/ ٢٤٢.

(٥) أورد ذلك السيوطي في «الدر المنثور» عن عمرو بن ميمون وعزاه لابن أبي شيبة وعبد ابن حميد وابن المنذر. انظر: «الدر المنثور» ٧/ ٤٦٢، ولم أقف على نسبته لسفيان.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٥، و«القرطبي» ١٦/ ٢٣٣ فقد ذكر معنى هذا القول ولم ينسبه.

ثم خوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية فقال:

١٠- قوله تعالى: ﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ قال مجاهد: أمثال ما دمر به القرون الأولى، وعيد من الله لهم[1]، وقال مقاتل: وللكافرين من هذه الأمة أمثالها من العذاب[2].

وقال عطاء: يريد لمن كذَّب النبي ﷺ مثل ما أصاب الأمم قبلهم، قال أبو إسحاق: أي: أمثال تلك العاقبة من الهلاك، فأهلك الله ﷻ بالسيف من أهلكه من كفار هذه الأمة[3]، هذا هو الصحيح في تفسير هذه الآية، وهو أن هذا الوعيد قد لحقهم.

وقال مقاتل بن حيان في قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾: يعني: عذاباً ينزل من السماء يصيب قرناً ولم يكن بعد، وإنما حمله على هذا القول أن عذاب الذين كانوا من قبلهم نزل من السماء كالصيحة والرجفة والغرق، ولم يكن بيد المؤمنين، ولما قال الله تعالى: (أمثالها) حملها على ما ينزل من السماء كشأن ما قبلها من عذاب الأمم[4]، والصحيح هو الأول؛ لأن الله تعالى أراد أمثالها في الإهلاك والتدمير.

١١- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال مقاتل: ذلك النصر، يعني قوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ ثم ذكر سبب ذلك النصر فقال: ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد. انظر: «جامع البيان» ١٣/٤٦، وأورد ذلك السيوطي في «الدر المنثور» ٧/٤٦٣ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل»: ٤/٤٥.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/٨.

(٤) لم أقف على هذا القول.

﴿ءَامَنُوا۟﴾[١]، قال ابن عباس: ناصر الذين صدقوا[٢]، وقال مجاهد ومقاتل ابن حيان والكلبي: يعني: ولي أصحاب رسول الله ﷺ ينصرهم على عدوهم[٣].

﴿وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ كفار قريش ﴿لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ لا ولي لهم ولا ناصر لهم.

قال أبو إسحاق: المعنى ذلك بأن الله يتولى الذين آمنوا في هدايتهم والنصر على عدوهم، وبأن الكافرين لا ولي لهم ينصرهم من الله في هداية ولا في علو على المؤمنين[٤].

وقال غيره من أهل المعاني[٥]: المولى هو الجاعل نصرته على من أرادها له، وكل مؤمن فالله مولاه بنصره إياه، وكل كافر فلا مولى له ينصره من عقاب ربه فهو يُسَلَّمُ لهلاكه، ولهذا المعنى لا يقال: الله مولى الكافرين؛ لأنه لا يتولاهم.

وقد روينا عن علي ﷺ بإسناد أذكره في مسند التفسير إن شاء الله، قال الأبهري لابن الكوا: مَنْ رَبُّ الناس؟ قال: الله، قال: فمن مولى الناس ؟ قال: الله، قال: كذبت، الله مولى الذين آمنوا والكافرين لا مولى لهم[٦].

ثم ذكر حال الكفار ومآلهم فقال:

١٢- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ﴾ قال

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٥.

(٢) ذكر هذا القول القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٣٤.

(٣) لم أقف على قول هؤلاء.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨.

(٥) لم أقف على هذا القول.

(٦) ذكر ذلك المؤلف في «تفسيره الوسيط» ٤/ ١٢٢.

ابن عباس: يريد في الدنيا، ويأكلون كما تأكل الأنعام[١]، قال الكلبي: الأنعام تأكل وتشرب ولا تدري ما في غد، وهكذا الكفار[٢]، وقال مقاتل: يأكلون ولا يلتفتون إلى الآخرة، كما تأكل الأنعام ليس لها هَمّ إلا الأكل والشرب في الدنيا[٣] ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ منزل ومقام ومصير ومأوى، كل هذا من ألفاظ المفسرين[٤].

ثم خوفهم ليحذروا فقال:

١٣- قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ يعني: مكة ﴿ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ خرج الكلام على القرية والمراد أهلها، وهكذا ذكر المفسرون، قال ابن عباس: وكأين من رجال هم أشد من أهل مكة[٥]، وقال أبو إسحاق: المعنى: وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك التي أخرجك أهلها[٦]، يدل على هذا قوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ قال مقاتل: أي بالعذاب حين كذبوا رسلهم[٧].

﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ قال ابن عباس: فلم يكن لهم ناصر[٨].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أورد هذا القول: الثعلبي في «تفسيره»، ولم ينسبه. انظر: ١٠/ ١٢٥ ب، وكذلك ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير»، ولم ينسبه. انظر: ٧/ ٤٠٠.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٥ - ٤٦.

(٤) انظر: «جامع البيان» للطبري ١٣/ ٤٧، «تفسير السمرقندي» ٣/ ٢٤٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٣٥.

(٥) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٨٢.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٦.

(٨) ذكر ذلك المؤلف في «الوسيط» عن ابن عباس. انظر: «تفسير الوسيط» ٤/ ١٢٢.

قال الفراء: ويجوز إضمار (كان) وإن كنت قد نصبت الناصر بالتبرية، قال: ويكون: (أهلكناهم فلا ناصر لهم) الآن، هذان وجهان ذكرهما الفراء في نظم الآية .**أحدهما**: إضمار كان. **والآخر**: أن يكون المعنى: فلا ناصر لهم الآن[1]، وأصح مما ذكر أن يقال: هذا على طريق الحكاية للحال الماضية عند الإهلاك، أي: كأن يقال فيهم عند إهلاكهم: لا ناصر لهم، كما ذكرنا في قوله: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] وفي آيات سواها، ويدل على صحة هذا الوجه قوله: ﴿هي أشد قوة﴾. ولا يقال فيها وهي مهلكة: هي أشد قوة، ولا يصح في هذا شيء من الوجهين الذين ذكرهما، وإنما يصح فيه الحكاية ؛ أي: التي كان يقال فيها هي أشد قوة من مكة، ثم ذكر بُعْد ما بين المؤمن والكافر.

١٤- قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قال أبو إسحاق: هذه أَلِفُ توقيف وتقرير؛ لأن الجواب معلوم[2].

قال ابن عباس[3] ومقاتل[4] والكلبي[5]: يريد على بيان من ربه ويقين من دينه وهو محمد ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ يعني: عبادة الأوثان، وهو أبو جهل والكفار ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ في عبادة الحجارة.

١٥- ثم وصف الجنات التي وعدها المؤمنين بقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٥٩.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٣٥.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٦.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٥٠٨.

وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الآية، والكلام في معنى (مثل الجنة) وإعرابه قد مر في سورة الرعد [آية: ٣٥] بأبلغ استقصاء. قوله تعالى: ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾ قال الكلبي ومقاتل: هم أمة محمد ﷺ يتقون الشرك(١).

قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ وتقرأ: أسن. بالقصر، روى أبو عبيد عن أبي زيد: أَسَنَ الماءُ يأسِنُ أَسْنا وأُسُوناً، إذا تغير، وهو الذي لا يشربه أحدٌ من نتنه(٢)، وكذلك: أسن الرجل يأسن، إذا غشي عليه من ريح خبيثة، وربما مات منها(٣) وأنشد لزهير:

يُغادِرُ القِرْنَ مُصْفَرًّاً أنامِلُه يَمِيْدُ في الرُّمْحِ مَيْدَ المائِحِ الأَسِنِ(٤)

وهو الرجل الذي دخل بئراً فاشتد عليه ريحها حتى يصيبه دوار فيسقط، وقال المبرد: يقال أسن يأسِن أَسَناً فهو آسِن وأَسِن، وهو المتغير الرائحة وقياسه: حذر يحذر حذرًا فهو حاذر وحَذِر(٥)، قال المفسرون في الآسن: هو المتغير المنتن(٦) ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ قالوا: لا يحمض كما تتغير ألبان أهل الدنيا، وذلك أنها لم تخرج من ضروع الإبل ولا الغنم(٧) ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ كقوله: ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٦، «تنوير المقباس» ص٥٠٨.

(٢) انظر هذا القول بنصه في «تهذيب اللغة» (أسن) ١٣/ ٨٤، وانظر: «اللسان» (أسن) ١٣/ ١٦.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (أسن) ١٣/ ٨٥، «اللسان» (أسن) ١٣/ ١٧.

(٤) انظر: «ديوان زهير» ص١٢١، و«تهذيب اللغة» (أسن) ١٣/ ٨٤، «اللسان» (أسن) ١٣/ ١٧، «الحجة» ٦/ ١٩١، «الدر المصون» ٦/ ١٥٠، «البحر المحيط» ٨/ ٧٠.

(٥) انظر: «الكامل» للمبرد ٣/ ٦٨.

(٦) انظر: «جامع البيان» ١٣/ ٤٩، «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٢٦ أ، «البغوي» ٧/ ٢٨٢.

(٧) قال ابن جرير: لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع، ولكنه=

[الصافات: ٤٦] وقد مر. قال ابن عباس: يريد لم تعصره الرجال[١].

قوله: ﴿مِّنْ عَسَلٍ﴾ العسل هو المستحلى من لعاب النحل، والعرب تسمي ما يستحلى عسلاً كصمغ العُرْفُط[٢]. وصقر الرطب[٣].

وأقرأني العروضي رحمه الله قال: أقرأني الأزهري قال: أخبرني عبد الملك[٤] عن الربيع عن الشافعي، أنه قال: عسل النحل هو المنفرد بالاسم دون ما سواه، والعرب تؤنث العسل وتذكره، وتأنيثه في شعر الشماخ، والعاسل الذي يشتار العسل ومنه قول لبيد:

وأرْيِ دُبُورٍ شارَه النحلَ عاسلُ[٥]

= خلقه الله ابتداء في الأنهار فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه. انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٤٩.

(١) قال الثعلبي في «تفسيره»: أي لم تدسها الأرجل ولم تدنسها الأيدي. انظر: «تفسيره» ١٠/ ١٢٦ أ، ولم أقف على قول ابن عباس.

(٢) قال شمر: العُرْفُط: شجرة قصيرة متدانية الأغصان ذات شوك كثير، طولها في السماء كطول البعير باركًا، ولها وريقة صغيرة، تنبت بالجبال تَعْلَقُها الإبل أي تأكل بفيها أعراض غِصَنَتِها.
أبو عبيد عن الأصمعي: العُرْفُط: شجرة من العضاة.
انظر: «تهذيب اللغة» (باب العين والطاء) ٣/ ٣٤٦.

(٣) قال الليث: والصَّقر: ما تَحلَّبَ من العنبِ والتمر من غير عصر. انظر: «تهذيب اللغة» (قصر) ٨/ ٣٦٤.

(٤) هو: عبد الملك بن محمد بن عدي أبو نعيم الجرجاني الأستراباذي سمع من الربيع ابن سليمان وغيره، وقال الخطيب: كان أحد الأئمة ومن الحفاظ لشرائع الدين مع صدق وتيقظ وورع. توفي سنة ٣٢٣هـ. انظر: «تاريخ بغداد» ١٠/ ٤٢٨، «طبقات الشافعية الكبرى» ٢/ ٢٤٢، «تذكرة الحفاظ» ٣/ ٨١٦.

(٥) عجز البيت في «تهذيب اللغة». (عسل) ٢/ ٩٤، «اللسان» (عسل) ١١/ ٤٤٥.

ويقال: عسلت الطعام أعسله، إذا جعلت فيه عسلاً[١]، قال ابن عباس: يريد لم يخرج من بطون النحل[٢]، وذلك قوله: ﴿مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ قال مقاتل: ليس فيها عكر ولا كدر كعسل أهل الدنيا[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قال أبو علي الفارسي: (من) زائدة للتوكيد[٤] وأنشد قول ذي الرمة:

تَبَسَّمْنَ عن نَوْر الأقاحِي في الثَّرَى
وفَتَّرنَ من أَبْصار مَضرُوجَةٍ كحْلِ[٥]

أراد وفترن أبصار مضروجة.

قوله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ قال أبو إسحاق: يغفر ذنوبهم ولا يجازون بالسيئات ولا يوبخون في الجنة فَيُهَنَّونَ الفوز العظيم والعطاء الجزيل[٦].

قوله ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ قال الفراء: لم يقل: أمن كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار، ولكن هذا المعنى في ضمن هذا الكلام فبني عليه[٧].

وقال أبو إسحاق: المعنى: أفمن كان على بينة من ربه، وأعطي هذه

---

(١) من بداية الحديث عن العسل. انظره بنصه في «تهذيب اللغة» (عسل) ٢/ ٩٣ - ٩٤.
(٢) ذكر ذلك أبو حيان في «البحر المحيط» ٨/ ٧٩.
(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٦.
(٤) انظر: «الدر المصون» ٦/ ١٥١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٣٧، ولم أقف عليه عند أبي علي.
(٥) انظر: «ديوانه» ص٤٨٧.
(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٠.
(٧) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٠.

الأشياء كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار[١]، وعلى ما قال أبو إسحاق ﴿كَمَن﴾ في هذه الآية: بدل من قوله: ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ واختار صاحب النظم قول الفراء، وقال: الكاف في قوله: ﴿كَمَن﴾ تدل على مبتدأ قبله، ولم يجر له ذكر، وإنما جرى ذكر الجنة وصفتها، فكأنه ﷻ قال: أفمن هو في الجنة كمن هو خالد في النار، فدل الجواب على الابتداء[٢].

قوله تعالى ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ قال مقاتل: ماء شديد الحر تستعر عليهم جهنم، فهي تغلي منذ خلقت السموات والأرض، فقطع أمعاءهم في الجوف من شدة الحر[٣].

وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ قال: «**إذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره**»[٤].

قال ابن عباس: وهذه الآية كقوله[٥]: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩] ونحو هذه الآية قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٧] الآية، وقوله: ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩] الآية، وواحد الأمعاء: مِعًى،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٠.

(٢) انظر: «تفسير ابن عطية» ١٥/ ٦٠، «الدر المصون» ٦/ ١٥١.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٧.

(٤) أخرج ذلك الطبري عن أبي أمامة. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٥٠، «تفسير الوسيط» ٤/ ١٢٣، وأخرجه الحاكم عن أبي أمامة. انظر: ««المستدرك»، كتاب التفسير، تفسير سورة محمد ﷺ ٢/ ٤٥٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) لم أقف عليه.

مثل ضِلَع. وتثنيته: معيان، وهو جميع ما في البطن من الحوايا[١].

١٦- قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ﴾ قال ابن عباس والمفسرون: يعني المنافقين يستمعون خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة، وكان يعرض بالمنافقين ويعيبهم، فإذا خرجوا من المسجد قالوا لأولي العلم من الصحابة: ماذا قال آنفاً، وذلك قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾[٢].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كنت فيمن سئل، يعني أنه من الذين ذكرهم الله في قوله: (قالوا للذين أوتوا العلم)[٣]. وروى عطاء عن ابن عباس: يريد عبد الله بن مسعود، وهو قول ابن بريدة[٤] ومقاتل[٥].

قوله: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ أي: ماذا قال الساعة، ويعني الآنف من الائتناف، وهو الابتداء يقال: ائتنفت الكلام ائتنافاً، أي: ابتدأته. قال: ذلك أبو زيد، والاستئناف أيضاً بهذا المعنى، وهما من الأنف وهو أول كل شيء يقال هذا أنف العدو، وأنف البرد، وأنف المطر، أي: أوله[٦]، قال امرؤ القيس:

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٨٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٣٧.

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» ٣/ ٢٤٣، «تنوير المقباس» ص٥٠٨.

(٣) أخرج ذلك الطبري. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٥١، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٥٧ وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. انظر: «المستدرك» كتاب التفسير تفسير سورة محمد ﷺ.

(٤) انظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٩٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٣٨.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٧.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (أنف) ١٥/ ٤٨٢، «اللسان» (أنف) ٩/ ١٤.

قَـد غَـدَا يَـحْـمِـلُـنِـي فِـي أَنْـفِـهِ   لاحِقُ الأَيْطَـلِ مَـحْـبُـوكٌ مُـمَـرْ[١]

أي: في أول جريه، ومن هذا أنف الجبل، وأنف الإنسان، وأنف خف البعير، وقال أبو علي الفارسي: و(آنفا) من أنف، أي ابتدأ وهو غير مستعمل، وإن كان القياس يوجبه، وقد يجيء اسم الفاعل على ما لم يستعمل من الفعل نحو: فقير، جاء على فَقره، والمستعمل افتقر، وكذلك شديد، والمستعمل اشتد، فكذلك قوله: آنفاً، والمستعمل ائتنف[٢].

وروى أحمد بن موسى بإسناده عن ابن كثير من طريق البزي: (أنِفاً) بالقصر[٣]، وهذا يحمل على أنه توهمه، مثل: خادر وخدر، وفاكه وفكه، والوجه قراءة العامة، ويدل عليه قول الشاعر:

ويـحـرُمُ سِـرُّ جَـارَتِـهـم عـلـيـهـم   ويَـأْكُـلُ جَـارُهُـم أُنُـفَ الـقِـصَـاعِ[٤]

يريد: أنهم يؤثرونه بأفضل الطعام وأوله لا البقايا، وأُنُف جمع أَنْف بالمد، مثل: قَاتِل وقُتُلٍ، وبازلٍ وبُزُلٍ[٥].

وذكر المفسرون في وجه سؤال المنافقين قولين: أحدهما: أنهم سألوا استهزاء منهم وإعلاماً أنهم لم يستمعوا إلى كلامه ولم يلتفتوا إلى ما قال، وهذا اختيار الزجاج[٦]، القول الثاني: أنهم سمعوا كلامه ولم

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (أنف) ١٥/ ٤٨٢، «اللسان» ٩/ ١٤.

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ١٩٣.

(٣) انظر: «الحجة» ٦/ ١٩٢، «التذكرة في القراءات» لابن غلبون ٢/ ٦٨٣.

(٤) البيت للحطيئة. انظر: «ديوانه» ص٦٢، «لسان العرب» (أنف) ٩/ ١٣، و«الزاهر» ٢/ ٣١٢.

(٥) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ١٩٤.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٠، «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٩٨، و«زاد المسير» ٧/ ٤٠٢.

يفقهوه، فلذلك سألوا[١].

قال مقاتل: وقد سمعوا قول النبي ﷺ فلم يفقهوه[٢]، وعلى هذا دل كلام ابن عباس في رواية عكرمة قال: كان المنافقون إذا جلسوا عند النبي ﷺ يخرجون فيقولون: ماذا قال آنفاً[٣] ليس معهم قلوب، وعلى هذا دل سياق الآية، وهو قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قال مقاتل: ختم على قلوبهم بالكفر فلا يعقلون الإيمان ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في الكفر[٤] والنفاق.

١٧- ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ﴾ قال الكلبي: يعني أهل الإسلام[٥].

﴿زَادَهُمْ﴾ أي: زادهم الله هدى. قاله عطاء عن ابن عباس[٦]، وقال أبو صالح عنه: والذين اهتدوا بالمنسوخ زادهم الله هدى بالناسخ[٧]، ويجوز أن يكون المعنى: زادهم الناسخ هدى.

وقال مقاتل بن سليمان: والذين اهتدوا من الضلالة زادهم الله هدى

---

(١) «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٩٨، و«زاد المسير» ٧/ ٤٠٢.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٧ .

(٣) ذكر أبو حيان في البحر المحيط قريبًا من ذلك ولم ينسبه. انظر: «البحر المحيط» ٨/ ٧٩، وكذلك ذكر نحوه ابن كثير في «تفسيره» ٦/ ٣١٦.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٧ .

(٥) قال الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٧ أ: يعني المؤمنين. وقال في «تنوير المقباس» ص٥٠٨: والذين اهتدوا بالإيمان.

(٦) ذكر ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» من غير نسبة. انظر ٧/ ٤٠٣، وكذلك ذكره من غير نسبة القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٣٩.

(٧) ذكر نحوه القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٣٩.

بالحكم الذي نسخ الأمر الأول[١].

وقال مقاتل بن حيان: والذين اهتدوا هم المؤمنون الذين كانوا يؤمرون بالأمر من طاعة ربهم فيعملون به، ثم ينسخه الله فيحولهم إلى غيره فيتحولون إلى ما يؤمرون به، فيأجرهم الله لما مضى ويزيدهم بتحويلهم عما كانوا أمروا به إلى الذي تحولوا إليه هُدًى مع هديهم[٢].

وذكر الفراء وأبو إسحاق في (زادهم هدى) وجهين آخرين؛ أحدهما: زادهم إعراضُ المنافقين واستهزاؤهم هدى. والثاني: زادهم ما قال الرسول آنفاً هدى[٣].

وقال الضحاك: كلما أتاهم من الله تنزيل فرحوا به، فزادهم الله به هدى[٤].

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ قال الكلبي: وألهمهم تقواهم[٥].

وقال سعيد بن جبير: وألهمهم ثواب تقواهم[٦]، وذكر ابن حيان معنى القولين، فقال في معنى القول الأول: وفقهم للعمل بما أمروا به مما فرض عليهم، قال: ومنهم من يقول: آتاهم ثواب أعمالهم في الآخرة[٧].

ثم خوف كفار مكة بقرب الساعة، وأنها إذا أتت لم يقبل منهم شيء فقال:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٧.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦١، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١.

(٤) ذكر ذلك المؤلف في «تفسيره الوسيط» عن الضحاك. انظر ٤/ ١٢٤.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٨، وأورده القرطبي ١٦/ ٢٣٩ من غير نسبة.

(٦) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٧ أ، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٨٣.

(٧) لم أقف عليه.

١٨- قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ وتفسير هذا قد تقدَّم في آي كثيرة [الحج: ٥٥، الزخرف: ٦٦]، قال أبو إسحاق: موضع أن نصب على البدل من الساعة، المعنى: فهل ينظرون إلا أن تأتيهم بغتة، وهذا من البدل المشتمل على الأول في المعنى(١). ونحو هذا ذكر الفراء(٢) والكسائي(٣) وزاد المبرد بياناً فقال: (أن تأتيهم) بدل من الساعة والتقدير: فهل ينظرون إلا الساعة إتيانها بغتة، فإذا نحيت الساعة صار المعنى: فهل ينظرون إلا إتيان الساعة بغتة، وهذا كقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] أي عن قتال في الشهر الحرام ومثله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥] إنما هو لولا أن تطؤوهم.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ قال أبو عبيد: قال الأصمعي: هي علاماتها، قال: ومنه الاشتراط الذي يشترط الناس بعضهم على بعض، إنما هي علامات يجعلونها بينهم قال: ولهذا سميت الشُّرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها.

قال أبو عبيد: وقال غيره في بيت(٤) أوس بن حجر:

فَأَشْرَطَ فِيهَا نَفْسَهُ وَهْوَ مُعْصِمٌ ... وأَلْقَى بِأَسْبَابٍ لَهُ وتَوكَّلا(٥)

هو من هذا أيضاً، يريد أنه جعل نفسه علماً لهذا الأمر.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦١.

(٣) لم أقف على قولي الكسائي والمبرد.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (شرط) ١١/ ٣٠٩، «اللسان» (شرط) ٧/ ٣٣٠.

(٥) انظر: المرجعين السابقين، «الدر المصون» ٦/ ١٥٢.

وقال أبو سعيد: أشراط الساعة أسبابها التي هي دون معظمها وقيامها، قال: وأشراط كل شيء ابتداء أوله، ومنه يقال للدون من الناس: الشَّرَط لأنهم دون الذين هم أعظمهم وأنشد للكميت:

وجدتُ الناسَ غيرَ ابْنَي نِزارٍ ولم أَذْمُمْهُم شَرَطاً وَدُونَا[١]

قال الليث: والشرطان كوكبان، يقال إنهما قرنا الحمل، وهو أول نجم من نجوم الربيع، ومن ذلك صار أوائل كل أمر يقع أشراطُه[٢]، وأكثر أهل اللغة على القول الأول: أبو عبيدة[٣] والمبرد والزجاج[٤] كلهم قالوا في الأشراط أنها الأعلام، ونحو ذلك قال المفسرون[٥].

وأنشد أبو عبيدة لابن المفرغ[٦]:

وَشَريتُ بُرْداً لَيْتَنِي من بعد بُرْدٍ كنتُ هَامَهْ

وتَبِعْتُ عبد بَنِي عِلاَجٍ تِلكَ أَشْرَاطُ القِيامَهْ[٧]

---

(١) انظر: ديوانه ٢/ ١١١، «تهذيب اللغة» (شرط) ١١/ ٣٠٩، «المحتسب» لابن جني ١/ ٨٩، «اللسان» (شرط) ١١/ ٣٣١.

(٢) من قوله: قال أبو عبيد: قال الأصمعي.. إلخ. انظره بنصه في «تهذيب اللغة» (شرط) ١١/ ٢٠٩-٢١٠.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢١٥، وقول المبرد في «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٥.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١.

(٥) انظر: «جامع البيان» للطبري ١٣/ ٥٢، «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٢٧ أ «تفسير البغوي» ٧/ ٢٨٤.

(٦) هو: يزيد بن زياد بن ربيعة الملقب بمفرغ الحميري أبو عثمان شاعر غزل هو الذي وضع سيرة تبع وأشعاره وكان هجاء مقذعا وله مديح ونظمه سائر كانت وفاته حوالي ٦٩هـ. انظر: «خزانة البغدادي» ٢/ ١١٢، «الوفيات» ٢/ ٢٨٩، «الأعلام» ٨/ ١٨٣.

(٧) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٤٨، ٣٠٤، وقد أورد البيت الأول فقط،=

وواحد الأشراط: شَرط بفتح العين، قال ابن عباس: أشراطها: معالمها[١]، يريد أن النبي ﷺ من أشراطها، وقد قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»[٢] «**كفرسي رهان**»[٣].

وقال الحسن: محمد من أشراطها[٤]، وقال مقاتل: يعني أعلامها من انشقاق القمر والدخان، وخروج النبي ﷺ فقد عاينوا هذا كله[٥].

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ قال أبو إسحاق: المعنى: فمن أين لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة، (ذكراهم) في موضع رفع بقوله: (فأنى)[٦] قال ابن عباس: من أين لهم بالتوبة إذا جاءتهم الساعة[٧].

وقال مقاتل: في الآية تقديم، تقول: من أين لهم التذكرة والتوبة عند

= وأورده أيضًا صاحب «اللسان» في مادة (شرى) ١٤/ ٤٢٨.

(١) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره لكن بلفظ: (أوائلها) وعلق عليها المحقق، فقال: هكذا في الأصول ولعلها: أدلتها أي: أماراتها ٥/ ٢٩٩.

(٢) أخرج ذلك البخاري عن سهل بن سعد ﷺ. انظر: «صحيح البخاري» كتاب التفسير ٦/ ٧٩ تفسير سورة النازعات، ، وأخرجه مسلم عن أنس بن مالك ﷺ. انظر: «صحيح مسلم»، كتاب الفتن، و أشراط الساعة، باب ٢٧ قرب الساعة ٣/ ٢٢٦٨ رقم ٢٩٥١. وأخرجه البغوي في شرح السنة ١٥/ ٩٨، ورقم ٤٢٩٤.

(٣) أخرج ذلك الإمام أحمد في «المسند» عن سهل بن سعد ﷺ، انظر: «المسند» ٥/ ٣٣١.

(٤) انظر: «تفسير الحسن» ٢/ ٢٨٩، و«تفسير ابن كثير» ٦/ ٣١٧، و«الدر المنثور» ٧/ ٤٦٧.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٨.

(٦) انظر: «معاني القرآن للزجاج» ٥/ ١١.

(٧) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٧ أ من غير نسبة، وكذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤٠٤، ونسبه لقتادة، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٢٤ لعطاء.

الساعة إذا جاءتهم وقد فرطوا فيها[١].

وقال قتادة: يقول: أنى لهم أن يتذكروا ويتوبوا إذا جاءتهم الساعة[٢].

وقال الحسن: إذا جاءت الساعة لا تقبل منهم[٣].

قال الفراء: ومثله قوله[٤]: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣].

١٩- قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ لم أر في هذا شيئاً أمثل مما قال أبو إسحاق، وهو أنه قال: المعنى: قد بينا ما يدل على أن الله ﷻ واحد فاعلم أنه لا إله إلا الله، والنبي ﷺ قد علم ذلك ولكنه خطاب يدخل الناس مع النبي ﷺ كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ [الطلاق: ١] والمعنى: من علم فليقم على ذلك العلم، كما قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥] أي ثبتنا على الهداية[٥]، هذا كلامه على أنه قد ذكر عن عبد العزيز بن يحيى أنه قال: كان النبي ﷺ: يضجر ويضيق صدره من طعن الكافرين والمنافقين فيه، فأنزل الله هذه الآية يعني: فاعلم أنه لا كاشف يكشف ما بك إلا الله، فلا تعلق قلبك على أحد سواه[٦].

ويجوز أن يكون قوله: (فاعلم) جواباً لقوله (إذا جاءتهم) له جوابان

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٨.

(٢) انظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٢٩٩، «زاد المسير» ٧/ ٤٠٤، «الجامع لأحكام القرآن»١٦/ ٢٤١.

(٣) ذكر ذلك الهواري في «تفسيره» من غير نسبة. انظر ٤/ ١٦٥، وكذلك ذكره الفخر الرازي ٢٨/ ٦٠.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦١.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٢.

(٦) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٧ أ.

أحدهما: سابق؛ وهو قوله: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾، والآخر: (فاعلم)، ويكون المعنى على هذا: إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا إله إلا الله، أي: في ذلك الوقت تبطل الممالك والدعاوى، فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله ولا ملجأ إلى أحد إلا الله كقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وهذا المعنى يروى عن سفيان بن عيينة وأبي العالية(١).

قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ الكلام في ذنبه ﷺ يأتي في أول سورة الفتح إن شاء الله، قال أهل المعاني: وإنما أمر بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستن به أمته في الاستغفار(٢)، وقد قال ﷺ: «**إني لأستغفر في اليوم سبعين مرة**»(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: ولذنوبهم، وهذا إكرام من الله تعالى للمؤمنين والمؤمنات من هذه الأمة حين أمر نبيهم ﷺ- أن يستغفر لهم، وهو الشفيع المجاب، ثم أخبر عن علمه بأحوال الخلق ومآلهم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ قال ابن عباس: متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا ومصيركم في الآخرة إلى الجنة أو النار(٤).

---

(١) انظر: «تفسير سفيان بن عيينة» ص٣٢٠، «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٢٧ ب، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٨٥.

(٢) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٧/ب، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٨٥، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٤٢.

(٣) أخرج ذلك الترمذي عن أبي هريرة، وقال: هذا حديث حسن صحيح. انظر: «سنن الترمذي» كتاب: التفسير باب ٤٨، ومن سورة محمد ﷺ ٥/ ٣٨٣، رقم ٣٢٥٩. وانظر: «الدر المنثور» ٧/ ٤٩٥ وقد، عزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان»، وانظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٢٣.

(٤) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٨ أ والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٨٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤٠٥، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٤٣.

وقال مقاتل: منتشركم بالنهار ومأواكم بالليل[١].

وقال عكرمة: متقلبكم من الأصلاب إلى الأرحام ومقامكم في الأرض[٢]. وقال ابن كيسان: متقلبكم حيث تتقلبون فيه من ظهر إلى بطن ومقامكم في القبور[٣]، والمعنى: أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها.

٢٠- قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد أن المؤمنين يسألون ربهم أن ينزل سورة فيها ثواب القتال في سبيل الله يحرض فيها المؤمنين[٤]، وقال في رواية الكلبي: كان المؤمنين إذا أبطأ عليهم الوحي اشتاقوا إلى نزوله فقالوا: هلا أنزلت سورة على محمد -ﷺ-[٥]، والقول هو الأو ل: أنهم أحبوا أن ينزل سورة فيها ذكر القتال، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ﴾ قال قتادة: كل سورة ذكر فيها القتال فهي محكمة[٦]، وهذا معنى ما روى عطاء عن ابن عباس في المحكمة أنها ما

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٨، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٨٥، «زاد المسير» ٧/ ٤٠٥.

(٢) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٧ ب، ١٢٨ أ، وانظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٨٦، «زاد المسير» ٧/ ٤٠٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٤٣.

(٣) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٨ أ، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٨٦، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٤٣.

(٤) ذكر معنى هذا القول من غير نسبة الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٨ أ، ونسبه في «الوسيط» لابن عباس، انظر: ٤/ ١٢٦.

(٥) ذكر معنى هذا القول من غير نسبة الماوردي في «تفسيره» ٥/ ٣٠٠، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤٠٥، والقرطبي ١٦/ ٢٤٣، وانظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٩.

(٦) أخرج ذلك الطبري عن قتادة. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٥٤، وأورده الماوردي في «تفسيره» ٥/ ٣٠١، والثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٨ أ، والبغوي ٧/ ٢٨٦.

أمر فيها بنصر نبي الله ﷺ.

وروي عن ابن عباس في المحكمة أنها التي لا ينسخ ما نزل فيها[١]، وهو اختيار الزجاج، قال معنى محكمة : غير منسوخة[٢]، ونحو هذا قال الكلبي ومقاتل : إنها البينة بالحلال[٣]، والأمر والنهي لا ينسخ.

وقال عبد الله بن مسلم: سورة محكمة أي: محدثة، وسميت المحكمة محدثة؛ لأنها حين تنزل تكون كذلك حتى ينسخ منها شيء ، يدل على صحة هذا أن في حرف عبد الله (فإذا أنزلت سورة محدثة وذكر فيها القتال)[٤] قال المفسرون أي: فرض فيها الجهاد[٥]، والمعنى: ذكر فيها فرض القتال، قاله الزجاج[٦].

قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ كقوله: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] وقد مر، قال ابن قتيبة: يريد أنهم يشخصون نحوك بأبصارهم وينظرون نظراً شديداً

---

(١) ذكر نحوه الماوردي ٥/ ٣٠١ من غير نسبة. وكذلك ذكر هذا المعنى في «الوسيط» ٤/ ١٢٦ ولم ينسبه .

(٢) انظر: «معاني القرآن للزجاج» ٥/ ١٢.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٩، وتفسير مقاتل ٤/ ٤٨.

(٤) انظر: «تأويل مشكل القرآن» ٢/ ١٣٢، و«تفسير الطبري» ٢٦/ ٥٤. وذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٨ أ، والماوردي ٥/ ٣٠٠، وصرح أنه ابن مسعود ، وذكره أيضًا ابن عطية في «تفسيره» ١٥/ ٦٧، والقرطبي ١٦/ ٢٤٣.

(٥) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ٢/ ١٣٢، «زاد المسير» ٧/ ٤٠٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٤٣.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٢.

بتحديد وتحديق، كما ينظر الشاخص ببصره عند الموت من شدَّة العداوة[(١)].

وقال أبو إسحاق: إنما ذكر ذلك لأنهم منافقون يكرهون القتال؛ لأنهم إذا قعدوا عنه ظهر نفاقهم فخافوا على أنفسهم القتل[(٢)].

قوله: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ فيه مذاهب ثلاثة:

قال قتادة: هذا وعيد لهم وانقطع الكلام[(٣)]، ونحو هذا قال مقاتل والكلبي[(٤)]، واختاره الزجاج وابن قتيبة[(٥)]، وهو قول أكثر أهل اللغة[(٦)]، واختلفوا لم صارت هذه الكلمة للتهديد؟ فقال الأصمعي: معنى قولهم في التهديد: أولى لك، وليك وقاربك ما تكره وأنشد:

فَعَادى بَينَ هَادِيَتَيْنِ مِنْهَا وأَوْلَى أَن يَزِيدَ عَلَى الثَّلاثِ[(٧)]

أي: قاربك أن يزيد على الثلاث.

قال ثعلب: ولم يقل أحد في (أولى لك) أحسن مما قال الأصمعي[(٨)]، وأبو إسحاق يختار هذا القول، ويقول: المعنى: وليهم المكروه[(٩)].

قال أبو العباس: وقال غير الأصمعي: (أولى) يقولها الرجل لآخر

---

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ٢/ ١٣٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٢.

(٣) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٥٥ عن قتادة. وذكره الماوردي في «تفسيره» ٥/ ٣٠١.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٨، «تنوير المقباس» ص ٥٠٩.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٢، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٤١١.

(٦) قال ذلك الطبري. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٥٥، وانظر: «تهذيب اللغة» (ولى) ١٥/ ٤٤٨، «اللسان» (ولى) ١٥/ ٤١١، «مقاييس اللغة» (ولى) ٦/ ١٤١.

(٧) انظر: المراجع السابقة، «الدر المصون» ٦/ ١٥٣.

(٨) ذكر ذلك الأزهري في «تهذيب اللغة» (ولي) ١٥/ ٤٤٨، وانظر: المراجع السابقة.

(٩) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٢.

يحسِّره على ما فاته، ويقول له: يا محروم أي شيء فاتك[١].

وقال صاحب النظم: (أولى) مأخوذ من الويل[٢]، وللويل تصريف قد درج ولم يبق منه إلا الويل فقط وقد قال جرير:

يَعْلَمْن بالأكْبارِ ويلاً وائلاً[٣]

فقوله: أولى أفعل من الويل، إلا أن فيه قلباً، وهو أن عين الفعل وضع موضع اللام.

٢١- قوله: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ يرتفع بمحذوف، ورافعه إما قبله وإما بعده، فمذهب سيبويه[٤] والخليل أن المعنى: طاعة وقول معروف أمثل، والمعنى على هذا: أن الله تعالى قال: لو أطاعوا وقالوا معروفاً كان أمثل وأحسن، وهذا اختيار الزجاج[٥].

وهو على حذف الخبر، ويجوز أن يقدر الحذف ابتداء على تقدير: أمر بالطاعة وقول معروف، وهذا قول المبرد[٦]، واختيار ابن قتيبة وقال: هذا مختصر يريد قولهم قبل نزول الفرض: سمع لك وطاعة[٧].

---

(١) ذكر ذلك الأزهري في «تهذيب اللغة» (ولى) ١٥/ ٤٤٨، والقرطبي في «الجامع» من غير نسبة ١٦/ ٢٤٤.

(٢) ذكر ذلك القرطبي ١٦/ ٢٤٤، والسمين الحلبي في «الدر المصون» ٦/ ١٥٣.

(٣) الويل: قال الليث هو حلول الشر، والويلة: البلية والفضيحة، وأصل الويل في اللغة: الهلاك والعذاب، انظر: «تهذيب اللغة» (ويل) ١٥/ ٤٥٥، «اللسان» (ويل) ١١/ ٧٣٧. ولم أعثر على هذا الشطر من البيت.

(٤) انظر: «الكتاب» ٢/ ١٣٦.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٣، وقد نقل قولي سيبويه والخليل، كما ذكرهما أيضًا النحاس في «إعراب القرآن» ٤/ ١٨٦، ١٨٧.

(٦) انظر: «الكامل» للمبرد ٢/ ٥٧.

(٧) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ٢/ ١٣٢.

المذهب الثاني: أن الكلام تم عند قوله: (فأولى)، وهو تهديد على ما ذكرنا، ثم ابتدأ فقال لهم: (طاعة وقول معروف)[١]، وهو القول الحسن الذي يعرف حسنه وصحته، ويجوز على هذا القول أن يكون المعنى: للمنافقين طاعة وقول معروف باللسان، فإذا جد الأمر تبين كذبهم فيما قالوا بقعودهم عن نصرة النبي ﷺ، يدل على صحة هذا سياق الآية فيما بعد.

المذهب الثالث: أن الآية الثانية التي هي قوله: طاعة متصلة بالآية الأولى في المعنى، والتقدير: فأولى لهم طاعة وقول معروف، وهذا معنى ما روي عن عطاء عن ابن عباس[٢]: يريد كانت الطاعة أولى لهم، والمعنى على هذا: طاعة الله ورسوله وقول معروف بالإجابة أولى لهم، وهذا القول اختيار الكسائي[٣].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ قال ابن عباس ومجاهد[٤] ومقاتل: جد القتال عن حقائق الأمور[٥].

وقال أبو إسحاق: جد الأمر ولزم فرض القتال[٦].

---

(١) انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي ٢/٣٠٨، «الدر المصون» ٦/ ١٥٤.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٨٦، وقد نسبه لابن عباس في رواية عطاء، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٤٤.

(٣) ذكر ذلك في «الوسيط» ٤/ ١٢٦.

(٤) أخرج ذلك الطبري في «تفسيره» عن مجاهد ١٣/ ٥٥، وذكره الماوردي في «تفسيره» من غير نسبة ٥/ ٣٠١، والبغوي ولم ينسبه ٧/ ٢٨٦، وكذلك القرطبي في «الجامع» ولم ينسبه ١٦/ ٢٤٤.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» لكنه قال: عند دقائق الأمور ٤/ ٤٨.

(٦) انظر: «معاني القرآن للزجاج» ٥/ ١٣.

قال أبو الهيثم: (عزم الأمر) هو فاعل بمعنى مفعول، وإنما يُعْزَم الأمر ولا يَعْزِم والعزم لإنسان لا للأمر، قال: وهذا كقولهم: هلك الرجل، وإنما أهلك[١].

وقال غيره: معنى عزم الأمر: انعقد الأمر بالإرادة أنه يفعله، فإذا عقد الأمر على أنه يفعل قيل: عزم الأمر[٢] على طريق البلاغة.

قال الفراء: معنى الآية: فإذا عزم الأمر نكلوا ولم يفعلوا[٣]، ونحو هذا قال ابن قتيبة (فإذا عزم الأمر) أي: جاء الجد كرهوا ذلك، فحذف الجواب[٤].

وقال صاحب النظم قوله: (عزم الأمر) يقتضي جواباً ولم يذكر ذلك الجواب، فلما قال: (فلو صدقوا الله) كان هذا دليلاً على المضمر وهو أن يكون كذبوا[٥] ومثله قوله: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ وقد مر [الشعراء: ٦٣].

---

(١) ذكر ذلك الأزهري في «تهذيب اللغة» (عزم) ٢/ ١٥٢، و«اللسان» (عزم) ١٢/ ٤٠٠.

(٢) ذكر نحوًا من هذا ابن فارس في «مقاييس اللغة» (عزم) ٤/ ٣٠٨.

(٣) هذا القول لم أجده في معاني الفراء عند هذه الآية ٣/ ٦٢.

قال السمرقندي في تفسيره: فإذا عزم الأمر يعني: وجب الأمر وجد الأمر، كرهوا ذلك.

انظر: ٣/ ٢٤٤، وقال الشوكاني: عزم الأمر: جد الأمر أي جد القتال ووجب وفرض.

قال المفسرون: معناه إذا جد الأمر ولزم وفرض القتال خالفوا وتخلفوا. انظر: «فتح القدير» ٥/ ٣٨.

(٤) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ٢/ ١٣٣.

(٥) ذكر قريبًا من هذا المعنى البغوي ٧/ ٢٨٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤٠٦.

قوله: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: في إيمانهم وجهادهم سمحوا بالطاعة والإجابة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من المعصية والكراهية، قاله ابن عباس[١]. والمعنى: لكان الصدق خيراً لهم، فأضمر لدلالة صدقوا عليه.

٢٢- ثم قال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ وقوله: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد عن الإسلام[٢]، وعلى هذا معنى الآية.

قال أبو إسحاق: لعلكم إن توليتم عما جاء به النبي ﷺ أن تعودوا إلى أمر الجاهلية فتفسدوا ويقتل بعضكم بعضاً وتقطعوا أرحامكم أي: تئدوا البنات وتدفنوهن أحياء[٣].

وقال ابن قتيبة: أي إذا انصرفتم عن النبي ﷺ أن تفسدوا يريد فهل تريدون إذا أنتم تركتم محمداً وما يأمركم به أن تعودوا إلى مثل ما كنتم عليه من الكفر والإفساد في الأرض وقطع الأرحام[٤]، وعلى هذا القول كأن الله تعالى يذكر منته عليهم بالإسلام ومحمد ﷺ حين جمعهم به وأكرمهم بالإلفة بعد ما كانوا عليه في جاهليتهم من القتل والبغي وقطيعة الرحم، فيقول: لعلكم إذا كرهتم الإسلام والقرآن، تريدون أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه، والمراد بقطع الأرحام قتل بعضكم بعضاً، ويحتمل ما ذكره أبو إسحاق من الوأد.

وفي الآية قول آخر قال الكلبي: إن توليتم إمرة هذه الأمة[٥]، ويدل

---

(١) ذكر نحوه الشوكاني في «فتح القدير» ٥/ ٣٨.

(٢) ذكر البغوي ٧/ ٢٨٧، وابن الجوزي ٧/ ٤٠٧ قريبًا من هذا المعنى، ولم ينسباه.

(٣) انظر: معاني «القرآن للزجاج» ٥/ ١٣.

(٤) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ٢/ ١٢٣.

(٥) ذكر ذلك القرطبي ١٦/ ٢٤٥، وانظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٩.

على صحة هذا التأويل ما روي في قراءة النبي ﷺ: إن وُلِّيتُم[١]، ومن قال بهذا القول قال: المراد بهذا الخطاب بنو أمية[٢] يقول لهم: إن توليتم أمر الناس أفسدتم وقطعتم رحم بني هاشم[٣] بقتلهم، وعلى هذا القول: قتادة والمسيب[٤] بن شريك[٥]، وذكر الفراء والزجاج[٦] القولين جميعاً، وما

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني ٢/ ١٧٢، و «البحر المحيط» ٨/ ٨٢، و«التذكرة في القراءات» لابن غلبون ص٦٨٤، قال: وقرأ رويس: توليتم: بضم التاء والواو وكسر اللام. وانظر: «النشر في القراءات العشر» ٢/ ٣٧٤، وقال القرطبي: قرأ علي بن أبي طالب: تُوُلِّيتُم. بضم التاء والواو وكسر اللام. وهي قراءة ابن أبي إسحاق ورواها رويس عن يعقوب ١٦/ ٢٤٣.

(٢) هم: بطن من قريش من العدنانية وهم بو أمية الأكبر بن عبد شمس بن مناف. وبنو أمية هؤلاء هم المراد ببني أمية عند الإطلاق وكان له عشرة أولاد أربعة منهم يسمون أعياص، وهم: العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص، وستة يسمون العنابس؛ وهم: حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو. وسموا بذلك بابن من أبناء حرب أحد أسماء عنبسة غلب عليهم اسمه ومن عقبه عثمان بن عفان ومنهم أيضًا معاوية بن أبي سفيان.
انظر: «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» ص ٨٥.

(٣) هم: بنو هاشم من قريش من العدنانية. وهم بنو هاشم بن عبد مناف، كان له خمسة أولاد منهم: عبد المطلب، وحنظلة وأسد وصيفي وأبو صيفي واسم هاشم عمرو وسمي هاشمًا لهشمه الثريد لقومه في شدة المحل، وذلك أنه كان إليه الرفادة والسقاية بمكة، وانتهت إليه سيادة قريش.
انظر: «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» ص ٣٨٦.

(٤) هو: المسيب بن شريك أبو سعيد التميمي الشقري الكوفي روي عن الأعمش، قال يحيى: ليس بشيء، وقال أحمد: ترك الناس حديثه، وقال البخاري: سكتوا عنه.
انظر: «ميزان الاعتدال» ٤/ ١١٤.

(٥) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٢٨ ب، وأبو حيان في «البحر» ٨/ ٨٢، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٤٥.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٣، «معاني القرآن للزجاج» ٥/ ١٣.

قبل هذه الآية يدل[١] في المنافقين، فلعل منافقي بني أمية خوطبوا بهذا والله أعلم، ثم وصف هؤلاء المنافقين بقوله:

٢٣- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية.

٢٤- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ أي: ليعرفوا ما أعد الله للذين لم يتولوا عن الإسلام ولم يقطعوا أرحامهم، قال ابن عباس: ومعنى تدبر القرآن ذكرناه في سورة النساء [آية: ٨٢]. (أم على قلوب أقفالها).

قال الليث: القفل معروف، وفعله الإقفال، وقد أقفلته فاقتفل[٢]، وأصله من اليبس والصلابة، ويقال لما يبس من الشجر القفل، وأقفله الصوم، إذا أيبسه[٣].

قال ابن عباس: يريد على قلوب هؤلاء أقفال[٤].

وقال مقاتل: يعني الطبع على القلب[٥]، وفي هذا تنبيه على القدر والقضاء السابق بالختم على القلب، والأقفال استعارة لارتياح القلب، من الباب الذي ما لم يرفع الختم عن القلب لم يدخله الإيمان والقرآن، وفي تنكير القلوب وإضافة الأقفال إليها مع ما في ظاهر اللفظ، تأكيدٌ للمعنى الذي ذكرنا، ومعنى تنكير القلوب: إرادة لقلوب هؤلاء وقلوب من بهذه الصفة من غيرهم، ولو قال: أم على قلوبهم، لم يدخل قلب غيرهم في

---

(١) كذا رسمها في الأصل، ولم يتضح لي معناها.

(٢) انظر: «كتاب العين» (قفل) ٥/ ١٦١، و«تهذيب اللغة» ٩/ ١٦٠.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (قفل) ٩/ ١٦١.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٩.

هذه الجملة، وفي قوله: (أقفالها) دليل على ما ذكرنا من أن المراد بالأقفال الختم وانغلاق القلب، ولو قال: (أقفال) لذهب الوهم إلى ما نعرف بهذا الاسم، فلما أضافها إلى القلوب علم أن المراد بها ما هو للقلب بمنزلة القفل للباب.

ومعنى الاستفهام في قوله (أم على قلوب أقفالها) الإخبار أنها كذلك، ويصدق هذه الجملة التي ذكرناها ما روي أن النبي ﷺ كان يقرأ هذه السورة شاباً(١) من أهل اليمن فلما قرأ: أم على قلوب أقفالها. قال: بل عليها أقفالها حتى يفرجها الله، فقال النبي ﷺ: «**صدقت**»(٢).

ثم ذكر اليهود وسوء عاقبتهم حين ارتدوا بعد المعرفة:

٢٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾ رجعوا كفاراً ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ يعني: اليهود، ظهر لهم أمر النبي ﷺ بنعته وصفته في كتابه، وكانوا يعرفونه لما دعاهم إلى دينه كفروا به. هذا قول الكلبي(٣) ومقاتل(٤) وقتادة(٥).

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب (وعنده شاب).

(٢) أخرجه الطبري عن هشام بن عروة عن أبيه ولم يذكر لفظ صدقت انظر: «تفسير الطبري» ١٣/٥٨، وأخرجه الثعلبي في «تفسيره» ١٠/١٢٩ أ، والبغوي في «تفسيره» ٧/٢٨٧، بمثل لفظ الطبري وعزاه السيوطي في «الدر» لإسحاق بن راهويه، وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه بلفظ صدقت. انظر: «الدر» ٧/٥٠١، وانظر: «الوسيط» ٤/١٢٦.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥٠٩.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/٤٩.

(٥) أخرج ذلك الطبري عن قتادة. انظر: «تفسيره» ١٣/٥٨، وأورده الثعلبي في «تفسيره» ونسبه لقتادة ١٠/١٢٩/ب، وكذلك البغوي نسبة لقتادة ٧/٢٨٧.

وقال السدي والضحاك: يعني المنافقين[١].

ثم قال: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ قال ابن عباس: زين لهم القبيح[٢]، وتفسير التسويل قد سبق في سورة[٣] يوسف [آية: ١٨ : ٨٣].

قوله: ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ يعني الإملاء في اللغة: الترفيه في العمر، والمد فيه[٤] وذكرنا الكلام فيه عند قوله: ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦] قال مقاتل: يعني: وأمهل الله لهم[٥]. وهذا قول أكثر المفسرين[٦]، وقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٨] وقوله: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الحج: ٤٤]، وقوله: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الرعد: ٣٢].

والمعنى: لم يعجل عليهم العقوبة وأمهلهم موسعاً عليهم ليتمادوا في طغيانهم، جزاء لهم على ما فعلوا، وقرأ أبو عمرو: (وأملِيَ لهم) بضم الهمزة وفتح الياء على ما لم يسم فاعله.

---

(١) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٥٨ عن الضحاك، ونسبة الثعلبي لابن عباس والضحاك والسدي. انظر: «تفسيره» ١٠/ ١٢٩ ب، وكذلك نسبه إليهم البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٨٨، والقرطبي في الجامع ١٦/ ٢٤٩.

(٢) ذكر ذلك البغوي ولم ينسبه. انظر: «تفسيره» ٧/ ٢٨٨، وقال القرطبي في «الجامع»: زين لهم خطاياهم، ونسبه للحسن. انظر: «الجامع» ١٦/ ٢٤٩.

(٣) قال الأزهري: قال الله جل وعز: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أي زينت لكم أنفسكم أمرًا غير ما تصفون وكأن التسويل تفعيل من سول الإنسان، وهو أمنيته التي يتمناها فتزين لطالبها الباطل والغرور. انظر: «تهذيب اللغة» (سول) ١٣/ ٦٦.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٨٨، و«الجامع لأحكام القرآن»١٦/ ٢٤٩.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٩.

(٦) انظر: «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢٤٥، و«تنوير المقباس» ص ٥٠٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٤٩.

قال أبو الحسن الأخفش: هي خشنة في المعنى، يريد أن هذه القراءة فصل بين فعل الشيطان وفعل الله تعالى، حيث بنى الفعل للمفعول ويعلم يقيناً أنه لا يؤخر أحد مدة أحد، ولا يوسع له فيها إلا الله سبحانه[١] ففصل من حيث الرفع اللفظ، وعلى القراءتين يحسن الوقف على قوله (سول لهم)[٢]، لا على قول الحسن، فإنه قال في قوله: (وأملى لهم) على قراءة العامة: مد لهم الشيطان في الأمل[٣].

٢٦- قوله: (ذلك) أي: ذلك الإملاء ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ يعني: اليهود ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ يعني المشركين ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ قال مقاتل: في تكذيب محمد ﷺ وهو بعض الأمر[٤].

وقال أبو إسحاق: جاء في التفسير أنهم قالوا: سنطيعكم في الظاهر على عداوة النبي ﷺ[٥].

قال مقاتل: إنهم قالوا ذلك سرًّا فيما بينهم[٦].

فأخبر الله تعالى نبيه بذلك، وأعلم أنه يعلم ذلك فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ قرئ بكسر الألف على المصدر، وبفتحها على جمع سر[٧].

---

(١) انظر: «الحجة» ٦/ ١٩٤، ١٩٦، «الكشف» لمكي ٢/ ٢٧٨، ولم أقف عليه عند الأخفش.

(٢) انظر: «القطع والائتناف» ص ٦٦٧، «المكتفى» ص٥٢٥.

(٣) انظر قول الحسن في «القطع والائتناف» ص ٦٦٧، «تفسير الماوردي» ٥/ ٣٠٣.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٩.

(٥) انظر: «معاني القرآن للزجاج» ٥/ ١٤.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٩.

(٧) قرأ بالكسر حمزة والكسائي وحفص، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم بفتح الألف. انظر: «الحجة» ٦/ ١٩٦، و«الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٧٨.

٢٧- ثم خوفهم فقال: (فكيف) قال أبو إسحاق: المعنى: فكيف يكون حالهم[١] ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ الآية، وقد مرَّ تفسيرها في سورة الأنفال عند قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى﴾ الآية [آية: ٥٠].

٢٨- ثم ذكر سبب ذلك الضرب فقال: (ذلك) يعني: ذلك الضرب ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ قال ابن عباس: يريد ما كتموا من التوراة[٢].

وقال مقاتل: يعني الكفر بمحمد ﷺ[٣]، وقال الزجاج: اتبعوا من خالف النبي ﷺ[٤].

قوله تعالى: ﴿وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ يعني: كرهوا ما فيه رضوان الله تعالى وما هو سبب الرضوان من طاعة الله وطاعة رسوله والإيمان به، وإذا كرهوا سبب الرضوان فقد كرهوا الرضوان، وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل وأهل التفسير[٥] ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ التي كانوا يعملونها من صلاة وصدقة وصلة رحم لأنها في غير إيمان.

ثم رجع إلى ذكر المنافقين فقال:

٢٩- ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ﴾ قال الليث[٦]: الضِّغن الحِقْدُ ويجمع الأضغان، ومثله الضَّغِينةُ، وجمعها

---

(١) انظر: «معاني القرآن للزجاج» ٥/ ١٤.
(٢) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٨٨، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٥١.
(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٩.
(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٤.
(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٤٩، «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢٤٦، «البغوي» ٧/ ٢٨٨.
(٦) انظر كتاب: العين (ضغن) ٤/ ٣٦٦.وانظر: «تهذيب اللغة» (ضغن) ٨/ ١١، «اللسان» (ضغن) ١٣/ ٢٥٥.

ضَغَائِن، وضَغِنَ فلان يَضْغُنُ ضِغْنَاً فهو ضَغِن، والمرأة ضَغِنَة، وأضْغَنَ عليَّ ضُغَناء، أي أضْمَرهُ وأصله من الضِّغْنِ، والضِّغْنُ هو الالتواء والاعوجاج في قوائم الدابة والقناة وكل شيء، ومنه قول بشر:

كذاتِ الضِّغْنِ تَمْشِي في الرِّفاقِ[1]

وأنشد الليث:

إنَّ قَناتِي مِن صَلِيباتِ القَنَا مَا زَادَهَا التَّثْقِيفُ إلاَّ ضَغَنا[2]

والحقد في القلب مشبه به، لأنه لا يستقيم الحقود عليه، قال ابن عباس في قوله: ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ﴾: أن لا يطلع الله على ما في قلوبهم[3]، وقال مقاتل: أن لا يظهر الله الغشّ الذي في قلوبهم[4].

وقال أبو إسحاق: لا يبدي الله عداوتهم لرسوله ﷺ والمؤمنين ويظهره على نفاقهم[5].

٣٠- قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ﴾ قال مقاتل والمفسرون: لأعلمناكهم[6]. كقوله: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] أي: بما علمك

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (فرق) ٩/ ١١٣، «اللسان» (ضغن) ١٣/ ٢٥٥، «الدر المصون» ٦/ ١٥٧.

(٢) انظر كتاب: العين (ضغن) ٤/ ٣٦٦، «تهذيب اللغة» (ضغن) ٨/ ١١، «اللسان» (ضغن) ١٣/ ٢٥٦. والثقاف: حديدة تكون مع القوَّاس والرمَّاح يقوّم بها الشيء المعوج. أي كأن الشاعر يقول: ما زادها التقويم إلا اعوجاجًا، «اللسان» (ثقف) ٩/ ٢٠.

(٣) ذكر هذا المعنى في «الوسيط» ولم ينسبه. انظر ٤/ ١٢٨.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٥٠.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٥٠، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٨٨، «زاد المسير» ٧/ ٤١١، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٥٢.

الله، وقد مر، وقال الفراء والزجاج: يريد لعرفناكهم، وأنت تقول للرجل أريتك كذا وكذا، تريد عَرَّفتكه وعَلَّمتكه[١].

قوله: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي: فعرفتهم، ودخلت اللام لتأكيد المعرفة، والكلام في تفسير السيما قد سبق في سورة البقرة [آية: ٢٧٣].

قال أبو إسحاق: المعنى: لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة، وهي السيما فلعرفتهم بتلك العلامة[٢].

قوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ قال أبو عبيدة والفراء والزجاج: في نحو القول معنى القول[٣] : في فحوى القول وقصد القول، وهو الذي يدل على ما عنده وفي قلبه من غير تصريح به، وقريب منه قول النبي ﷺ في سعد[٤] بن معاذ وسعد بن عبادة[٥] حين وجههما لاستعلام خبر قريظة «**فإن رأيتماهم على العهد فأعلنا ذلك وإلا فالحنا لي لحناً أعرفه ولا تفتان أعضاد المسلمين**»[٦].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٣، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥.

(٣) انظر: «مجاز القرآن لأبي عبيدة» ٢/ ٢١٥ بلفظ: (في فحوى القول)، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٣، و«معاني القرآن» للزجاج» ٥/ ١٥ .

(٤) سعد بن معاذ بن النعمان الأوسي، سيد قومه، وهو الذي حكم على بني قريظة بأن تقتل وتسبى النساء والذرية، انظر: «الاستيعاب» ٢/ ٢٧، «أسد الغابة» ٢/ ٢٩٦.

(٥) هو: سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري سيد الخزرج، انظر: «الاستيعاب» ٢/ ٣٥، و«الإصابة» ٢/ ٣٠٠.

(٦) لم أقف على هذا الحديث إلا أن ابن الأثير في «النهاية» ذكر نحوه وهو (أنه بعث رجلين إلى بعض الثغور عينًا. فقال لهما: إذا انصرفتما فالحنا) أي: أشيرا إليّ ولا تفصحا، وعرضا بما رأيتما. أمرهما بذلك لأنهما ربما أخبرا عن العدو ببأس وقوة فأحب ألا يقف عليه المسلمون. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (لحن) ٤/ ٢٤١.

وقال الليث: ما تلحن إليه بلسانك: تميل إليه[١].

وقال أبو زيد: لحنت له ألحن، إذا قلت له قولاً يفقه عنك ويخفى على غيره[٢].

وقال ابن دريد[٣] معنى اللحن: أن تريد الشيء فتوري عنه بقول آخر[٤].

وقيل لمعاوية: إن عبد الله يلحن، فقال: أوليس بظريف لابن أخي[٥] أن يتكلم بالفارسية، ظن معاوية أنهم عنوا بقولهم عبد الله يلحن أي يتكلم بالفارسية إذ كان المتكلم بها معدولا عن جهة العربية.

وقال الفزاري[٦]:

---

(١) انظر: كتاب «العين» (لحن) ٣/ ٢٢٩.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (لحن) ٥/ ٦٠.

(٣) هو: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حسن بن حمامي بن جرو بن واسع بن وهب بن سلمة، من أئمة اللغة والأدب، كانوا يقولون ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء ولد في البصرة سنة ٢٢٣هـ، ومن كتبه: «الاشتقاق»، و«المقصور والممدود»، و«الجمهرة»، و«المجتبى» وغيرها، مات سنة ٣٢١هـ. انظر: مقدمة «جمهرة اللغة» ١/ ٣، ٤، و«فيات الأعيان» ١/ ٤٩٧، و«تاريخ بغداد» ٢/ ١٩٥.

(٤) انظر: «جمهرة اللغة» (لحن) ٢/ ١٩٢، بلفظ: (اللحن صرفك الكلام عن جهته، لحن يلحن لَحْنا ولَحَنا، وعرفت ذلك في لحن كلامه أي فيما دل عليه كلامه).

(٥) انظر: «اللسان» (لحن) ١٣/ ٣٨٠.

(٦) هو: مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري أبو الحسن شاعر غزل ظريف من الولاة كان هو وأبوه من أشراف الكوفة وتزوج الحجاج أخته هند بنت أسماء، واختار له أبو تمام أبياتًا في الحماسة. انظر: «الشعر والشعراء» ص٥٢٧، و«لسان الميزان» ٥/ ٢، و«الأعلام» ٥/ ٢٥٧.

مَنطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَاناً ... وَخَيرُ الحَدِيْثِ مَا كَانَ لَحْنَا[١]

يريد أنها تتكلم بالشيء وهي تريد غيره، وتعرض في حديثها فتزيله عن جهته من ذكائها وفطنتها كما قال الله ﷻ ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ وكما قال القَتَّال الكلابي[٢]:

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُم لِكَيْمَا تَفْهَمُوا ... وَلَحنْتَ لَحناً لَيْسَ بِالمرْتَابِ[٣]

واللحن في العربية راجع إلى هذا، لأنه العدول عن الصواب، هذا كلامه فيما حكاه حمزة[٤] صاحب الأمثال، وهو سديد، وذكر أبو القاسم الزجاجي رحمه الله معنى اللحن في كلام العرب بأبلغ شرح فقال[٥]: أصل (ل ح ن) على هذا الترتيب موضوع للميل عن الشيء والعدول عنه، يقال: لحن فلان في منطقه، إذا أخذ في شيء ترك الظاهر له وعدل عنه إلى غيره،

---

(١) انظر: «الشعر والشعراء» ص ٥٢٧، «تهذيب اللغة» (لحن) ٥/ ٦١، «اللسان» (لحن) ١٣/ ٣٨٠، «الدر المصون» ٦/ ١٥٧.

(٢) ورد خلاف في اسمه والمشهور: عبد الله بن مجيب بن مضرحى الكلابي أبو المسيب شاعر إسلامي غلب عليه لقب القتال لشجاعته. له ديوان مطبوع وهو من بني أبي بكر بن كلاب بن ربيعة. انظر: «الأغاني» ٢/ ١٥٩، «المحبر» ص ٢٨٨، «الخزانة» ٣/ ٦٨٨، «الشعر والشعراء» ص٤٧١.

(٣) انظر: «ديوانه» ص ٣٦، «الزاهر» لابن الأنباري ١/ ٣٠٦، واستشهد القرطبي بهذا البيت بهذا اللفظ. انظر ١٦/ ٢٥٣، وهو في «اللسان» بلفظ (لحنت لكم (بدل) وحيت لكم). انظر: «اللسان» (لحن) ١٣/ ٣٨٠، وانظر: «الدر المصون» ٦/ ١٥٧.

(٤) لعله: حمزة بن الحسن الأصبهاني أبو عبد الله إمام لغوي له مؤلفات حسان توفي حوالي ٣٦٠هـ له كتاب «الأمثال السائرة، والأمثال الصادرة في بيوت الشعر». انظر ترجمته في: «أخبار أصبهان» ١/ ٣٠٠، «الأعلام» للزركلي ٢/ ٣٠٩، «معجم المؤلفين» ٤/ ٧٨.

(٥) لم أقف عليه عند الزجاجي وانظر: «مقاييس اللغة» (لحن) ٥/ ٢٣٩.

يعميه على السامع وذلك كالتعريض في الكلام، ويقال لمثل ذلك القول: ملاحن القول، وهذا كقولهم: والله ما رأيت زيداً برائب، أصبت ريبة لا روبة البصر، ويقال: لاحنت فلاناً، أي راطنته، وذلك أن تضع بينك وبينه كلاماً يفهمه عنك وتفهمه عنه، ولا يفهم غيركما، لأنكما قد عدلتما عن المعتاد من الكلام ومنه قول الطرماح:

وأَدَّتْ إلـيَّ الـقَـولَ عَـنْـهـنَّ زَوْلـةٌ تُلاحِنُ أوْ تَرْنُو لقَوْلِ المُلاحِنِ[1]

أي: تتكلم بمعنى كلام لا يفطن له غيري، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ أي في فحواه ومعناه، يعني: المنافقين، وذلك أنهم كانوا يخاطبون النبي ﷺ بكلام تواضعوه بينهم والنبي ﷺ يسمع ذلك ويأخذ بالظاهر المعتاد، فنبهه الله تعالى على ذلك، فكان بعد نزول هذه الآية يعرف المنافقين إذا سمع [كلام[2]]، فلحن القول ميلهم عن الظاهر.

وحكى سلمة[3] عن الفراء: يقال للرجل يعرض ولا يصرح: قد جعل كذا وكذا لحنًا لحاجته، ويقال من هذا: لَحَنَ يلحن، فأما لَحِنَ يلحن فالمراد به[4] فَطِن وفهم.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (لحن) ٥/ ٦٣، «اللسان» (لحن) ١٣/ ٣٧٩.

(٢) كذا في الأصل ولعل الصواب (كلامهم).

(٣) هو: سلمة بن عاصم أبو محمد البغدادي النحوي صاحب الفراء، روى القراءة عن أبي الحارث الليث بن خالد وروي القراءة عنه أحمد بن يحيى ثعلب، قال ابن الأنباري: كتاب سلمة في «معاني القرآن للفراء» أجود الكتب لأن سلمة كان عالمًا وكان يراجع الفراء فيما عليه ويرجع عنه، توفي بعد ٢٧٠هـ.

انظر: «طبقات النحويين واللغويين» ١٣٧، و«إنباه الرواة»٢/ ٥٦، و«غاية النهاية» ١/ ٣١١.

(٤) انظر: «كتاب العين» (لحن) ٣/ ٢٣٠، و«معاني القرآن للفراء» ٣/ ٦٣.

ومنه قول النبي ﷺ: «**ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض**»[1]، أي أفطن لها وأقدر على لحن القول وفحواه ومعناه.

قال أبو عبيد[2]: اللّحَن بفتح الحاء الفطنة، واللّحِن بالكسر الحاذق بالكلام الفطن، وإنما قالوا: لحِن، إذا فطن وفهم، لأنه سمع ما لُحِنَ له من القول فعلم فحوى ما قيل له، فقيل: لَحِنَ كما يقال: فطن، وأما قول الكلابية قال[3]:

وقومٌ لهم لَحْنٌ سِوى لَحنِ قَوْمِنا وشَكْلٌ وبيتِ اللهِ لَسْنا نُشاكِلُهْ[4]

أي: لغة ومذهب في الكلام يذهبون إليه سوى كلام الناس المعتاد، لأنهم عدلوا به إلى ما أرادوا وتركوا ما يتعارفه الناس، والألحان:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات باب ٣٧ من أقام البينة بعد اليمين ٣/ ١٦٢، وفي كتاب الحيل، باب ١٠، ٨/ ٦٢، وفي كتاب الأحكام، باب ٢٠ موعظة الإمام للخصوم ٨/ ١١٢، وأخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب ٣ الحكم بالظاهر واللحن وبالحجة ٢ / ١١٢، وأخرجه الترمذي في كتاب الأحكام ، باب ١١ ما جاء في التشديد على من يقضى له بشيء ليس له أن يأخذه ٣/ ٢٣٣، وفي باب ٣٣ ما يقطع القضاء ٨/ ٢٤٧، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام ، باب ٥ قضية الحاكم لا تحل حرامًا ولا تحرم حلالًا ٢/ ٧١٩، وأخرجه مالك في الموطأ كتاب الأقضية، باب ١، الترغيب في القضاء بالحق ٢ / ٧١٩، وأخرجه الإمام أحمد عن أبي هريره ٢/ ٣٣٢، وأخرجه أيضًا عن أم سلمة ٦/ ٢٠٣، ٦/ ٢٩٠، ٦/ ٣٠٧ ، ٦/ ٣٠٨، ٦/ ٣٢٠.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (لحن) ٥/ ٦٢ بتصرف.

(٣) كذا في الأصل بمد اللام وفي «تهذيب اللغة» الكلبية. انظر: «تهذيب اللغة» (لحن) ٥/ ٦٢، «اللسان» (لحن) ١٣/ ٣٨٠، ولم أقف لها على ترجمة.

(٤) انظر هذا الشاهد وكلام أبي عبيد الذي قبله في «تهذيب اللغة» (لحن) ٥/ ٦٢، «اللسان» (لحن) ١٣/ ٣٨٠.

الضروب من الأصوات في الأغاني كقولهم: لحن معبد ولحن سريج، سمي بذلك لأن كل صوت له طريق ومذهب غير مذهب الصوت الآخر، فكأن المعنى عدل بالصوت إلى طريق آخر، والملحِّن الذي يسوي طريق الأغاني.

وقال النضر: سألت الخليل عن قولهم: لحن القارئ فيما قرأ، فقال: ترك إعراب الصواب وعدل عنه[(١)].

وأما المفسرون؛ فقال ابن عباس: في معنى القول[(٢)].

وقال الحسن: في فحواه[(٣)]، وقال القرظي: في مقصده ومغزاه[(٤)]، وقال أبو إسحاق: دل بهذا والله أعلم أن قول القائل قد يدل على نيته[(٥)] هذا كلامه، ومعنى الآية: ولتعرفنهم في معاريض كلامهم وما يلحنون به، من غير تصريح في تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم، قال الكلبي: كان بعد ذلك لا يتكلم منافق عند رسول الله ﷺ إلا عرفه بكلامه[(٦)].

وقال مقاتل: لم يَخْفَ منافقٌ بعد هذه الآية على النَّبي ﷺ[(٧)].

ونحو هذا روي عن أنس أنه قال: خفي بعد نزول هذه الآية على رسول الله ﷺ شيء من المنافقين[(٨)]، وهذا يحمل على أنه ﷺ تأمل كلامهم

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٨٩ ولم ينسبه، والقرطبي ولم ينسبه ١٦/ ٢٥٢.

(٣) ذكر ابن الجوزي هذا المعنى ٧/ ٤١١، والقرطبي ١٦/ ٢٥٢ ولم ينسباه.

(٤) ذكر ذلك في «الوسيط»، ولم ينسبه، انظر: ٤/ ١٢٩.

(٥) انظر: «معاني القرآن للزجاج» ٥/ ١٥.

(٦) ذكر هذا القول أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» ٣/ ٢٤٦ ولم ينسبه، ونسبه القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٥٣ للكلبي، وذكره في «الوسيط» ٤/ ١٢٩ ولم ينسبه.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٥٠.

(٨) ذكر ذلك القرطبي في «الجامع» ١٦٦/ ٢٥٣.

وتفكر في أنحاء مخاطباتهم لما نبهه الله على ذلك بقوله: (ولتعرفنهم في لحن القول). فاستدل بفحوى كلامهم على فساد دخيلتهم وسوء اعتقادهم.

قال مقاتل: ثم رجع إلى المؤمنين أهل التوحيد فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ من الخير والشر[1]، فلا يخفى عليه منها شيء.

٣١- قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: لنعاملنكم المختبر نأمركم بالقتال والجهاد حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره، وهو قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾. قال ابن عباس: حتى نميز[2].

وقال مقاتل: حتى نرى[3] وذكرنا الكلام في مثل هذا في مواضع، والمعنى حتى نعلم علم شهادة ووجود، وهو العلم الذي يقع به الجزاء والذي علمه غيباً لا يقع به الجزاء والقراء قرؤوا: (ولنبلونكم) وما بعده بالنون لما تقدمه من قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ جعلوا قوله: (والله يعلم أعمالكم) كالاعتراض، ويجوز أن يكون ذلك عوداً إلى لفظ الجمع بعد لفظ الإفراد فيكون كقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الإسراء: ٢] بعد قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] وروي عن عاصم الياء فيها حملاً على قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

وقوله: ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ عطف على قوله: (حتى نعلم)[4]، قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد لنظهر ما تسرون.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٥٠.

(٢) ذكر ذلك القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٥٣.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٥٠.

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٩٧، «تفسير الطبري» ١٣/ ٦٢، «الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٧٨، «المحرر الوجيز» لابن عطية ١٥/ ٧٦.

وقال في رواية الكلبي يقول: نظهر نفاقكم للمؤمنين[(١)].

ومعنى الآية: حتى نعلم المجاهدين وحتى نكشف أخباركم ونظهرها يعني يأبى من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد فيفضح ويظهر سر نفاقه، فمعنى (نبلوا) هاهنا ليس من الاختبار في شيء، لأنه لا يقال: ولنبلونكم حتى نبلوا أخباركم، ولأن بلو الأخبار بمعنى التجربة لا يصح، فمعناه ما ذكره ابن عباس من الكشف والإظهار، ويجوز أن يوضع البلو موضع الكشف، لأن القصد بالبلو الكشف والإظهار، فجاز أن يفسر بما يؤول إليه، ومن هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩] أي تظهر، ونذكر الكلام فيه إذا انتهينا إليه إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى:

٣٢- قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾ الآية قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد قريظة والنضير[(٢)].

وقال مقاتل: يعني اليهود[(٣)].

وقال الكلبي: نزلت في المطعمين يوم بدر[(٤)]، والقول أنها نزلت في اليهود لقوله: (بعد ما تبين لهم الهدى). بعد ما بين لهم في التوراة، وهذا

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ص٥١٠.

(٢) ذكر ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤١٢، وذكره في «الوسيط» ٤/ ١٢٩ ولم ينسبه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٥٠.

(٤) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٩٠، والسمرقندي في «تفسيره» ٣/ ٢٤٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤١٢، والقرطبي في «الجامع» ونسبه لابن عباس ١٦/ ٢٥٤، وانظر: «تنوير المقباس» ص٥١٠.

لا يصح في وصف المشركين من أهل مكة.

٣٣- ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: أي: بالشك والنفاق[١] وقال الكلبي عنه: بالرياء والسمعة[٢]. والمعنى: أخلصوها لله، وقال مقاتل: أي بالمن[٣]، نزلت في قوم كانوا يمنون بإسلامهم على رسول الله ﷺ، وقال الحسن: أي بالمعاصي والكبائر[٤].

وروى الربيع بن أنس عن أبي العالية، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الإخلاص لله ذنبٌ، كما لا ينفع مع الشرك عمل صالح[٥]. فأنزل الله هذه الآية، فخافوا الكبائر بعد أن تحبط الأعمال.

وقال مقاتل بن حيان: يقول: إذا عصيتم النبي ﷺ فقد أبطلتم أعمالكم[٦].

---

(١) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٩٠، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤١٢، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٢٩ لعطاء.

(٢) ذكر ذلك الماوردي في «تفسيره» ٥/ ٣٠٦، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٩٠، وابن الجوزي في «زاد المسير» ونسبه لابن السائب ٧/ ٤١٢، والقرطبي في «الجامع»، ونسبه لابن جريج ١٦/ ٢٥٤، ونسبه في «الوسيط» للكلبي. انظر ٤/ ١٢٩.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٥١.

(٤) ذكر ذلك الماوردي في «تفسيره» دون ذكر الكبائر ٥/ ٣٠٦، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٩٠، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٥٤ دون ذكر الكبائر ونسبه في «الوسيط» للحسن بهذا اللفظ. انظر: ٤/ ١٢٩.

(٥) ذكر ذلك السمرقندي في «تفسيره» ٣/ ٢٤٧، والبغوي ٧/ ٢٩٠، والسيوطي في «الدر» ٨/ ٥٠٤ وعزاه لعبد بن حميد ومحمد بن نصر المروزي وابن أبي حاتم، ونسبه القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٥٥ لأبي العالية، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٢٩ لأبي العالية.

(٦) ذكر ذلك القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٥٥، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٧/ ٨٥.

٣٥- ثم قال للمسلمين: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ فلا تضعفوا، قاله الجميع[١]، وقوله: ﴿وَتَدْعُوٓا۟﴾ في محل الجزم بالعطف على ما قبله[٢].

قوله: ﴿إلى السَّلم﴾ وقرئ بفتح السين[٣] وقد تقدَّم الكلامُ فيه في سورة البقرة [آية: ٢٠٨] قال قتادة: لا يكونوا أولى الطائفتين ترغب إلى صاحبها[٤].

قال ابن حيان : ولا تبدؤا فتدعوا إلى الصلح[٥].

قال أبو إسحاق: منع الله المسلمين أن يدعوا الكافرين إلى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا[٦].

وقال أبو علي: المعنى: لا توادعوهم ولا تتركوا قتالهم، لأنكم الأعلون فلا ضعف بكم فتدعوا إلى الموادعة[٧]، فقال ابن عباس في قوله: (وأنتم الأعلون): وأنتم الغالبون، وهو قول مجاهد والمقاتلَيْن وقتادة[٨]: وأنتم أولى بالله منهم.

وقال الكلبي: آخر الأمر لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات[٩].

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» ٣/ ٢٤٧، و«تفسير البغوي» ٧/ ٢٩٠، و«زاد المسير» ٧/ ٤١٣، و «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٥٥.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ١٩٢، و«الدر المصون» ٦/ ١٥٨.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٩٨.

(٤) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٣ أ ، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ١٥٦ .

(٥) ذكر معنى ذلك مقاتل في «تفسيره» ٤/ ٥٣.

(٦) انظر: «معاني القرآن للزجاج» ٥/ ١٦.

(٧) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ١٩٩.

(٨) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٦٣، و«تفسير مجاهد» ص ٦٠٥، و«تفسير مقاتل» ٤/ ٥٣، و«تفسير البغوي» ولم ينسبه ٧/ ٢٩٠.

(٩) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٩٠، وانظر: «تنوير المقباس» ص ٥١٠.

وقال الزجاج: وأنتم الأعلون في الحجة[١]. ومضى الكلام في نظير هذه الآية في سورة آل عمران [آية: ١٣٩].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد على عدوكم، وقال مقاتل وغيره: والله معكم بالنصر[٢] ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ قال الكسائي: لن ينقصكم، يقال: وتره يتره وِتْراً ووَتْراً ووترة، ونحو هذا قال أبو عبيدة والمبرد والزجاج[٣] وجميع أهل اللغة، واحتجوا بما روي في الحديث: **«من فاته العصر فكأنما وتر أهله وماله»**[٤]، أي نقص أهله وماله فبقي فرداً.

قال الزجاج: أي لن ينقصكم شيئاً من ثوابكم[٥].

وقال الفراء: هو من وترت الرجل، إذا قتلت له قتيلاً، وأخذت ماله فقد وترته[٦]، وحمل الحديث على هذا المعنى وهو من الوتر، وهو أن يجني الرجل على الرجل جناية ويقتل له قتيلاً أو يذهب بماله وأهله فيقال: وتر فلان أهله وماله، قال أبو عبيد والمبرد: وأحد القولين قريب من

---

(١) انظر: «معاني القرآن للزجاج» ٥/ ١٦.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل»٤/ ٥٣، و «البغوي» ٧/ ٢٩٠، و و«زاد المسير» ٧/ ٥١٤.

(٣) انظر: «مجاز القرآن لأبي عبيدة»٢/ ٢١٦، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٦، و«معاني القرآن» للنحاس ٦/ ٤٨٦، و«تفسير الطبري» ١٣/ ٦٤، و«تفسير غريب القرآن لابن قتيبة» ص ٤١١.

(٤) أخرجه البخاري عن ابن عمر بلفظ: **«الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»** كتاب المواقيت، باب أثم من فاتته العصر ١/ ١٣٨، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر ١/ ٤٣٥، وأخرجه مالك في «الموطأ»، كتاب وقوت الصلاة، باب ٥، ١/ ١١، ١٢.

(٥) انظر: «معاني القرآن للزجاج» ٥/ ١٦.

(٦) انظر: «معاني القرآن للفراء» ٣/ ٦٤.

الآخر[١]، لأن الموتر إنما هو مطالبة بما نقص من عدده، والمفسرون قالوا: لن ينقصكم ولن يظلمكم[٢]، قال ابن حيان: لن يظلمكم أعمالكم الصالحة، أي: يؤتيكم أجورها في الآخرة[٣].

٣٦- ثم حض على طلب الآخرة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ قال ابن عباس: باطل وغرور[٤] ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟﴾ تصدقوا بمحمد ﷺ (وتتقوا) قال الكلبي ومقاتل: الفواحش والكبائر ومعاصي الله[٥]. ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ يعني جزاء أعمالكم في الآخرة.

﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ قال الكلبي: لا يسألكم أموالكم كلها في الصدقة[٦]، ويدل على هذا.

٣٧- قوله: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ أي: يجهدكم بمسألة جميع أموالكم، يقال أحفى فلان فلاناً إذا برح به في الإلحاح عليه وسأله فأكثر عليه الطلب وهو مثل الإلحاف سواء.

قال الكلبي: إن يسألكموها كلها في الصدقة فيجهدكم، تبخلوا بها

---

(١) ذكر ذلك الأزهري في «تهذيب اللغة» (وتر) ١٤/ ٣١٤، وانظر: «اللسان» (وتر) ٥/ ٢٤٧.

(٢) أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ١٣/ ٦٤، وذكره الماوردي في «تفسيره» ونسبه لمجاهد وقتادة ٥/ ٣٠٦، ونسبه البغوي لابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك ٧/ ٢٩٠.

(٣) ذكر ذلك البغوي ٧/ ٢٩٠، ولم ينسبه، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٣٠ لابن حيان.

(٤) ذكر ذلك البغوي ولم ينسبه ٧/ ٢٩٠.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٥٣، و«تنوير المقابس» ص٥١٠.

(٦) ذكر ذلك الماوردي ولم ينسبه ٥/ ٣٠٦، والبغوي ونسبه لابن عيينة ٧/ ٢٩١، وكذلك نسبه القرطبي لابن عيينة ١٦/ ٢٥٧.

فلا تعطوها[١]، وقال أبو إسحاق: أي إن يجهدكم بالمسألة[٢].

﴿تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾ قال الكلبي : يظهر بغضكم وعداوتكم لله ورسوله، ولكنه فرض عليكم يسيراً ربع العشر، وهذا قول مقاتل والجميع[٣].

وقال السدي: إن سألكم جميع ما في أيديكم تبخلوا[٤]، ولكن يسألكم أن تنفقوا في سبيل الله وهو يسير فيما أعطاكم.

وقال قتادة: علم الله أن في مسألة المال خروج الأضغان[٥].

وقال الفراء، يخرج ذلك البخل عداوتكم[٦]، يعني أن قوله (تبخلوا) يدل على البخل.

قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجۡ﴾ مسند إليه، أي ذلك البخل يظهر عداوتكم لله ورسوله لو سألكم أموالكم كلها، قال: ويجوز أن يكون يخرج الله أضغانكم.

٣٨- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ قال ابن عباس: يريد أن لا ينفق أحد في سبيل الله إلا أعطاه الله في الدنيا أضعافه، وفي الآخرة ما لا يقدر الواصفون يصفونه[٧].

وقال مقاتل بن سليمان : فإنما يبخل بالخير والفضل في الآخرة عن

(١) ذكر هذا المعنى البغوي ولم ينسبه ٧/ ٢٩١، وانظر: «تنوير المقباس» ص ٥١٠، و«تفسير الوسيط» ٤/ ١٣٠.

(٢) انظر: «معاني القرآن للزجاج» ٥/ ١٦.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٩١، و«تفسير مقاتل» ٤/ ٥٤، و «زاد المسير» ٤١٤.

(٤) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره «الوسيط» عن السدي. انظر: ٤ / ١٣٠.

(٥) ذكر نحو هذا المعنى الطبري ١٣/ ٦٥، والبغوي ٧/ ٢٩١، وأورد الثعلبي قول قتادة في «تفسيره» ١٠/ ١٣١ أ، وكذلك ذكر قول قتادة في «الوسيط» ٤/ ١٣٠.

(٦) انظر: «معاني القرآن للفراء» ٣/ ٦٤.

(٧) لم أقف عليه.

نفسه[١]، وقال ابن حيان: فإنما يبخل بالكرامة والفضل من الله على نفسه[٢].

﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عما عندكم من الأموال وقال عطاء: عن خلقه[٣] ﴿وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ إليه وإلى ما عنده من الخير والرحمة.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾ قال ابن عباس: عن الإسلام[٤]، وقال مقاتل: وإن تعرضوا عما افترضت عليكم من حقي ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ قال مقاتل: يعني قوماً أمثل وأطوع لله منكم[٥].

قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ قال: يكونوا خيراً منكم، وقال عطاء عن ابن عباس: لا يكونوا أمثالكم في النفاق والبخل[٦]، وعلى هذا يجب أن يكون الخطاب للمنافقين.

وقال الكلبي: لم يتولوا ولم يستبدل بهم[٧].

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ سئل عن الذين يستبدل بهم إن تولوا، فضرب على منكب سلمان، وقال: «**هذا وقومه**»[٨].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٥٤.

(٢) ذكر ذلك في «الوسيط» عن مقاتل، انظر: ٤/ ١٣٠.

(٣) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤١٥: (عنكم وعن أموالكم) ولم ينسبه.

(٤) أخرج الطبري عن قتادة قال: (عن كتابي وطاعتي) ١٣/ ٦٦، وذكره في «الوسيط» بهذا اللفظ، ولم ينسبه. انظر: ٤/ ١٣٠.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٥٤.

(٦) قال الطبري ١٣/ ٦٦: (لا يبخلوا بما أمروا به من النفقة في سبيل الله ولا يضيعون شيئًا من حدود دينهم ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يؤمرون به).

(٧) ذكر المؤلف ذلك في تفسيره «الوسيط» ٤/ ١٣٠ عن الكلبي.

(٨) أخرجه الطبري عن أبي هريرة. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٦٦، وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة، انظر: كتاب التفسير، باب ٤٨، ومن سورة محمد ﷺ ٥/ ٣٨٤، وأخرجه المؤلف في «الوسيط» عن أبي هريرة. انظر: ٤/ ١٣١.

وهذا كما قال الحسن: هم العجم[١]، ونحو هذا قال عكرمة: فارس[٢].

وأحسن مجاهد في قوله: من شاء[٣]، يعني يستبدل الله بهم من شاء من عباده، فيجعلهم خيراً من هؤلاء.



---

(١) انظر: «تفسير الحسن البصري» ٢/٢٩١، «تفسير البغوي» فقد نسب القول للحسن ٧/٢٩١، وكذلك ابن الجوزي نسبه للحسن ٧/٤١٥، والقرطبي ١٦/٢٥٨.

(٢) ذكر ذلك البغوي ٧/٢٩١، وابن الجوزي ٧/٤١٥، والقرطبي ١٦/٢٥٨ عن عكرمة.

(٣) انظر: «تفسير مجاهد» ص ٦٠٦، «زاد المسير» ٧/٤١٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/٢٥٨، «الدر المنثور» ٧/٥٠٦.

سورة الفتح

تفسير سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ اختلفوا في سبب نزول هذه الآية، ومعنى هذا الفتح، فذهب الأكثرون إلى أن الآية نزلت في صلح الحديبية، والمراد بالفتح ذلك الصلح، وهو قول جابر والبراء وأنس(١) في رواية قتادة.

وروي ذلك مرفوعاً وهو أن النبي ﷺ لما انصرف من الحديبية وأنزلت عليه هذه السورة قرأها على أصحابه فقال عمر: أَوَفتحٌ هو يا رسول الله؟ فقال: «نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح»(٢).

وروي عن مسور بن مخرمة أنه قال: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها(٣)، وهو قول الشعبي، ومجاهد، وابن عباس(٤) في رواية الكلبي: قال كان فتحاً بغير قتال،

---

(١) أخرج ذلك البخاري عن أنس، انظر: «صحيح البخاري» كتاب: التفسير باب [١] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ ٦/ ٤٣، وأخرجه الثعلبي عن جابر وعن البراء، انظر: «تفسيره» ١٠/ ١٣٢ ب، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١٥/ ٨٦، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٩٦، «البحر المحيط» ٨/ ٨٩.

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٧٠ عن أبي وائل، وانظر: «تفسير الوسيط» ٤/ ١٣٣.

(٣) أخرج ذلك الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، انظر: «المستدرك» ٢/ ٤٥٩ سورة الفتح، و«لباب النقول» للسيوطي ص ١٩٣.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧١، الماوردي ٥/ ٣٠٩، البغوي ٧/ ٢٩٦، «زاد المسير» ٧/ ٤١٩، «تنوير المقباس» ص ٥١١، «المغازي» للواقدي ٢/ ٦١٧.

والصلح من الفتح، واختاره الفراء، وقال: الفتح قد يكون صلحاً[١] فعلى قول هؤلاء معنى هذا الفتح هو صلح الحديبية، ومعنى الفتح في اللغة: فتح المنغلق[٢]. والصلح الذي حصل بينه وبين المشركين في ذلك اليوم كان مسدوداً عليه متعذراً حتى فتحه الله ذلك اليوم ويسره، ودخل بعد ذلك ناس كثير في الإسلام حتى قال جابر: ما كنا نعد فتح مكة إلا يوم الحديبية[٣]، وقال الشعبي: أصاب النبي ﷺ في ذلك الوجه ما لم يصب في وجه، بويع بيعة الرضوان، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس[٤].

وقال الزهري: ما كان في الإسلام فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الإسلام[٥].

وقال الضحاك: فتحنا لك فتحاً بغير قتال، وكان الصلح من الفتح[٦].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: اليهود شمتوا بالنبي ﷺ والمسلمين

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٤.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (فتح) ٤/ ٤٥٥، «اللسان» (فتح) ٢/ ٥٣٩.

(٣) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٧٠ عن جابر، ونسبه القرطبي ١٦/ ٢٦٠ لجابر، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٣٣ لجابر.

(٤) ذكر ذلك الطبري في «تفسيره» ١٣/ ٧١، الماوردي ٥/ ٣٠٩، البغوي ٧/ ٢٩٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤١٨، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٦٠.

(٥) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٩٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤١٩، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٦١، والمؤلف في «الوسيط» ٤/ ١٣٣.

(٦) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٩٦ عن الضحاك، وكذلك ذكره القرطبي عن الضحاك ١٦/ ٢٦٠.

لما نزل قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [الأحقاف: ٩] وقالوا: كيف نتبع من لا يدري ما يفعل به ولا بمن آمن به وصدَّقه، واشتد ذلك على النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ قال: يريد: قضينا لك قضاء واجباً[(١)]، ونحو هذا قال مقاتل في سبب النزول سواء[(٢)].

وقال أهل التفسير: قضينا لك قضاء مبيناً، يعني: الإسلام، وهو قول قتادة، واختاره الزجاج، وقال معناه: حكمنا لك بإظهار دين الإسلام والنصرة على عدوك[(٣)]، فهذا الفتح في الدين وهو الهداية إلى الإسلام ودليل ذلك قوله تعالى:

٢- ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، واختلفوا في الجالب لهذه اللام في (ليغفر) فالذين قالوا: هذا الفتح في الدين ومعناه الحكم له بالإسلام والهداية، تتعلق اللام بالفتح، لأن سبب مغفرة الذنب هو الدين والإسلام، فكأنه قال: هديناك للدين ليغفر لك، وهذا معنى قول الحسن[(٤)]: فتح الله عليك الإسلام ليغفر لك الله، وأبي إسحاق. ومن ذهب إلى أن المراد بالفتح صلح الحديبية، ذكر في اللام وجوهاً أحدها: ما قال أبو حاتم: وهو أنه قال هذه اللام لام اليمين، كأنه قال ليغفرن الله لك،

---

(١) ذكر ذلك الثعلبي ونسبه لمقاتل بن سليمان، انظر: «تفسيره» ١٠/ ١٣٣ أ، ونسبه القرطبي ١٦/ ٢٥٩ للضحاك عن ابن عباس، وانظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٦٥، وذكره المؤلف في «أسباب النزول» ص ٤٠٣ عن عطاء عن ابن عباس.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٦٥.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٩.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٣٣ أ، «الدر المصون» ٦/ ١٥٩، «تفسير الوسيط» ٤/ ١٣٣.

فحذفت النون وكسرت اللام، فأشبهت في اللفظ لام كي[١] فنصبوا كما نصبوا بلام كي، واحتج بأن العرب تقول في التعجب: أطرف بزيد، فيجزمونه لشبهه بلفظ الأمر، قال ابن الأنباري: هذا الذي قاله أبو حاتم غلط، لأن لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها، ولو جاز أن يكون معنى (ليغفر): ليغفرن، لقلنا: ليقوم زيد بتأويل: والله ليقومن، وهذا معدوم في كلام العرب، وليس هذا بمنزلة: أطرف بزيد، لأن التعجب عدل به إلى لفظ الأمر، ولام القسم لم توجد مكسورة قط[٢].

ثم قال: سألت أبا العباس عن اللام في قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ فقال هي لام كي معناها: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً لكي يجتمع لك مع المغفرة [كا][٣] تمام النعمة في الفتح، فلما انضم إلى المغفرة شيء حادث واقع حسن معنى كي[٤]، وقال ابن جرير وصاحب النظم: هذا مقتص من قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣] أعلمه أنه إذا جاءه الفتح واستغفر غفر له[٥]، والقول ما قال أبو العباس.

وقوله: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال مقاتل: يعني ما كان في الجاهلية وما تأخر بعد النبوة[٦].

---

(١) أورد ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٣٣ ب، وانظر: «تفسير الوسيط» ٤/ ١٣٤، «الدر المصون» ٦/ ١٥٩.

(٢) أورد ذلك القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٦٢، والشوكاني في «فتح القدير» ٥/ ٤٤.

(٣) كذا في الأصل زيادة (كا) وليس لها معنى.

(٤) ذكره بنصه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤٢٣، والمؤلف في «الوسيط» ٤/ ١٣٤.

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٣/ ٦٨، «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٣٣ أ.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٦٦.

وروي عن ابن عباس: أي ما كان عليك من إثم الجاهلية وما تأخر مما يكون، وهذا على طريقة من جوز الصغائر على الأنبياء(١).

وقال عطاء الخراساني: (ما تقدم من ذنبك) يعني: ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك، (وما تأخر) يعني: من ذنوب أمتك بدعوتك(٢)، وهذا القول يمكن توجيهه على بُعْد، وهو أن يحمل قوله (من ذنبك) على حذف المضاف بتقدير: من ذنب أبويك، ويحمل قوله (ما تأخر) على ذنوب أمته، ويبين هذا القول أنه لا ذنب له بعد النبوة، فإذا حكمنا ببراءته من الذنب، حمل الذنب المضاف إليه على الوجه الذي يصح وجوده وهو ما ذكرنا(٣).

وقال سفيان الثوري: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ﴾ ما عملت في الجاهلية وما تأخر، يعني: ما لم تعمله(٤)، هذا كلامه، يقال على هذا ما لم يعمله كيف يوصف بأنه يغفره ولم يعمله بعد؟ والجواب: أن هذا يذكر على طريق التأكيد والإمكان، كما تقول: أعطى من رآه ومن لم يره، وضرب من لقيه ومن لم يلقه(٥)، وليس يمكن أن يضرب من لم يلقه ولا أن يعطيه، ولكنه يذكر تأكيداً للكلام على معنى: أنه كان يضربه إن أمكنه، كذلك في الآية غفر المتقدم والمتأخر لو وجد.

قوله تعالى: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ قال ابن عباس: في الجنة وروي

---

(١) هذا بنصه في «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٣٣ أ، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٩٧، «زاد المسير» ٧/ ٤٢٣، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٦٢.

(٢) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ١٣٣ أ، البغوي ٧/ ٢٩٨، والقرطبي ١٦/ ٢٦٣.

(٣) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ١٣٣ أ.

(٤) ذكر ذلك الثعلبي، والبغوي، والقرطبي، والمؤلف في «الوسيط»؛ المواضع السابقة.

(٥) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٩٨.

عنه أي: بالنبوة والمغفرة، والمعنى: ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية إلى صراط مستقيم وهو الإسلام[(١)].

٣- قوله تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ قال ابن عباس ومقاتل: وينصرك الله على عدوك نصراً منيعاً فلا تستذل[(٢)]، وقال أبو إسحاق: معنى ﴿نَصۡرًا عَزِيزًا﴾: نصراً ذا عز لا يقع معه ذل[(٣)] وحقيقة معناه: الغالب الممتنع فلا يغلب.

٤- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال ابن عباس والمفسرون: هي الرحمة والطمأنينة والوقار[(٤)].

وقال أهل المعاني: هي البصيرة التي تسكن إليها النفس وتجد الثقة بها وهي للمؤمنين خاصة، وأما غيرهم فتنزعج نفوسهم لأول عارض يرد عليهم، لأنهم لا يجدون برد اليقين في قلوبهم[(٥)]، وهذا مما تقدَّم تفسيرُه [التوبة: ٢٦، ٤٠].

قوله تعالى: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ قال ابن عباس والمفسرون: تصديقاً مع تصديقهم ويقيناً مع يقينهم، يعني: بالشرائع وبما يأمرهم من

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٢٩٨ من غير نسبه، وذكر ابن الجوزي القولين ونسبهما لابن عباس ٧/ ٤٢٣، ونسبهما القرطبي لابن عباس ١٦/ ٢٦٣، ونسبهما في «الوسيط» لابن عباس، انظر ٤/ ١٣٤.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٦٦، «الجامع لأحكام القرآن» ذكره ولم ينسبه ١٦/ ٢٦٣، «تنوير المقباس» ص ٥١١.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٠.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧١، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٩٨، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٦٤، «تفسير الوسيط» ٤/ ١٣٥.

(٥) انظر: «تفسير الوسيط» ٤/ ١٣٥، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٩٨، «فتح القدير» ٥/ ٤٥.

الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة والحج، كلما صدقوا بشيء من ذلك ازدادوا تصديقاً، وذلك بالسكينة التي أنزلها الله في قلوبهم[(١)].

وقال الكلبي: كلما نزلت آية من السماء فصدقوا بها ازدادوا تصديقاً إلى تصديقهم[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يعني: الملائكة والجن والإنس والشياطين[(٣)]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما في قلوب عباده ﴿حَكِيمًا﴾ في حكمه وتدبيره.

٥- قوله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية ذكر المفسرون أن رسول الله ﷺ لما قرأ على أصحابه قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ الآية، قالوا: هنيئاً لك يا رسول الله، فماذا لنا، فأنزل الله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٤)]، واللام في (ليدخل)

---

(١) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٧٢ عن ابن عباس، ونسبه البغوي ٧/ ٢٩٨، والثعلبي ١٠/ ١٣٤ أ لابن عباس، وذكره في «الوسيط» ٤/ ١٣٥ ولم ينسبه.

(٢) ذكر الثعلبي عن الكلبي: هذا في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، انظر: «تفسيره» ١٠/ ١٣٤ أ، «تفسير البغوي» بهذا اللفظ أيضًا ٧/ ٢٩٨، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٣٥ للكلبي بنص ما هنا.

(٣) أورد ذلك القرطبي ١٦/ ٢٦٤ عن ابن عباس، وذكره الشوكاني في «فتح القدير» من غير نسبة ٥/ ٤٦، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٣٥ لابن عباس.

(٤) أخرج ذلك البخاري عن أنس، انظر: «صحيح البخاري»، كتاب المغازي باب (٣٥) غزوة الحديبية ٥/ ٦٦، وأخرجه البغوي في «شرح السنة» ١٤/ ٢٢٢، والترمذي عن أنس، انظر: «سنن الترمذي» كتاب: التفسير باب (٤٩) ومن سورة الفتح ٥/ ٣٨٥، وأخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: أخرج مسلم أوله، انظر: «المستدرك» كتاب: التفسير سورة الفتح ٢/ ٤٥٩، وأخرجه المؤلف في «أسباب النزول» ص ٤٠٤.

متعلق بما يتعلق به اللام في قوله: (ليغفر) على البدل منه، وتكرر إنا فتحنا[١].

قوله: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الوعد بإدخالهم الجنة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ لهم أي: الوعد من الله بإدخال المؤمنين الجنة فوز عظيم لهم في حكم الله، كأن الله تعالى حكم لهم بالفوز العظيم، فلذلك وعدهم إدخالها.

٦- قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: أي: من أهل المدينة والمشركين والمشركات من أهل مكة[٢]، وظاهر الكلام يدل على أن المراد بهذا العذاب: عذاب الدنيا بأيدي المؤمنين، لأن نصرة الرسول والفتح عليه يقتضي ذلك[٣] وإن حملنا الفتح على الهداية والبيان له في الدين، فذلك سبب عذاب المنافقين والمشركين، لأنه كما سعد بتصديقه المؤمنون فاستوجبوا المغفرة والجنة، شقي بتكذيبه المنافقون والمشركون فاستوجبوا العذاب والنار.

قوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ هو أنهم ظنوا أن محمداً لا ينصر، هذا قول أكثر المفسرين[٤]، وقال مقاتل: كان ظنهم: أنهم قالوا: واللات والعزى ما نحن وهو عند الله إلا بمنزلة واحدة[٥] حين نزل قوله: ﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ١٩].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧٣، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٦٤ .

(٢) ذكر ذلك البغوي في «تفسيره» ٧/ ٢٩٩، ومقاتل في «تفسيره» ٤/ ٦٩، وأبو الليث في «تفسيره» ٣/ ٢٥٣، والمؤلف في «الوسيط» ٤/ ١٣٦.

(٣) انظر: «تفسير الوسيط» ٤/ ١٣٦.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧٣، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٩٩، «زاد المسير» ٧/ ٤٢٦، «تفسير الوسيط» ٤/ ١٣٦.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٦٩.

وقال أبو إسحاق: زعم الخليل وسيبويه أن معنى (السوء) ها هنا: الفساد، فالمعنى: الظانين بالله ظن الفساد، وهو ما ظنوا أن الرسول ومن معه لا يرجعون[١]، وذلك في قوله: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ الآية [آية: ١٢].

قوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ قال ابن عباس: عليهم يدور العذاب[٢].

وقال أبو إسحاق: أي: الفساد والهلاك يقع بهم[٣].

وقال أبو علي: عليهم دائرة السوء، أي: الذي أرادوه بالمسلمين وتمنوه لهم يقع بهم لا بالمسلمين[٤]، والكلام في تفسير (دائرة السوء) والقراءة فيه قد تقدم في سورة[٥] براءة [آية: ٩٨].

قال مقاتل: فلما نزلت هذه الآية، قال عبد الله بن أُبي والمنافقون: يزعم محمد أن الله ينصره على عدوه هيهات هيهات، لقد بقي له من العدو أكثر وأكثر، فإن أهل فارس والروم وهم أكثر عدداً وأشد بأساً، ولن يظهر

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٠.

(٢) ورد هذا المعنى من غير نسبة عند الطبري في «تفسيره» ١٣/ ٧٣، الثعلبي ١٠/ ١٣٤ب، البغوي ٧/ ٢٩٩، والمؤلف في «الوسيط» ٤/ ١٣٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢١.

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٠١.

(٥) اختلفوا في ضم السين وفتحها من قوله تعالى: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨] فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو ﴿دَآئِرَةُ ٱلسُّوءِ﴾ بضم السين، وكذلك في سورة الفتح [آية: ٦] وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿ٱلسَّوْءِ﴾ بفتح السين فيهما ولم يختلف في غيرهما، انظر: «الحجة» ٤/ ٢٠٦.

محمد عليهم[١]، فأنزل الله في ذلك قوله:

٧- ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعني: الملائكة (والأرض) يعني: المؤمنون وهم أكثر من أهل فارس والروم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه (حكيماً) في أمره.

٨- قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ قال ابن عباس: يريد على جميع الخلق[٢]، وقال المقاتلان: شاهداً على أمتك بالرسالة[٣]، وقال الكلبي: شاهداً بالبلاغ إلى أمتك[٤] وهذه الشهادة تكون في الآخرة يشهد يوم القيامة على الأمم بتبليغ الرسل إليهم، على قول ابن عباس[٥]، وعلى قول الآخرين فانتصاب قوله: (شاهداً) يكون على تقديم الحال، كأنه قيل: مقدر الشهادة كما تقول: معه صقر صائداً به غداً[٦] وقد مرت نظائره فقوله (شاهداً) حال مقدرة، أي: يكون يوم القيامة، وقوله (مبشراً ونذيراً) حال يكون النبي ﷺ ملابساً لها في الدنيا[٧].

قال عطاء: ومبشراً لأوليائي وأهل طاعتي، ونذيراً لأعدائي وأهل معصيتي. وقال الكلبي: مبشراً بالقرآن للمؤمنين بالجنة، ونذيراً للكافرين

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٦٩.

(٢) لم أقف على هذا القول.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٦٩، «تفسير الشوكاني» ٥/ ٤٧.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥١١، وقد نسب القرطبي ١٦/ ٢٦٦ هذا القول لقتادة.

(٥) لم أقف على هذا القول.

(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٦٦.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢١، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١٤/ ٩٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٦٦.

بالسخط[١].

وقال المقاتلان: مبشراً بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة للمؤمنين ونذيراً من النار[٢].

٩- قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرئ: بالتاء والياء، وكذلك ما بعده من الأفعال، فمن قرأ بالتاء فعلى معنى: قل لهم: إنا أرسلناك لتؤمنوا، ومن قرأ بالياء: وهو اختيار أبي عبيد، قال ذكر المؤمنين قبله وهو قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ولقوله بعده: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ ولأنه لا يقال للنبي ﷺ: لتؤمنوا بالله ورسوله وهو الرسول، وهذا معنى قول أبي إسحاق في وجه هذه القراءة، لأن النبي ﷺ قد آمن بالله وبأنبيائه وكتبه[٣].

وقوله: ﴿وتعزروه﴾ ذكرنا تفسيره عند قوله: ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ [المائدة: ١٢]، قال مقاتل: تعينوه وتنصروه على أمره[٤].

وقال قتادة: تنصروه وتعزروه بالسيف واللسان[٥].

وقال ابن حيان: تنصروا النبي ﷺ بالسيف[٦].

---

(١) لم أقف على قولي عطاء والكلبي.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٦٦ .

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢١، «التذكرة في القراءات» ٢/ ٦٨٧، «الحجة» لأبي علي ٦/ ٢٠٠، وأشار القرطبي ١٦/ ٢٦٦ إلى اختيار أبي عبيد.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٠.

(٥) أخرج ذلك الطبري في «تفسيره» ١٣/ ٧٤ عن قتادة، ونسبه القرطبي لقتادة، وذكره في «الوسيط» ٤/ ١٣٦ من غير نسبه.

(٦) لم أقف على هذا القول.

وقال عكرمة: تقاتلوا معه بالسيف[١].

وروى الحجاج بن أرطاة عنه قال: قلت لابن عباس: ما قوله: (وتعزروه)؟ قال: الضرب بين يدي النبي ﷺ بالسيف[٢].

قوله: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ قال قتادة: تكرموه وتعظموه وتسودوه[٣].

وقال ابن حيان: تشرفوه وتبجلوه وتجلوه[٤]، كل هذا من ألفاظ المفسرين.

قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ هذه الكناية راجعة إلى اسم الله[٥] في قوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ وكثير من القراء اختاروا الوقف على قوله: وتوقروه[٦] لمخالفة الكناية في: (وتسبحوه) الكناية التي قبلها، والمعنى: وتصلّوا لله بالغداة والعشي. قاله المقاتلان[٧].

١٠- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ قال المفسرون: يعني بيعة

---

(١) أخرج ذلك الطبري في «تفسيره» عن عكرمة ١٣/ ٧٥، ونسبه النحاس في «معاني القرآن» لعكرمة ٦/ ٤٩٩، ونسبه القرطبي ١٦/ ٢٦٦ لابن عباس وعكرمة.

(٢) أخرج الطبري ١٣/ ٧٥ عن عكرمة قال: يقاتلون معه بالسيف، ونسبه القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٦٧ لابن عباس وعكرمة.

(٣) أخرج الطبري ١٣/ ٧٤ عن قتادة في ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أمر الله بتسويده وتفخيمه.

(٤) لم أقف على هذا القول.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧٥، «الماوردي» ٥/ ٣١٣، «البغوي» ٧/ ٢٩٩.

(٦) انظر: «المكتفى» للداني ص ٥٢٨، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٩٩، القرطبي ١٦/ ٢٦٧، ونقل النحاس عن أبي حاتم وأحمد بن موسى أن التمام عند قوله: ويوقروه. لأنهما قالا المعنى: ويوقروا النبي ﷺ ويسبحوا الله بكرة وأصيلًا. وخولفا في هذا لأن (ويسبحوه) معطوف على ما قبله قد حذفت منه النون للنصب فكيف يتم الكلام على ما قبله. انظر: «القطع والائتناف» لأبي جعفر النحاس ص٦٧٠.

(٧) «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٠.

الرضوان، وكانت بالحديبية تحت الشجرة، وكان المسلمون يومئذ ألفاً وأربعمائة رجل بايعوا النبي ﷺ على أن يقاتلوا ولا يفروا(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ لأن تلك البيعة طاعة لله وتقرباً إليه، باعوا أنفسهم من الله تعالى بالجنة كما ذكر في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية [التوبة: ١١١] والعقد كان مع النبي ﷺ، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال أكثر المفسرين: يد الله بالوفاء لهم بما وعدهم من الخير فوق أيديهم بالوفاء والعهد حين بايعوك، وهذا قول ابن عباس ومقاتل(٢) واختيار الفراء(٣) ومعناه: الله أوفى منهم كما قال: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال الكلبي: نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا(٤)، واختاره الزجاج فقال: يد الله في المنة بالهداية فوق أيديهم في الطاعة(٥)، أي: إحسان الله تعالى إليهم بأن هداهم للإيمان أبلغ وأتم من إحسانهم إليك بالنصرة والبيعة.

---

(١) وهذا ثابت في الحديث الصحيح عند مسلم من حديث جابر، انظر: «صحيح مسلم» كتاب: الإمارة باب (١٨) استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة ٢/ ١٤٨٣، وانظر: «الطبري» ١٣/ ٧٦، «البغوي» ٧/ ٢٩٩، «تفسير الوسيط» ٤/ ١٣٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٦٦.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٠، «تفسير البغوي» وقد نسبه لابن عباس ٧/ ٣٠٠، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٢.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٥.

(٤) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ١٣٥ ب، البغوي ٧/ ٣٠٠، والقرطبي ١٦/ ٢٦٧.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٢.

وقال ابن كيسان: قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم[١]، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء[٢]، والمعنى على هذا: ثق بنصرة الله لك، لا بنصرتهم وإن بايعوك[٣].

قوله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ أي: نقض ما عقد من البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ أي: يرجع ضرر ذلك النقض عليه، قال ابن عباس: وليس له الجنة[٤]، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ أي: ثبت على الوفاء، ﴿بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ من البيعة ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني: الجنة، قال ابن عباس: والعِظَم لا يوصف[٥].

---

(١) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٣٥ ب، والقرطبي ١٦/ ٢٦٨، و«الفخر الرازي» ٢٨/ ٧٨، والمؤلف في «الوسيط» ٤/ ١٣٦.

(٢) ذكر الثعلبي رواية ابن عباس بلفظ: يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم بالوفاء، انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٣٥ب.

(٣) ذكر الإمام ابن جرير في «تفسيره» أقوال المؤولين في صفة اليد ورجح مذهب السلف وهو: أنها صفة من صفاته هي يد غير أنها ليست بجارحة كجوارح بني آدم، انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٣٠١، وقال البغوي عند تفسير آية المائدة: ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه، وقال جل ذكره: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وقال النبي ﷺ-: «**كلتا يديه يمين**» والله أعلم بصفاته، على العبد فيها الإيمان والتسليم. وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أمروها كما جاءت بلا كيف انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٦. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر وجوب الإيمان بصفة اليد وعدم تأويلها ونقل كلام المتقدمين من سلف الأمة قال: ويدل على إبطال التأويل أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها فلو كان التأويل سائغًا لكانوا أسبق إليه لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة انظر: «مجموع الفتاوى» ٥/ ٩٠.

(٤) ذكر ذلك في «الوسيط» عن ابن عباس، انظر ٤/ ١٣٦.

(٥) لم أقف عليه.

١١- قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾

قال المفسرون: إن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية استنفر مَنْ حول المدينة من أعراب غفار[١] ومزينة[٢] وجهينة وأسلم[٣]، فقعدوا عنه وقالوا: فيما بينهم: نذهب معه إلى قوم جاؤوه فقتلوا أصحابه نخرج إليهم فنقاتلهم في دارهم، فأخبر الله تعالى نبيه بما يقول له هؤلاء، إذا عاد إليهم بقوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ وهم الذين خلفهم الله عن صحبة نبيه[٤] ﷺ، ولم يقل: المتخلفون، تحقيقاً أن تخلفهم [كان بغضاً الله، وأنا الذي خلفهم][٥].

وقوله: ﴿من الأعراب﴾ يعني: القبائل الذي ذكرنا (شغلتنا) عن الخروج معك ﴿أموالنا﴾ أي: لم يكن لنا من يقوم بها ويكفينا أمرها.

---

(١) هم: بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة عمرو بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانوا حول مكة، ومن مياههم: بدر، ومن أوديتهم: ودان، انظر: «معجم قبائل العرب» لكحالة ٣/ ٨٩٠.

(٢) هم: بنو مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، واسم ولده: عثمان وأوس، وأمهما: مزينة فسمي جميع ولديهما بها. كانت مساكن مزينة بين المدينة ووادي القرى، ومن ديارهم وقراهم: فيحة الرَّوحاء، العمق، الفُرع، انظر: «معجم قبائل العرب» لعمر رضا كحالة ٣/ ١٠٨٢.

(٣) هم: بطن من خزاعة من القحطانية وهم بنو أسلم بن قصي بن حارثة بن عمرو بن مزيقيا منهم الحجاج بن مالك بن عويمر الأسلمي الصحابي من قراهم وَبْرة وهي: قرية ذات نخيل من أعراض المدينة. انظر: «نهاية الأرب» للقلقشندي ص ٤٨، «معجم قبائل العرب» ١/ ٢٦.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٣٥ ب، «تفسير أبي الليث» ٣/ ٢٥٤، «البغوي» ٧/ ٣٠٠، «القرطبي» ١٦/ ٢٦٨، «تفسير الوسيط» ٤/ ١٣٧.

(٥) كذا رسمها بالأصل، ولعل الصواب: (كان بغضًا من الله لهم وأنه الذي خلّفهم).

قوله: ﴿وأهلونا﴾ يعنون: النساء والذراري، أي لم يكن من يخلفنا فيهم وهو جمع أهل، وأهل الرجل أخص الناس به[(١)]، ويقال: أهل وأهلون وأهال وأهلة وأهلات[(٢)]، قال الله ﷻ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ [التحريم: ٦]. وأنشد المفضل:

وأَهْـلَـةِ وُدٍّ قـد تَـبَـرَّضْـتُ وُدَّهُــم ... وأَبْلَيْتُهُم في الحَمْدِ جُهْدِي ونَائِلِي[(٣)]

وأنشد في الأهلات:

فَهُم أَهَلاتٌ حَوْلَ قَيْسِ بن عَاصِم ... إذا أَدْلَجُوا باللَّيلِ يَدْعُونَ كَوْثَرا[(٤)]

قال الفراء: والأهل يجوز أن يكون واحداً وجمعاً[(٥)].

قوله: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ﴾ أي: تخلفنا عنك، أي: سل ربك أن يغفر ذلك لنا فإنا كنا معذورين، قال ابن عباس: ولم يكن شغلهم إلا الشك في الله، يعني: أنهم شكوا في نصرة الله رسوله، فكذبهم الله في قولهم (فاستغفر لنا)[(٦)].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (أهل) ٦/ ٤١٧.

(٢) انظر: «لسان العرب» (أهل) ١١/ ٢٨.

(٣) الأهل: أهل الرجل وأهل الدار وكذلك الأَهْلة، قال ابن سيده: أهل الرجل: عشيرته وذوو قرباه، والجمع أهلون وآهال وأهال وأهْلات وأهَلات، والشاهد من البيت: وأهْلةِ وُدٍّ، وقد ورد هذا البيت في «اللسان» منسوبًا لأبي الطمحان، وفيه: تبريت ودهم، انظر: «اللسان» (أهل) ١١/ ٢٨.

(٤) الشاهد قوله: أَهَلاتٌ، والإدلاج: السير في الليل، والبيت للمخبل السعدي، انظر: «اللسان» (أهل) ١١/ ٢٨. واسمه: ربيعة بن مالك، وهو من بني شماس بن لأي بن أنف الناقة، هاجر هو وابنه إلى البصرة، وولده كثير بالأحساء وهم شعراء، انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ص ٢٦٩.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٥.

(٦) لم أقف عليه.

وقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ قال مقاتل: أي: من أمر الاستغفار لا يبالون استغفر لهم النبي أم لا[(١)] ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ قال ابن عباس: يريد: من يمنعكم من الله[(٢)]، وهذا مفسَّرٌ في سورة المائدة[(٣)] وغيرها.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ وقرئ: ضُرّاً، والضَّر بالفتح: خلاف النفع، وبالضم سوء الحال، كقوله: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤] قال أبو علي الفارسي: ويجوز أن يكونا لغتين، كالفَقْر والفُقْر، والضَّعْف والضُّعْف[(٤)].

قال ابن عباس: هو العذاب[(٥)].

وقال مقاتل: يعني: سوءاً، وهو الهزيمة[(٦)].

قوله تعالى: ﴿أو نفعًا﴾ قال ابن عباس: يريد الغنيمة[(٧)]، ومعنى هذا الكلام الرد عليهم حين ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧١.

(٢) ذكر السمرقندي قريبًا من هذا المعنى ولم ينسبه، انظر: «تفسيره» ٣/ ٢٥٤، ونسبه في «الوسيط» لابن عباس، انظر ٤/ ١٣٧.

(٣) هو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة: ٧٦].

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ٢٠٢، والضم قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالنصب.

(٥) نسب القرطبي لابن عباس بلفظ: الهزيمة، انظر: «الجامع» ١٦/ ٢٦٨، وقال في «تنوير المقباس»، قتلًا أو هزيمة، انظر ص ٥١٢.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧١.

(٧) قال القرطبي في «الجامع» نصرًا أو غنيمة. ولم ينسبه ١٦/ ٢٦٩، وذكر ذلك في «الوسيط»، ولم ينسبه، انظر ٤/ ١٣٧.

ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، ثم قال: ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ أي: عالماً بما كنتم تعملون في تخلفكم ثم أَعلَمَ أنهم إنما تخلفوا عن الخروج مع النبي ﷺ بظنهم ظن السوء.

١٢- قوله: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ أي: ظننتم أنهم لا يرجعون إلى من خلفوا بالمدينة من الأهل والأولاد، لأن العدو يستأصلهم، قوله: ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ قال ابن عباس: زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم(١).

قال المفسرون: وذلك أنهم قالوا: إن محمداً وأصحابه أكلة رأس، لا يرجع هو ولا أصحابه أبداً، فأنَّى تذهبون؟ أتقتلون أنفسكم، انتظروا ما يكون من أمره(٢)، فذلك قوله: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ قال الكلبي عن ابن عباس: البور بكلام أهل(٣) عُمان(٤): الفاسد، يقول:

---

(١) ذكر ذلك بغير نسبة: البغوي ٧/ ٣٠١، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤٣٠، والقرطبي ١٦/ ٢٦٩، والمؤلف في «الوسيط» ٤/ ١٣٧.

(٢) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ١٣٦ أ، البغوي ٧/ ٣٠١، والقرطبي ١٦/ ٢٦٩.

(٣) كذا في الأصل، وفي «تفسير مقاتل» بلغة عمان ٤/ ٧١، وفي تفسير السمرقندي: في لغة أزد وعمان ٣/ ٢٥٤، وفي «زاد المسير» في لغة أزد عُمان ٦/ ٧٨، وانظر: «تنوير المقباس» بلفظ: هلكى فاسدة القلوب قاسية القلوب ص ٥١٢ .

(٤) عُمان: بضم أوله وتخفيف ثانيه، وآخره نون: اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند، وعمان في الإقليم الأول طولها: أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها: تسع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقة في شرقي هَجَر، تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع، إلا أن حرها يضرب به المثل، وأكثر أهلها في أيامنا خوارج إباضية ليس بها من غير هذا المذهب إلا طارئ أو غريب. انظر: «معجم البلدان» ٤/ ١٥٠.

فاسدة قلوبكم، وقال مقاتل: يعني: هلكى بلغة عمان[(١)].

وقال مجاهد: هلكى[(٢)] لا يصلحون لشيء من الخير.

وقال أبو إسحاق: أي: هالكين عند الله جل وعز[(٣)].

وقال الفراء: البور في كلام العرب لا شيء، يقول: أصبحت أقوالهم وأعمالهم بوراً، أي: لا شيء[(٤)]، وهذا الحرف مفسر في سورة الفرقان [آية: ١٨] ثم أوعد تارك الإيمان بقوله:

١٣- ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية، ثم عظم نفسه وأخبر بنفسه أنه غني عن عباده، فقال:

١٤- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ الآية.

١٥- قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ يعني: هؤلاء القبائل الذين ذكرناهم إذا انطلقتم أيها المؤمنون، أي: سرتم وذهبتم إلى مغانم لتأخذوها، يعني: مغانم خيبر[(٥)].

قال المفسرون: وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية بالصلح وعدهم الله فتح خيبر، وخصَّ بغنائمها من شهد الحديبية دون غيرهم، فلما انطلقوا

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧١.

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٧٩ عن مجاهد لكن بلفظ: هالكين فقط، وانظر: «تفسير مجاهد» ص ٦٠٨، «الجامع لأحكام القرآن» بلفظ: هلكى ١٦/ ٢٦٩.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج بلفظ: هالكين عند الله ﷻ فاسدين في علمه ٥/ ٢٣.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٦ بلفظ: يقال أصبحت أعمالهم بورًا ومساكنهم قبورًا.

(٥) خيبر: الموضع المذكور في غزاة النبي ﷺ وهي: ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وقد فتحها النبي ﷺ سنة سبع من الهجرة، وقيل: سنة ثمان، انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٤٠٩.

إليها قال هؤلاء المخلفون[١] ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾.

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ وقرئ: (كَلِمَ الله)[٢]، والكلام مصدر، والكَلِمْ: جمع كلمة، وكلاهما ورد به التنزيل، وهو قوله: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١] قال ابن عباس: يريد مواعيد الله لأن الله تعالى جعل خيبر لأهل الحديبية خاصة[٣] لم يجعل لأحد من الناس فيها شيئاً إلا لمن تخلف عنها لعذر.

وقال مقاتل: يعني: يغيروا كلام الله الذي أمر الله النبي ﷺ أن لا يسير معه منهم أحد[٤]، قال أبو إسحاق: يعني بقوله: (يريدون أن يبدلوا كلام الله) قوله ﷻ: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣] فأرادوا أن يأتوا بما ينقض هذا، فأعلم الله ﷻ أنهم لا يفعلون ولا يقدرون على ذلك[٥] فقال الله تعالى: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ قال ابن عباس: يريد: في الحديبية[٦]، وقال مقاتل: يعني: هكذا قال الله بالحديبية من قبل خيبر أن لا تتبعونا[٧].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٨٠، «تفسير البغوي» ٧/ ٣٠٢، «زاد المسير» ٧/ ٤٣٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٧٠.

(٢) قرأ حمزة والكسائي: (كَلِمَ)، وقرأ الباقون: (كلام)، انظر: «الحجة» ٦/ ٢٠٢، و«التذكرة في القراءات» ٢/ ٦٨٧.

(٣) ذكر ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤٣٠.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٢.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٤، لكن بلفظ: (لا يعقلون) بدل: (لا يفعلون).

(٦) معنى هذا القول عند الطبري منسوبًا لقتادة، انظر: «تفسيره» ١٣/ ٨١، وعند البغوي غير منسوب ٧/ ٣٠٢.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٢.

وقال غيره: من قبل مرجعنا إليكم، أخبرنا الله أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية(١)، فعلى هذا القول الذي ذكرنا يعني: قال الله تعالى من قبل ما سبق من وعده بالغنيمة لأهل الحديبية.

وقال الكلبي: لما قالوا لهم: لن تتبعونا، قالوا: والله ما أمركم الله بذلك وما بكم إلا الحسد(٢)، فقال لهم المؤمنون: كذلكم قال الله لنا حين انصرفنا من الحديبية، إنهم سيقولون لكم إذا لم تأذنوا لهم إلى خيبر: إن بكم إلا الحسد كما قلتم لنا فهو بمعنى قوله: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ واختار الفراء هذا القول، فقال: إنهم قالوا لرسول الله: ذرنا نتبعك، قال: نعم على أن لا نسهم لكم، فإن خرجتم على ذا فاخرجوا، فقالوا للمسلمين: كذلكم(٣) قال الله من قبل تقولون قد أخبرنا بما تقولون قبل أن تقولوه، وعلى هذا معنى قوله: (كذلكم قال الله من قبل).

قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ والأول أظهر لأن ذكر الحسد لم يتقدم على قوله: (كذلكم قال الله)، وإنما ذكر بعد، قال مقاتل: يقولون: يمنعكم الحسد من أن نصيب معكم الغنائم(٤) فقال الله: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من أمر الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال الكلبي:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٨١، «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٣٦ ب، «تفسير البغوي» ٧/ ٣٠٢.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥١٢.

(٣) العبارة فيها تصحيف، ونصها عند الفراء في «المعاني» ٣/ ٦٦: (فقالوا للمسلمين: ما هذا لكم ما فعلتموه بنا إلا حسدًا؟ قال المسلمون: كذلكم قال الله لنا من قبل أن تقولوا).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٢.

إلا يسيراً، منهم وهو من ترك النفاق وصدق بالله وبالرسول[١].

قيل لهم: إن كنتم إنما ترغبون في الغزو والجهاد لا في الغنائم، فستدعون غداً إلى أهل اليمامة، وهو قوله تعالى:

١٦- ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء وأبي صالح: هم بنو حنيفة[٢] أتباع مسيلمة[٣]، وهو قول المقاتلين والزهري والكلبي[٤]، واختيار الفراء والزجاج[٥]، ويؤكده ما روي عن رافع بن خديج[٦] أنه قال: لقد كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم، حتى دعا أبو بكر ﵁ إلى قتال بني

---

(١) ذكر ذلك في «الوسيط» ٤/ ١٣٨ ولم ينسبه.

(٢) بنو حنيفة: حي من بكر بن وائل من العدنانية، وهم بنو حنيفة بن لحيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وبكر كان له من الولد: الرول، وعدي، وعامر، وكانت منازل بني حنيفة اليمامة، وكان يسكنها منهم: هودة بن علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد العزى بن لحيم بن مرة بن الدوك بن حنيفة وهو الذي كتب إليه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام. انظر: «نهاية الأرب» للقلقشندي ص ٢٢٣.

(٣) أخرج الطبري ١٣/ ٨٣ هذا القول منسوبًا لسعيد بن جبير وعكرمة، ونسبه الثعلبي ١٠/ ١٣٦ ب للزهري ومقاتل، وكذلك البغوي والقرطبي نسباه للزهري ومقاتل، انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٣٠٣، «الجامع» ١٦/ ٢٧٢.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٢، «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٢٦، «تنوير المقباس» ص٥١٣.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٦، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٤.

(٦) هو: رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن يزيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، الحارثي أبو عبد الله أو أبو خديج، شهد أحدًا وما بعدها، وتوفي في خلافة معاوية على الصحيح. انظر: «الإصابة» ١/ ٤٩٥، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٢٢٩، «الأعلام» ٣/ ١٢.

حنيفة فعلمنا أنهم هم[١].

وعلى هذا التفسير، الآية تدل على خلافة أبي بكر ﷺ، وذلك أن الله تعالى ذكر أنهم يدعون إلى قتال بني حنيفة، وعلم أن ذلك الداعي أبو بكر، ووعدهم على طاعته وإجابته الأجر الحسن وهو الجنة، فقال: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ يعني الداعي إلى قتال من ذكرهم وهو أبو بكر ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ قال مقاتل: يعني: الجنة[٢]، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ يعني: تعرضوا عن قتال أهل اليمامة ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم﴾ أعرضتم عن المسير إلى الحديبية ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فأوعد على مخالفة أبي بكر ﷺ كما أوعد على مخالفة الرسول ﷺ بالنار، وهذا ظاهر بحمد الله.

وقال أبو إسحاق: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ أي تبتم وتركتم النفاق وجاهدتم ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ إي إن أقمتم على نفاقكم ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم﴾ على عهد رسول الله ﷺ ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٣].

وذكر المفسرون في تفسير قوله: ﴿قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أنهم فارس، وقيل: الروم[٤]، وقيل: هوزان[٥]

---

(١) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ١٣٦ ب، والألوسي في «روح المعاني» ٢٦/ ١٠٢، والبغوي ٧/ ٣٠٣، والقرطبي ١٦/ ٢٧٢، والمؤلف في «الوسيط» ٤/ ١٣٨.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٣.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٥.

(٤) أخرج الطبري ١٣/ ٨٣ عن ابن عباس وابن أبي ليلى والحسن ومجاهد وابن زيد أنهم فارس، وأخرج عن الحسن وابن أبي ليلى وابن زيد أنهم فارس والروم.
وذكر الثعلبي عن ابن عباس وعطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومجاهد (أنهم فارس) وذكر عن كعب أنهم الروم وعن الحسن أنهم فارس والروم. انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٣٦ ب.

(٥) هوزان: هم بطن من قيس عيلان من العدنانية وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة=

وثقيف[١][٢]، وغطفان، كل هذا من أقوالهم[٣].

قوله: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ قال الفراء: تقاتلونهم أو يكون منهم الإسلام[٤].

وقال الزجاج: المعنى: أو هم يسلمون[٥].

قال أبو صالح عن ابن عباس: لما أنزل ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أتى أهل الزمانة رسول الله ﷺ وقالوا: كيف لنا إذا دعينا ولا نستطيع الخروج، فأنزل الله قوله تعالى:

١٧- ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ وبين عذرهم[٦].

= بن خصفة بن قيس بن عيلان وهم الذين أغار عليهم النبي ﷺ وغزاهم. انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص٢٦٤، «نهاية الأرب» للقلقشندي ص٣٩١.

(١) ثقيف: هم بطن من هوزان من العدنانية، اشتهروا باسم أبيهم فيقال: لهم ثقيف واسمه قيس بن منبه بن بكر بن هوزان، قال أبو عبيد: وكان لثقيف من الولد جشم وناصرة، قال في «العبر»: وهم بطن متسع. قال: وكانت منازلهم بالطائف، وهي مدينة من أرض نجد على مرحلتين من مكة. انظر: «نهاية الأرب» ص١٨٦.

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٨٣ عن عكرمة وسعيد بن جبير، ونسبه الثعلبي ١٠/ ١٣٦ب، والبغوي ٧/ ٣٠٣ لسعيد بن جبير.

(٣) أخرج الطبري عن قتادة أنهم هوازن وغطفان يوم حنين، وكذلك ذكر الثعلبي عن قتادة أنهم هوزان وغطفان يوم حنين، وكذلك ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أنهم هوازن وغطفان وثقيف يوم حنين. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٢٦. وذكر الماوردي ٥/ ٣١٦ عن سعيد بن جبير وقتادة أنهم هوازن وغطفان.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٦.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٤ بلفظ: (تقاتلونهم حتى يسلموا وإلا أن يسلموا).

(٦) ذكر ذلك الثعلبي عن ابن عباس. انظر: «تفسيره» ١٠/ ١٣٧أ، وأخرجه الطبراني=

وقال مقاتل: عَذَرَ أهل الزمانة الذين يتخلفون عن المسير إلى الحديبية، يقول، لا حرج عليهم، فمن شاء منهم أن يسير معكم إلى خيبر فليسر[١]. ونحو هذا قال ابن حيان: يقول من تخلف من هؤلاء عن الحديبية فهم معذورون.[٢]

ثم أعلم ﷻ بخبر من أخلص نيته فقال:

١٨- قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾. قال المفسرون: يعني بيعة الحديبية، وهي تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية، وكانت الشجرة سَمُرة بايع تحتها رسول الله ﷺ أصحابه على أن يناجزوا قريشاً ولا يفروا[٣].

وذكر ابن عباس سبب هذه البيعة، فقال فيما روى عنه عطاء: إن رسول الله ﷺ خرج يريد مكة، فلما بلغ الحديبية وقفت ناقته وزجرها فلم تنزجر، وبركت فقال أصحابه: خلأت[٤] الناقة، فقال رسول الله ﷺ: «ما

= في «المعجم الكبير» ٥/ ١٥٥ رقم ٤٩٢٦ عن زيد بن ثابت وقال حمدي السلفي في تحقيقه: في إسناده محمد بن جابر اليمامي صدوق، ومحمد بن جابر السحيمي ضعيف ويكتب حديثه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٣.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) وردت قصة هذه البيعة بروايات مختلفة في بعض الألفاظ. انظر: «صحيح البخاري» كتاب: المغازي باب (٣٥) غزوة الحديبية، وقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ ٥/ ٦١، «تفسير الطبري» ١٣/ ٨٥، «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٣٧ أ- ب، «تفسير البغوي» ٧/ ٣٠٥، «زاد المسير» ٧/ ٤٢٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٧٤، «البداية والنهاية» ٤/ ١٦٤.

(٤) قال الليث: الخِلأُ في الإبل كالحِرَان في الدواب. يقال: خلأت الناقة تخلأ خِلاءً إذا لم تبرح مكانها. =

هذا لها بعادة ولكن حبسها حابس الفيل» ودعا عمر ﷺ ليرسله إلى أهل مكة ليأذنوا له بأن يدخل مكة ويحل من عمرته وينحر هديه فقال: يا رسول الله والله ما لي بها من حميم، وإني أخاف قريشاً على نفسي ولقد علمت قريش بشدة عداوتي إياها، ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان قال: صدقت. فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان وأرسله، فجال الشيطان وصاح في عسكر رسول الله ﷺ بأن أهل مكة قتلوا عثمان، فقام رسول الله ﷺ إلى الشجرة فاستند إليها وبايع الناس على قتال أهل مكة.

قال عبد الله بن أبي أوفى: كنا يومئذ ألفاً وثلاثمائة[١].

وقال ابن عباس في رواية عطية: كانوا خمسمائة وخمسة وعشرين رجلاً[٢].

وقال قتادة: كانوا خمس عشرة مائة[٣].

= قال الأزهري: قلت والخِلاء لا يكون إلا للناقة، وأكثر ما يكون الخِلاء منها إذا ضَبِعَتْ فتبرك ولا تثور. انظر: «تهذيب اللغة» (خلأ) ٧/ ٥٧٦.

(١) أخرج ذلك البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى. انظر: «صحيح البخاري» كتاب: المغازي- باب (٣٥) ٥/ ٦٣، وأخرج ذلك الطبري عن عبد الله بن أبي أوفى. انظر: «تفسيره» ١٣/ ٨٨، «تفسير البغوي» ٧/ ٣٠٥، «زاد المسير» ٧/ ٤٢٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٧٦.

(٢) أخرج الطبري عن ابن عباس أنهم كانوا ألفًا وخمسمائة وخمسة وعشرين ١٣/ ٨٧، وكذلك ذكر الثعلبي عن العوفي أنهم كانوا ألفًا وخمسمائة وخمسة وعشرين، انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٣٨/أ، وأورد نفس هذه الرواية ابن الجوزي في «زاد المسير» عن العوفي عن ابن عباس ٧/ ٤٢٢، وذكر الألوسي عن ابن سعد أنهم كانوا ألفًا وخمسمائة وخمسة وعشرين، انظر: «تفسيره» ٢٦/ ١٠٧، فلعل هذا خطأ من الناسخ.

(٣) ذكر ذلك البخاري عن قتادة وجابر، انظر: «صحيح البخاري» كتاب: المغازي، =

وقال جابر بن عبد الله: كانوا ألفاً وأربعمائة[١].

قوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ قال ابن عباس: من الصدق والوفاء وهذا قول أكثرهم[٢]، وقال مقاتل: فعلم ما في قلوبهم من الكراهة للبيعة على أن يقاتلوا ولا يفروا[٣].

﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: الطمأنينة والرضا حتى أقروا على أن يقاتلوا ولا يفروا، وذكر الفراء قولاً آخر قال: كان النبي ﷺ أري في منامه أن يدخل مكة فلم يتهيأ لذلك، وصالح أهل مكة على أن يخلوها له ثلاث من العام المقبل، ودخل المسلمين من ذلك أمر عظيم، فقال لهم النبي ﷺ: «**إنما كانت رؤيا أريتها، ولم يكن وحياً من السماء**» فعلم الله ما في قلوب المسلمين من ذلك، فأنزل السكينة عليهم، أي: الطمأنينة[٤] في هذه السورة وفي غيرها، وقال الكلبي في تفسير السكينة ها هنا: الطمأنينة[٥] حين صدهم المشركون فأذهب تلك الحمية من قلوبهم ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا

= باب (٣٥) ٥/ ٦٣، وأخرجه الطبري ١٣/ ٨٧ عن قتادة، ونسبه البغوي ٧/ ٣٠٤ لجابر، ونسبه ابن الجوزي ٧/ ٤٢٢ لجابر وقتادة.

(١) أخرج ذلك البخاري عن جابر، انظر كتاب: المغازي باب (٣٥) ٥/ ٦٣، وأخرجه الطبري ١٣/ ٨٧، والبغوي ٧/ ٤٠٣ عن جابر.

(٢) ذكره من غير نسبة: «الطبري» ١٣/ ٨٨، «الثعلبي» ١٠/ ١٣٨ أ، «البغوي» ٧/ ٣٠٦، «زاد المسير» ٧/ ٤٣٤.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٣.

(٤) انظر: «معاني الفراء» ٣/ ٦٧.

(٥) هكذا فسرها الطبري ١٣/ ٨٨، وقال البغوي: الطمأنينة والرضاء ٧/ ٣٠٦، وكذلك ابن الجوزي ٧/ ٤٣٤، وانظر: «تنوير المقباس» ص ٥١٣.

قَرِيبًا﴾ يعني: خيبر في قول الجميع[١].

١٩- ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من أموال يهود خيبر، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، هذا قول الأكثرين[٢]، وقال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي: يريد مغانم فارس والروم مما هم آخذوها ولم يأخذوها بعد[٣]، والقول هو الأول، لأن سائر المغانم قد وعدوها وذكرت بعد هذه الآية قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ غالباً (حكيماً) في أمره حكم لكم بالغنيمة، ولأهل خيبر بالسبي والهزيمة.

٢٠- ثم ذكر سائر المغانم التي يأخذونها فيما يأتي من الزمان فقال: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ قال مقاتل: أي مع النبي ﷺ ومن بعده إلى يوم القيامة[٤] وهذا قول الجميع[٥] ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ يعني: غنيمة خيبر.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ قال المفسرون: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية إلى المدينة أقام بها بقية ذي الحجة وبعض المحرم، ثم خرج في بقية المحرم سنة سبع إلى خيبر، وحاصر أهلها فهمت حلفاء يهود خيبر من أسد وغطفان ويهود المدينة أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم

---

(١) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٨٨ عن قتادة، وابن أبي ليلى، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٣٨ ب، «تفسير البغوي» ٧/ ٣٠٦.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٣٨ ب، «تفسير البغوي» ٧/ ٣٠٦، «زاد المسير» ٧/ ٤٣٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٧٨.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥١٣.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٣، ٧٤.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٩٠، «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٣٨ ب، «تفسير البغوي» ٧/ ٣٠٦، «زاد المسير» ٧/ ٤٣٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٧٨.

بالمدينة فكف الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وهذا قول قتادة[١] ومقاتل[٢]، وقال عطاء عن ابن عباس: أراد بالناس أهل مكة[٣].

قوله: ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ولتكون هزيمة هؤلاء الذين هموا بذراري المسلمين وسلامتكم آية للمؤمنين على صدقك ونبوتك، وهذا معنى قول مقاتل[٤].

وقال مقاتل بن حيان وقتادة: وليكون كف أيديهم عن عيالكم عبرة للمؤمنين[٥]، وأجود القولين أن يكون المعنى: ولتكون هذه التي عجلها لكم آية للمؤمنين على صدقك حيث وعدتهم أن يصيبوها[٦]. وذلك أنا إن قلنا: ولتكون الهزيمة، كان إخباراً عما لم يجر له ذكر، إذ الهزيمة لم تذكر، وإن قلنا: وليكون كف أيدي الناس آية، وجب أن يقال: وليكون بالياء، لأن الكف مصدر مذكر، والواو في (ولتكون) مقحمة على مذهب الكوفيين، وعلى مذهب البصريين الواو عاطفة على مضمر بتقدير: وكف أيدي الناس عنكم لتشكروه ولتكون آية للمؤمنين[٧].

﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: يزيدكم هدى بالتصديق لمحمد ولما

---

(١) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٩٠ عن قتادة، ونسبه الثعلبي ١٠/ ١٣٨ ب، وعبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ٢٧٧ لقتادة.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٤.

(٣) ذكر ذلك بغير نسبة: الطبري ١٣/ ٩٠، والثعلبي ١٠/ ١٣٨ أ، والماوردي ٥/ ٣١٧، والبغوي ٧/ ٣٠٦.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٤.

(٥) أخرج ذلك الطبري عن قتادة، وانظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٣١٧، «زاد المسير» ٧/ ٤٣٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٧٩.

(٦) ذكر ذلك السمرقندي في «تفسيره» ٣/ ٢٥٦، الماوردي، وابن الجوزي، والقرطبي.

(٧) ذكر ذلك القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٧٩، وأبو حيان في «البحر» ٨/ ٩٧.

جاء به مما ترون من عدة الله في القرآن بالفتح والغنيمة، وهذا قول مقاتل[١].

وقال غيره: ويهديكم صراطاً مستقيماً يعني: طريق التوكل والتفويض[٢]، وذلك أنه لما جاءهم أمر من هم بهم من عدوهم، وكان بذلك هادياً لهم إلى طريق التوكل حتى يتوكلوا على الله فيما نابهم فيكفيهم كما كفاهم هذا من غير سعي منهم.

٢١- ثم ذكر ما وعدهم سوى خيبر مما يفتحه عليهم فقال: (وأخرى) وهي في محل النصب بالعطف على قوله: ﴿مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ على تقدير: ووعدكم مغانم أخرى على ما قال الزجاج[٣]، وبلاداً أو قرى أخرى على ما ذكر المفسرون.

قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد فارس والروم، وهو قول أكثرهم[٤].

قوله: ﴿لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ خطاب للعرب وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم وفتح مدائنها، بل كانوا خولاً لهم حتى قدروا عليها بالإسلام، وعز أهله.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٤.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٩١، «الثعلبي» ١٠/ ١٣٨ ب، «زاد المسير» ٧/ ٤٣٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٦، «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ٢٠١، «مشكل إعراب القرآن» لمكي ٢/ ٣١١.

(٤) أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس، ونسبه الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٤٢ ب، لابن عباس، وابن أبي ليلى والحسن ومقاتل، ونسبه الماوردي لابن عباس ٥/ ٣١٨، ونسبه البغوي ٧/ ٣١٣ لابن عباس والحسن ومقاتل، ونسبه القرطبي ١٦/ ٢٧٩ لابن عباس، والحسن، ومقاتل، وابن أبي ليلى.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ﴾ قال الكلبي: أحاط الله لكم بها وجعلها لكم وحواها لكم[١].

قال الفراء: أحاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم[٢]، ومعنى الإحاطة على هذا القول: الحفظ، كأنه قال: حفظها لكم ومنعها عن غيركم حتى تفتحوها[٣] فتأخذوها.

وقال ابن عباس: علم أنها ستكون لكم[٤]، وهو قول مقاتل[٥]، واختيار الزجاج قال: أحاط الله بها قد علمها الله، وقال: وهو ما يغنم المسلمون إلى أن لا يقاتلهم أحد[٦]، وهذا معنى قول مجاهد في تفسير (وأخرى لم تقدروا عليها) لأنه قال: هي ما فتحوا حتى اليوم[٧]، ومعنى الإحاطة في هذا القول: العلم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من فتح القُرَى وغير ذلك ﴿قديراً﴾.

٢٢- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال ابن عباس في رواية

---

(١) قال في «تنوير المقباس» ص ٥١٣ (قد علم الله أنها ستكون وهي غنيمة فارس).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٧.

(٣) انظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٣١٨، «تفسير البغوي» ٧/ ٣١٢، «زاد المسير» ٧/ ٤٣٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٧٩.

(٤) ذكر ذلك البغوي ٧/ ٣١٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ولم ينسبه ٧/ ٤٣٧، والقرطبي في «الجامع» ولم ينسبه ١٦/ ٢٧٩.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٤.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٦.

(٧) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٩١ عن مجاهد، انظر: «تفسير مجاهد» ص ٦٠٨، ونسبه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤٣٦ لمجاهد.

الكلبي: يعني: أسد وغطفان والذين أرادوا نصرة يهود خيبر[١]، وقد ذكرناهم، وقال في رواية عطاء: يريد أهل مكة، وهو قول قتادة[٢]، والضحاك ومقاتل[٣].

وقال أبو إسحاق: لو قاتلك من لم يقاتلك لنصرت عليهم[٤]، وهذا عام في كل من يخالفه في دينه.

قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ قال ابن عباس: يريد: من تولَّى غير الله خذله الله ولم ينصره[٥]، ثم ذكر أن سنة الله النصرة لأوليائه، قوله:

٢٣- ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ قال الزجاج: (سنة الله) منصوبة على المصدر لأن قوله: ﴿لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ﴾ معناه: سَنّ الله خذلانهم سنة[٦]، قال ابن عباس في هذه الآية: يريد: هذه سنتي في أهل طاعتي وأوليائي، وهذه سنتي في أعدائي وأهل معصيتي، يريد: أنصرُ أوليائي وأخذل أهل معصيتي[٧].

٢٤- ثم ذكر سنته بالمحاجزة بين الفريقين، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ

---

(١) ذكر ذلك من غير نسبة كل من الثعلبي ١٠/ ١٤٢ ب، والسمرقندي ٣/ ٢٥٧، والبغوي ٧/ ٣١٢، والقرطبي ١٦/ ٢٨٠، وانظر: «تنوير المقباس» ص ٥١٣.

(٢) أخرج ذلك الطبري عن قتادة، انظر: «تفسيره» ١٣/ ٩٣، ونسبه الثعلبي في «تفسيره» لقتادة ١٠/ ١٤٢ ب، وكذلك نسبه ابن الجوزي لقتادة ٧/ ٤٣٧، وأيضًا نسبه لقتادة القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٨٠.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٤، ولم أقف على نسبته للضحاك.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٦.

(٥) ذكر ذلك في «الوسيط» عن ابن عباس، انظر ٤/ ١٤١.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٦.

(٧) ذكر ذلك في «الوسيط» عن ابن عباس، انظر ٤/ ١٤١.

أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ قال ابن عباس: يريد: أيدي أهل مكة، وذلك أن المشركين جاءوا يصدون رسول الله ﷺ عن البيت وعليهم عكرمة ابن أبي جهل، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إليه ومعه خيل المسلمين فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، وكان يومئذ بينهم قتال بالحجارة، وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة وعطاء والكلبي(١)، ونحو هذا قال مقاتل قال: كانوا قد خرجوا يقاتلون النبي ﷺ فهزمهم بالطعن والنبل، حتى أدخلهم بيوت مكة(٢)، فمعنى قوله: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾: يعني: حتى لم تقتلوا منهم ببطن مكة، قال عطاء: يريد: الحديبية(٣).

وقال مقاتل: يعني: ببطن أرض مكة كلها، والحرم كله مكة(٤).

وقال الكلبي: يعني: جوف مكة، وبكة الأرض التي فيها البيت، ومكة التي فيها الحديبية اسم الأرض، هذا كلامه(٥)، والحديبية: من الحل(٦)،

---

(١) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٩٤ عن عكرمة، وكذلك نسبه الثعلبي ١٠/ ١٤٣ أ، وانظر: «تنوير المقباس» ص ٥١٤ .

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٥.

(٣) أخرج الطبري ١٣/ ٩٤ عن قتادة، قال: بطن مكة الحديبية، ونسب ابن الجوزي ٧/ ٤٣٨ هذا القول لأنس، وأورده القرطبي ١٦/ ٢٨٢ ولم ينسبه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٥

(٥) ذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» أن بكة المسجد والبيت، ومكة: اسم للحرم كله، قاله الزهري وضمرة بن حبيب، انظر: «زاد المسير» ١/ ٤٢٥.
وذكره القرطبي في «الجامع» أن بكة: موضع البيت، ومكة سائر البلد، عن مالك ابن أنس، وقال محمد بن شهاب: بكة المسجد، ومكة الحرم كله تدخل فيه البيوت، قال مجاهد: بكة هي مكة فالميم على هذا مبدلة من الباء، كما قالوا: طين لازِبٌ ولازم، وقاله الضحاك والمؤرج، انظر: «الجامع» ٤/ ١٣٨.

(٦) قال الشافعي في «الأم» ٢/ ٢١٨: ونحر ﷺ في الحل، وقد قيل في الحرم، وإنما =

وعلى ما ذكروا اسم مكة يجب أن يكون واقعاً على الحل والحرم.

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ يريد: أن الظفر كان للنبي ﷺ على أهل مكة، والمعنى: أن الله تعالى يذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلا، وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان أعظم من الفتح، وسلم للرجل من بينه وبينه قرابة، ومن هو مؤمن من أهل مكة أن يصاب، وهذا قول عامة المفسرين.

وقال عبد الله بن المغفل: بينا نحن بالحديبية، وكتاب الصلح يكتب بين يدي رسول الله ﷺ إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال رسول الله ﷺ: «**هل جئتم في عهد أحد، أو هل جعل لكم أحد أمانة**»، قالوا: اللهم لا، فخلى سبيلهم، فأنزل الله هذه الآية[١].

وقال أنس: إن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم فأخذهم

= ذهبنا إلى أنه نحر في الحل، وبعضها في الحرم، لأن الله- ﷻ يقول: ﴿وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾ والحرم كله محله عند أهل العلم، وانظر: «أحكام القرآن» للشافعي ٢/ ١٣١، ونقل ابن القيم في «زاد المعاد» ٣/ ٣٠٣ عن الشافعي أن الحديبية بعضها في الحل، وبعضها في الحرم ٣/ ٣٠٣.

(١) أخرج ذلك النسائي في «السنن الكبرى»، كتاب: التفسير ٦/ ٤٦٤، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١٣/ ٩٤، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» كتاب: التفسير ٢/ ٤٦٠، وقال حديث صحيح، على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، انظر: «مجمع الزوائد» ٦/ ١٤٥، وأخرجه البغوي في «تفسيره» ٧/ ٣١٣.

رسول الله ﷺ ثم أعتقهم فأنزل الله هذه الآية[١]، ثم ذكر سبب منعه رسول الله ﷺ ذلك العام عن دخول مكة في قوله:

٢٥- ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: كفار مكة ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: أن تحلوا من عمرتكم وتطوفوا به[٢] ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ منصوب... ... ...[٣] المعنى وصدوا الهدي.

وقال ابن عباس: يعني البدن التي ساقها رسول الله ﷺ وكان قد ساق معه سبعين بدنة[٤]، بدنة بين عشرة، وبقرة بين سبعة، وقال مقاتل: كان النبي ﷺ أهدى عام الحديبية مائة بدنة[٥].

قوله تعالى: (معكوفاً) قال المفسرون: محبوساً، والعكف: الحبس، يقال: عكفه يعكفه عكفاً، إذا حبسه، وعكفت القوم عن كذا،

---

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب (٤٦) قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ ٢/ ١٤٤٢ رقم ١٨٠٨. وأخرجه الطبري ١٣/ ٩٤، البغوي ٧/ ٣١٣.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٣٢٠، «زاد المسير» ٧/ ٤٤٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٨٣، «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٥.

(٣) غير واضحة في الأصل عليها آثار مسح، لكن في «معاني القرآن» للزجاج عبارة مطابقة للصورة الموجودة وهي: الهدي منصوب سبق على الكاف والميم المعنى وصدوا الهدي، انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٧، وقال في «الدر المصون» ٦/ ١٦٣، ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ العامة على نصبه والمشهور أنه نسق على الضمير المنصوب في ﴿صَدُّوكُمْ﴾ وقيل: نصب على المعية، وفيه ضعف لإمكان العطف.

(٤) أخرج الطبري ١٣/ ٩٥- ٩٦ عن مروان بن الحكم، والمسور بن مخرمة أن هديه كان سبعين بدنة، وأخرجه عنهما أيضًا البغوي ٧/ ٣١٣.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٥، وقد أشار إلى القول: بأنها سبعين بدنة، كما أشار السمرقندي ٣/ ٢٥٧ إلى القولين جميعًا.

أي: حبستهم، ويقال: إنك لتعكفني عن حاجتي، أي: تصرفني[١]، قال الأزهري: يقال: عكفته عكفاً فعكف عكوفاً[٢]، وهو لازم وواقع، كما يقال: رجعته فرجع، إلا أن المصدر اللازم العكوف، ومصدر الواقع العكف.

قوله: ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥٓ﴾ قال الزجاج: موضع (أن) منصوب على معنى وصدوا الهدي محبوساً عن أن يبلغ محله[٣].

قال مقاتل: يعني منحره[٤]، وهو الحرم كله.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ﴾ يعني: المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا بمكة بين ظهراني الكفار وهم كالوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، وأبي جندل[٥] بن سهيل وأشباههم (تعلموهم) أي: لم تعرفوهم كقوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٩٥، وتفسير السمرقندي ٣/ ٢٥٧، «تفسير البغوي» ٧/ ٣٢٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٨٣.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» عكف ١/ ٣٢١.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٧.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٥.

(٥) أبو جندل بن سهيل بن عمرو بن عامر بنِ لؤي، وأبوه سهيل بن عمرو الذي بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ في صلح الحديبية، ولما اتفق مع رسول الله ﷺ على الصلح جاء ابنه أبو جندل يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل أخذه وقال: يا محمد قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال: «**صدقت**»، وأخذه ليرده إلى قريش، فصاح أبو جندل: يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين ليفتنوني في ديني؟ فقال رسول الله ﷺ-: «**احتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا**» توفي رحمه الله سنة ٢٣هـ، انظر: «الكامل» لابن الأثير ٢/ ١٣٨، ٣/ ٤١.

٦٠]، قال مقاتل: لم تعلموهم أنهم مؤمنون[١].

قوله: ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾ أي: بالقتل وتوقعوا بهم، يقال: منه وطِئت القوم أي: أوقعت بهم، ومنه قول الشاعر:

ووطِئْتَنا وَطْأً على حَنَقٍ   وطْأَ المُقَيَّدِ يابِسَ الهَرْمِ[٢]

قال أبو إسحاق: موضع (أن) رفع بدل من رجال، المعنى: لولا أن تطأوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات[٣].

قوله: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ﴾ قال مقاتل وابن زيد: إثم[٤]، قال أبو عبيدة وابن هانئ: المعرة: الجناية، أي: جناية كجناية العَرِّ وهو الجَرَب[٥].

وقال النضر: يقال عَرَّه بشر، أي: ظلمه وشتمه وأخذ ماله.

وقال شمر: المعرة التي كانت تصيب المؤمنين أنهم لو كبسوا[٦] أهل مكة وبين ظهرانيهم قوم مؤمنون لم يتميزوا من الكفار، لم يأمنوا أن يطؤوا المؤمنين بغير علم فيقتلوهم، فتلزمهم دياتهم وتلحقهم سُبَّةُ بأنهم قتلوا من

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٥.

(٢) البيت: لزهير، انظر: «تهذيب اللغة» (هرم) ٦/ ٢٩٦، «اللسان» (هرم) ١٢/ ٦٠٧، «الدر المصون» ٦/ ١٦٤.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٧.

(٤) انظر: «تفسير الماوردي» ٥/ ٣٢٠، «تفسير البغوي» ٧/ ٣٢٠، «زاد المسير» ٧/ ٤٤٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٨٦، وقد نسب كل منهم هذا القول لابن زيد، ولم أجده في «تفسير مقاتل».

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٧، «تهذيب اللغة» (عر) ١/ ٩٩، «فتح القدير» للشوكاني ٥/ ٥٤.

(٦) قال في «تهذيب اللغة» (كبس) التكْبِيسُ: الاقتحام على الشيء تقول كَبَسْوا عليهم ١٠/ ٨٠.

هو على دينهم إذ كانوا مختلطين بهم، فهذه المعرة التي صان الله المؤمنين عنها هي غُرم الديات ومسبة الكفار إياهم، انتهى كلامه[١]، أما غرم الدية فهو قول محمد بن إسحاق بن يسار[٢]، وهو غلط لأن الله تعالى لم يوجب على قاتل المؤمن خطأ في دار الحرب الدية، وإنما أوجب الكفارة في قوله: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ الآية [النساء: ٩٢]، فالصحيح أن يقال: غرم الكفارة[٣]، وأما المَسَبّة فهو اختيار أبي إسحاق[٤].

قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مقدم في المعنى، كأن التقدير: لولا أن تطؤوهم بغير علم[٥]، وهذه الآية دليل على أن القرية من قرى المشركين إذا كان فيها طائفة من المسلمين لا يجوز البيات عليهم ولا تعميمهم بالحرق والغرق والمجانيق، وفي هذه الآية ضروب من النظم.

قال صاحب النظم: التأويل: ولولا تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعرفون إيمانهم فتوقعون، فلما قدم ذكر الرجال والنساء، والمراد في التقديم، الوطأة بَنَى عليه الوطاة[٦] كالتكرير في ذكره، وهذا معنى ما ذكره أبو إسحاق أن قوله: أن ﴿تَطَـُٔوهُمْ﴾ بدل من قوله: (رجال)[٧].

واختلفوا في جواب قوله: (ولولا رجال) فذهب قوم إلى أنه محذوف

---

(١) انظر قولي النضر وشمر في «تهذيب اللغة» (عر) ١/ ٩٩ - ١٠٠.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ١٠٢ عن ابن إسحاق، وذكره الثعلبي ١٠/ ١٥١ أ، والماوردي ٥/ ٣٢٠، والبغوي ٧/ ٣٢٠، وابن الجوزي ٧/ ٤٤٠، والقرطبي ١٦/ ٢٨٦.

(٣) وهذا اختيار الطبري ١٣/ ١٠٢، وأورده الثعلبي ١٠/ ١٥١ أ، والبغوي ٧/ ٣٢٠.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٧.

(٥) انظر: «تفسير الوسيط» ٤/ ١٤٣.

(٦) كذا رسمها في الأصل ولم أقف عليه.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٧.

على تقدير: لسلطناكم عليهم ولأذنا لكم في دخولها، وحذف الجواب كثير في التنزيل، وقال آخرون: جوابه قوله: (لعذبنا الذين كفروا) وهو جواب لكلامين أحدهما: لولا رجال، والثاني: لو تزيلوا[(١)].

قوله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ اللام متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام على تقدير: حال بينكم وبينهم ليدخل الله في رحمته من يشاء، يعني من أسلم من الكفار بعد الصلح، ودل على الحيلولة قوله: (ولولا رجال مؤمنون)[(٢)].

وقال أبو جعفر النحاس: أجاز أبو حاتم الوقف على قوله: (بغير علم)، وجعل اللام في قوله: (ليدخل الله) لام قسم كما جعل في قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ ما تقدم الآية [لما لم[(٣)] ير قبل اللام فعلاً متعلقاً به]، وفي هذا المعنى لطف، فلذلك أشكل عليه، والتقدير: لم يأذن لكم في القتال ودخول مكة على سبيل الحرب، ليدخل الله في رحمته من يشاء ممن يسلمون وتم الكلام[(٤)]، ثم قال: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ قال أبو عبيدة: لو انمازوا[(٥)]، وقال الفراء والزجاج: لو تميزوا[(٦)]، وذكرنا تفسير هذا الحرف عند قوله: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٢٨]. قال الكلبي: لو تفرق بعضهم من

---

(١) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» للعكبري ٢/ ١١٦٧، «الدر المصون» ٦/ ١٦٤.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٣٢٠، «البحر المحيط» ٨/ ٩٩.

(٣) نص العبارة عند النحاس (فجعلها لام قسم لما لم ير الفعل قبلها يتعلق به). انظر: «القطع والائتناف» للنحاس ص٦٧١.

(٤) انظر: «القطع والائتناف» ص٦٧١.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٧.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٨، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٧.

بعض حتى يخلص الكفار وحدهم[١].

قوله تعالى: ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وقال مقاتل: لو اعتزل المؤمنون الذين بمكة من كفارهم لعذبنا الذين كفروا[٢].

قال الفراء: أي: لو خلص الكفار من المؤمنين لأنزل الله بهم القتل والعذاب[٣].

وقال ابن قتيبة: لو تميزوا من المشركين لعذبنا المشركين بالسيف عذاباً أليماً[٤]. قال مجاهد: يعني القتل والسبي[٥].

٢٦- قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ (إذ) متعلق بقوله: (لعذبنا) لأن المعنى: لعذبنا الذين كفروا إذ جعلوا في قلوبهم الحمية، وهي مصدر قولك: حمى فلانٌ أنفه يحميه حَمِيَّة أو مَحْمِيَّة، وفلان ذو حمية منكرة، إذا كان ذا غضب وأنفة[٦]، ومعناها الحفاظ من قولهم: حمي فلان الشيء يحميه، إذا منعه من أن يُقْرَب ويجوز أن يكون من الحمى بمعنى الحرارة، قال الليث: حميت من هذا الشيء أحمي منه

---

(١) ذكر ذلك الماوردي في «تفسيره» ٥/ ٣٢٠، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٨٦، وانظر: «تنوير المقباس» ص٥١٤.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٥.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٨.

(٤) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ٢/ ١٣٤.

(٥) لم أقف على هذا القول، وقال الطبري ١٣/ ١٠٣: لقتلنا من بقي فيها بالسيف أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا العاجل، وذكره في «الوسيط» ٤/ ١٤٣ بلفظ المؤلف ولم ينسبه .

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (حمى) ٥/ ٢٧٤.

حمية، أي أنفاً وغضباً، وإنه لرجل حمي لا يحتمل الضيم، وحمي الأنف[(١)].

قال المبرد: الحمية الأنفة والإنكار، فإذا كانت مما لا يوقف من مثله فهو ضلالة وعلو، كما قال تعالى: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ وإذا كانت لما يجب أن يوقف منه فصاحبها محمود.

قال الفراء: حموا أنفاً أن يدخلها عليهم النبي ﷺ[(٢)].

قال المقاتلان: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ويدخلون علينا في منازلنا ونسائنا، وتحدث العرب أنهم قد دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا -يعنون محمداً وأصحابه- فهذه الحمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم[(٣)].

وقال الزهري: كانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم[(٤)]. وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، وذلك أن سهيل بن عمرو كان عند النبي صلى ﷺ وهو يملي كتاب الصلح، وسهيل مشرك فقال رسول الله ﷺ لعلي: «**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم**»، فقال سهيل: لا ندري ما الرحمن، ولكن اكتب: بسمك اللهم. ثم قال:

---

(١) انظر: «العين» (حمى) ٣/ ٣١٢، «تهذيب اللغة» (حمى) ٥/ ٢٧٤ لكن بلفظ (أنفًا وغيظًا) بدل غضبًا.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٨. ولم أقف على قول المبرد.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٥، ٧٦، وأورد السمرقندي ٣/ ٢٨٥ هذا القول ولم ينسبه، وذكره البغوي٧/ ٣٢١ ونسبه لمقاتل، وأورده ابن الجوزي في «زاد المسير» ولم ينسبه ٧/ ٤٤١، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٣٤ للمقاتلان .

(٤) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٠٣ عن الزهري. وأورده الثعلبي ولم ينسبه ١٠/ ١٥١ ب، ونسبه للزهري: الماوردي ٥/ ٣٢٠، والقرطبي ١٦/ ٢٨٨، ٢٨٩.

«اكتب: **هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**»، فقال سهيل: لو علمنا أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك[(١)].

قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تفسير السكينة في هذه السورة قد مر مراراً، ومعناها هاهنا ما ذكره الفراء: أذهب الله عن المؤمنين أن يدخلهم ما دخل أولئك من الحمية فيعصوا الله[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال مقاتل: ألزم المؤمنين كلمة الإخلاص وهي: لا إله إلا الله[(٣)]، وهذا قول جماعة المفسرين[(٤)]، ورواية أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال في تفسيرها هي: لا إله إلا الله[(٥)]، وزاد علي وابن عمر: والله أكبر[(٦)].

قال عمرو بن ميمون: ما تكلم الناس بشيء أعظم عند الله من لا إله إلا الله، وهي الكلمة التي ألزمها الله أصحاب محمد[(٧)].

---

(١) أورد ذلك الطبري ١٣/ ٩٩، الثعلبي ١٠/ ١٤٧ ب، «البغوي» ٧/ ٣١٦.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٨.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٦.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٠٤، ١٠٥، «الثعلبي» ١٠/ ١٥٢ أ، «السمرقندي» ٣/ ٢٥٨، «الماوردي» ٥/ ٣٢١، «البغوي» ٧/ ٣٢١.

(٥) أخرج ذلك الترمذي في التفسير باب (٤٩) ومن سورة الفتح ٥/ ٣٨٦، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث الحسن بن قزعة، قال: وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، والثعلبي ١٠/ ١٥٢ أ عن أبي بن كعب. ونسبه البغوي ٧/ ٣٢١، والقرطبي ١٦/ ٢٨٩.

(٦) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٠٤ عن علي ﷺ، والثعلبي ١٠/ ١٥٢ أ، ونسبه ابن الجوزي ٧/ ٤٤٢، والقرطبي ١٦/ ٢٨٩، والبغوي ٧/ ٣٢١ لعلي وابن عمر.

(٧) أخرجه الطبري ١٣/ ١٠٥ عن عمرو بن ميمون قال: لا إله إلا الله فقط دون ما ذكره المؤلف.

وقال الزهري: هي بسم الله الرحمن الرحيم[١]، يعني أن المشركين لما أبوا أن يقروا بهذا خص الله بهذه الكلمة المؤمنين[٢]، والقول هو الأول لأن معنى كلمة التقوى هي التي يتقى بها من الشرك وهي: لا إله إلا الله.

قوله: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾ قال مقاتل: كانوا أحق بها من كفار مكة، وكانوا أهلها في علم الله[٣].

وقال أبو إسحاق: أي كانوا أحق بها من غيرهم، لأن الله جل وعز اختار لنبيه ولدينه أهل الخير ومستحقيه، ومن هو أولى بالهداية من غيرهم[٤].

قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ قال مقاتل: عليماً بأنهم كانوا أهلاً للتوحيد في علم الله[٥]. والمعنى: أنه عليم بأمر الكفار وما يستحقونه، وأمر المؤمنين وما يستحقونه.

٢٧- وقوله: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ قال مقاتل: إن الله تعالى أرى نبيه ﷺ في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية كأنه وأصحابه حلقوا وقصروا، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوه عامهم ذلك، وقالوا: إن رؤيا النبي ﷺ حق، فلما انصرفوا ولم

---

(١) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٠٦ عن الزهري، وأخرجه الثعلبي عن الزهري ١٠/ ١٥٢أ، وعبد الرزاق في «تفسيره» عن الزهري ٢/ ٢٢٩، ونسبه الماوردي ٥/ ٣٢١، والبغوي ٧/ ٣٢٢، وابن الجوزي للزهري ٧/ ٤٤٢.

(٢) ذكر ذلك القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٨٩.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٦.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٨، بلفظ: (ومن هو أولى بالهداية من غيره).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٦.

يدخلوه قال المنافقون: والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل الله هذه الآية[١].

وقال مجاهد: أري هذه الرؤيا بالحديبية، فقال أصحابه حين نحر بالحديبية أين رؤيا محمد ﷺ، فنزلت الآية[٢]، والمعنى: أن الله تعالى يخبر عن صدق ما أرى رسوله بقوله: صدقه الله رؤياه، أي: أراه الصدق في منامه لا الباطل.

قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ المفسرون يجعلون هذا تفسير رؤياه وشرح ما رأى، ومقاتل يجعل هذا ابتداء إخبار عن الله تعالى أخبر المؤمنين أنهم يدخلونه فقال: (لتدخلن)، يعني: العام المقبل[٣]، وابن كيسان يجعل هذا الكلام خبراً عن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك لأصحابه[٤] والتقدير: فقال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، والاستثناء بالمشيئة على هذا القول حسن، لأنه من كلام رسول الله ﷺ، ثم معنى الاستثناء بالمشيئة يجوز أن يعود إلى الدخول، ويجوز أن يعود إلى الأمن، أي: لتدخلنه إن شاء الله الدخول، أو لتدخلنه آمنين إن شاء الله الأمن[٥]، وإذا

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٦، «تفسير الطبري» ١٣/ ١٠٧، وقد أخرجه عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وأورده البغوي ٧/ ٣٢٢ بغير سند ٧/ ٣٢٢، ونسبه القرطبي ١٦/ ٢٨٩ لقتادة.

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٠٧ عن مجاهد، وانظر: «تفسير مجاهد» ص٦٠٩، «تفسير البغوي» ٧/ ٣٢٢.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٩٠.

(٤) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ١٥٢ ب، البغوي ٧/ ٣٢٣، والقرطبي ١٦/ ٢٩٠.

(٥) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ١٥٢ ب، البغوي ٧/ ٣٢٣، وابن الجوزي ٧/ ٤٤٣.

كان هذا من كلام الله واختاره للمؤمنين بذلك، فوجه الاستثناء مختلف فيه.

قال أبو عبيدة: (إن) بمعنى إذ يعني: إذ شاء الله، حيث أرى رسوله ذلك[١]، وذكر أبو إسحاق فيه وجهين أحدهما: أن معناه: لتدخلن إن أمركم الله، فالمشيئة هاهنا بمعنى الأمر، لأنه إذا شاء أمر، والثاني: أن يكون (إن شاء الله) على ما أمر الله به في كلِّ ما يُتوقع فقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٢] [الكهف: ٢٣]، وهذا معنى ما روي عن أبي العباس أنه سئل عن هذا فقال: استثنى الله فيما يعلم، ليستثني الخلق فيما لا يعلمون[٣].

قوله تعالى: ﴿ءَامِنِينَ﴾ أي من العدو، و﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ يقال: حَلَقَ رأسَه، وحَلّق رأسه، والمحلق موضع حلق الرأس بمنى، ومنه قول الراجز:

---

(١) لم أجد قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن»، ولكن قد نسبه إليه الثعلبي ١٠/ ١٥٢ب، البغوي ٧/ ٣٢٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤٤٣ والقرطبي ١٦/ ٢٩٠، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٨/ ١٠١، والمؤلف في «الوسيط» ٤/ ١٤٥، وقال النحاس في «إعراب القرآن» ٤/ ٢٠٤: (وقد زعم بعض أهل اللغة أن المعنى لتدخلن المسجد الحرام إذ شاء الله وزعم أنه مثل قوله: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وأن مثله: (وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) وهذا قول لا يعرج عليه ولا يَعرِفُ أحد من النحويين (إن) بمعنى (إذ) وإنما تلك (أن) فَغَلِطَ وبينهما فصل في اللغة والأحكام عند الفقهاء والنحويين). وقال ابن عطية: وقال قوم: إن بمعنى إذ فكأنه قال: إذ شاء الله، وهذا حسن في معناه، ولكن كون إن بمعنى إذ غير موجود في لسان العرب. انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية ١٥/ ١٢٠.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٨.

(٣) ذكر ذلك ابن الجوزي في "زاد المسير" ٧/ ٤٤٣، والقرطبي ١٦/ ٢٩٠ عن ثعلب.

كلا وربِّ البيْتِ والمُحَلّقِ[١]

قوله: ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ أي من الشعر، يقال: قصر شعره، إذا جز من طوله، وهذا يدل على أن المُحْرِم بالخيار عند التحلل من الإحرام إن شاء حلق وإن شاء قصر[٢].

قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ حال من المحلقين والمقصرين، على تقدير غير خائفين[٣].

قوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ أي: علم الله ما في تأخير الدخول من الخير والصلاح، ولم تعلموه أنتم وهو خروج المؤمنين من بينهم والصلح المبارك موقعه العظيم أثره. قال مقاتل: فعلم الله أنه يفتح عليهم خيبر قبل ذلك، ولم يعلموا[٤].

وقال غيره: علم الله أن ذلك كائن إلى سنة، ولم تعلموا أنتم[٥].

---

(١) ورد الرجز في «اللسان» غير منسوب. انظر: «اللسان» (حلق) ١٠/ ٦٤.

(٢) أخرج البخاري عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول ﷺ قال: «**اللهم ارحم المحلقين**». قالوا: والمقصرين يا رسول الله. قال: «**اللهم ارحم المحلقين**». قالوا: والمقصرين يا رسول الله. قال: و«المقصرين». انظر: «صحيح البخاري» كتاب الحج- باب الحلق والتقصير عند الإحلال ٢/ ١٨٨ .
وقال القرطبي ٢/ ٣٨١: قال علماؤنا: ففي دعاء رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثًا وللمقصرين مرة دليل على أن الحلق في الحج والعمرة أفضل من التقصير، وأجمع أهل العلم على أن التقصير يجزئ عن الرجال إلا شيء ذكر عن الحسن أنه كان يوجب الحلق في أول حجة يحجها الإنسان .

(٣) انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي ٢/ ٣١٢.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٧.

(٥) ذكر ذلك السمرقندي في «تفسيره» ٣/ ٢٥٨ ونسبه للكلبي، ونسبه الماوردي في «تفسيره» ٥/ ٣٢٢، والقرطبي ١٦/ ٢٩١ للكلبي.

قوله: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾ أي: من قبل الدخول فتحاً قريباً، يعني فتح خيبر في قول ابن عباس في رواية عطاء ومقاتل وابن زيد(١)، وفي قول الآخرين هو صلح الحديبية(٢).

٢٨- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ مفسَّر في سورة براءة [آية: ٣٣] إلى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ أي: على ما أرسل، قال مقاتل: وهذا رد على المشركين لمَّا أملى رسول الله ﷺ: هذا ما صالح عليه محمد رسوله، أنكروا ذلك على ما بينا، فأنزل الله هذه الآية(٣).

٢٩- قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ قال ابن عباس: شهد له بالرسالة(٤) وهو جملة مبتدأ وخبر، ويجوز أن يكون محمد ابتداء، ورسول الله نعته، والذين معه عطف على الابتداء، وخبره فيما بعده(٥).

قال ابن عباس: (والذين معه) أهل الحديبية(٦).

---

(١) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٠٨ عن ابن زيد، «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٧، ونسبه الثعلبي في «تفسيره» لابن زيد ١٠/ ١٥٣ أ، ونسبه ابن الجوزي ٧/ ٤٤٤ لابن عباس وعطاء وابن زيد ومقاتل، ونسبه القرطبي لابن زيد والضحاك ١٦/ ٢٩١.

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٠٨ عن مجاهد والزهري وابن إسحاق، ونسبه الثعلبي لأكثر المفسرين ١٠/ ١٥٣ أ، ونسبه الماوردي لمجاهد ٥/ ٣٢٢، وانظر: «تفسير مجاهد» ص٦٠٩، ونسبه ابن الجوزي لمجاهد والزهري وابن إسحاق ٧/ ٤٤٤، ونسبه القرطبي لمجاهد ١٦/ ٢٩١ .

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٧، «زاد المسير» ٧/ ٤٤٥، «القرطبي» ١٦/ ٢٩٢.

(٤) ذكر ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤٤٥، وفي «الوسيط» ٤/ ١٤٦ عن ابن عباس.

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ٢٠٥، «مشكل إعراب القرآن» لمكي ٢/ ٣١٣.

(٦) ذكر ذلك القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٢٩٢، ونسبه لابن عباس، ونسبه في «الوسيط» لابن عباس، انظر ٤/ ١٤٦.

وقال مقاتل: والذين آمنوا معه من المؤمنين[١].

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ غلاظ عليهم كالأسد على فريسته ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ يرحم أحدهم الآخر، قال ابن عباس: الرجل للرجل منهم كالولد لوالده، والعبد لسيده[٢].

وقال مقاتل: متوادون بعضهم لبعض[٣]، وهذا كقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ إخبار عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها، قال ابن عباس: إن عروة بن مسعود الثقفي أتى النبي ﷺ وهو بالحديبية فأقام بلال فتقدم رسول الله ﷺ وهم خلفه وعروة يعجب من حسن ما يرى من ركوعهم وسجودهم[٤].

قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ قال مقاتل: يعني الجنة ورضا الله[٥].

﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: أي: مما حملت من الأرض جباههم، وهذا قول عكرمة وسعيد بن جبير وأبي العالية، قال سعيد: هو ندى الطهور وندى الأرض[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٨.

(٢) ذكره بغير نسبة: البغوي٧/ ٣٢٣- ٣٢٤ دون قوله: والعبد لسيده، والمصنف في «الوسيط» ٤/ ١٤٦ بنصه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٨.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٨، ونص العبارة: (فضلًا يعني: رزقًا من الله ورضوانًا، يعني يطلبون رضى ربهم).

(٦) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١١١- ١١٢ عن سعيد بن جبير وعكرمة، ونسبه الثعلبي =

وقال أبو العالية: لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب[(١)].

وقال شمر بن عطية: هو التهيج والصفرة في الوجه وأثر السهر[(٢)]. وهو قول الحسن والضحاك؛ قال الحسن: تحسبهم مرضى وما هم بمرضى، يعني من كثرة السهر للصلاة.

وقال الضحاك: إذا سهر الرجل أصبح مصفراً.

وقال عطية: (مواضع السجود[(٣)] أشد وجوههم بياضاً يوم القيامة)[(٤)]، وعلى هذا القول هذه السيما تعرف في وجوههم يوم القيامة، وهذا قول الزهري وشهر بن حوشب، قال: يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر، والقولان جميعاً ذكرهما الكلبي عن ابن عباس فقال: سيماهم من السهر بالليل والصفرة في وجوههم يعرفون بها يوم القيامة غرًّا[(٥)].

وقال مجاهد: هو الخشوع والتواضع وأنكر أن يكون [السحادة][(٦)]

= لعكرمة وسعيد بن جبير، انظر: «تفسيره» ١٠/ ١٥٣ ب، ونسبه الماوردي ٥/ ٣٢٣ لسعيد بن جبير، ونسبه البغوي ٧/ ٣٢٤ لعكرمة وسعيد بن جبير.

(١) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ١٥٣، ١٥٤، والبغوي ٧/ ٣٢٤، وابن الجوزي ٧/ ٤٤٦.

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١١١ عن شمر، وذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ١٥٣ ب، وابن الجوزي ٧/ ٤٤٧، والقرطبي ١٦/ ٢٩٤ ونسبوه لشمر.

(٣) نص العبارة عند ابن الجوزي: (مواضع السجود من وجوههم يكون أشد وجوههم بياضًا يوم القيامة) انظر: «زاد المسير» ٧/ ٤٤٧. ونصها عند الطبري ١٣/ ١١٠: (مواضع السجود من وجوههم يوم القيامة أشد وجوههم بياضًا).

(٤) ذكر هذه الأقوال الثعلبي ١٠/ ١٥٣ ب، والماوردي ٥/ ٣٢٣، البغوي ٧/ ٣٢٤، وابن الجوزي ٧/ ٤٤٦- ٤٤٧، والقرطبي ١٦/ ٢٩٤.

(٥) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ١٥٣- ١٥٤، وابن الجرزي ٧/ ٤٤٧، والقرطبي ١٦/ ٢٩٤.

(٦) كذا في الأصل، ولعل المراد (السحنة).

بين العينين، وقال إنه ليكون في وجه الرجل مثل ركبة العنز، وإنه لأخبث من كذا[١]، وهذا قول طاوس ومقاتل، ورواية الوالبي عن ابن عباس، قالوا: هو الهدي والسمت الحسن وسيما الإسلام وسحنته[٢]، وعلى هذا معنى قوله (من أثر السجود) أي: من أثر الصلاة، والمعنى: أن السجود أورثهم ذلك الخشوع والسمت الحسن الذي يعرفون به.

وحكى أبو إسحاق: أن هذه السيما هو أنهم يبعثون يوم القيامة غراً محجلين من أثر الطهور، يجعله الله لهم يوم القيامة علامة يبين بها فضلهم على غيرهم[٣].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ يعني: ما ذكر من وصفهم وهو ما وصفوا في التوراة أيضاً، والمعنى أنهم وصفوا في التوراة بما وصفوا في القرآن، وتم الكلام ها هنا في قول ابن عباس فيما روى عنه ابن جريج، وهو قول الضحاك وقتادة ومقاتل وابن زيد[٤].

---

(١) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١١١ عن مجاهد، وذكره الثعلبي ١٠/ ١٥٣ ب، والقرطبي ١٦/ ٢٩٤، ونسباه لمجاهد مع اختلاف في بعض الألفاظ، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٤٦ لمجاهد.

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١١١ عن ابن عباس، ونسبه الثعلبي ١٠/ ١٥٣ ب، والبغوي ٧/ ٣٢٤ لابن عباس، وانظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٨، ونسبه في «الوسيط» لابن عباس في رواية الوالبي.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٩، وقد ورد ذلك في الحديث الصحيح عند مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أمتي يأتون يوم القيامة غرًا محجلين من أثر الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فيلفعل**»، انظر: «صحيح مسلم»، كتاب: الطهارة باب (١٢) استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ١/ ٢١٦.

(٤) أخرج ذلك الطبري عن قتادة والضحاك وابن زيد ورجح هذا القول، انظر: =

قال مقاتل: يقول ذلك الذي ذكر نعت أمة محمد ﷺ في التوراة، ثم ذكر نعتهم في الإنجيل[(١)] فقال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ وقال مجاهد: المثلان في التوراة والإنجيل واحد، وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي قال: يقول صفتهم في التوراة والإنجيل كصفتهم في القرآن[(٢)]، وذكر الفراء القولين أيضاً[(٣)]، وتمام الكلام على قول مجاهد: عند قوله في الإنجيل، ثم ابتدأ، فقال: كزرع، أي: هم كزرع، أو هو يعني: رسول الله كزرع، والكاف في محل الرفع، لأنه خبر المبتدأ المحذوف[(٤)].

قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ يقرأ: بسكون الطاء وفتحها[(٥)]، قال أبو زيد: أشطأت الشجرة بغصونها، إذا أخرجت غصونها[(٦)]، وقال ابن الأعرابي: أخرج شطأه، أي: فراخه، وجمعه أشطاء، وقد أشطأ الزرع، إذا فرخ[(٧)]، ونحو هذا قال أبو عبيدة[(٨)].

= «تفسيره» ١٣/ ١١٢ - ١١٣، وكذلك الثعلبي فسره بذلك، انظر: «تفسيره» ١٠/ ١٥٤ أ، وكذلك فسره به البغوي ٧/ ٣٢٤، وأشار ابن الجوزي ٥/ ٣٢٣ إلى القولين ونسب هذا القول للضحاك وابن زيد ونسب القول بأنه مثل واحد لمجاهد، وأورد القولين من غير نسبة ولا ترجيح الماوردي في «تفسيره» ٥/ ٣٢٣.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٨.

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١١٣ عن مجاهد، ونسبه القرطبي ١٦/ ٢٩٤ لمجاهد.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٩.

(٤) انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي ٢/ ٣١٤، «الدر المصون» ٦/ ١٦٦.

(٥) قرأ ابن كثير وابن عامر: بالفتح، وقرأ الباقون: بالسكون، انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ٢٠٣.

(٦) انظر: «الحجة» ٦/ ٢٠٤ «تهذيب اللغة» (شطأ) ١١/ ٣٩٢.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (شطأ) ١١/ ٣٩٢، «اللسان» (شطأ) ١/ ١٠٠.

(٨) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٨.

وقال الزجاج: أخرج نباته(١).

وقال المبرد: أشطأ فراخ الزرع يقال قد أشطأ الزرع، ومن هذا يقال للواحد من الأولاد: إنك لشطأةٌ صالحة(٢).

وقال أبو علي الفارسي: والشَّطْأ والشَطَأ يشبه أن يكونا لغتين، كالشَّمْع والشَّمَع والنَّهْر والنَّهَر(٣).

أما التفسير فقال أنس بن مالك: نباته وفروخه(٤).

وقال مجاهد: جوانبه(٥)، وقال [أبو زيد](٦): أولاده(٧).

وقال الضحاك: هو ما يخرج بجنب الحلقة فينمو(٨).

قوله تعالى: ﴿فآزره﴾ القراءة بالمد، وقرأ ابن عامر: (فأزره) مقصوراً على فعله(٩).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٩.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ٢٠٤.

(٤) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١١٣ عن أنس بدون لفظ (فروخه)، ونسبه له الثعلبي ١٠/ ١٥٤ أ.

(٥) أخرج الطبري ١٣/ ١١٤ عن مجاهد بلفظ: (ما يخرج بجنب الحلقة فيتم وينمو)، وكذلك الثعلبي نسب هذا المعنى لمجاهد، انظر: «تفسيره» ١٠/ ١٥٤ أ.

(٦) كذا في الأصل، وهو تصحيف والصحيح [ابن زيد].

(٧) أخرج الطبري هذا القول عن ابن زيد انظر: «تفسيره»١٣/ ١١٤، وكذلك نسبه الثعلبي لابن زيد ١٠/ ١٥٤ أ، وكذلك نسبه القرطبي ١٦/ ٢٩٤ لابن زيد وغيره.

(٨) أخرج الطبري ١٣/ ١١٤ هذا عن مجاهد، ونسبه الثعلبي في «تفسيره» لمجاهد والضحاك ١٠/ ١٥٤ أ.

(٩) انظر: «السبعة» لابن مجاهد ص ٦٠٤- ٦٠٥، «الحجة» لأبي علي ٦/ ٢٠٤.

قال أبو عبيدة: ساواه وصار مثل الأم، وأنشد لحميد الأرقط[١]:

يَسْقِي بغَيْثٍ غَدِقٍ السَّاحَاتِ زَرْعَاً وقَضْباً مُؤْزَر النباتِ[٢]

وقال المبرد: معناه: أن هذه الأفرخ لحقت الأمهات حتى صارت مثلها[٣]، والمعنى: آزر الشطأ الزرع فصار في طوله.

وقال الأصمعي: فساوى الفراخ الطوال فاستوى طولها، وأنشد قول امرئ القيس:

بِمَحْنِيَّةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَ نَبْتُها مَجَرَّ جُيُوشٍ غانِمِيْنَ وخُيَّبِ[٤]

قال: أراد: أن نبت هذه المحنية طال حتى ساوى السدر، لأن الناس هابوه فلم يرعوه، وعلى قول هؤلاء فاعل (آزر) الشطأ، وآزر وزنه أفعل، ويدل عليه قول حميد.

وقال بُزُرْج: يقال: وأزرني فلان على الأمر وآزرني، والألف أعرب[٥] وهو من المؤازرة، وفعلت منها آزرت أزراً[٦].

---

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٨، والبيت بلفظ: (السَّحات).

(٣) ذكر ذلك في «الوسيط» ونسبه للمبرد، انظر ٤/ ١٤٦.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (وزر) ١٣/ ٢٤٧، «اللسان» (أزر) ٤/ ١٨، «الحجة» لأبي علي ٦/ ٢٠٤، «شرح الأبيات المشكلة الإعراب» ص٣٣٢ - ٣٣٣، والمحنية: واحدة المحاني، وهي معاطف الأودية، والمحنية أخصب موضع في الوادي، والضال: شجر السدر، وآزر: ساوى، يريد: لحق النبت بالشجر، وهي مجمع للجيوش فلا ينزلها أحد ليرعاها خوفًا من الجيوش، وانظر: «ديوان امرئ القيس» ص ٥١.

(٥) في «تهذيب اللغة» (والألف أفصح) انظر: «تهذيب اللغة» (وزر) ١٣/ ٢٤٦.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (وزر) ١٣/ ٢٤٦- ٢٤٧.

وقال الفراء: آزرت فلاناً آزره أزراً، قويته على وزن عَزَّرته، وآزرته عاونته[١].

وقال الزجاج: آزرت الرجل على فلان، إذا أعنته عليه وقويته[٢]، وعلى هذا القول آزر وزنه فاعل.

قال المبرد: يقال: آزرني على أمري، أي: قواني[٣] ومنه قوله تعالى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: ٣١] وفلان موازر، لفلان على أمره وليس هذا من الوزير لأن هذا فاؤه مهموز، والوزير فاؤه وواوه، فاعل (آزر) على هذا القول الزرعُ، والمعنى: آزر الزرعُ الشطأ[٤].

قال أبو الحسن الأخفش: الأشبه في آزر أفعل[٥] لا فاعل ليكون قول أبي عامر أزره فعله، فيكون فيه لغتان فَعَل وأفْعَل، لأنهما كثيراً ما يتعاقبان على الكلمة كما قالوا: أَلَتَهُ وآلَتَهُ يُولِتُهُ، وكذلك آزره وأزره[٦].

قال ابن عباس ومقاتل ومجاهد: فآزره فشده وأعانه[٧]، وقال الزهري وقتادة: فتلاحق[٨].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (وزر) ١٣/ ٢٤٧، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٩.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (وزر) ١٣/ ٢٤٧، ونسبه للزجاج والذي في «معاني القرآن» ٥/ ٢٩ للزجاج: (فآزره أي: فآزر الصغار الكبار حتى استوى بعضه مع بعض).

(٣) لم أقف على قول المبرد، وفي «تهذيب اللغة» الأزر: القوة (وزر) ١٣/ ٢٤٧، وفي «اللسان» الأزر: القوة والشدة (أزر) ٤/ ١٧.

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ٢٠٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٩٥.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٩٥، وهذا النقل بنصه في «الحجة» ٦/ ٢٠٥.

(٦) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ٢٠٥.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١١٤، «الثعلبي» ١٠/ ١٥٤ ب، «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٨.

(٨) أخرج ذلك الطبري عن قتادة والزهري، انظر: «تفسيره» ١٣/ ١١٥.

قوله: ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ يقال: استغلظ الشيء، إذا صار غليظاً، وهذا لازم، واستغلظت الثوب، إذا خيّل إليك أنه غليظ[١] واقع، واستغلظ النبات والشجر إذا غلظ، قوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ ذكرنا تفسير السوق عند قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [ص: ٣٣] وهي جمع ساق، قال الكلبي: فقام على قصبه وأصوله فأعجب ذلك زارعه[٢] وهو قوله: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾، وقال مقاتل: يعجب الزارع حُسْنُ زرعه حين استوى قائماً على ساقه[٣].

قال المفسرون: وهذا كله مثل ضربه الله تعالى لمحمد ﷺ وأصحابه فالزرع محمد، والشطأ أصحابه والمؤمنون حوله، وكانوا في ضعف وقلة[٤]، كان أول الزرع دقيقاً ثم غلظ وقوي وتلاحق، كذلك المؤمنون يقوي بعضهم بعضاً حتى يستغلظوا ويستووا على أمرهم، كما استغلظ هذا الزرع واستوى على سوقه، وهذا قول مقاتل[٥].

وقال الكلبي: محمد ﷺ بدأ حين بدأ وحْدَه، فجعل الناس يأتونه وجعلوا يزدادون ويكثرون حتى امتنعوا وهابهم العدو وقهروا من حولهم[٦].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (غلظ) ٨/ ٨٤.

(٢) لم أقف عليه بهذا النص، وقد ذكر الثعلبي أنه بمعنى أصوله ولم ينسبه ١٠/ ١٥٤ب، وكذا البغوي ٧/ ٣٢٥، وذكره في «الوسيط» ٤/ ١٤٧ بنص ما هنا ولم ينسبه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٨.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١١٥، «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٥٤ب، «تفسير الماوردي» ٥/ ٣٢٤، «تفسير البغوي» ٧/ ٣٢٥، «زاد المسير» ٧/ ٤٤٨، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٩٥.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٨.

(٦) ذكر نحو ذلك في «تنوير المقباس» ص ٥١٥، وفي «تفسير الوسيط» ٤/ ١٤٧ ولم ينسبه.

قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ من صفة كمال ذلك الزرع وحسنه.

وقال أبو إسحاق: (الزُّراع) الدعاة إلى الإسلام[١]، وعلى هذا معنى الكلام: أن قوة صحابة محمد ﷺ وكثرتهم تعجب الدعاة إلى دينه، كما يعجب حسن هذا الزرع الذين زرعوه، وتم الكلام ثم قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ واللام متعلق بمحذوف دل عليه ما سبق والتقدير: فعل الله بهم ذلك ليغيظ بهم الكفار[٢]، أي: إنما كثرهم وقواهم ليكونوا غيظاً للكافرين، وروي لنا عن الشافعي ﷺ أنه قال: في قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ ما آمن أن يكونوا قد صارعوا الكفار، يعني: الرافضة، لأن الله تعالى يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فمن غاظه واحد من أصحاب النبي ﷺ خفت عليه أن يكون ممن دخل في قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[٣].

وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، قال أبو إسحاق: فيها قولان: يكون منهم تخليصاً للجنس من غيره، كما تقول: أنفق نفقتك من الدراهم، أي: اجعل نفقتك هذا الجنس، والمعنى: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أصحاب رسول الله ﷺ المؤمنين أجراً عظيماً، فضلهم على غيرهم لسابقتهم وعظم أجرهم، هذا كلامه في أحد القولين، وبيانه أنه ليس يمكن حمل قوله: (منهم) على التبعيض لأنهم كلهم مؤمنون

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٩.

(٢) انظر: «الدر المصون» ٦/ ١٦٧، «البحر المحيط» ٨/ ١٠٣.

(٣) ذكر القرطبي ١٦/ ٢٩٧ نحو هذه المقالة، وكذلك أبو حيان في «البحر المحيط» ٨/ ١٠٣، وابن كثير ٦/ ٣٦٥ ونسبوها جميعًا لمالك.

فحمله على الجنس ليدخل فيه كلهم، وتخصيصهم بوعد المغفرة والأجر تفضيل لهم، وإن وعد المؤمنون كلهم ذلك، ولكنهم إذا ذكروا على التخصيص كان ذلك فضيلة لهم، قال: والقول الثاني: أن يكون المعنى وعد الله الذين آمنوا، أي: أقاموا على الإيمان والعمل الصالح[(١)].

قوله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال ابن عباس: ثواباً لا ينقطع[(٢)]، وقال مقاتل: يعني الجنة[(٣)] والله تعالى أعلم.



---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٢٩ - ٣٠، «الدر المصون» ٦/ ١٦٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٧٨.

سورة الحجرات

تفسير سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية، قَدَّم هاهنا: بمعنى: تقدم وهو لازم لا يقتضي مفعولاً، يدل عليه قراءة الضحاك ويعقوب: (لا تَقَدَّموا) بفتح التاء والدال من التقدم ومعناهما واحد[١].

قال الفراء: يقال قَدَمت في أمر كذا، وكذا وتقدَّمت[٢].

وقال الأزهري: يقال قَدَّم يُقدِّم، وتَقدّم يَتقدّم، وأقدم يُقْدِمُ، واستَقدم يستقدم بمعنى واحد[٣].

وقال أبو [عبيد][٤]: تقول العرب: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي: لا تعجل بالأمر دونه والنهي[٥]، يجيء فعل بمعنى يفعل، يقال: حول بمعنى تحول، ومنه قول ذي الرمة: قوله:

إذا حَوّل الظِّل العَشِي رأيتَه حَنِيفاً وفي قَرْنِ الضُّحَى يَتَنصَّرُ[٦]

---

(١) انظر كتاب: «التذكرة في القراءات» ٢/ ٦٨٩، «الدر المصون» ٦/ ١٦٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٦٩.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (قدم) ٩/ ٤٩.

(٤) كذا في الأصل والصواب (عبيدة).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٩.

(٦) انظر: «ديوان ذي الرمة» ص٢٢٩، وانظر: «تهذيب اللغة» (ولى) ١٥/ ٤٥٢، قال الأزهري: أراد تحول الظل بالعشي.

ومعنى بين اليدين ها هنا: القدام والأمام، وذلك راجع إلى قدام الأمر والنهي، لأن المعنى: لا تقدموا قبل أمرهما ونهيهما، وبين اليدين عبارة عن الأمام، لأن ما بين يدي الإنسان أمامه، وهذا اللفظ بهذا المعنى كثير في التنزيل.

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية، قال الكلبي والسدي والمقاتلان وعطاء الخراساني: نزلت [ ][١] قصة بئر معونة[٢] وقيل: للثلاثة الذين قتلوا الرجلين المسلمين اللذين اعتزيا إلى بني عامر، وكان بنو عامر قتلوا أصحاب بئر معونة، فلما اعتزى الرجلان إليهم قتلوهما وأخذوا ما كان معهما، فلامهم رسول الله ﷺ وقال: «**بئسما صنعتما هما رجلان من بني سليم**[٣] **من أهل ميثاقي**» ونزلت هذه الآية[٤] يقول: لا تقطعوا أمراً دون الله

(١) كذا في الأصل وقد سقط حرف (في).

(٢) بئر معونة: قال ابن إسحاق: (بئر معونة بين أرض بني عامر وحرة بني سليم، وقال: كلا البلدين منها قريب إلا أنها إلى حرة بني سليم أقرب، وقيل: بئر معونة بين جبال يقال لها: أبْلَى في طريق المصعد من المدينة إلى مكة وهي لبني سليم)، وقال الواقدي: (بئر معونة في أرض بني سليم وأرض بني كلاب، وعندها كانت قصة الرجيع) والله أعلم، انظر: «معجم البلدان» ١/ ٣٠٢.

(٣) بنو سليم: بضم السين- قبيلة عظيمة من قيس عيلان والنسبة إليهم سلمى، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس، قال الحمداني: وهم أكثر قبائل قيس، وكان لسليم من الولد بهتة ومنه جميع أولاده، قال في العبر: وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر، قال: وليس لهم الآن عدد ولا بقية في بلادهم. انظر: «نهاية الأرب» ص ٢٧١.

(٤) أورد ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٥٧أ ونسبه للسدي وعطاء الخراساني. وانظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٨٧، «تفسير الماوردي» ٥/ ٣٢٦ ونسبه للضحاك عن ابن عباس، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٣٠١، «تفسير الألوسي» ٢٦/ ١٣٣.

ورسوله، ولا تعجلوا به، وهذه رواية باذان عن ابن عباس(١).

وقال ابن الزبير: قدم المدينة ركب من بني تميم(٢) على النبي ﷺ [..](٣)، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي. وتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فأنزل الله هذه الآية(٤) وهذه رواية عطاء عن ابن عباس(٥).

وقال جابر بن عبد الله: نزلت في النهي عن الذبح يوم الأضحى قبل الصلاة، وذلك أن ناساً من المسلمين ذبحوا قبل صلاة النبي ﷺ فأمرهم أن يعيدوا الذبح. وهو قول الحسن(٦)، واختيار الزجاج، قال: أعلم الله أن ذلك غير جائز، قال: وفي هذا دليل أنه لا يجوز أن يؤدّى فرضٌ قبل وقته، ولا تطوع قبل وقته مما جاءت به السنة(٧).

---

(١) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٥٧ ب.

(٢) بنو تميم: بطن من طابخة وطابخة من العدنانية وهم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة، والتميم في اللغة الشديد، وكان لتميم من الولد زيد مناة وعمرو بن الحارث، قال في العبر: وكانت منازلهم بأرض نجد من هنالك على البصرة واليمامة وامتدت إلى الغري من أرض الكوفة. انظر: «نهاية الأرب» ص ١٧٧ .

(٣) سقط من الأصل قوله: (فقال: أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر أمر الأقرع ابن حابس).

(٤) أخرجه عن عبد الله بن الزبير البخاري في التفسير، باب إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ٦/ ٤٧، والطبري ١٣/ ١١٩، وأخرجه الثعلبي ١٠/ ١٥٧ أ، والمؤلف في «أسباب النزول» ص ٤٠٦، والبغوي ٧/ ٣٣٤.

(٥) وهي التي سبقت الإشارة إليها في قصة بئر معونة وقتل الرجلين.

(٦) أخرج ذلك الثعلبي ١٠/ ١٥٦ ب عن جابر بن عبد الله، وأشار أيضًا أنه اختيار الحسن البصري، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٥٠ لجابر، ونسبه الطبري ١٣/ ١١٧، والماوردي ٥/ ٣٢٥، وابن الجوزي ٧/ ٤٥٤، والقرطبي ١٦/ ٣٠١ للحسن.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٣١.

وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك، قالت: لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم[١].

وأما التفسير: فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة[٢]، وقال العوفي عنه: لا تتكلموا بين يدي كلامه[٣].

وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله بشيء حتى يقضيه الله على لسانه[٤]، وقال الضحاك: لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله[٥].

وقال الكلبي: لا تسبقوا رسول الله ﷺ بقول ولا فعل حتى يكون هو الذي يأمركم[٦].

وهذه عبارات المفسرين ومعناها واحد.

٢- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ قال ابن عباس: في رواية عطاء والكلبي والمقاتلان: نزلت في ثابت بن

---

(١) أخرج ذلك الثعلبي ١٠/ ١٥٦ ب عن عائشة، ونسبه إليها البغوي ٧/ ٣٣٤، وابن الجوزي ٧/ ٤٥٥، وعزاه السيوطي في «الدر» ٧/ ٥٤٧ إلى الطبراني في الأوسط وابن مردويه، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٥٠ لمسروق عن عائشة.

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١١٦ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ونسبه الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٥٦ ب لابن عباس عن علي بن أبي طلحة.

(٣) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١١٦ عن ابن عباس، ونسبه الماوردي ٥/ ٣٥٢ لابن عباس، ونسبه ابن الجوزي ٧/ ٤٥٥ للعوفي، وذكره السيوطي في «الدر» ٧/ ٥٤٦ ونسبه للطبري وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) انظر: «تفسير مجاهد» ص ٦١٠، وأخرجه الطبري ١٣/ ١١٦، ونسبه الثعلبي ١٠/ ١٥٧ أ، ونسبه البغوي ٧/ ٣٣٤، والقرطبي ١٦/ ٣٠١ لمجاهد.

(٥) نسب هذا القول للضحاك، الثعلبي ١٠/ ١٥٧/ أ، والبغوي ٧/ ٣٣٤ .

(٦) نسب الثعلبي ١٠/ ١٥٧ أ هذا القول للكلبي، «تنوير المقباس» ص ٥١٥.

قيس بن شماس، كان إذا تكلم عند النبي ﷺ رفع صوته فربما كان ينادي رسول الله ﷺ بصوته[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ قال مقاتل: يقول: لا تدعوه باسمه يا محمد بن عبد الله، كما يدعو الرجل منكم غيره باسمه: يا فلان ويا فلان، ولكن عظّموه وقولوا: يا رسول الله، يؤدبهم[(٢)].

وقال مجاهد: لا تنادوه ولا تقولوا: يا محمد، ولكن قولوا: قولاً ليناً: يا رسول الله[(٣)].

وقال أبو إسحاق: أمرهم الله ﷻ بتبجيل نبيه وأن يغضوا أصواتهم ويخاطبوه بالسكينة والوقار، وأن يفضلوه في المخاطبة قال: ومعنى (كجهر بعضكم لبعض) أي: لا تنزلوه بمنزلة بعضكم من بعض فتقولوا: يا محمد، خاطبوه بالنبوة والسكينة والإعظام[(٤)].

قوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ قال ابن قتيبة: لئلا تحبط[(٥)]، وهذا

---

(١) أخرج البخاري عن أنس بن مالك قصة فقد الرسول ﷺ لثابت بن قيس وسؤاله عنه وذكر قيس سبب تخلفه وهي هذه الآية، انظر: «صحيح البخاري»، كتاب: التفسير ٦/ ٤٦، وأخرجه مسلم في الإيمان باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله ١/ ١١٠، والطبري ١٣/ ١١٨ عن أنس، وذكر الثعلبي أنها نزلت في قيس بن شماس ولم ينسبه ١٠/ ١٥٨/ أ، وأخرجه البغوي ٧/ ٣٣٥ عن أنس، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٥٠ لأنس، وانظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٨٩.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٠.

(٣) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١١٨ عن مجاهد، وذكر الماوردي هذا المعنى ولم ينسبه، انظر: «تفسيره» ٥/ ٣٢٦ - ٣٢٧، وانظر: «تفسير مجاهد» ص ٦١٠.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٣٢.

(٥) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٤١٥.

مذهب الكوفيين، قال الأخفش: مخافة أن تحبط، كما تقول: أدعم الحائط أن يميل أي مخافة أن يميل[١]، وهذا قول البصريين، وقد بينا هذا في مواضع.

قال مقاتل: يعني أن تبطل حسناتكم وأنتم لا تشعرون[٢].

قال أبو إسحاق: هذا إعلام أن النبي ﷺ يجب أن يجل ويعظم غاية الإجلال والإعظام، وأنه قد يفعل الشيء مما لا يشعر به في أمر النبي ﷺ فيكون ذلك مهلكاً لفاعله أو قائله، ولذلك قال بعض الفقهاء: من قال: إن زِرَّ رسول الله ﷺ وسخ، يريد به النقص وجب قتله، هذا مذهب مالك وأصحابه، انتهى كلامه[٣].

قال المفسرون: فلما نزلت هذه الآية انطلق ثابت مهموماً حزيناً فمكث في بيته أياماً مخافة أن يكون قد حبط عمله، وكان سعد بن عبادة جاره فانطلق سعد حتى أتى النبي ﷺ فأخبره بقول ثابت أنه قد حبط عمله وأنه في النار فقال: **«اذهبْ فأخبره أنه ليس مِنْ أهل النار وأنه من أهلِ الجنة»**[٤] ففرح ثابت وخرج إلى النبي ﷺ فكان بعد ذلك إذا كان عند النبي ﷺ خفض صوته فلا يسمع من يليه فنزلت فيه.

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ وقال عطاء

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٩٥، ونص عبارته (أي مخافة أن تحبط أعمالكم، وقد يقال: (اسْمُك الحائط أن يميل).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٠.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٣٢.

(٤) أخرج ذلك البخاري عن أنس بن مالك. انظر: «صحيح البخاري»- كتاب التفسير - سورة الحجرات ٦/ ٤٦. وأخرجه الطبري ١٣/ ١١٩ عن عكرمة، وأورده الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٥٨ أ- ب، وذكره القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٣٠٥.

عن ابن عباس: لما نزل قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ تألّى أبو بكر ألا يكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار، فأنزل الله تعالى في أبي بكر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾[١] ونحو هذا روي لنا عن أبي هريرة[٢].

وقال ابن الزبير: ما حدث عمر النبي ﷺ بعد قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ فسمع النبي ﷺ كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فأنزل الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾[٣].

والغض: النقص من كل شيء، ومنه غض البصر وغض الصوت[٤].

قال الله تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، قال مقاتل: يخفضون كلامهم عند رسول الله[٥]، قال ابن عباس: يريد أبا بكر[٦].

قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ قال مقاتل

---

(١) ذكر ذلك الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال رواه البزار وفيه حصين بن عمر الأحمسي وهو متروك، وقد وثقه العجلي، وبقية رجاله رجال الصحيح، انظر: «مجمع الزوائد» ٧/ ١٠٨، وذكره الماوردي ٥/ ٣٢٦، البغوي ٤/ ٣٣٦، والقرطبي ١٦/ ٣٠٨، وذكره في «الوسيط» ٤/ ١٥١.

(٢) أخرج ذلك الثعلبي ١٠/ ١٥٩ أ عن أبي هريرة. وأخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. انظر: «المستدرك»- كتاب التفسير - سورة الحجرات ٢/ ٤٦٢، وذكره البغوي في «تفسيره» ٧/ ٣٣٦.

(٣) أخرج ذلك البخاري في «تفسيره». انظر: «صحيح البخاري» كتاب: التفسير ٦/ ٤٦، وذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» عن ابن الزبير ١٠/ ١٥٩ أ، البغوي في «تفسيره» ٧/ ٣٣٧، وذكره القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٣٠٨، ولا مانع من نزول الآية في جميع من ذكر لما اتحد فعلهم.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (غض) ١٦/ ٣٦، «اللسان» (غضض) ٧/ ١٩٧.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٠.

(٦) انظر: «تفسير الوسيط» ٤/ ١٥١.

ومجاهد وقتادة: أخلص الله قلوبهم[١]، وهذا معنى وليس بتفسير، وذلك أن الامتحان معناه في اللغة: الاختبار[٢]، والاختبار إنما يكون الإخلاص كما يمتحن الذهب بالنار ليخلص، والتقدير: امتحن الله قلوبهم فأخلصها للتقوى فحذف الإخلاص لدلالة الامتحان عليه، وذلك أن الامتحان إنما كان للإخلاص.

قال عطاء عن ابن عباس: يريد طهَّر قلوبهم من كل قبيح، وجعل التقوى في قلوبهم والخوف من الله[٣]، قال الفراء: أخلص قلوبهم للتقوى كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج جيده من رديئه ويسقط خبثه[٤]، وقال أبو عبيدة: امتحنه: اصطفاه[٥]، وهذا كقول المفسرين.

وقال أبو سعيد الضرير: محنت الأديم محنًا إذا مددته حتى توسعه، قال: ومعنى قوله: ﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ شرح الله قلوبهم، كان معناه وسَّع الله قلوبهم للتقوى[٦]، وعلى هذا القول لا يحتاج إلى تقدير محذوف، وقال المقاتلان: قال ثابت لما نزلت هذه الآية: ما يسرني أني لم أجهر بصوتي عند النبي ﷺ إذ امتحن الله قلبي للتقوى، وجعل لي مغفرة وأجراً عظيماً[٧].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٠، «تفسير الطبري» ١٣/ ١٢٠، و«الوسيط» ٤/ ١٥١ .

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (محن) ٥/ ١٢١، «اللسان» (محن) ١٣/ ٤٠١.

(٣) ذكر ذلك القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٣٠٨ عن ابن عباس.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٠.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢١٩.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (محن) ٥/ ١٢١-١٢٢، «اللسان» (محن) ١٣/ ٤٠١ .

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٠-٩١.

٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أكثر المفسرين على أن الآية نزلت في قوم حفاة أجلاف من بني تميم قدموا على النبي ﷺ لفداء ذرارٍ لهم سبيت، وكان النبي ﷺ قد نام للقائلة، فجعلوا ينادونه: يا محمد اخرج إلينا، ولم يعلموا في أي حجرة هو من حجر نسائه، فكانوا يطوفون على الحجر وينادونه: يا محمد اخرج إلينا، وهذا قول جابر(١) وابن عباس(٢) والمقاتلين(٣) ومجاهد(٤) والكلبي(٥).

وروي لنا مرفوعاً أن النبي ﷺ سئل عن قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ الآية قال: «**هم الجفاة من بني تميم**»(٦)، والحجرات جمع حجرة، وفُعْلة تجمع فعلات، نحو: عرفات وظلمات، ومنهم من يستثقل الضمتين فيفتح الجيم.

وذكرنا الكلام في هذا عند قوله: ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البقرة: ١٦٨].

قال الفراء: وأصل الحجر المنع، وكل ما منعت من أن توصل إليه فقد حجرت عليه، وكذلك الحجرة التي ينزلها الناس هو ما حوطوا عليه(٧)، وأنشد أبو عبيدة قول الفرزدق:

---

(١) أخرجه الثعلبي عن جابر. انظر ١٠/ ١٥٩ ب، وذكره البغوي ٧/ ٣٣٨، كما أخرجه المؤلف في «أسباب النزول» ص٤٠٩، وذكره ابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٥٦، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤٥٨.

(٢) أورد ذلك البغوي ٧/ ٣٣٧ ونسبه لابن عباس، وكذلك ابن حجر في «الكاف الشاف» ص١٥٦، وابن الجوزي ٧/ ٤٥٩ .

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩١.

(٤) «تفسير مجاهد» ص٦١٠، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٢٢، وذكره القرطبي ١٦/ ٣٠٩.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٥١٥.

(٦) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٢٢ عن مجاهد ونسبه القرطبي ١٦/ ٣٠٩ لمجاهد .

(٧) هذا النص لم أقف عليه في «معاني القرآن» للفراء وهو في «تهذيب اللغة» منسوبًا=

أما كان عبادة[(١)] كفياً لِدارِمٍ بلى ولأبياتٍ بها الحجراتُ

وقوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وصفهم الله بالجهل، وقلة العقل، ونَعَى عليهم قلة صبرهم فقال:

٥- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ فاداهم نصف ذراريهم، وأعتق نصفهم، يقول الله: ولو صبروا كنت تعتق كلهم.

قال مقاتل: يعني بالخير أنهم لو صبروا لخلى سبيلهم بغير فداء[(٢)]، هذا قول المفسرين[(٣)].

قوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال ابن عباس: يريد لمن تاب منهم[(٤)].

٦- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ قال ابن عباس وقتادة ومجاهد[(٥)] والمقاتلان[(٦)]: نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه

= لأبي إسحاق. انظر: «تهذيب اللغة» (حجر) ٤/ ١٣٢.

(١) كذا في الأصل، وعند أبي عبيدة (عبًا كفيا لدارهم). انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢١٩، وعند الطبري ١٣/ ١٢١ (عباد كفيئا لدارم). وكذا أيضًا عند المبرد في «الكامل» ١/ ٦٤ ولم أقف عليه عند الفرزدق.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٢.

(٣) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ١٦٢ أ، وذكره السمرقندي ٣/ ٢٦٢، الماوردي ٥/ ٣٢٨، والقرطبي ١٦/ ٣١١.

(٤) ذكر هذا المعنى في «الوسيط» ٤/ ١٥٢ ولم ينسبه.

(٥) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٢٤ عن ابن عباس وقتادة ومجاهد. وأخرجه الإمام أحمد عن الحرث بن ضرار الخزاعي. انظر: «مسند أحمد» ٤/ ٢٧٩، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» وعزاه للإمام أحمد. وقال: رجال أحمد ثقات ٧/ ١٠٩، وأخرجه عبد الرزاق عن قتادة. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٣١، وقال الحافظ ابن حجر في «الكاف الشاف» ص ١٥٦: رواه ابن إسحاق والطبراني من حديث أم سلمة وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٢.

رسول الله ﷺ مصدقاً إلى بني المصطلق[١] فلما سمعوا به فرحوا واجتمعوا ليتلقوه، وكانت بينهم عداوة في الجاهلية، ففرق الوليد ورجع إلى النبي ﷺ وقال: إنهم قد منعوا الصدقة وارتدوا، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، فلما دنا خالد منهم بعث عيوناً ليلاً فإذا هم ينادون ويصلون، فأتاهم خالد فلم ير منهم إلا طاعة وخيراً، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره ونزلت الآية.

وذكرنا القراءة في قوله: ﴿فتبينوا﴾ في سورة النساء[٢].

قوله: ﴿أن تصيبوا﴾ يعني: لئلا تصيبوا، وكراهة أن تصيبوا[٣] على ما ذكرنا في مواضع.

وقوله: (بجهالة) أي: بجهالة بحالهم، وما هم عليه من الإسلام والطاعة.

﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ قال مقاتل: يعني الذين انتدبوا لقتال بني المصطلق[٤].

٧- ثم وعظهم فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ ومعناه: اتقوا أن تكذبوه أو تقولوا باطلًا، فإن الله يخبره فتفتضحوا، يعني: أنهم إذا لم

---

(١) بنو المصطلق: حي من خزاعة، حاربهم رسول الله ﷺ في غزوة المريسيع في شعبان سنة ست من الهجرة. انظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٣٣٣، «البداية والنهاية» ٤/ ١٥٦.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ بالنون، وكذلك في الحجرات: ٦، وقرأ حمزة والكسائي: (فتثبتوا) بالتاء وكذلك في الحجرات، انظر: «الحجة» لأبي علي ٣/ ١٧٣، «تفسير الطبري» ١٣/ ١٢٣.

(٣) انظر: «البحر المحيط» ٨/ ١٠٩.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٣.

يراعوا هذا كانوا كأنهم لم يعلموا أن رسول الله بين أظهرهم؛ لأنهم لم يعملوا على موجب ما علموا، فقال لهم: اعلموا ذلك علماً تعملون به فتتقوا الكذب.

ثم قال: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ﴾ أي: رسول الله ﴿فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ أي: مما تخبرونه فيه بالباطل (لعنتم) لوقعتم في عنت، وهو الإثم والهلاك.

قال مقاتل: لأنهم[١] في دينكم، ثم خاطب المؤمنين المخلصين الذين لا يكذبون النبي ﷺ ولا يخبرونه بالباطل فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ جعله أحبَّ الأديان إليكم حتى أحببتموه ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ حتى اخترتموه ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ جعل الكفر تكرهونه وتجتنبونه (والفسوق) قال ابن عباس: يريد الكذب[٢] (والعصيان) جميع معاصي الله.

ثم عاد إلى الخبر فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يعني المهتدين في محاسن أمورهم[٣]، ومثل هذا في النظم قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ﴾ الآية [الروم: ٣٩].

ثم بين أن جميع ذلك بفضل من الله فقال: ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال أبو إسحاق: (فضلًا) منصوب مفعول له، المعنى: فعل الله بكم ذلك فضلاً أي

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٣، ونصها: (لأثمتم في دينكم).

(٢) ذكر ذلك البغوي ٧/ ٣٣٩ ونسبه لابن عباس ٧/ ٣٣٩، ونسبه الماوردي ٥/ ٣٢٩ لابن زيد ٥/ ٣٢٩، ونسبه القرطبي ١٦/ ٣١٤ لابن عباس وابن زيد، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٥٣ لابن عباس.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٣، وذكر هذا المعنى في «الوسيط» ٤/ ١٥٣ ولم ينسبه.

للفضل والنعمة(١).

قال ابن عباس: يريد تفضلاً مني عليهم، ورحمة مني لهم(٢) ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبهم (حكيم) فيهم بعلمه.

وقال مقاتل: عليم بخلقه حكيم في أمره(٣).

٩- قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ قال المفسرون: نزلت في حَيَّيْن من الأنصار كان بينهما قتال بالنعال والأيدي.

قال أبو مالك: اقتتل رجلان فاقتتل حياهما، فاقتتلوا بالنعال والعصي، فأنزل الله ما قد سمعتم(٤)، ونحو هذا قال الحسن(٥) وقتادة(٦) والسدي(٧).

﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَآ﴾ أي: بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضاء بما فيه لهما وعليهما.

وقوله: ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ أي: طلبت ما ليس لها، ولم ترجع إلى الصلح والرضا بحكم الله الذي حكم في كتابه.

قال أبو إسحاق: والباغية: التي تعدل عن الحق وما عليه أئمة

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٣٥.

(٢) ذكر ذلك في «الوسيط» منسوبًا لابن عباس، انظر ٤/ ١٥٣.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٣.

(٤) أخرجه الطبري ١٣/ ١٢٨ عن أبي مالك، وعزاه السيوطي في «الدر» ٧/ ٥٦٠ لسعيد ابن منصور وابن جرير وابن المنذر عن أبي مالك.

(٥) أخرجه الطبري عن الحسن، انظر: «تفسير الحسن» ٢/ ٢٩٦.

(٦) أخرجه الطبري ١٣/ ١٢٩ عن قتادة، ونسبه الماوردي ٥/ ٣٣٠، والبغوي ٧/ ٣٤٠، وابن الجوزي ٧/ ٤٦٣ لقتادة.

(٧) أخرجه الطبري ١٣/ ١٢٨ عن السدي، ونسبه الثعلبي ١٠/ ١٦٤ أ، والماوردي ٥/ ٣٣٠، والبغوي ٧/ ٣٤٠ للسدي.

المسلمين وجماعتهم[(١)].

قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ قال ابن عباس: ترجع إلى طاعة الله[(٢)].

وقال مقاتل: ترجع إلى الصلح الذي أمر الله به[(٣)].

قال أصحابنا: ودلت عليه هذه الآية، على أنه يجب أن يقاتل المارق الباغي المشاقّ لما عليه الأمة[(٤)]، لأن ظاهر الأمر الوجوب، والبغاة الذين يجب قتالهم هم الذين يجتمع لهم أوصاف ثلاثة: الغلبة بالشوكة والقوة، والتأويل المحتمل[(٥)]، والإمام الذين يجتمعون عليه، فهؤلاء يدعون أولاً إلى طاعة الله بالإنذار، والعود إلى طاعة الإمام العادل، فإن أبوا قوتلوا من غير أن يبدأ بالقتال، ولكن إن قصدوا أهل العدل قاتلوهم للدفع، ثم لا يتبع مدبرهم، ولا يجهز على جرحتهم، ونحو ما ذكرنا سار أمير المؤمنين علي ﷺ في أهل البغي[(٦)]، وما أتلف أهل البغي من مال أهل العدل وما

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٥/ ٣٥.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٤.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٢٨، «تفسير البغوي» ٧/ ٣٤٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٣١٧.

(٥) انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٣٤٢.

(٦) أخرجه الحاكم عن أبي أمامة وقال: هذا صحيح الإسناد في هذا الباب، ووافقه الذهبي، انظر: «المستدرك» كتاب: قتال أهل البغي٢/ ١٥٥، وأخرجه البيهقي موقوفًا على علي، انظر: «سنن البيهقي» كتاب: قتال أهل البغي، باب أهل البغي إذا فاءوا لم يتبع مدبرهم ولم يقتل أسيرهم ولم يجهز على جريحهم ولم يستمتع بشيء من أموالهم ٨/ ١٨١. وانظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر ٤/ ٤٣.

أراقوا من دمائهم يجب عليهم الغرامة على الصحيح من مذهب الشافعي، والقود يسقط بالشبهة[(١)].

قوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءَتْ﴾ أي: رجعت الباغية إلى طاعة الله ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ قال ابن عباس: بالديات التي فرضها الله، يعني: أنهم يدون الجرحى والقتلى، وذلك هو الإصلاح بين الفريقين، يؤخذ للعادل من الباغي دية الجراحة والقتل وغرم ما أتلف من المال[(٢)]، ﴿وأقسطوا﴾ واعدلوا في الإصلاح بينهما وفي كل حكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ وذكرنا معنى الإقساط في أول سورة النساء [آية: ٥].

ونزل في هذا أيضاً قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ قال أبو إسحاق: أعلم الله ﷻ أن الدين يجمعهم وأنهم إخوة إذا كانوا متفقين في دينهم، فرجعوا بالاتفاق في الدين إلى أصل النسب لأنهم لآدم وحواء، فإن اختلفت أديانهم افترقوا في النسب وإن كانوا لأب ولأم، ألا ترى أنه لا يرث الولد المؤمن الأب الكافر، ولا الحميم المؤمن نسيبه الكافر[(٣)].

وقوله: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ يعني: بين كل مسلمين تخاصما وتقاتلا.

---

(١) انظر: «أحكام القرآن» للشافعي ١/ ٢٩٢، «إرواء الغليل» للألباني ٨/ ١١٦، والقود: قتل القاتل بالقتيل، تقول: أقدْتُه واستقدتُ الحاكِم، وإذا أتى الإنسان إلى آخر أمرًا فانتقم منه مثلها، قيل: استقادها منه. انظر: «تهذيب اللغة» (قاد) ٩/ ٢٤٨.

(٢) انظر: «أحكام القرآن» للشافعي ١/ ٢٩٣، وكتاب: الأم، حكم أهل البغي في الأموال وغيرها ٤/ ٢٢٠.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٣٦.

وقال الكلبي ومقاتل[١]: نزلت هذه الآية وما قبلها في الأوس والخزرج[٢].

وقال أبو علي الفارسي: اقتتلا بسبب عبد الله بن أبي، وعبد الله بن رواحة[٣][٤]، وعلى هذا قال مقاتل: بين أخويكم: يعني: الأوس والخزرج[٥].

وقال أبو علي الفارسي: يراد بالأخوين الطائفتان ونحوهما مما يكون كثرة، وإن كان اللفظ لفظ التثنية يرد والمراد به الكثرة والعموم[٦]، وذكرنا شواهد ذلك في قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٤، وذكر ذلك الماوردي ٥/ ٣٣٠، ونسبه لمقاتل والكلبي والفراء، انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧١.

(٢) الأوس: بطن من مزيقيا من القحطانية وهم بنو الأوس بن حارثة بن تغلب بن مزيقيا وهم أحد قبيلتي الأنصار، وكان لهم ملك يثرب نزلوها عند خروجهم من اليمن وجاء الإسلام وهم بها، فكانوا أنصارًا للنبي ﷺ. انظر: «نهاية الأرب» للقلقشندي ص ٦٥. الخزرج: بطن من مزيقيا من الأزد غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم الخزرج، وهم المراد عند الإطلاق لهذا الاسم وهم إحدى قبيلتي الأنصار أخوة الأوس ويقال لكليهما بنو قيلة. انظر: «نهاية الأرب» ص ٦٠، «جمهرة أنساب العرب» ص ٣٦٢، «معجم قبائل العرب» ١/ ٣٤٢.

(٣) هو: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري من الخزرج أبو محمد يعد من الأمراء والشعراء الراجزين، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الاثني عشر واستخلفه النبي ﷺ في إحدى غزواته على المدينة، وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة فاستشهد فيها. انظر: «حلية الأولياء» ١/ ١١٨، «الاستيعاب» ٢/ ٢٩٣، «الإصابة» ٢/ ٣٠٦.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٤.

(٦) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ٢٠٩.

وقال أبو عبيدة في قوله: (بين أخويكم): معنى الآيتين يأتي على الجميع إنما تأويله: على كل أخوين[(١)].

وفي قوله: ﴿بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ دليل على أن صفة البغي لا تزيل اسم الإيمان؛ لأن الله تعالى أثبت الأخوة بين المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ثم سَمَّى الباغي والعادل أخوين فقال: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ وجعلهما أخوين للمؤمنين، فالباغي أخو المؤمنين كما أن العادل أخوهم، ونحو هذا قال علي بن أبي طالب ﷺ فيهم لما سأله الحارث[(٢)] الأعور عن أهل الجمل وصفين[(٣)] فقال: أمشركون هم؟ قال: لا، من الشرك فروا[(٤)]. فقال: أهم منافقون؟. قال: لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قال: فما حالهم ؟ قال: إخواننا بغوا علينا[(٥)].

---

(١) لم أقف عليه عند أبي عبيدة، وقد نسبه القرطبي ١٦/ ٣٢٣ لأبي عبيدة.

(٢) هو: الحارث بن عبد الله الأعور الهَمْداني الخارِفِي أبو زهير الكوفي، ويقال: الحارث بن عبيد، ويقال: الحوتي، وحوت بطن من همدان، روى عن علي وابن مسعود وزيد بن ثابت وروى عنه الشعبي وأبو إسحاق السبيعي وأبو البختري الطائي وغيرهم، وهو ضعيف في الحديث، توفي عام ٦٥ هـ. انظر: «ميزان الاعتدال» ١/ ٤٣٥، «تهذيب التهذيب» ٢/ ١٤٥.

(٣) صفين: بكسرتين وتشديد الفاء: هو موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس وكانت وقعة صفين بين علي ﷺ ومعاوية ﷺ في سنة ٣٧هـ، في غرة صفر. انظر: «معجم البلدان» ٣/ ٤١٤.

(٤) قال الفراء: فَرّ فلان يَفِر فِرارًا إذا هَرَب، انظر: «تهذيب اللغة» (فر) ١٥/ ١٧٢، وفي الحديث عنه ﷺ قال لِعديّ بن حاتم: «**ما يُفِرُّكَ إلا أن يقال لا إله إلا الله**» أفْرَرْتُه أفِرَّه: فَعَلْتُ به ما يَفِر منه ويَهْرُب: أي: ما يحملك على الفرار إلا التوحيد. انظر: «النهاية في غريب الحديث» ٣/ ٤٢٧.

(٥) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» عن الحارث عن علي، انظر ١٠/ ١٦٤ أ، ب. وأيضًا ذكره البغوي في «تفسيره» ٧/ ٣٤١، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٣٢٣.

١١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ الآية، قال مقاتل: يقول: لا يستهزئ الرجل من أخيه فيقول: إنك رديء المعيشة، لئيم الحسب، وأشباه ذلك مما يتنقصه به، ولعله خير منه عند الله(١)، وهو قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ ونحو هذا قال مجاهد(٢)، والقوم: الرجال دون النساء، قاله الليث(٣) وأبو العباس(٤)، وأنشد الليث قول زهير:

وما أَدْرِي وسَوْفَ إِخالُ أدْرِي أَقَــوْمٌ آلُ حِـصْــنٍ أم نِـســاءُ(٥)

وعلى هذا تدل الآية لأن الله تعالى فصل بينهما فذكر الرجال بلفظ القوم، ثم ذكر النساء فقال: ﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ يعني اللمز في اللغة: العيب(٦)، ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨]، قال ابن عباس والمفسرون كلهم: لا يطعن بعضكم على بعض(٧) والمعنى: لا تلمزوا إخوانكم الذين هم كأنفسكم كما قال: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٤]، ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النساء: ٢٩]، وقد مر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾ التنابز: تفاعل من النبز، وهو

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٤.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ١٣١ عن مجاهد، وانظر: «تفسير مجاهد» ص٦١١.

(٣) انظر كتاب: العين (قوم) ٥/ ٢٣١، «تهذيب اللغة» (قوم) ٩/ ٣٥٦.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (قوم) ٩/ ٣٥٦، «اللسان» (قوم) ١٢/ ٥٠٥.

(٥) انظر: «ديوان زهير» ص ٧٣، و«العين» (قوم) ٥/ ٢٣١، «تهذيب اللغة» (قام) ٩/ ٣٥٦، «اللسان» (قوم) ١٢/ ٥٠٥.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (لمز) ١٣/ ٢٢٠.

(٧) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٣٢ عن ابن عباس، ونسبه الماوردي ٥/ ٣٣٢ لابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير، وأيضًا نسبه إلى هؤلاء القرطبي ١٦/ ٣٢٧.

المصدر والنبز الاسم، وهو كاللقب. قال المبرد: ويقال: لبني فلان نبز يعرفون به إذا كان لقباً متابعاً[(١)]، والألقاب جمع اللقب وهو اسم غير الذي سمي به الإنسان، قاله الليث، يقال: لقبت فلاناً تلقيباً[(٢)].

قال عكرمة والحسن ومجاهد وقتادة: وهو أن يقول المسلم لأخيه المسلم يا فاسق يا منافق[(٣)].

وقال المقاتلان: لا تدعوا مسلماً بغير اسم أهل دينه، وهو أن تقول: يا يهودي يا نصراني، تدعوه بالدين الذي كان عليه في الشرك، نهاهم الله أن يتنابزوا بذلك[(٤)].

وروي عن طلحة بن عمرو أنه قال: قلت لعطاء: يا أبا محمد ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾ ما هذا الذي نهى عنه؟ قال: كل شيء أخرجت به أخاك من الإسلام، يا كلب يا حمار يا خنزير ونحو هذا[(٥)]، فهذا الذي نهي عنه. وقال إبراهيم: كانوا يقولون: إذا قال الرجل للرجل: يا حمار يا كلب يا خنزير، قال الله له يوم القيامة: أتراني خلقته كلباً أو حماراً أو خنزيراً[(٦)].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: كتاب «العين» (لقب) ٥/ ١٧٢، «تهذيب اللغة» (لقب) ٩/ ١٧٧.

(٣) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٣١- ١٣٢ عن عكرمة ومجاهد وقتادة، ونسبه الثعلبي لقتادة وعكرمة ١٠/ ١٦٦ أ، ونسبه القرطبي ١٦/ ٣٢٨ لقتادة ومجاهد والحسن.

(٤) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٣٢ عن الحسن، وانظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٥، ونسب القرطبي ١٦/ ٣٢٨ هذا القول للحسن ومجاهد.

(٥) ذكر ذلك البغوي ٧/ ٣٤٤ ونسبه لعطاء، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٧/ ٥٦٤ لعبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٥٥ لعطاء.

(٦) لم أقف عليه.

وقال الشعبي: قال أبو جبيرة[١] بن الضحاك: قدم علينا رسول الله ﷺ المدينة [وليس له رجل[٢] إلا وله اسمان] أو ثلاثة وكان رسول الله ﷺ يدعو الرجل فيقول: يا فلان، فيقال: يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم، قال: ففينا أنزل الله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[٣]، وهذا كما قال أبو إسحاق في هذه الآية: يحتمل أن يكون في كل لقب يكرهه الإنسان؛ لأنه إنما يجب أن يخاطب المؤمن أخاه بأحب الأسماء إليه[٤]، والقول في هذا النهي هو أن يسميه باسم يضاد الإسلام والإيمان؛ لقوله: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ قال أبو إسحاق: أي: بئس الاسم أن يقول له: يا يهودي يا نصراني، وقد آمن[٥].

وقال غيره: معنى هذا: أن من دعا أخاه بلقب يكرهه لزمه اسم الفسق لمخالفة النهي، والله تعالى يقول ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ من فعل

---

(١) هو: زيد بن جبيرة بن محمد بن أبي جبيرة بن الضحاك الأنصاري أبو جبيرة المدني، روى عن: أبيه ويحيى بن سعيد الأنصاري وأبي الطوالة، وعنه: سويد بن عبد العزيز ويحيى بن أيوب والليث ونافع بن يزيد، قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث. انظر: «ميزان الاعتدال» ٢/ ٩٩، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٤٠٠.

(٢) نص العبارة في تفسير الثعلبي: (وما منا رجل إلا له اسمان...) وهو الأصوب. انظر ١٠/ ١٦٦ أ.

(٣) أخرجه الترمذي عن أبي جبيرة، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، انظر: «سنن الترمذي» كتاب: تفسير القرآن باب (٥٠) ومن سورة الحجرات ٥/ ٣٨٨، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ١٢/ ٢٥٣، وقال حسين سليم أسد محقق «المسند»: إسناده صحيح.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٣٦.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٣٦.

ما نهى الله عنه من السخرية واللمز والنبز فسق بذلك[١]، ويدل على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ أي: من هذه الأشياء ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد: من لم يتب فهو ظالم[٢].

١٢- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ وهو أن يظن بأخيه المسلم سوءاً [كأنه][٣] سمع منه كلاماً لا يريد به سوءاً، أو رآه يدخل مدخلاً لا يقصد به سوءًا، فظن به سوءاً، فذلك الظن هو المأمور باجتنابه، ولا بأس به ما لم يتكلم به، فإن تكلم بذلك الظن وأبداه أثم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ يعني: ما أعلن وأبدى مما ظن بأخيه، هذا قول المقاتلين[٤].

وقال أبو إسحاق: أمر الله باجتناب كثير من الظن وهو أن يظن بأهل الخير سوءاً، فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم[٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ قال الليث: الجَسُّ: جَسُّ الخَبَر، والجَاسُوسُ: العينُ يَتَجَسَّسُ الأخبار، والتجسس: البحث[٦].

---

(١) ذكر نحو ذلك الطبري في «تفسيره» ١٣/ ١٣٣- ١٣٤، والبغوي في «تفسيره» ٧/ ٣٤٤، والقرطبي في «الجامع» ١٦/ ٣٢٨.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٧/ ٤٦٩ عن ابن عباس: بلفظ: (الضارون لأنفسهم بمعصيتهم).

(٣) كذا في الأصل، ولعلها: (لأنه).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٦، «تفسير الماوردي» ٥/ ٣٣٤، وقد نسبه لمقاتل بن حيان، ونسبه في «الوسيط» للمقاتلين، انظر ٤/ ١٥٥.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٣٦ - ٣٧.

(٦) انظر كتاب: العين (جسس) ٦/ ٥، «تهذيب اللغة» (جسس) ١٠/ ٤٤٨.

وقال يحيى بن أبي كثير: التجسس البحث عن باطن أمور الناس، وأكثر ما يقال ذلك في الشر[١]، قال المقاتلان: يقول لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه إذ ستره الله عليه[٢]، وهذا معنى قول ابن عباس: يريد: لا تجسسوا من عيوب الناس[٣]، وقال مجاهد: يقول: خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله[٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ يقال: اغتاب فلان فلاناً اغتياباً وغيبة يغتابه، قال الأزهري: وروي عن بعضهم أنه سمع: غابه يغيبه، إذا عابه وذكر منه ما يسوؤه مما هو فيه[٥]، وإذا تناوله بما ليس فيه فهو بهت وبهتان، وهذا قول جميع المفسرين[٦].

وروي ذلك عن النبي ﷺ قال: **«من ذكر رجلاً بما فيه فقد اغتابه، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته»**[٧].

---

(١) ورد هذا القول في «اللسان» غير منسوب، انظر: «اللسان» (جسس) ٦/ ٣٨، وأورد نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» منسوبًا ليحيى بن أبي كثير ٧/ ٤٧١.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٦، وذكر هذا المعنى في «الوسيط» ٤/ ١٥٦ ولم ينسبه.

(٣) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٣٥ عن ابن عباس.

(٤) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (غيب) ٨/ ٢١٥.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١٣٥، «الثعلبي» ١٠/ ١٦٨ أ، «الماوردي» ٥/ ٣٣٤، «زاد المسير» ٧/ ٤٧١، «القرطبي» ١٦/ ٣٣٤، «تفسير الوسيط» ٤/ ١٥٦.

(٧) أخرج ذلك مسلم عن أبي هريرة بلفظ: «أتدرون ما الغيبة ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته». انظر: صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب (٢٠) تحريم الغيبة ٣/ ٢٠٠١، وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة، انظر: «سنن الترمذي» كتاب: البر والصلة باب (٢٣) ما=

قال مقاتل: ثم ضرب للغيبة مثلاً فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ بقوله، فكما كرهتم أكل لحم الميت، فكذلك فاكرهوا الغيبة لإخوانكم[١].

وقال أبو إسحاق: تأويله: إن ذِكْرَكَ بسوء من لم يحضرك بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك، ويقال للمغتاب: فلان يأكل لحوم الناس[٢].

وهذا استفهام معناه: التقرير، كأنه قيل لهم: لم تحبون أكل لحم أخيكم ميتاً؟ وعطف قوله (فكرهتموه) على معنى لفظ الاستفهام[٣]، كما قال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ﴾ [الشرح: ١، ٢] فقوله: ﴿ووضعنا﴾: عطف على معنى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ لا على لفظه، ألا ترى أنه لا يقال: ألم وضعنا، ولكن معنى (ألم نشرح) لا على لفظه ولكن معنى (ألم نشرح) قد شرحنا، فعطف على معناه، كذلك هذه الآية، قاله المبرد[٤] وقال الفراء: قوله: فكرهتموه أي: فقد كرهتموه فلا تفعلوه[٥].

قال صاحب «النظم»: التأويل: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً

= جاء في «الغيبة» ٤/ ٣٢٩، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب: الأدب باب (٤٠) في الغيبة ٥/ ١٩١، عن أبي هريرة، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٣٧ عن أبي هريرة.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٦.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٣٧.

(٣) انظر: «روح المعاني» للألوسي ٢٦/ ١٥٨.

(٤) لم أقف عليه، وقد ذكر قريبًا من هذا النحاس في «إعراب القرآن» ٤/ ٢١٥.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٣.

وقد كرهتم ذلك، أي: فاكرهوا الغيبة أيضاً، فإنها مثل أكلكم لحوم أخوانكم[١].

وقال مجاهد: لما قيل لهم (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً؟)، قالوا: لا، فقيل: فكرهتموه أي: فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائباً[٢]، وشرح أبو علي الفارسي هذا الوجه فقال: الفاء في قوله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ عطف على المعنى، كأنه لما قيل لهم: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً، قالوا: لا، فقيل لهم لما قالوا لا: فكرهتموه، أي: كرهتم أكل لحمه ميتاً، فكذلك فاكرهوا غيبته[٣].

قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ معطوف على هذا الفعل المقدر، ولا يكون قوله (فكرهتموه) بمعنى فاكرهوه واتقوا الله؛ لأن لفظ الخبر لا يوضع للأمر في كل موضع، ولأن قوله فكرهتموه محمول على المعنى الذي ذكرنا، فمعنى الخبر فيه صحيح[٤].

قال مقاتل: واتقوا الله في الغيبة ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على من تاب ﴿رحيم﴾ به[٥].

١٣- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ نزلت هذه الآية في الزجر عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء، وسبب

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرج نحوه الطبري ١٣/١٣٧ عن مجاهد، وانظر: «تفسير مجاهد» ص ٦١٢، وأورده البغوي ٧/٣٤٦ بهذا النص.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/٢١٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/٩٦.

نزولها على ما ذكره الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أن ثابت بن قيس بن شماس كان في أذنه وقر، وكان إذا أتى رسول الله ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع ما يقول، فأتى ذات يوم وقد أخذ الناس في مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس، فقال لرجل: تفسح، فقال: قد أصبت مجلساً فاجلس، فجلس مغضباً، ثم قال للرجل: من أنت؟ قال: أنا فلان، فقال له ثابت: ابن فلانة، وذكر أماً له كان يعير بها في الجاهلية، فنكس الرجل رأسه واستحيا، فقال رسول الله ﷺ: «**من الذاكر فلانة**» فقام ثابت فقال: أنا يا رسول الله، فقال: «**انظر في وجوه الناس**» فنظر إليهم، فقال: «**ما رأيتَ**» قال: رأيتُ أبيض وأسود وأحمر، قال: «**فإنك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى**» وأنزل الله في ثابت هذه الآية[١].

وقال مقاتل: نزلت في بلال المؤذن وفي أربعة نفر من قريش عابوه بسواده يوم فتح مكة، وذلك أن رسول الله ﷺ أمره أن يؤذن على ظهر الكعبة ليذل المشركين بذلك، فلما أذن قالوا: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً[٢]، فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ يعني: آدم وحواء، والمعنى: أنكم متساوون في النسب، ليس يفضل أحد غيره بنسبه؛ لأن كلكم مخلوق من آدم وحواء، ترجعون بالنسب إليهما،

(١) ذكره الثعلبي ١٠/ ١٦٥ أ عن ابن عباس ١٠/ ١٦٥ أ، وأورده الماوردي في «تفسيره» ٥/ ٣٣٣ مختصرًا ونسبه للكلبي والفراء، ونسبه البغوي ٧/ ٣٤٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤٦٥ لابن عباس، وذكره المؤلف في «أسباب النزول» بدون سند ص ٤١٥.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٦، «الدر المنثور» ٧/ ٥٦٣ وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وذكره البغوي ٧/ ٣٤٣، والقرطبي ١٦/ ٣٤١.

كما قال رسول الله ﷺ: «**كلكم بنو آدم وكلكم بنو رجل واحد كطف الصاع**»[١].

ثم ذكر الله تعالى أنه إنما فرق أنساب الناس ليتعارفوا لا ليتفاخروا فقال: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا﴾ وهي: جمع الشعب وهو الحي العظيم، والقبائل دون ذلك، وهذا قول أبي عبيدة[٢] والفراء[٣] وجميع أهل اللغة[٤] قالوا: الشعب أعظم من القبيلة، وهي مثل مضر[٥] وربيعة[٦]، والقبائل: واحدتها قبيلة وهم كـ (بكر)[٧] من ربيعة وتميم من مضر، وأصل الشعب مأخوذ من:

---

(١) نص الحديث: «**إن الله أذهب نخوة الجاهلية وتكبرها بآبائها كلكم لآدم وحواء، كطف الصاع بالصاع، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم فمن أتاكم، ترضون دينه وأمانته فزوجوه**» انظر: «الدر المنثور» ٧/ ٥٧٩، وأخرج نحوه الطبري ١٣/ ١٤٠ عن عقبة بن عامر، قال أبو عبيد: الطف هو أن يقرب الإناء من الامتلاء من غير أن يمتلئ، يقال: هو طف المكيال وطفافه، إذا كرب أن يملأه، ومنه التطفيف في الكيل إنما هو نقصانه أي لم يملأ إلى شفته إنما هو إلى دون ذلك. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد الهروي ١/ ٤٢٥، و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير ٣/ ١٢٩.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٢٢٠.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٢.

(٤) انظر (شعب) في: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٤٢، و«الصحاح» ١/ ١٥٥، «اللسان» ١/ ٤٩٧.

(٥) مضر: قبيلة من العدنانية، وهم بنو مضر بن معد بن عدنان، قال في «العبر»: وكانت مضر أهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر بني عدنان، وكانت لهم الرياسة بمكة والحرم، انظر: «نهاية الأرب» ص ٣٧٧.

(٦) ربيعة: حي من مضر من العدنانية، وهم بنو ربيعة بن نزار بن مضر، وتعرف بربيعة الحمرا، قال في العبر: وديارهم ما بين اليمامة والبحرين والعراق، انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص ٢٩٢، «نهاية الأرب» ص ٢٤٢.

(٧) بنو بكر: بطن من ربيعة من العدنانية، وهم بنو بكر القحطانية، وهم بنو بكر بن عامر ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات. انظر: «نهاية الأرب» ص ١٧٠.

شعبت الشيء إذا ضممته وأصلحته[١]، والقبائل مأخوذ من قبائل الرأس، وهي كل فلقة قد قوبلت بالأخرى، وكذلك قبائل العرب بعضها متصل ببعض، والشعوب يجمعها ويضمها، هذا قول الليث وأبي العباس في معنى الشعب والقبيلة[٢].

ونحو هذا ذكر أبو الهيثم فقال: الشعب شعب الرأس، يعني: شأنه الذي يضم قبائله، وفي الرأس أربع قبائل[٣]، والشعب أبو القبائل الذي ينتسبون إليه ويجمعهم ويضمهم، ونحو هذا قال المفسرون في تفسير الشعوب والقبائل.

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: الشعوب الجمهور مثل: ربيعة ومضر والقبائل والأفخاذ[٤]، ونحو هذا روى الكلبي[٥] عنه.

وقال مقاتل: الشعوب رؤوس القبائل مضر وربيعة والأزد، وقبائل يعني: الأفخاذ سعد وبنو عامر[٦].

قال الزبير بن بكار[٧]: العرب على ست طبقات وهي: شعب،

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (شعب) ١/ ٤٤٣.

(٢) انظر (شعب) في: «العين» ١/ ٢٦٢، «تهذيب اللغة» ١/ ٤٤٢، «اللسان» ١/ ٥٠٠.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (شعب) ١/ ٤٤٢، «اللسان» (شعب) ١/ ٤٩٨.

(٤) أخرجه الطبري ١٣/ ١٣٩ عن سعيد بن جبير، ونسبه القرطبي ١٦/ ٣٤٤ لابن عباس.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص ٥١٧.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٧.

(٧) هو: الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام ابن خويلد أبو عبد الله الأسدي المديني العلامة، عالم بالأنساب وأخبار العرب، ولد بالمدينة، وولي قضاء مكة، فتوفي فيها، له تصانيف منها «أخبار العرب وأيامها»، و«نسب قريش وأخبارها»، و«الأوس والخزرج»، وغيرها، مات سنة=

وقبيلة، وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة[(١)]، فالشعب يجمع القبائل، والقبائل تجمع العمائر، والعمائر تجمع البطون، والبطون تجمع الأفخاذ، والأفخاذ تجمع الفصائل[(٢)]، فمضر شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة[(٣)].

وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد بالشعوب: الموالي، وبالقبائل: العرب[(٤)]، وإلى هذا ذهب قوم فقالوا: الشعوب من العجم وهم من لا يعرف لهم أصل نسب كالهند والجيل والترك[(٥)]، والقبائل من العرب.

قوله تعالى: (لتعارفوا) أي: ليعرف بعضكم بعضاً في قرب النسب وبعده، ثم أعلمهم أن أرفعهم عنده منزلة أتقاهم فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، وقال مقاتل: يعني: بلالاً[(٦)] أخبر أن أتقاهم بلال، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ﷻ يقول يوم القيامة إني جعلت نسباً فجعلت أكرمكم أتقاكم، وأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان، وأنا اليوم أرفع**

= ٢٥٦ هـ، وعمره ٨٤ سنة. انظر: «تاريخ بغداد» ٨/ ٤٦٧، «ميزان الاعتدال» ٢/ ٦٦، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٣١٢.

(١) انظر: «اللسان» (شعب) نسب ذلك للزبير بن بكار ١/ ٥٠٠.

(٢) انظر: «اللسان» (شعب) ١/ ٥٠٠ - ٥٠١.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٧٠، ١٧١، «تفسير البغوي» ٧/ ٣٤٨، «البحر المحيط» ٨/ ١٠٤.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠/ ١٧١ أ، ولم ينسبه، والبغوي ٧/ ٣٤٨ من غير نسبة، ونسبه ابن الجوزي ٧/ ٤٧٤ لعطاء عن ابن عباس، وذكره القرطبي ١٦/ ٣٤٤ من غير نسبة، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٥٨ لعطاء عن ابن عباس.

(٥) ذكر ذلك القرطبي ١٦/ ٣٤٤ ونسبه للقشيري، وذكره المؤلف في «الوسيط» ٤/ ١٥٨ ولم ينسبه.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٧.

نسبي وأضع أنسابكم، أين المتقون أين المتقون؟»[(١)].

وقال أهل العلم: هذا في الزجر عن الازدراء بالناس والتحقير لهم لأجل النسب والاستطالة على من يكون حاصل[(٢)] النسب والتفاخر بالآباء والأجداد، فأما اعتبار النسب في الكفاءة فإن ذلك متفق عليه، والأصل فيه شيئان: نسب يتصل برسول الله ﷺ، أو سبب ثان وهو العلم الموروث عنه ﷺ، وقد نبه على هذا بقوله: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي**»[(٣)]، فأما نسب الأمراء والوزراء والرؤساء والظلمة، فذلك مما لا يشترط في الكفاءة، والتقوى تشترط كما يشترط أصل الدين.

١٤- قوله: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ نزلت في بني أسد بن خزيمة[(٤)]، أتوا النبي ﷺ في سنة جدبة وأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر، إنما أتوا يطلبون الصدقة، هذا قول ابن عباس

---

(١) أخرج ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٧١ ب عن أبي هريرة، وأورده السمرقندي في «تفسيره» ٣/ ٢٦٦ ولم ينسبه، وأورده القرطبي في «الجامع» ١٦/ ٣٤٥ ونسبه لأبي هريرة، وأخرجه الحاكم عن أبي هريرة وقال: هذا حديث عال غريب الإسناد والمتن ولم يخرجاه، وقال الذهبي: غريب، قلت: المخزومي ابن زبالة ساقط. انظر: «المستدرك» كتاب التفسير، سورة الحجرات ٢/ ٤٦٣ - ٤٦٤.

(٢) كذا رسمها في الأصل.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٤/ ٣٢٣ من حديث المسور بن مخرمة.

(٤) هم: بنو أسد حي من بني خزيمة من العدنانية وهم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة وكان لأسد هذا من الولد: دودان، وكاهل، وعمرو، وصعب، وحلمة، قال في العبر: وهم بطن كبير متسع وذو بطون قال وبلادهم مما يلي الكرخ من أرض نجد في مجاورة طي، قال: ويقال: إن بلاد طي كانت لبني أسد فلما خرج بنو طي من اليمن غلبوا على سلمى وأجا، وقد تفرقوا بعد ذلك في الأقطار ولم يبق لهم حي. انظر: «نهاية الأرب» للقلقشندي ص ٤٧.

ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير[١]، وقالوا: المراد بالأعراب هاهنا بنو أسد.

وقال السدي ومقاتل: يعني: الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ عام الحديبية[٢]، وقد ذكرناهم في سورة الفتح، وهؤلاء كانوا قد أظهروا كلمة الإسلام ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم من سرايا رسول الله ﷺ التي كانت تمر بهم، والمعنى: أنهم يقولون: قد صدقنا بما جئت به، ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ لم تصدقوا ﴿وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾، قال ابن عباس: أقررنا بالإيمان[٣].

وقال مقاتل ومجاهد وقتادة: انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي[٤]، ثم بين أن الإيمان محله القلب لا اللسان بقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

قال أبو إسحاق: والإسلام: إظهار الخضوع وقبول ما أتى به النبي ﷺ، وبذلك يحقن الدم، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان، وصاحبه المؤمن المسلم حقاً، وأما من أظهر قبول الشريعة

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ١٤١ عن مجاهد، وذكره الثعلبي ١٠/ ١٧٢أ ولم ينسبه، وأخرجه النسائي عن سعيد بن جبير، انظر: «السنن الكبرى» كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ ٦/ ٤٦٧، وذكره البغوي ٧/ ٣٤٩ ولم ينسبه، ونسبه ابن الجوزي ٧/ ٤٧٥ لمجاهد، وذكره القرطبي١٦/ ٣٤٨ ولم ينسبه، ونسبه أبو حيان في «البحر المحيط» ٨/ ١١٦ لمجاهد، وذكره المؤلف في «أسباب النزول» ص ٤١٩ ، و«الوسيط» ٤/ ١٥٩ - ١٦٠ من غير إسناد.

(٢) ذكره الثعلبي ١٠/ ١٧٢ أ، والبغوي ٧/ ٣٥٠ ، وابن الجوزي ٧/ ٤٧٦، والقرطبي ١٦/ ٣٤٨ ونسبوه للسدي، وانظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٧.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٨، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٤٢ عن مجاهد وسعيد بن جبير.

واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم، والإيمان لابد أن يكون صاحبه صديقاً؛ لأن قولك: آمنت بكذا، معناه: صدقت به، وقد أخرج الله هؤلاء من الإيمان فقال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: لم تصدقوا إنما أسلمتم تعوذاً من القتل، والمسلم الذي أظهر الإسلام تعوذاً غير مؤمن في الحقيقة، إلا أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين. انتهى كلامه(١).

ومعنى الإيمان والإسلام وحقيقتهما في اللغة قد سبق ذكره في سورة البقرة.

قوله: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قال ابن عباس: تخلصوا الإيمان(٢)، ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ وقرأ أبو عمرو: (لا يألتكم) من ألت، وهما لغتان(٣)، قال أبو زيد: قالوا: ألته السلطان حَقّه يألته ألتًا، مثل: ضربه يضربه ضرباً إذا نقصه، قال: وقوم يقولون: لات يلت، وحكى التوزي(٤): في ألت آلت يولت إيلاتاً(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٣٨.

(٢) ذكر ذلك البغوي ٧/ ٣٥٠ عن ابن عباس، وابن الجوزي ٧/ ٤٧٧ عن ابن عباس، والقرطبي ١٦/ ٣٤٨ من غير نسبة.

(٣) قراءة أبي عمرو: من ألتَ يألِتُ ألتا، مثل: ضرب يضرب ضربًا، وقرأ الباقون: يَلِتكم، من لات يَلِيتُ، إذا نقص، انظر: «الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ٢/ ٢٨٤، «حجة القراءات» لابن زنجلة ص ٦٧٦.

(٤) هو: عبد الله بن محمد بن هارون التوزي أبو محمد مولى قريش من أكابر أئمة اللغة، قال السيرافي: قرأ على الجرمي «كتاب» سيبويه، وكان أعلم من الرياشي والمازني وأكثرهم رواية، عن أبي عبيدة، وقد قرأ أيضًا على الأصمعي وغيره، صنف كتاب: الخيل والأمثال والأضداد، مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين. انظر: «بغية الوعاة» للسيوطي ٢/ ٦١، «أخبار النحويين والبصريين» ص ٨٥.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (لات وولت) ١٤/ ٣٢١، «المحتسب» لابن جني ٢/ ٢٩٠، «البحر المحيط» ٨/ ١٠٤- ١٤٩، «زاد المسير» ٧/ ٤٧٧.

وحكى الزجاج في لات: ألات يُلِيْتُ، فاجتمع أربع لغات: أَلَتَ وآلَتَ ولاَتَ وألاَتَ، كلها معناها النقصان، وحجة أبي عمرو قوله: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ [الطور: ٢١] فالبناء مضارعه يألتكم، وحجة الباقين خط المصحف، قال أبو إسحاق: والمعنى فيهما واحد[١].

قال ابن عباس ومقاتل: لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً[٢]، ثم نعت المؤمنين الصادقين في إيمانهم فقال:

١٥- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ قال مقاتل: لم يشكوا في دينهم بعد الإيمان[٣]، أي: لم يشكوا في وحدانية الله ونبوة محمد عليه السلام.

﴿وجاهَدوا في سبيل الله﴾[٤] قال أبو إسحاق: هو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه[٥]، والجهاد مع النبي ﷺ كان فرضاً في ذلك الوقت[٦].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم، قال المفسرون: فلما نزلت الآيتان أتوا رسول الله ﷺ يحلفون أنهم مؤمنون صادقون، وعرف الله غير ذلك منهم[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٣٩.

(٢) ذكر هذا الثعلبي ١٠/ ١٧٣ أ، والبغوي ٧/ ٣٥٠، والقرطبي ١٦/ ٣٤٨ ولم ينسبوه، وانظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٨، ونسبه في «الوسيط» ٤/ ١٦٠ لابن عباس ومقاتل.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٤/ ٩٩.

(٤) كذا في الأصل وقد سقط (بأموالهم وأنفسهم).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٣٨.

(٦) انظر: «زاد المسير» ٧/ ٤٧٧.

(٧) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ١٧٣ب، البغوي في «تفسيره» ٧/ ٣٥١، السمرقندي في «تفسيره» ٣/ ٢٦٧.

١٦- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أي: الذي أنتم عليه، وهذا يحمل على أحد وجهين: إما أن تكون الباء زائدة ويكون المعنى: أتعلمون الله دينكم؛ لأنه يقال: علمته الشيء، أو يحمل على أن علم ها هنا بمعنى أعلم، ذكر ذلك أبو العباس عن ابن الأعرابي قال: يكون علم بمعنى علم[(١)] قال: ومنه قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقد مر.

قال المفسرون: وكان هؤلاء النفر يقولون لرسول الله ﷺ جئناك بالعيال والأثقال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، يمنون عليك بذلك، فأنزل الله:

١٧- ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾[(٢)] الآية، والمن الذي معناه: اعتداد الصنيعة يُعدَّى بالجار يقال: مَنَّ عليه بكذا، وحذف الجار في هذه الآية من المواضع الثلاثة.

قال الفراء في قوله: ﴿أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ و﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ﴾: موضعها نصب لا بوقوع الفعل، ولكن بسقوط الصفة[(٣)].



---

(١) ذكر ذلك في «تفسير «الوسيط» ٤/ ١٦١.

(٢) أخرج ذلك الطبري عن سعيد بن جبير وقتادة، انظر: «تفسيره» ١٣/ ١٤٥، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١١٢: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه الحجاج ابن أرطاة، وهو ثقة ولكنه مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح، وأورده السيوطي في «أسباب النزول» وعزاه للطبراني والبزار، انظر: «أسباب النزول» ص١٩٩.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٤ .

التَّفْسِيرُ البَسِيطْ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمَّد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

من أول سورة ق إلى آخر سورة الطور

تحقيق

د. فاضل بن صالح بن عبدالله الشهري

تفسير سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

١- (ق) اختلفوا في تأويله. فأكثر المفسرين قالوا: إنه جبل محيط بالدنيا من زَبَرْجَد، والسماء مقببةٌ عليه، وهو من وراء الحجاب التي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة، وما بينهما ظلمة. وهذا قول مقاتل، وابن بريدة، وعكرمة، والضحاك، ومجاهد، ورواية عطاء، وأبي الجوزاء عن ابن عباس. قال الفراء: على هذا القول: كان يجب أن يظهر الإعراب في قاف؛ لأنه اسم وليس هجاء. ثم قال: ولعل القاف وحدها ذكرت من اسمه كما قال:

قلتُ لها قِفِي فَقَالَتْ قَافْ[1]

قال: ذكرت قاف أرادت الوقف، أي أنا واقفة[2]. وقال قتادة: قاف

---

(١) بيت للوليد بن عقبة بن أبي معيط، وبعده: (لا تحسبينا قد نسينا الإيجاف) والإيجاف: هو العدو. والشاهد فيه قوله (فقالت قاف) والمراد: فقالت إني واقفة أو أقف.
انظر: «الأغاني» للأصفهاني ٤/ ١٨١، «الخصائص» لابن جني ١/ ٣٠، «شرح شواهد الشافية» ص٢٧١، «الكتاب» لسيبويه ٢/ ٦٢، «المحتسب» لابن جني ٢/ ٢٠٤.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٥.

اسم من أسماء القرآن[(١)]. وروى خصيف عن مجاهد قال: قاف فاتحة السورة[(٢)] .وهذا مذهب أهل اللغة. قال أبو عبيدة: مجازها مجاز أوائل السور[(٣)]. يعني: مجاز الحروف التي في أوائل السور نحو ﴿ن﴾ [القلم: ١] و﴿الَر﴾ [الحجر: ١] و﴿الم﴾ [لقمان: ١] واختاره الزجاج وقال: هو ابتداء للسورة، يعني أن السورة افتتحت بهذا الحرف، كما افتتحت سائر السور التي ابتدئ فيها بحروف الهجاء[(٤)]. وحكى الفراء، وأبو إسحاق أن قومًا من أهل اللغة قالوا معنى (ق) قضي الأمر، أو قضي ما هو كائن كما قيل في (حم) حمَّ الأمر. واحتجوا بقول الشاعر[(٥)]:

قلنا لها قِفِي فَقَالَتْ قَافْ

معناه: قالت: أقف[(٦)].

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٣٤، «جامع البيان» للطبري ٢٦/ ٩٣، «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ١٧/ ٣.

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٢١، حيث قال: «والذي ثبت عن مجاهد أنه حرف من حروف الهجاء كقوله تعالى: (ص)، (ن)، (حم)، (طسم)، (الم) ونحو ذلك، فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا القول هو المرجح عند ابن كثير وغيره.
وانظر: «تفسير القاسمي» ١٥/ ٥٤٨٢.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٢.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٤١.

(٥) تقدم في الصفحة السابقة.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٥، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤١.
وقد رد ابن كثير رحمه الله هذا القول، لأن الحذف في الكلام إنما يكون إذا دل دليل عليه، ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف. انظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٢١.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ قال المفسرون: الكريم على الله الكثير الخير. وذكرنا معنى المجيد[(١)] في سورة هود[(٢)]. واختلفوا في جواب القسم، فقال الأخفش: جوابه ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ﴾ [ق: ٤][(٣)].

قال الزجاج: ويكون المعنى: ق والقرآن المجيد لقد علمنا ما تنقص الأرض منهم. وحذفت اللام؛ لأن ما قبلها عوض منها كما قال ﷻ: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١] إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [الشمس: ٩][(٤)]. وقال الفراء: جواب القسم محذوف يدل عليه قوله: ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ [ق: ٣] والمعنى: ق والقرآن المجيد لتبعثن بعد الموت، فقالوا: أإذا كنا ترابًا بعثنا، فجحدوا البعث. واختار الزجاج هذا القول أيضًا[(٥)].

وذهب كثير من الناس إلى أن الجواب قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ﴾[(٦)]. وقد

= قلت: وما ذكره ابن كثير هو المرجح، وسيأتي زيادة بيان في أول سورة القلم. والله تعالى أعلم.

(١) (ك): (المجيد. والمجيد).

(٢) عند تفسيره لآية (٧٣) من سورة هود، حيث قال: المجيد الماجد وهو ذو الشرف والكرم. يقال: مجد الرجل يمجد مجدًا ومجدادةً، ومجد يمجد. لغة قال الحسن والكلبي: المجيد الكريم، وهو قول أبي إسحاق. وقال ابن الأعرابي: المجيد الرفيع. قال أهل المعاني: المجيد الكامل الشرف والرفعة والكرم والصفات المحمودة.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٩٦.

(٤) وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٢.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٥، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤١، «مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٦٨٢.

(٦) قاله نحاة الكوفة. انظر: «الجامع» للقرطبي ١٧/ ٣، «البحر المحيط» ٨/ ١٢٠.

ذكرنا الكلام في هذا مستقصى عند قول: ﴿صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[١]. ونظم ابتداء هذه السورة شبيه بنظم ابتداء سورة ص.

٢- قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ مفسَّر في سورة ص[٢]. قوله: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ قال مقاتل: يعنون هذا الأمر عجب أن يكون محمد رسولاً[٣]. والعجيب يعني المُعْجِب، وهو الذي يحملك على العجب.

وقال الليث: يقال إنه عجب وعجاب، ويقال: هذا شيء عجب وعجاب[٤]، على معنى أنه ذو عجب أي: يعجب منه. وقوله: ﴿فَقَالَ

---

(١) عند تفسيره للآيتين (١، ٢) من سورة ص وقد ذكر ستة أقوال في جواب القسم في قوله تعالى: ﴿صٓۚ * وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ وهي:
١- حكى الكسائي والفراء والزجاج أن جواب القسم: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ ثم نقل استبعاد الكسائي والفراء له.
٢- أن يكون قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ اعترض بين القسم وجوابه: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ومعناه: لكم أهلكنا. فلما طال الكلام المعترض بينهما حذفت اللام.
٣- أن يكون قوله: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾.
٤- أن موضع القسم: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كما قال: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوٓاْ﴾.
٥- أن يكون لـ(ص) معنى يقع عليه القسم لا نعرفه كقولك: الحق والله.
٦- الجواب محذوف تقديره: والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول هؤلاء الكفار. قال الواحدي: وهو قول حسن. انظر: «البسيط» ٣/ ٢٠٤ أ.

(٢) عند تفسيره لآية (٤) من سورة: ص ومما قال: قال «صاحب النظم»: هذا منظوم بقوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ لأنه مسوق عليه بالواو.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٣ ب.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري ١/ ٣٨٦، «اللسان» ٢/ ٦٨٨ (عجب). وفي (ك): (عجب وعجيب).

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وقال في سورة ص: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [ص: ٤] بالواو وهاهنا بالفاء. ذكر صاحب النظم أن في سورة (ص) قراءة: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [ص: ٤] خبران:

أحدهما قوله: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ فهذا خبر تام.

ثم نسق عليه خبر آخر فقال: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ أخبر عنهم بالعجب وبقولهم: ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾. وفي هذه السورة عطف بالفاء، لأن الآية كلها خبر واحد، والعجب سبب لقولهم: ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ لأنهم عجبوا فقالوا: هذا شيء عجيب، كما تقول: قام فمرَّ. جعلت القيام سببًا للمرور. ولو قلت: قام ومر. كنت قد أخبرت عنه بشيئين ولم تجعل الأول سببًا للثاني، يدل على أن الآية في هذه السورة خبر واحد. قوله: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ فهذا من جنس قوله: ﴿وَعَجِبُوٓاْ﴾ وقال في سورة ص: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ وهذا ليس من جنس عجبوا[1].

٣- قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ قال أبو إسحاق: أي أنُبْعث إذا متنا وكنا ترابًا. ولو لم يكن[2] لإذا متعلق، لم يكن في الكلام فائدة[3].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ الرجع معناه الرد. قال الله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة: ٨٣] وقد مر[4].

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٢٨/ ١٥١.

(٢) (ك): (ولم لم يكن) والصواب ما أثبته.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٢.

(٤) قال: معنى الرجع تصيير الشيء إلى المكان الذي كان فيه. يقال رجعته رجعًا كقولك: رددته ردًا.

قال مقاتل: ذلك رجع إلى الحياة بعيد، فإن البعث غير كائن[١].

أي: يبعد عندنا أن نبعث بعد الموت. قال الفراء: جحدوا البعث أصلاً كما تقول للرجل يخطئ في المسألة: لقد ذهبت مذهبًا بعيدًا من الصواب. أي أخطأت[٢].

قال مقاتل: أنكروا البعث وقالوا: إن الله لا يحيينا، وكيف يقدر علينا وقد كنا ترابًا وضللنا في الأرض[٣]. فقال الله تعالى:

٤- ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تأكل من لحومهم ودمائهم وأشعارهم وأبدانهم.

وهذا قول الحسن، ومجاهد، ومقاتل، والكلبي[٤].

وقال السدي: قد علمنا من يموت منهم[٥]. جعل نقص الأرض، من الناس الموت، وذلك أن من مات دفن في الأرض، فهي تأخذ من مات، وتنقص من الناس بالأخذ منهم. وهذا قول قتادة، والضحاك[٦].

ثم ذكر أن عنده بذلك كتابًا فقال: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ قال ابن عباس: يريد اللوح المحفوظ[٧].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٣ ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٠.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٥- ٧٦.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ أ.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ أ، «جامع البيان» ٢٦/ ٩٤، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٠.

(٥) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٤ .

(٦) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٣٦، «جامع البيان» ٢٦/ ٩٤.

(٧) انظر: «الكشف والبيان» ١٠/ ١٧٥ ب، «غرائب القرآن» ٢٦/ ١٠٧ ولم ينسبه لقائل.

وقال الضحاك: وعندنا كتاب محفوظ بعدتهم وأسمائهم[١].

وقال مقاتل: محفوظ من الشياطين، يعني اللوح المحفوظ[٢].

٥- ثم استأنف فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ٥] أي: بالقرآن ومحمد ﷺ. قاله المفسرون[٣]. ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ قال أبو عبيدة والمبرد: مختلط[٤]. يقال للشيء المُخلّى، قد اختلط بعضه ببعض: مريج، ومنه قوله ﷺ: «**قد مرجت عهودهم وأماناتهم، وصاروا هكذا وشبك بين أصابعه**»[٥]. ذكره المبرد[٦]. وأصله على هذا من قوله: مرج الشيء، إذا أرسله وخلاه، ومرج دابتَه، خلاها، ومنه قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٩] والمريج المهمل والمهمل يختلط، فسمي المختلط مريجًا.

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢١، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٤، «الدر» ٦/ ١٠٢.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ أ.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٢٨/ ١٥٣، «روح المعاني» ٢٦/ ١٧٤، وقال القرطبي في «جامعه» ١٧/ ٤ أي بالقرآن في قول الجميع.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٢.

(٥) انظر: جزء من حديث صحيح رواه الإمام أحمد في «مسنده» ٢/ ١٦٢، ٢١٢، وابن ماجه في «سننه» كتاب: الفتن، باب: التثبت في الفتنة ٢/ ١٣٠٧، وأبو داود في كتاب: الملاحم ٤/ ٥١٣، وانظر: «المسند» بتحقيق أحمد شاكر ١١/ ٧٠٤٧، ٧٠٦٢، «صحيح سنن ماجه» للألباني ٢/ ٣٥٤.

(٦) لم أجده في مؤلفات المبرد المطبوعة، ولعله نُقل من كتاب «إعراب القرآن» للمبرد، وهو من الكتب التي لم يصل إلينا سوى اسمها. انظر: «منهج ابن حيان النحوي الأندلسي» في كتابه: «ارتشاف الضرب من لسان العرب» تحقيق مزيد إسماعيل نعيم. رسالة في مكتبة الرسائل الجامعية بجامعة الإمام بالرياض.

وأنشد أبو عبيدة قول الهذلي[١] فقال:

فـجالَـتْ والـتَـمَـسَـتْ به حَـشَـاهـا فَـخَـرَّ كـأنَّـهُ خُـوطٌ مَـرِيـجُ[٢]

أي غصنٌ قد أرسل من الشجر بأن قطع منه فسقط. وعلى هذا المعنى يدور كلام المفسرين، فإنهم قالوا في تفسير المريج: المختلف والملتبس والمختلط. والاختلاط يؤدي إلى الالتباس.

وهذا الذي ذكرنا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، والضحاك، وقد قال عطاء عن ابن عباس: يريد مختلط مثل البهائم الممرجة[٣].

وقيل في قول الهذلي: (خوط مريج) إنه الذي اختلط شعبه والتبس بعضه ببعض[٤]. وقال قوم: أصل هذا من المرج وهو القلق والاضطراب.

---

(١) عمرو بن الداخل الهذلي، أصله من بني سهم بن معاوية، له قصيدة جيمية ومنها هذا البيت.
انظر: «ديوان الأدب» ٣/ ٨٩، «تاريخ التراث العربي» ٢/ ٢٦١، «الأمالي» ١/ ٢٦٤.

(٢) البيت ورد منسوبًا في «ديوان الهذليين» ٣/ ١٠٣، «تهذيب اللغة» التحقيق ١١/ ٧٢، «اللسان» ٣/ ٤٦١ (مرج). وعند أبي عبيدة نسبه لأبي ذؤيب الهذلي، ولم أجده في «ديوانه».
انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٢، ومعناه أن البقرة راغت عن السهم فأصاب حشوة الجوف وكأن السهم غصن طرح وترك عندما سقط.

(٣) وممن قال به أيضًا: قتادة، وابن زيد، وابن جبير.
وقال ابن جرير: «وقد اختلفت عبارات أهل التأويل في تأويلها، وإن كانت متقاربات المعاني». «جامع البيان» ٢٦/ ٩٤.
وانظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ أ، «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٣٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٤-٥.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ٧٢ (مرج).

يقال: مرج الخاتمُ في يدي، ومرج العهود اضطرابها، ومنه قول الشاعر:

مَـرِجَ الـدِّيـنُ فـأعـددتُ لـه مُشْرِفَ الحَارِكِ مَحْبُوكَ الكَتَدْ(١)

أي: اضطرب والتبس.

وعلى هذا: المريج المضطرب غير المستقر(٢). وعلى هذا الأصل قول من قال من المفسرين في المريج: الفاسد والمتغير. قال الحسن: ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم(٣).

قال أبو إسحاق: هو أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ مرة شاعر، ومرة ساحر، ومرة معلَّم. وللقرآن إنه سحر، ومرة يقولون مفترى. وهذا دليل أن أمرهم ملتبس مختلط عليهم. ثم دلهم ﷻ على قدرته على بعثهم بعد الموت بعظيم خلقه الذي يدل على(٤) قدرته على البعث(٥) فقال قوله تعالى:

٦- ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ [ق: ٦] قال المفسرون: يعني بغير عمد(٦) ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ أي بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾، أي فتوق

(١) البيت لأبي دؤاد كما في «ديوانه» ص٣٠٤، «اللسان» ٣/ ٤٦١ (مرج)، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥ والحارِكُ: أعلى الكاهل. وقيل: الحارك من الفرس فروع الكتفين.

والكتد: مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس. «اللسان» ٣/ ٢١٨ (كتد) ١/ ٦١٥ (حرك).

(٢) انظر: «اللسان» ٣/ ٤٦١، «المفردات» (٤٦٥ (مرج).

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٦٣، «معالم التنزيل) ٤/ ٢٢١.

(٤) (ك): (عليه على).

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٤٢.

(٦) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢١، «روح المعاني» ٢٦/ ١٧٥، «تفسير القاسمي» ١٥/ ٥٤٨٥.

وشقوق وصدوع وفصول. كل هذا من ألفاظهم. وقال مقاتل: من خلل[١]. ومعنى الفَرْجِ في اللغة: الخلل، والفُرجة بين الشيئين. ويقال لما بين دوارج[٢] الدابة: الفروج. ومنه قول امرئ القيس:

تسدُّ به فَرْجَها من دُبُر[٣]

أراد لما بين فخذيها ورجليها.

٨- قوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ قال أبو إسحاق: فعلنا لنبصر ونذكر به، ويدلُّ على القدرة: ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ يرجع إلى الله ويفكر في قدرته[٤].

٩- قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ يعني كثير الخير، وفيه حياة كل شيء وهو المطر. قوله ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ الحصيد المَحصود، وقد مَرَّ تفسيرُه عند قوله: ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠][٥].

قال ابن عباس: يريد القمح[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ أ.

(٢) دوارج الدابة: قوائمها. «اللسان» ١/ ٩٦٣ (درج).

(٣) وصدره:

لها ذنب مثل ذيل العروس

انظر: «ديوانه» ص١١٢، «تهذيب اللغة» ١١/ ٤٥ (فَرَجَ)، «الخزانة» ٧/ ٢١٠.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٤٣.

(٥) عند تفسيره لآية (١٠٠) من سورة هود. ومما قال: الحصيد غير القائم وهو من الديار الخرب والمخسوف به، ومن الزرع ما أهلك ومحي أثره.

(٦) والذي ورد عنه رضي الله عنه قوله: (الحبوب كلها التي تحصد).

انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٥٣، وهو ما قال به الزجاج أيضًا.

وقال قتادة: هو البر والشعير[١].

وقال أبو إسحاق: جَمع بذلك جميع ما يقتات ويحصد من حب[٢].

قال الفراء: الحب الحصيد، وهو مما أضيف إلى نفسه[٣]. والبصريون يقولون: أراد حب النبت الحصيد[٤].

١٠- قوله: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ يعني طوالًا، وبسوقها طولها. يقال: جبل باسق، وبناء باسق، وحَسَب باسق، وبسقت المرأة إذا طالت، وكذلك النخلة[٥].

وأنشد أبو عبيدة[٦]:

يا ابْنَ الذين بُضُلُهم بَسَقْتَ على قَيسٍ فَزَارَةَ[٧]

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٣٧، «جامع البيان» ٢٦/ ٩٦.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٤٣.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٧٦، قال الأزهري: وقول الزجاج: أصح لأنه أعم. «تهذيب اللغة» ٤/ ٢٢٦ (حصد).

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤١٣، «البحر المحيط» ٨/ ١٢١ .

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ٤١٨، «المفردات» ص ٤٦ (بسق).

(٦) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٣، «اللسان» ١/ ٢١٤ (بسق).
والبيت لأبي نوفل يمدح ابن هبيرة.
«اللسان» ١/ ٢١٤ (بسق)، «الدر المصون» ١٠/ ٢٠-٢١.

(٧) قيس بن عيلان بن مضر بن نزار. قبيلة عظيمة تشعبت إلى ثلاثة بطون من كعب وعمرو وسعد. وغلب اسم قيس على سائر العدنانية.
انظر: «معجم قبائل العرب» ٣/ ٩٧٢.
وفزارة بطن عظيم من غطفان وهم بنو فزارة بن ذبيان ومنهم جماعة من العلماء والأئمة من بطن بني غراب. كانت منازلهم بنجد ووادي القرى، ثم تفرقوا. لهم أيام في الإسلام وقبله. انظر: «معجم قبائل العرب» ٣/ ٩١٨.

والمفسرون كلهم قالوا في الباسقات: إنها الطوال[١].

قوله: ﴿لها طلع﴾ وهو أول ما يظهر من ثمر النخل. يقال: طَلَعَ الطَّلعُ أي يطلعُ طلوعًا، وأطلعت النخلة، إذا أخرجت طلعها. وطلعها كفرَّاها[٢] قبل أن ينشق. وقال المفضل: الطلع أول ما يرى من عذق النخلة الواحدة طَلْعَة[٣].

قوله: ﴿نَّضِيدٌ﴾ يقال: نضدت الشيء أنضده نضدًا، إذا وضعت بعضه فوق بعض، وهو منضود ونضيد ونضد.

قال المفسرون[٤]: (نضيد) منضود بعضه على بعض.

قال الفراء: طلع الكُفُرَّى نضيد ما كان في أكمامه، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد[٥]. وهذا قول الكلبي، واختاره ابن قتيبة فقال: وذلك قبل أن ينفتح، فإذا انشق جفت الطلعة وتفرقت فليس بنضيد[٦]. ومجاهد

(١) قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والسدي، وغيرهم.
انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦١٠، «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٣٧، «جامع البيان» ٢٦/ ٩٦، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٢٢.

(٢) الكَفَرُ، الكُفُرِّي، والكِفِرِّي، والكَفَرَّي، والكُفَري، وعاء طلع النخل.
وكفُرَّاهُ: بالضم وتشديد الراء وفتح الفاء وضمها هو وعاء الطلع وقشره الأعلى.
«اللسان» ٣/ ٢٧٥ (كفر).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٣، «اللسان» ٢/ ٦٠٥ (طلع).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ أ، «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٣٧، «جامع البيان» ٢٦/ ٩٦- ٩٧.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٦، ولم أجده منسوبًا للكلبي.

(٦) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤١٨، والجُفُّ: الوعاء، وجُفُّ الطلعة: وعاؤها الذي تكون فيه.

جعله نصيدًا بعد الانشقاق، فقال: (طلع نضيد): حيث ينشق عنه كمامه[(١)].

والقولان تحتملهما المشاهدة، وذلك أنه قبل الانشقاق أشد تنضدًا بعد الانشقاق، فقال: (طلع نضيد) حيث ينشق عنه كمامه، لا يتفرق حب الثمر حتى ينفصل بعضه عن بعض كالعنب فإن حباته منتضدة على الشِّمراخ[(٢)].

١١- قوله تعالى: ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ قال أبو إسحاق: ينتصب على وجهين:

أحدهما: على معنى رزقناهم رزقًا، لأن إنباته هذه الأشياء رزق، ويجوز أن يكون مفعولاً له، المعنى: فأنبتنا هذه الأشياء للرزق[(٣)].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ أي من القبور. والمعنى: كما خلقنا هذه الأشياء نبعثكم كقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأعراف: ٥٧]. وقال ابن عباس: ينزل من السماء مطر كنطف الرجال تنبت عليهم اللحوم والعظام[(٤)].

وهذا معنى قول مقاتل: يخرجون من القبور بالماء، كما أخرجنا النبت من الأرض بالماء[(٥)].

---

(١) لم أجده عن مجاهد، أو عن غيره، ولعل ما ذكره صاحب «اللسان» ٣/ ٦٥٦ في قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ هو الذي نُضِّد بالحمل من أوله إلى آخره. أو بالورق ليس دونه سوق بارزة. يفسر هذا ويدل عليه.

(٢) الشمراخ والشُّمروخ: العثكال الذي عليه البسر، وأصله في العذق وقد يكون في العنب.

والعثكال، والعثكول، والعثكولة: العذق. «اللسان» ٢/ ٣٥٧ (شمرخ) ٢/ ٦٨٥ (عثكل).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٣.

(٤) لم أجده عن ابن عباس وسيأتي نحوه عن علي رضي الله عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ من سورة الطور.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ أ.

ثم ذكر الأمم المكذبة تخويفًا لكفار مكة. فقال:

١٢-١٤- قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وأخبار هؤلاء قد سبق ذكرُها، وتُبّع هذا هو الذي ذكر في قوله: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وهو تبع الحميري[(١)]، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام. وكانوا يعبدون النار فأحرقهم الله بالنار.

قوله: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ قال ابن عباس: يعني ما أوجب الله لمن كذب أنبياءه من العذاب[(٢)]. وقال مقاتل: فوجب عليهم عذابي[(٣)].

وقال أبو إسحاق: فحقت عليهم كلمةُ العذاب والوعيد لمكذبي الرسل[(٤)].

ثم أنزل جوابًا لقولهم: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ قوله تعالى:

١٥- ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ يقال لكل من عجز عن شيء: عَيِيَ به، وعَيِيّ به، وعَيِيَ فلان بهذا الأمر. قال الشاعر:

عَيُّوا بأمْرِهِمُ كَمَا عَيَّتْ بِبَيْضَتِهَا الحَمَامَةْ

---

(١) أسعد أبو كرب بن ملك يكرب بن تبع، قدم مكة، وكسا الكعبة. ثم عاد إلى اليمن وآمن بالتوراة ودخل معه عامة أهل اليمن بعد التحاكم إلى نار تأخذ الظالم ولا تضر المظلوم. وهو تبع الأوسط. وتوفي قبل مبعث الرسول ﷺ بنحو من سبعمائة سنة. وبعد موته عاد قومه إلى عبادة النيران والأصنام فعاقبهم الله تعالى.
انظر: «المعارف» ٦٣١، «تاريخ الأمم والملوك» ١/ ٣٧١، «البداية والنهاية» ٢/ ١٦٣، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ١٤٣.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٥٦، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٢.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ أ.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٤٣.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الأحقاف: ٣٣]. قال ابن عباس: يريد عجزنا[١].

وقال مقاتل: يقول الله: أعجزنا عن الخلق الأول حين خلقناهم ولم يكونوا شيئًا، فكيف نعيا عن بعثهم[٢]؟ وهذا تقرير لهم، لأنهم اعترفوا بأن الله الخالق وأنكروا البعث. ثم ذكر أنهم في شك من البعث بعد الموت فقال: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ قال مجاهد، وقتادة: يمترون بالبعث بعد الموت[٣].

وقال الفراء: أي هم في ضلال وشك[٤].

وقال المبرد: التبس عليهم إعادة الخلق[٥]. وذكرنا معنى اللبس عند قوله: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ [الأنعام: ٩][٦].

١٦- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني ابن آدم، وهو اسم

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٦٤، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٢، «تفسير القاسمي» ١٥/ ٥٤٨٨، ولم ينسبوه لقائل.
(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ ب.
(٣) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦١٠، «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٣٧، «جامع البيان» ٢٦/ ٩٨.
(٤) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٧٧.
(٥) لم أجده عنه وهو معنى ما روي عن مجاهد، وقتادة، وأصحاب اللغة.
(٦) مما قال عند تفسيره لهذه الآية: لبست الأمر على القوم ألبسه لبسًا، إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلاً. قال ابن السكيت: يقال: لبست عليه الأمر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته. قال أهل اللغة: معنى اللبس منع النفس من إدراك المعنى بما هو كالستر له، وأصله من الستر بالثوب. ومنه لبس الثوب؛ لأنه ستر النفس به. وانظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٤٤٢، «اللسان» ٣/ ٣٣٥ (لبس).

الجنس ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ يعني يُحدث به قلبه. والمعنى: يعلم ما يخفي ويكن في نفسه. وذكرنا معنى الوسوسة عند قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٠][(١)] .

قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ قال أهل اللغة: الوريد: عرق تحت اللسان يتفرق في البدن، وهو في العضد فَلِيقٌ[(٢)]، وفي الذراع الأكحل، وفيما تفرق من ظهر الكفِّ الأشاجعُ[(٣)]، وفي بطن الذراع الرَّواهش[(٤)] .

وقال أبو الهيثم[(٥)]: الوريدان عرقان بجنب الودجين عن يمين ثغرة النحر ويسارها. قال: والوريدان ينبضان أبدًا من الإنسان. فكل عرق ينبض فهو من الأوردة التي فيها مجرى الحياة، والوريد من العروق ما جرى فيه

---

(١) الآية (٢٠) من سورة الأعراف موضع سقط من المخطوطة .
والوسوسة هي الصوت الخفي من ريح، والوسوسة والوسواس: حديث النفس، والوسواس بالفتح هو الشيطان. انظر: «تهذيب اللغة» ١٣/ ١٣٦ (وسس)، «اللسان» ٣/ ٩٢٢ (وسس).

(٢) الفليق: عرق في العضد يجري على العظم إلى نغضِ الكتف. «تهذيب اللغة» ٩/ ١٥٦، «اللسان» ٢/ ١١٢٨ (فلق). ونغض الكتف هو أعلى منقطع غضروف الكتف.

(٣) الأشاجع: العصب الممدود فوق السّلامى من بين الرسغ إلى أصول الأصابع. وقيل: رؤوس الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف، وقيل عروق ظاهر الكف، وهو مغرز الأصابع.
«تهذيب اللغة» ١/ ٣٣١، «اللسان» ٢/ ٢٧٣ (شجع).

(٤) الرواهش: واحدها راهشة، أو راهش، وهي عروق باطن الذراع. «تهذيب اللغة» ٦/ ٨١، «اللسان» ١/ ١٢٣٩ (رهش).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ١٦٣، «اللسان» ٣/ ٩٠٨ (ورد).

النَّفس ولم يجر فيه الدم .

وقال الليث: هما وريدان مكتنفان صفحتي العنق، يقال للغضبان: قد انتفخ وريداه، والجميع الأوردة، والورد[(١)]. وذكر الفراء وأبو عبيدة والزجاج أن الوريد في الحلق وباطن العنق[(٢)] .

قال مقاتل: هو عرق يخالط القلب، فعِلْمُ الربِّ تبارك وتعالى أقرب إلى القلب من ذلك العرق[(٣)] .

وقال أهل المعاني[(٤)]: المعنى: ونحن أقرب إليه في العلم وما تحدث به نفسه من هذا العرق المخالط للإنسان، وذلك أن أبعاض الإنسان وأجزاءه يحجب بعضها بعضًا، ولا يحجب علم الله عنه شيء[(٥)] .

ثم ذكر أنه مع علمه به وكَّل به ملكين يحفظان ويكتبان عليه عمله إلزامًا للحجة فقال: قوله:

١٧- ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ (إذ) يتعلق بمحذوف دل عليه ما قبله وهو العلم، كأنه قيل: يعلم، ما يعمل، ويقول إذ يتلقى الملكان. أخبر أنه عالم

---

(١) انظر المرجع السابق.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٣، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٦، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٤.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ ب، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩ .

(٤) قال ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير (قال أهل المعاني) فالمراد به مصنفو الكتب في «معاني القرآن» كالزجاج ومن قبله. وفي بعض كلام الواحدي: أكثر أهل المعاني: الفراء والزجاج، وابن الأنباري. قالوا كذا.
انظر: «البرهان في علوم القرآن» ١/ ٢٩١.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ١١/ ١٧٨ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩.

بأحواله وما يثبت عليه الملكان فلا يحتاج إلى الملكين ليخبراه، ولكنهما وكِّلا به إلزامًا للحجة وتوكيدًا للأمر عليه. والتلقِّي معناه: التلقن[١] والأخذ. ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٣٧][٢] ومفعول التلقي محذوف وتقديره: يتلقى المتلقيان ألفاظه وأفعاله. ودل على هذا قوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ الآية.

قال مقاتل في هذه الآية: يعني الملكين يتلقيان عمل ابن آدم ومنطقه[٣].

قوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ قعيدا كلِّ إنسان حافظاه، وهما الملكان الموكَّلان به، قال ابن قتيبة: قعيد بمنزلة قاعد. مثل: قدير وقادر، وقد يكون بمنزلة: أكيل وشريب[٤]. فيكون القعيد بمعنى القاعد، وأصل هذا من القعود، ثم صار اسمًا للملازم للإنسان في كل حال من القيام والقعود والمشي والاضطجاع. ولهذا كانت العرب تطلق هذا الاسم تريد به الله تعالى، على معنى أن الله مع العبد بالعلم أينما كان فيقول: قَعْدَكَ الله وقعيدَك الله، بمنزلة نشدتك الله. وأنشد أبو الهيثم فقال:

---

(١) التَّلَقِّي: هو الاستقبال ومنه: فلان يتلقى فلانًا، أي يستقبله، ويأتي بمعنى التلقين، ومنه: الرجل يلقي الكلام، أي يُلقنه. «اللسان» ٣/ ٣٨٨ (لقا).

(٢) عند تفسيره لآية (٣٧) من سورة البقرة، ومما قال: والتلقي في اللغة معناه الاستقبال.. ومنه الحديث: أنه نهى عن تلقي الركبان. قالوا معناه الاستقبال. وتفسير التلقي بالتلقن جائز صحيح وليس من لفظه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ ب.

(٤) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤١٨.

قَعِيدكُمَا اللهَ الذي أنْتُمَا لَه ألم تَسْمَعَا بالبيضَتَيْن المُنَادِيَا[(١)]

قال: ومعنى قعيدك الله: أي أينما قعدت فأنت مقاعد لله، أي: هو معك، ومن هذا قول المتمم:

قَعِيدَكِ ألَّا تُسْمِعِيني مَلامَةً ولا تَنْكِئي قَرْحَ الفُؤادِ قبيحا[(٢)]

قال أبو إسحاق: المعنى عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد. فدل أحدهما على الآخر، فحذف المدلول عليه، وأنشد[(٣)]:

نَحْنُ بما عِنْدَنا وأنْتَ بما عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأيُ مُخْتَلِفُ

أي: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راضٍ.

ومثله أيضًا:

رَمَانِي بأَمْرٍ كنتُ منه ووالِدِي بريئًا ومن أجْلِ الطّوى رَمَانِي[(٤)]

---

(١) البيت للفرزدق، والبيضتان ماء لبني يربوع وماء لبني دارم.
انظر: «ديوان الفرزدق ٢/ ٣٦٠، «اللسان» ١/ ٢٩٨ (بيض) ٣/ ١٢٩ (قعد)، «همع الهوامع» ٤/ ٢٦٢.

(٢) ورد البيت منسوبًا في «المفضليات» ص٢٦٩، «الإيضاح في شرح المفصل» ١/ ٢٣٧، «تهذيب اللغة» ١/ ١٩٩، «اللسان» ٣/ ١٢٩، (قعد)، «الخزانة» ٢/ ٢٠، وكل المصادر روته (فييجعا) بدل (قبيحًا).

(٣) البيت لقيس بن الخطيم والد ثابت بن قيس الصحابي الجليل، وينسب إلى عمرو بن امرئ القيس الخزرجي.
انظر: «ديوان قيس» ص٢٣٩، «الكتاب» ١/ ٧٥، «المقتضب» ٣/ ١١٢، ٤/ ٧٣، «الأمالي» ابن الشجري ٢/ ٢٠، «الإنصاف» ص٩٥.

(٤) البيت لعمرو بن أحمر أو لطرفة الفراصي. انظر: «الكتاب» ١/ ٧٥، «همع الهوامع» ٢/ ٨٤، «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ص٦٧٨، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٥٨، ونسبه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ٢/ ١٦١ للأزرق الباهلي.
والمراد بالطوي البئر التي كان بينه وبين خصمه خلاف عليها.

قال: المعنى كنت بريئًا وكان والدي منه بريئًا[١]. ونحو هذا قال الفراء، وأنشد للفرزدق[٢]:

إني ضَمِنْت لمن أتانِي ما جَنَى وأبي فكان وكُنْتُ غَيْرَ غَدُورِ[٣]

وقال المبرد: فعيل يكون للواحد والجميع، وأنشد هو وأبو عبيدة:

يا عاذلاتي لا تطلن ملامتي إن العواذل لسن[٤] لي بأمير[٥]

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]. وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩][٦]. والمراد بالقعيد هاهنا: الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم، قال مجاهد: عن اليمين كاتب الحسنات، وعن الشمال كاتب السيئات[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٤.

(٢) في (أ): (الفرزدق) والصواب ما أثبته. سبق ترجمته في سورة النساء.

(٣) ورد البيت في «الكتاب» ١/ ٣٨، «الإنصاف» ص٩٥، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٧، «المذكر والمؤنث» ص٦٧٧، «الإيضاح في شرح المفصل» ١/ ١٦٨، وليس في «ديوان الفرزدق». والشاهد فيه: «غدور» ولم يقل: «غدورين».

(٤) أي: (ليس).

(٥) قال البغدادي في شرح أبيات «مغني اللبيب» ٤/ ٤٨٣: والبيت مشهور بتداول العلماء إياه في مصنفاتهم، ولم أقف على قائله اهـ. ونسب في بعض المصادر ليزيد ابن الصعق.

انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٢٤٤، «اللسان» ٢/ ٦٥٨ (ظهر)، «الخصائص» ٣/ ١٧١، «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٤٣، وقوله: (بأمير) أي لسن لي بأمراء.

(٦) ومما قال عند تفسيره لآية: قال الفراء: وإنما وحد الرفيق وهو حقه الجمع؛ لأن الرفيق والبريد والرسول تذهب بها العرب إلى الواحد وإلى الجمع، ولا يجوز أن تقول: حسن أولئك رجلًا. وقال بعضهم: حسن كل واحد منهما رفيقًا

(٧) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ٩٩، «الوسيط» ٤/ ١٦٥.

١٨- قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ معنى اللفظ في اللغة: الرمي من الفم. يقال: لفظ الكلامَ، إذا رماه من أنفه وفمه. والأرض تلفظ الميت إذا لم تقبله، والبحر يلفظ الشيء إذا رَمَى به إلى الساحل(١). والمعنى: ما يتكلم من كلام فيلفظه: ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ. يعني الملك الموكل به، إما صاحب اليمين وإما صاحب الشمال.

قوله: ﴿عَتِيدٌ﴾ قال الكلبي: حاضر معه يحفظ عمله(٢).

وقال الزجاج: ثابت لازم(٣). وذكرنا تفسيره عند قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨](٤).

١٩- قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ﴾ أي: وتجيء. وذُكر بلفظ الماضي إشعارًا بتحقق كونه، كما قال: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤] وقد مر(٥) قوله ﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله وفهمه. وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر: ١٥](٦).

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ١٤/ ٣٨١، «المفردات» (٤٥٢) (لفظ).

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٦٥، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١١/١٧، ولم ينسبوه لقائل.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٤٥.

(٤) ومما قال عند تفسيره الآية: يقال اعتدت الشيء فهو معتد وعتيد، وقد عتد الشيء عتادة وهو عتيد حاضر، قاله الليث. قال: ومن هنالك سميت العتيدة التي فيها طيب الرجل وأدهانه.

(٥) عند تفسيره لآية (٤٤) من سورة الأعراف. ولم يذكر هناك شيئًا عن وروده بصيغة الماضي والله أعلم.

(٦) مما قاله عند تفسيره لهذه الآية: السَّكر سد الثقب لئلا ينفجر الماء، والسكر في الشرب هو تغير العقل وفساد اللب وقيل السكر في الشراب هو أن ينقطع عما كان=

قوله تعالى: ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾. قال مقاتل: يعني أنه حق كائن[١].

وقال أبو إسحاق: أي بالموت الذي خلق له[٢]. وقال الفراء: يقول بالحق الذي كان غير متبين لهم من أمر الآخرة، ويكون الحق هو الموت. أي جاءت سكرة الموت بحقيقة الموت[٣].

قوله[٤] تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي يقال لمن جاءته سكرة الموت: (ذلك)، أي ذلك الموت ﴿مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ قال مقاتل: يعني كراهية الموت[٥]. ونحو هذا قال ابن عباس: تكره[٦]. يقال: حاد عن الشيء يحيد حيدًا وحَيْدُودة وحَيَدانا ومحيداً وحِيَاداً وحُيوداً، إذا مال عنه وهرب[٧]. قال عطاء عن ابن عباس: يجتنب ويهرب[٨]. وقال الضحاك: يزوغ ويميل وينكص، كل هذا من ألفاظهم[٩].

٢٠- قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ قال مقاتل والكلبي: هي النفخة

= عليه من المضاء في حال الصحو ولا ينفذ رأيه على حد نفاده في صحوه.
وانظر: «تهذيب اللغة» ١٠/ ٥٥، «اللسان» ٢/ ١٧٠، «المفردات» (٢٣٦) (سكر).

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ب، «الوسيط» ٤/ ١٦٧.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٤٥.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٧٨.

(٤) (ك): (وجاءت: أي وتجيء وذكر بلفظ الماضي إشعارًا قوله) والصواب حذفها.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ب.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٥٦، «الكشف والبيان» ١١/ ١٨٠ ب، «الوسيط» ٤/ ١٦٧، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٣.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ٥/ ١٨٩، «اللسان» ١/ ٧٦٦ (حيد).

(٨) لم أجده، وهو في معنى القول الأول.

(٩) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٣، «الجامع لأحكام القرآن» ١/ ١٣ .

الأخيرة[١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ذلك اليوم الذي ينفخ فيه في الصور ﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ قال مقاتل: يعني بالوعيد: العذاب في الآخرة[٢]. والمعنى: ذلك يوم تحقق الوعيد ووقوع الوعيد، فحذف المضاف.

٢١- ﴿وَجَآءَتْ﴾ أي في ذلك اليوم ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ قال ابن عباس ومقاتل والحسن: سائق يسوقها إلى المحشر وإلى أمر الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت، وهو قول الجميع[٣].

قال الكلبي: السائق هو الذي كان يكتب عليه السيئات، والشهيد هو الذي كان يكتب الحسنات[٤].

قال عبد الله بن مسلم: السائق قرينها من الشياطين، سمي سائقًا؛ لأنه يتبعها وإن لم يحثها ويدفعها. وكان رسول الله ﷺ يسوق أصحابه. أي يكون وراءهم. والشهيد الملك الشاهد عليها بما عملت[٥]. والمراد بالنفس هاهنا نفس الكافر، يدل عليه قوله:

٢٢- ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم في الدنيا ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ قال ابن عباس: الذي كان في الدنيا يغشى قلبك وسمعك وبصرك[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ ب، «التفسير الكبير» ٢٨/ ١٦٤.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ ب، «الوسيط» ٤/ ١٦٧، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٣.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٥٦، «تفسير مقاتل» ١٢٤ ب، «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٣٨، «جامع البيان» ٢٦/ ١٠١، «المصنف» ١٣/ ٤٣٩، وهو قول عثمان بن عفان، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، والضحاك، وابن زيد، وغيرهم.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٦٧، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٣.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٥، «البحر المحيط» ٨/ ١٢٤، وقال (وهو قول ضعيف).

(٦) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٦٧، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٣، ولم ينسب.

وقال ابن قتيبة: أي: أريناك ما كان مستورًا عنك في الدنيا[١].

وقال أبو إسحاق: هذا مثل، المعنى: كنت بمنزلة من عليه غطاء وعلى قلبه غشاوة ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي فعلمك بما أنت فيه نافذ، وليس يراد بهذا البصر بصر العين[٢]. وهذا قول الكلبي واختيار الفراء، قال: المعنى كنت تكذب فأنت اليوم عالم نافذ البصر، والبصر هاهنا: العلم وليس بالعين[٣]. والآخرون قالوا: هو العين.

قال ابن عباس في رواية عطاء: تبصر ما كنت تنكر في الدنيا[٤].

قال ابن قتيبة: أي: فأنت نافذ البصر لما كشفت عنك الغطاء[٥].

قال الضحاك: يحشر الكافر وبصره حديد، ثم يزرق ثم يعمى[٦].

وقال مقاتل: يشخص بصره، فلا يطرف حين يعاين في الآخرة ما كان يكذب به في الدنيا[٧].

٢٣- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ قال مقاتل: يعني صاحبه، وهذا الملك الذي كان يكتب عمله السيِّء في الدنيا يقول لربه: كنت وكلتني به في الدنيا فهذا عندي معد حاضر قد آتيتك به[٨]. ونحو هذا

---

(١) انظر: «تأويل المشكل» ص٤٢٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٥.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٥٧، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٨، وأخرجه ابن جرير في «جامعه» ٢٦/ ١٠٣ عن قتادة.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٣، ولم ينسبه.

(٥) انظر: تأويل المشكل» ص٤٢٢. وعبارته: فأنت ثاقب.

(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٥.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ ب.

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ ب.

قال الكلبي[١]. وعلى قولهما يحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ الشخص الذي أتي به ويكون ﴿مَآ﴾ بمعنى (من)[٢]، ويحتمل أن يكون المراد ديوان أعماله وما كتب عليه. وقد صرح مجاهد بالقول الأول وقال: هذا الذي وكلتني به من ابن آدم قد أحضرته[٣].

وابن قتيبة صرح بالقول الثاني فقال: يعني ما كتبته من عمله حاضر عندي[٤]. وسيبويه جعل ﴿مَا﴾ هاهنا نكرة فقال: المعنى هذا شيء لدي عتيد، فارتفع ﴿عَتِيدٌ﴾ لأنه صفة لـ ﴿مَا﴾[٥]. وذكر أبو إسحاق في رفع عتيد وجهين آخرين:

أحدهما: أن يرفع بإضمار (هو) كأنه قيل: هذا شيء لدي هو عتيد.

والآخر: أن يكون خبرًا بعد خبر، كما تقول: هذا حلو حامض[٦].

٢٤- ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ قال مقاتل: يقول الله ألقيا في جهنم يعني الخازن، وهو في كلام العرب: خذاه، يعني الواحد[٧].

وقال الكلبي: كلام العرب ألقيا لواحد[٨] واختار الأخفش، والفراء هذا المذهب، وهو أن هذا خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب يأمرون الواحد كما يأمر الاثنان، يقولون: قوما عنا للرجل. وويلك

---

(١) لم أجده عن الكلبي.
(٢) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٣.
(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٦٧، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٣، «الجامع» للقرطبي ١٧/ ١٦.
(٤) انظر: «تأويل المشكل» ص٤٢٢.
(٥) انظر: «الكتاب» ١/ ٢٦٩، «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٢٠.
(٦) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٤٥.
(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ ب.
(٨) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٠٣، «الوسيط» ٤/ ١٦٧، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٣.

ارحلاها وازجراها. قال الفراء: سمعتها من العرب وأنشد[١]:

فقلتُ لصَاحِبي لا تَحْبِسَانا بنَزْعِ أصُولِهِ واجْتَزّ شِيحَا

وأنشد أيضًا:

فإن تَزْجُرانِي يابنَ عَفَّان أنزَجِرْ وإن تَدَعَاني أحَمِ عِرْضاً مُمنَّعا[٢]

قال الفراء: ويرى أن ذلك منهم؛ لأن الرجل أدنى أعوانه في إبله وغنمه اثنان، وكذلك الرفقة أدنى ما يكون ثلاثة، فجرى كلام الواحد على غالب العادة. ألا ترى الشعراء أكثر شيء: قيلا[٣] يا صاحبي، ويا خليلي، قال امرؤ القيس:

خليلَيّ مُرّا بي على أمِّ جُنْدُبِ لنَقْضِي حَاجَاتِ الفُؤادِ المُعَذَّبِ

ثم قال:

ألم تَرَيَانِي كُلّما جئتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بها طِيبًا وإنْ لم تَطَيَّبِ[٤]

فرجع إلى الواحد، وأول الكلام اثنان[٥].

وذكر أبو إسحاق عن المبرد أن هذا فعل مبني توكيدًا، كأنه لما قال:

---

(١) البيت لمضرس بن ربيع الفقعسي، وقيل ليزيد بن الطثرية. انظر: «شرح شواهد الألفية» ٤/ ٥٩١، «اللسان» ١/ ٤٥٣ (جزز) وفيه (لا تحسبنًّا) بدلًا من (لا تحسبانا)، «شرح المفصل» ١٠/ ٤٩، «الخزانة» ١١/ ١٧، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٨٧.

(٢) البيت لسويد بن كراع. انظر: «شرح القصائد السبع» ص١٦، «الأغاني» ١١/ ١٢٣، «شرح شواهد الشافية» ص٤٨٤، «إملاء العكبري» ٢/ ٢٤٢، «الخزانة» ١١/ ١٧.

(٣) (ك): (قليلاً).

(٤) انظر: «ديوانه» ص ٤١، ١٢١، «الخصائص» ٣/ ٢٨١، «التصريح بمضمون التوضيح» ١/ ٢٠٢.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٨-٨٩.

(ألقيا) ناب عن قوله: ألق ألق. وكذلك عنده قِفَا، معناه: قف قف، فناب عن فعلين. قال: وهذا قولٌ صالحٌ، والذي ذكره محمد بن يزيد في قوله: ﴿أَلْقِيَا﴾ هو مذهب أبي عثمان المازني، ذهب إلى أنه أراد ألق ألق، فثنى ضمير الفاعل فناب ذلك عن تكرير الفعل[١].

قال أبو الفتح الموصلي: وهذا يدل على شدة اشتراك الفعل والفاعل، ألا ترى أنه لما بنى أحدهما وهو ضمير الفاعل ناب عن تكرير الفعل، وإنما ناب عنه لقوة امتزاجهما، فكأن أحدهما إذا حضر فقد حضرا جميعًا[٢]. وهذا الذي قاله الموصلي بيان علة جواز نيابة (ألقيا) عن ألق ألق.

قال أبو إسحاق: والوجه عندي أن يكون أمر الملكين، لأن (ألقيا) للاثنين، فأنا اعتقد أنه أمر الاثنين[٣].

وبهذا قال جماعة من المفسرين؛ فذكروا أن هذا خطاب للمتلقين معًا[٤]، أو للسائق والشاهد جميعًا[٥]. والأشهر في هذا ما ذكره الفراء، ويدل عليه قراءة الحسن: (ألقين) بالنون الخفيفة، وهو خطاب الواحد[٦].

قوله ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ قال الكلبي، ومقاتل: كل كَفّار للنعم، معرض عن

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٥- ٤٦.

(٢) انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٢٥- ٢٢٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٦.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٦.

(٥) قال ابن كثير: والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد، وبه قال الألوسي، وهو معنى ما قاله الزجاج.
انظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٢٦، «روح المعاني» ٢٦/ ١٨٥.

(٦) انظر: «الكشاف» ٤/ ٢٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٦، «البحر المحيط» ٨/ ١٢٦.

الإيمان والتوحيد مجانب له[١]. والعنيد بمعنى المعاند كالضجيع والقرين. وذكرنا تفسيره عند قوله: ﴿كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥][٢].

٢٥- قوله تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي لا يبذل خيرًا. قال مقاتل: لا يعطي في حق الله[٣].

(مُعْتَدٍ) ظالم غشوم لا يقر بتوحيد الله، ﴿مُّرِيبٍ﴾ قال قتادة والكلبي ومقاتل: شاك في الحق، وهو توحيد الله[٤]. وهذا من قولهم: أراب الرجل، إذا صار ذا ريب. وقد ذكرنا ذلك في ابتداء سورة البقرة[٥]. وذكر عطاء ومقاتل أن هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة.

٢٧- قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ اختلفوا في المراد بالقرين هاهنا فقال ابن عباس في رواية عطاء: يعني قرينه من الشياطين[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٤.

(٢) قال عند تفسيره لهذه الآية: العنيد المعرض عن طاعة الله وهو قول ابن عباس. ومجاهد: هو المجانب للحق. وقال إبراهيم: الناكب عن الحق. وقال ابن زيد: المخالف للحق. وقال أبو إسحاق: الذي يعدل عن القصد. وقال ابن الأعرابي: أعند الرجل إذا عارض إنسانًا بالخلاف، وأعند إذا عارض بالاتفاق. وعند البعير خطامه أي عارضه. والعنود من الإبل التي تعاند الإبل فتعارضه. وقال قوم من أهل اللغة: معنى عند إذا أبى قبول الشيء مع العلم به تكبرًا عنه وبغيًا وطغيانًا.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٤ ب، «الوسيط» ٤/ ١٦٧.

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٠٤، «الوسيط» ٤/ ١٦٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧.

(٥) عند تفسيره لآية (٢) من سورة البقرة. ومما قال: الريب الشك. يقال: رابني فلان يريبني، أي علمت منه الريبة. وأرابني أوهمنيها ولم يحققها.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٠٤، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٢٦ .

وقال مقاتل: ﴿قَرِينُهُۥ﴾ هو شيطانه[(١)]. واختاره ابن قتيبة[(٢)]. وعلى هذا القول معنى الآية هو: أن شيطانه يعتذر إلى ربه يقول: لم يكن لي قوة بأن أضله بغير سلطانك ﴿وَلَٰكِن كَانَ﴾ في الدنيا (فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) طويل. ذكره مقاتل[(٣)]. ومعنى ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ ما أَضللته وأغويته. أي لم أتول ذلك من نفسي ولكنه كان في ضلال عن الحق بخذلانك إياه، كأنه يقول: لم أكن سبب طغيانه[(٤)] .

وقال الكلبي: يقول الملك: ربنا ما أطغيته[(٥)]، وعلى هذا القول المراد بالقرين الملك. وهو قول سعيد بن جبير. قال: يقول الكافر: رب إن الملك زاد عليّ في الكتابة[(٦)]. واختار الفراء هذا القول فقال: إن الكافر يقول: يا رب إنه كان يعجلني عن التوبة، فيقول الملك: ربنا ما أطغيته[(٧)] أي: ما أعجلته عن التوبة وما زدت عليه. والمعنى: لم أكن سبب طغيانه بالإعجال والزيادة عليه، ولكن كان في ضلال بعيد لا يرجع إلى الحق ولا إلى التوبة. فيقول الله تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ قال ابن قتيبة: وذكر الله

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ أ.

(٢) انظر: «تأويل المشكل» ص٤٢٢.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ أ.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٦٧، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٤.

(٥) لم أجده.

(٦) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٤، «الجامع» للقرطبي ١٧/ ١٧، «فتح القدير» ٥/ ٧٧.

وهو مروي عن ابن عباس، ومقاتل. انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٥٩، «الكشف والبيان» ١١/ ١٨١ ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٤.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٦.

اختصامهم في سورة الصافات وهو قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الصافات: ٣٣][١] وهذا يدل على أن المراد بالقرين الشيطان.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ يعني ما ذكر من الوعيد بالعذاب لمن عصى الرسل.

قال مقاتل: يقول قد أخبرتكم في الدنيا بعذابي في الآخرة[٢]. وقدَّم هاهنا إن كان واقعًا فالباء في ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾ زائدة مؤكدة، وإن كان لازمًا بمعنى يقدم كما ذكرنا في قوله: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ [الحجرات: ١][٣] فالباء للتعدية[٤].

ثم ذكر أنه لا تبديل لقوله ولا خلف لوعده فقال:

٢٩- ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد ما لوعدي خلف لأهل طاعتي ولا لأهل معصيتي[٥].

وقال مجاهد: قد قضيت ما أنا قاض[٦].

وقال مقاتل: يقول الذي قلت لكم في الدنيا من الوعيد قد قضيته[٧]

---

(١) من آية (٢٧- ٣٣) من سورة الصافات. وانظر: «تأويل المشكل» ص٤٢٣.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ أ.

(٣) قال: قدم هاهنا بمعنى تقدم. وهو لازم لا يقتضي مفعولًا. قال الفراء: يقال: قدمت في أمر كذا وكذا وتقدمت. وقال الأزهري: يقال: قدم يقدم وتقدم يتقدم وأقدم يقدم واستقدم يستقدم بمعنى واحد.

(٤) انظر: «البحر المحيط» ٨/ ١٢٦، «فتح القدير» ٥/ ٧٧، «روح المعاني» ٢٦/ ١٨٦.

(٥) لم أجده.

(٦) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦١٢، «جامع البيان» ٢٦/ ١٠٥، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٢٦.

(٧) (ك): (قضيت). والصواب ما أثبته.

عليكم فلا تبديل له[١]. فعلى هذا معنى الآية: لا تبديل لقول الله فيما ذكر من وعيد الكفار.

قال المفسرون[٢]: وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩، السجدة: ١٣]. وقال أبو إسحاق: يعني قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾[٣].

فإن قيل: على هذا كيف يجوز النسخ مع قوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ قلنا سبق قضاؤه بنسخ ما ينسخه، فلو لم ينسخ وقد سبق به الحكم حينئذ لزم تبديل القول.

وهكذا نقول في فائدة الدعاء والشفاعة[٤]. وذكر الكلبي في الآية قولاً آخر فقال: معنى الآية: ما يغير القول عندي بالكذب[٥]. يعني من كذب عندي فالغيب لا يخفى علي، وعلى هذا القول هو قول العبد لا قول الله تعالى. واختار الفراء وابن قتيبة هذا القول.

قال الفراء: معناه ما يكذب عندي للعلم بالغيب[٦]. وقال ابن قتيبة: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ أي لا يُغير عن جهته ولا يُحرّف، ولا يزاد فيه ولا

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ أ.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧.

(٣) من آية (١٦٠) من سورة الأنعام. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٦.

(٤) انظر: «نواسخ القرآن» لابن الجوزي ص١٦، «مناهل العرفان» ٢/ ١٩٨، «مباحث في علوم القرآن» ٢٣٤- ٢٣٥.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ١١/ ١٨١ ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٤، «فتح القدير» ٥/ ٧٧.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٩.

ينقص، لأني أعلم كيف ضلوا وكيف أضللتموهم[١]. وهذا القول كأنه أظهر؛ لأنه قال (القول لديّ) ولم يقل (قولي)[٢]. وهذا كما يقال: لا تكذب عندي. ولو قال قائل: لا يغير القول لديّ، فهم من كلامه أنه يقول: لا يكذب عندي بل يؤدي القول عندي على وجهه.

٣٠- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ قال أبو إسحاق: نصب ﴿يَوْمَ﴾ على وجهين:

على معنى: ما يبدل القول لديّ في ذلك اليوم.

وعلى معنى: أنذرهم يوم نقول، كما قال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾[٣].

وقرأ نافع: (يقول) بالياء على معنى: يقول الله. وقراءة العامة[٤] أشبه بما قبله من قوله: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ﴾ وقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ والنون في المعنى مثل: أقول، فهو أشبه بما قبله[٥].

وقوله: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ قال جماعة علماء التأويل[٦]: الله تعالى عالم هل امتلأت أم لا، وسؤالها عن امتلائها توبيخ لمن أُدْخِلها، ودلالة على صدق قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ أراها الله تعالى تصديق قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ فلما امتلأت قال لها: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾، قال أبو إسحاق: ووجه مخاطبتها جعل

---

(١) انظر: «تأويل المشكل» ص٤٢٣.

(٢) ذكره الشوكاني، ثم قال: والأول أولى، «فتح القدير» ٥/ ٧٧.

(٣) من آية (٣٩) من سورة مريم. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٦.

(٤) قرأ نافع وأبو بكر (يقول) بالياء. وقرأ الباقون (نقول) بالنون.
انظر: «حجة القراءات» ص٦٧٨، «النشر» ٢/ ٣٧٦، (الإتحاف» ص٣٩٨.

(٥) انظر: «الحجة» للقراء السبعة» ٦/ ٢١٣.

(٦) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٣٨، «جامع البيان» ٢٦/ ١٠٥، «القرطبي» ١٧/ ١٨.

فيها ما به تميز وتخاطب، كما جعل في النملة التي قالت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨](١).

قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد هل فيّ من سَعَة. وقد ضاقت بأهلها(٢). وقال مجاهد في رواية ابن أبي نجيح: وَعَدَهَا الله ليملأنها فقال: وفيتك. فقالت: فهل فيّ من مسلك(٣). وقال في رواية ابن أبي مريم: لا يزال يقذف فيها حتى تقول: قد امتلأت، فهل فيّ من مزيد(٤).

وروى مقاتل بن سليمان قال: فتنتفض فتقول: قد امتلأت وليس فيّ مزيد. تقول: ليس فيّ سَعَة(٥). وعلى هذا معنى الاستفهام في قوله: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ الإنكار(٦). أي قد امتلأت ولم يبق فيّ موضع لم يمتلئ.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح(٧): معنى قوله: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٧. والمؤلف رحمه الله تصرف في عبارة الزجاج، ونصها: ووجه مخاطبتها أن الله ﷻ جعل فيها..

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٥٩، من طريق الكلبي، «تفسير مقاتل» ١٢٥ أ، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٤.

(٣) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦١٢، «جامع البيان» ٢٦/ ١٠٥.

(٤) انظر: «الدر المنثور» ٦/ ١٠٧، ونسب إخراجه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ أ، «الكشف والبيان» ١١/ ١٨١ ب.

(٦) قلت: قول المؤلف رحمه الله: ومعنى الاستفهام الإنكار هو من كلام شيخه الثعلبي، ولا يليق بهذا المقام على القراءتين إذ لا يتصور إنكار من مخلوق على الله تعالى وبخاصة في يوم القيامة، بل الاستفهام فيه من الضعف والاستصغار أمام عظمة الله تعالى ما يرد وصفه بالإنكار والله أعلم.

(٧) باذام أو باذان مولى أم هانئ. وثقه بعض أهل العلم، وتكلم فيه بعضهم، واختار الشيخ أحمد شاكر توثيقه، وقال ابن معين: إذا روى عنه الكلبي فليس بشيء،=

مسألة للزيادة[(١)]، كأنها تستزيد إلى ما فيها. ولهذه الاستزادة مع قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ وجوه:

أحدها: أن هذا السؤال كان قبل دخول جميع أهل النار فيها[(٢)].

والآخر: إنَّما طلبت أن يزاد في سعتها لتضايقها بأهلها[(٣)].

وقال أبو إسحاق: إنها تقول: هل من مزيد تغيظًا على من فيها، يعني أن طلب الزيادة حنقًا على أهلها، تقول: هل بقي أحد لم أنتقم لك منه، فالزيادة[(٤)] ليس أنها لم تمتلئ فطلب الزيادة[(٥)].

٣١- قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ قال مقاتل: قربت

= وإذا روى عنه غير الكلبي فليس به بأس.

انظر: «تهذيب الكمال» ١/ ١٣٧، «الجرح والتعديل» ١/ ٤٣٢، «مسند الإمام أحمد» بتحقيق شاكر ٣/ ٣٢٣، «تهذيب التهذيب» ١/ ٤١٦، «ميزان الاعتدال» ١/ ٢٩٦.

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٠٦، «الكشف والبيان» ١١/ ١٨١ ب، «الوسيط» ٤/ ١٦٨.

قلت: والقول بأن قوله تعالى: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ بمعنى: هل بقي شيء تزيدوني، هو الظاهر من السياق وعليه تدل الأحاديث الصحيحة.

انظر: «صحيح البخاري»، كتاب: التفسير، باب: وتقول هل من مزيد، ٦/ ١٧٣، «صحيح مسلم»، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب: النار يدخله الجبارون ٤/ ٢١٨٦، «تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٣٨، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٢٦.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١١/ ١٨١ ب، «الوسيط» ٤/ ١٦٨، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٤.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٢٨/ ١٧٤، «فتح القدير» ٥/ ٧٧.

(٤) (ك): (فازادة).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٧.

الجنة للمتقين الشرك غير بعيد، فينظرون إليها قبل دخولها حين تنصب على يمين العرش[(١)] ويقال لهم:

٣٢- ﴿هَٰذَا﴾ أي هذا الجزاء أو هذا الشيء الذي ترونه: ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ بدل من قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾[(٢)] ويجوز أن يكون التقدير: هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ منكم. فحذف (منكم) لدلالة الخطاب عليه[(٣)].

قال ابن عباس: يريد لكل راجع عن معاصي الله[(٤)]. وقال عبيد بن عمير: الأواب الذي يتذكر ذنوبه ثم يستغفر منها[(٥)].

وقال مجاهد: هو الذي إذا ذكر ذنبه في الخلاء استغفر منه[(٦)].

وقال ابن المسيب: هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب[(٧)]. وأصله من الرجوع، وقد مر تفسيره عند قوله: ﴿لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥][(٨)].

قوله: ﴿حَفِيظٌ﴾ قال ابن عباس: أي لما ائتمنه الله عليه وافترضه[(٩)].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ أ، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٥.

(٢) انظر: «الكشاف» ٤/ ٢٤.

(٣) انظر: «فتح القدير» ٥/ ٧٨.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٠، «الوسيط» ٤/ ١٦٨.

(٥) انظر: «المصنف» ١٣/ ٤٤٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٠، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٢٨، «فتح القدير» ٥/ ٧٨.

(٦) انظر: «الكشف والبيان» ١١/ ١٨٢ ب، «الوسيط» ٤/ ١٦٨، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٥.

(٧) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٦٨، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٥، «الدر» ٦/ ١٠٧.

(٨) عند تفسيره لآية (٢٥) من سورة الإسراء. وهو بنفس النص المذكور هنا.

(٩) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٠ عن قتادة.

وقال الكلبي ومقاتل: حافظ لأمر الله[١].

وقال قتادة: حافظ لما استودعه الله من حقه ونعمته[٢].

٣٣- قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ يجوز أن يكون بدلاً من قوله: ﴿أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾، ويجوز أن يكون استئنافًا على: هو من خشي الرحمن. ويجوز أن يكون ابتداء يراد به الجزاء، على معنى: من خشي الرحمن قيل له: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ وادخلوها جواب للجزاء، أضمرت قبله القول وجعلته فعلاً للجميع وهو قوله: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾، لأن (من) يكون في مذهب الجمع ذكر ذلك الفراء[٣].

ومعنى ﴿خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال ابن عباس: يقول يخافني ولا يراني فكأنه يراني[٤].

وقال مقاتل: أطاعه ولم يره[٥]. وهذا كما ذكرنا في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] ومعنى هذا الغيب: غيبته عن رؤية الله. وقال الضحاك والسدي والحسن: يعني: في الخلوة، حيث لا يراه أحد إذا أرخى الستر وأغلق الباب[٦]. وعلى هذا الغيب غيبته عن الناس ورؤيتهم.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ أ.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٠٧، «الكشف والبيان» ١١/ ١٨٢ أ، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٥.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٧٩، «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٢٣، «مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٦٨٥.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٠، «الوسيط» ٤/ ١٦٩، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٥.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ أ.

(٦) انظر: «الكشف والبيان» ١١/ ١٨٢ ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢١، «فتح القدير» ٥/ ٧٨.

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ قال مقاتل: وجاء في الآخرة بقلب مخلص[(١)]. قال عطاء عن ابن عباس: راجع عن معاصي الله[(٢)].

وقال أبو صالح عنه: مقبل إلى طاعة الله[(٣)].

٣٤- وقوله: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ أي يقال لهم: ادخلوا الجنة ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ قال ابن عباس: بسلامة قد انقطعت عنهم الهموم وأمنوا الموت[(٤)]. وقال قتادة: سلموا من عذاب الله وسلم الله عليهم[(٥)].

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ في الجنة، لأنه لا موت فيها. قاله مقاتل.

٣٥- ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه ولم يخطرهم على بال، فذلك قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[(٦)] يعني وعندنا لهم مزيد. وقال عطاء عن ابن عباس: المزيد ما يزيدهم الله من الحور العين إلى ما عندهم من بنات آدم[(٧)].

وقال الكلبي عنه: هو أن الملائكة تأتي أحدهم بالهدايا من عند الله

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ أ، «الوسيط» ٤/ ١٦٩.

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٦٩، ولم ينسبه لقائل.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٥، «الجامع» للقرطبي ١٧/ ٢١، «فتح القدير» ٥/ ٧٨.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٠، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٥.

(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٣٩، «جامع البيان» ٢٦/ ١٠٨.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ أ.

(٧) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢١، «روح المعاني» ٢٦/ ١٩٠، «الدر» ٦/ ١٠٨، قال: وأخرج أحمد وأبو يعلى، وابن جرير بسند حسن عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ وفيه: «ثم تأتيه امرأته فتضرب على منكبه... ويسألها من أنت فتقول: أنا من المزيد». وانظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١١٠.

فإذا نظر إليها أعجبته، فتقول الملائكة للشجر الذي بفناء بابه: الله يأمرك أن تنفطري له عن كل ما يشاء من مقل هذه، وهو المزيد[(١)].

وقال كثير بن مرة[(٢)] وغيره: هو أن السحابة تمر بأهل الجنة فتقول: ما تريدون أن أمطركم؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطر لهم، وتمطر لهم الحور العين، فتقول الحور: نحن الذين قال الله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[(٣)] وروي عن أنس ابن مالك في قوله ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قال: يظهر لهم الرب تبارك وتعالى[(٤)].

وروى ذلك أيضًا عن جابر ويشهد لهذا التأويل قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦][(٥)].

---

(١) لم أجده.

(٢) كثير بن مرة أبو شجرة، ويقال أبو القاسم الحضرمي، الحمصي، ثقة. سمع عمر، وروى عن معاذ وعبادة بن الصامت وجماعة، ويقال إنه أدرك سبعين بدريًا وشهد الجابيَّة مع عمر.
انظر: «التاريخ الكبير» ٤/ ٢٠٨، «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٤٨، «تقريب التهذيب» ٢/ ١٣٣، «سير أعلام النبلاء» ٦/ ٤٦، «أسد الغابة» ٤/ ٢٣٣.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم نحوه. انظر: «الدر» ٦/ ١٠٩، «روح المعاني» ٢٦/ ١٩٠، قلت: لعل الأقوال السابقة من المزيد الذي ذكره الله تعالى تندرج في معنى الحديث الصحيح: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

(٤) أخرجه الشافعي، وأبو يعلى، وابن أبي شيبة وغيرهم من طريق جيدة. «الدر المنثور» ٦/ ١٠٨.

(٥) قال ابن كثير: وقد روى تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم الجمهور من السلف والخلف، «تفسير القرآن العظيم» ٢/ ١٩١.
وانظر: «صحيح مسلم»، كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم ١/ ١٦٣.
«سنن الترمذي»، كتاب: التفسير سورة يونس ٥/ ٢٧٦، «سنن ابن ماجه» ١/ ٦٧=

٣٦- قوله تعالى: ﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: ساروا[١]. وقال الكلبي عنه: تقلبوا[٢] وقال مجاهد: ضربوا[٣].

وقال النضر: دَوّروا[٤]. وقال أبو عبيدة: طافوا وتباعدوا[٥].

وقال الفراء: خرّقوا البلاد فساروا فيها[٦].

وقال الزجاج: طوفوا وفتشوا. قال ومنه: نقيب القوم للذي يعرف أمرهم[٧].

وقال المبرد: نقبوا في اللغة: طوفوا. وأصله من النقب وهو الطريق، كأنهم سلكوا كل طريق.

وأنشدوا لامرئ القيس[٨]:

وقد نَقّبْتُ في الآفَاقِ حتَّى رَضِيتُ من الغَنِيمَةِ بالإيَابِ

ومعنى الآية: أن القرون الماضية ساروا في البلاد فلم يجدوا محيصًا

= في المقدمة، «شرح النووي على مسلم» ٣/ ١٧، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٢٨.

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٠، «جامع البيان» ٢٦/ ١١٠، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٢٩.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٢.

(٣) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦١٢، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٢٩.

(٤) (ك): (دوخوا) وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٢، «فتح القدير» ٥/ ٨٠.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٤.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٩.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٨.

(٨) انظر: «ديوانه» ٧٣، «اللسان» ٣/ ٦٩٧ (نقب)، والمراجع السابقة. ورواية الديوان «طوفت» بدل «نقبت». وقد ذكرها عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ آية: ٧ من سورة النجم.

عن أمر الله. قال قتادة: حاص أعداء الله فوجدوا أمر الله لهم مدركًا[١]. وقال أبو إسحاق: طوفوا وفتشوا فلم يروا محيصًا من الموت[٢]. أخبر الله عنهم أنهم طلبوا المهرب من الموت فلم يجدوا. وتقدير اللفظ: فنقبوا في البلاد هل من محيص لهم فلم يجدوا. وفي هذا إنذار لأهل مكة أنهم على مثل سبيلهم لا يجدون مفرًا من الموت. يموتون فيصيرون إلى عذاب الله.

٣٧- قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي في إهلاكهم: ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ يعني تذكرة وموعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء، وأبي صالح: عقل[٣].

قال الفراء: وهذا جائز في العربية أن يقول: ما لك قلب، وما قلبك معك. أي: ما عقلك معك، وأين يذهب قلبك. أي: أين يذهب عقلك[٤].

وقال غيره: إنما جاز ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ لأن من لا يعي الذكر لا يعتد بما له من القلب، والمعنى: لمن صرف قلبه إلى التفهم، لأن من لم يتفهم كان بمنزلة من لا قلب له، ألا ترى أن الكفار ما لم يستمعوا سماع تفهم واسترشاد جعلوا بمنزلة من لا يسمع فقيل في صفتهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾[٥] وهذا قول أبي إسحاق[٦].

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ قال أبو عبيدة والفراء:

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٣٩، «جامع البيان» ٢٦/ ١١٠.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٤٨.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٢، «الوسيط» ٤/ ١٧٠، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٦.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٨٠.

(٥) انظر: من آية (١٨) و(١٧١) من سورة البقرة.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٨.

يقال: ألقى سمعه إلى الشيء، وألق سمعك إليّ: استمع مني. فمعنى: ﴿أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ استمع[١]، وليس يراد بالسمع هاهنا الأذن، وإنما يراد حاسة السمع، كأنه قيل: وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له. وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: وهو شاهد غير غائب[٢].

قال ابن قتيبة: استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم ليس بغافل ولا ساهٍ[٣]. فالمعنى: وهو شهيد بالفهم والقلب.

قال أبو إسحاق: ويجوز أن يكون: ﴿وَهُوَ﴾ كناية عن القلب. أي وقلبه حاضر فيما يسمع[٤].

٣٨- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ قال جماعة المفسرين[٥]: إن اليهود قالت: خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فذلك لا يعمل فيه شيئًا. فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ قال الكسائي: يقال لَغَبَ بالفتح يلغُبُ بالضم لغوبًا، ولغِبَ بالكسر يلغَب بالفتح لغبًا- لغتان فهو لاغب[٦].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٤، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٠.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٢، «تفسير مقاتل» ١٢٥ ب.

(٣) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤١٩.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٤٩.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٢، «تفسير مقاتل» ١٢٥ ب، «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٣٩، «جامع البيان» ٢٦/ ١١، «أسباب النزول» للواحدي ص٤٥٨، وبهذا قال ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومقاتل، والكلبي، وغيرهم. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٥٠ عن عكرمة عن ابن عباس.

(٦) انظر: «اللسان» ٣/ ٣٧٥، «المفردات» ص٤٥١ (لغب).

قال ابن عباس: يريد كما يلغب المخلوقون إذا عملوا من النَّصَب والتعب والإعياء[١].

٣٩- قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يعني على بهت اليهود وكذبهم في قول مقاتل[٢]. وقال مقاتل[٣]: نزلت في المستهزئين بالقرآن، ولم يكن أذن لرسول الله ﷺ في القتال بعد.

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي صَلِّ حمدًا لله تعالى: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ قال مقاتل: يعني صلاة الفجر والعصر[٤]. وزاد عطاء والكلبي عن ابن عباس: صلاة الظهر[٥].

٤٠- ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ قال عطاء، والكلبي، ومقاتل: يريد المغرب والعشاء[٦].

﴿وإدبارَ السُّجود﴾ بكسر الهمزة[٧] مصدر أدبر الشيء إدبارًا، إذا ولَّى. وانتصابه هاهنا على الظرف. والمصادر تجعل ظرفًا على إرادة إضافة

---

(١) انظر: لم أجده.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ ب، «الوسيط» ٤/ ١٧٠، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٦.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٤، «فتح القدير» ٥/ ٨٠، ولم ينسب لقائل.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ ب، وفيه (يعني صلاة الفجر والظهر والعصر).

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٢، ٢٦٣، وهو المروي عن مقاتل. ومن المفسرين من علقه بصلاة الفجر وصلاة العصر، ومنهم من علقه بوقت الفجر ووقت العصر. انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١١٢، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٢٩، «فتح القدير» ٥/ ٨٠.

(٦) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٧١، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٧.

(٧) قرأ نافع، وابن كثير، وحمزة، وأبو جعفر، وخلف: ﴿وَإِدْبَٰرَ﴾ بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: «حجة القراءات» ص٦٧٨، «النشر» ٢/ ٣٧٦، «الإتحاف» ص٣٩٨.

أسماء الزمان إليها وحذفها كقولك: جئتك مقدمَ الحاج، وخفوقَ النجم، وخلافةَ فلان. تريد في ذلك كله: وقت كذا، وحذفته. فكذلك يُقدَّر في قوله: وقت إدبار السجود، إلا أن المضاف المحذوف في هذا الباب لا يكاد يظهر ولا يستعمل، ومن فتح الهمزة جعله جمع دُبْرٍ أو دبر، مثل: قُفْلٍ، وأقفال، وطنبٍ وأطناب. وقد استعمل ذلك ظرفًا في نحو: جئتك في دبر الصلاة، وفي أدبار الصلوات، وعلى دبر الشهر الحرام(١).

قال أوس(٢):

على دُبرِ الشَّهرِ الحَرَامِ بأرْضِنَا وما حَوْلَها جَدْبٌ سُنُون تلمَّعُ

واختلفوا في المأمور به في أدبار السجود، فروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد الوتر الذي جعله سنة بعد الصلاة(٣).

وقال قتادة ومجاهد والكلبي ومقاتل: يعني الركعتين بعد صلاة المغرب(٤)، وهو مذهب علي، وعمر، وأبي هريرة، والحسن، والنخعي، والشعبي، وإبراهيم(٥)، والحسن بن علي ﵄. وروي ذلك مرفوعًا. رواه كريب عن ابن عباس، قال: قال لي النبي ﷺ: «**يا ابن عباس ركعتان بعد**

---

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢١٣- ٢١٤.

(٢) لم أقف على البيت في «ديوان أوس بن حجر»، وانظر: «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٣٧٠، ٦/ ٢١٤.

(٣) انظر: «الوسيط» ٢/ ١٧١، «روح المعاني» ٢٦/ ١٩٣.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ ب، «تفسير مجاهد» ٢/ ٦١٣، «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٠، «الكشف والبيان» ١١/ ١٨٣ أ.

(٥) إبراهيم بن مهاجر بن جابر البجلي، ثقة، وكان أبوه من كتاب الحجاج بن يوسف. انظر: «طبقات ابن سعد» ٦/ ٣٣١، «التاريخ الكبير» ١/ ٣٢٨.

المغرب أدبار السجود»(١).

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: أمر بالتسبيح، وهو التسبيح باللسان أدبار الصلوات المكتوبة(٢) وعلى هذا أمر بالتسبيح بعد الفراغ من الصلاة. والسجود عبارة عن الصلاة.

واختار أبو عبيد فتح الهمزة. وقال: لأنه لا إدبار للسجود إنما ذلك للنجوم، ولهذا لم يختلف في كسر ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩](٣) وأدبار جمع دُبُر، ويقال: دبر الصلاة، أي خلف الصلاة.

٤١- قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ مفعول الاستماع محذوف على تقدير: واستمع النداء أو الصوت، أو الصيحة، وهي صيحة القيامة والبعث والنشور. واختلفوا في المنادي، فقال الكلبي:

---

(١) رواه الترمذي في التفسير، باب: ومن سورة الطور ٥/ ٣٦٦، عن هشام الرفاعي عن محمد بن فضيل وقال: غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه.
وأخرجه الطبري من وجه آخر عن ابن عباس، وإسناده ضعيف، لكن روى ابن المنذر من طريق أبي تميم الجيشاني قال: قال أصحاب رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ هما الركعتان بعد المغرب، «فتح الباري» ٨/ ٥٩٨.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦١٣، «جامع البيان» ٢٦/ ١١٣، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٣٠، وقال: ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه وفي «الاستذكار» لابن عبد البر ٥/ ٤٣١: عن أبي رزين عن ابن عباس: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ قال: الصلاة المكتوبة يعني الصبح والعصر، وبه قال قتادة وغيره.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٢٥، وقد ردَّ هذا الاختيار وقال: وهذا مما أخذ عليه، لأن معنى ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ وما بعده وما يعقبه فهذا للسجود، والنجوم والإنسان واحد، وقد روى المحدثون الجلة تفسير ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ فلا نعلم أحدًا منهم فرق ما بينهما.

هو جبريل[١].

وقال مقاتل: هو إسرافيل، وهو أنه ينادي بالحشر فيقول: يا أيها الناس: هلموا إلى الحساب، وذلك في النفخة الأخيرة[٢].

وقوله: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أكثر المفسرين[٣] على أنه صخرة بيت المقدس. قال الكلبي: وهي أقرب[٤] الأرض من السماء باثني عشر ميلاً. ونحو ذلك قال مقاتل. قال وهو وسط الأرض[٥].

وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد من تحت أقدامهم[٦]. يعني أن النداء بالحشر يسمعه كل أحد من مكان قريب منه، حتى كأنه يسمعه من تحت قدميه.

٤٢- ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ قال المفسرون[٧]: يعني النفخة الثانية، ويجوز أن يريد النداء للبعث. وهو قول المنادي: يا أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨١، «الكشاف» ٤/ ٣٥، «فتح القدير» ٥/ ٨١.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٧، «جامع البيان» ٢٦/ ١١٤، عن بريدة، «الدر» ٦/ ١١١.

(٣) وممن قال به كعب الأحبار وقتادة، ويزيد بن جابر، وابن عباس، وبريدة.
انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٠، «جامع البيان» ٢٦/ ١١٤، «روح المعاني» ٢٦/ ١٩٤.

(٤) (أقرب) ساقطة من (ك).
وانظر: «الوسيط» ٤/ ١٧٢، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٨، «القرطبي» ١٧/ ٢٧.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ ب، «جامعه البيان» ٢٦/ ١١٤، عن قتادة.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٤.

(٧) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٨.

أن تجتمعن لفصل القضاء[١] .

قوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّۚ﴾ قال الكلبي: بالبعث[٢]. وقال مقاتل: يعني أنها كائنة حقًّا[٣] .﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ من القبور.

٤٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ قال ابن عباس: يريد كنتم أحياء وأمتناكم ثم إلينا مصيركم[٤]. وعلى معنى قول الكلبي ومقاتل معناه: إنَّا نحن نميت في الدنيا ونحيي للبعث[٥].

﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ والواو لا توجب ترتيبًا .

٤٤- قوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ﴾ (يوم) ظرف للمصير .

قوله تعالى: ﴿سِرَاعًاۚ﴾ أي خارجين سراعًا يسرعون إلى الداعي، قال: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ﴾ [القمر: ٨] .

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾، قال عطاء: بَعْثٌ علينا سهل[٦]. وقال الكلبي: سَوْق علينا هين[٧].

وقال مقاتل: جَمْعُ الخلائق علينا هين. ثم عَزّى نبيه ﷺ فقال:

٤٥- ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ يعني كفار مكة، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ﴾

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ ب، ١٢٦ أ، «الكشف والبيان» ١١/ ١٨٣ ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٧.

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٧٢، «فتح القدير» ٥/ ٨١.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ ب، «الوسيط» ٤/ ١٧٢.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٤.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٥ ب، «الوسيط» ٤/ ١٧٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٧.

(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٧.

(٧) لم أجده، وهو بمعنى سابقه ولاحقه.

قال المفسرون: بمسلط[١]. قال ابن عباس: لم تبعث لتجبرهم على الإسلام والهدى، إنما بعثتُ مذكرًا وذلك قبل أن يؤمر بالقتال[٢].

قال ابن قتيبة: وجبار ليس من: أجبرت الرجل على الأمر، إذا قهرته عليه، لأنه لا يقال من ذلك، والجبار الملك، سمي بذلك لتجبره.

يقول: فلست عليهم بملك مسلط[٣]. وهذا قول الفراء، قال: لا يقال: دخال بمعنى مُدْخِل، ولا خراج بمعنى مخرج. والجبار من الجبرية وأنشد قول عمرو:

عَصَيْنَا أمْرَه الجَبَّار فِينَا[٤]

قال: يريد المنذر[٥] لولايته.

ثم قال: وقد قالت العرب: درّاك من أدركت، فإن قلت: الجبار على هذا من أجبرت، فهو وجه. قال: وسمعت بعض العرب يقول: جبره على الأمر، فالجبار من هذه اللغة صحيح، يريد: يجبرهم ويقهرهم[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ أ، «جامع البيان» ٢٦/ ١١٥، «الوسيط» ٤/ ١٧٢.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٥، «الوسيط» ٤/ ١٧٢، «فتح القدير» ٥/ ٨١.

(٣) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤١٩.

(٤) البيت لعمرو بن كلثوم، ولم أجده بهذا اللفظ عند غير المؤلف.
انظر: «الديوان» ص٣٤٩، «شرح المعلقات السبع» للزوزني ص١٠٩، ورواية الديوان:
إذا ما الملك سام الناس خسفًا   أبينا أن نقر الذل فينا

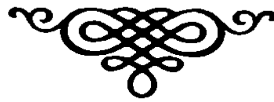
(٥) هو المنذر بن المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة بعد أبيه، خرج يطلب دم أبيه من الحارث بن أبي شمر الغساني، فقتله الحارث، وقيل قتله مرة بن كلثوم التغلبي أخو عمرو بن كلثوم. انظر: «المعارف» ص٦٤٨.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨١، «جامع البيان» ٢٦/ ١١٥.

قوله: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ قال ابن عباس: فعظ بالقرآن من يخاف وعيد ما وعدت من عصاني من العذاب[(١)] .

قال الكلبي: نسخت هذه الآية وأمثالها بآيات القتال[(٢)] .

تَمَّتْ.



(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٨.

(٢) انظر: «نواسخ القرآن» ص٢٣٠، «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ص٤١٧، «فتح القدير» ٥/ ٨١.

سورة الذاريات

تفسير سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ قال جماعة المفسرين[١]: هي الرياح تذرو التراب وهشيم النبت. أي تفرقه كقوله: ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف: ٤٥][٢] وقد مرَّ. وذكر جميعُ أهل اللغة أن ذرت وأذرت بمعنى واحد[٣].

قال أبو إسحاق: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ مجرور على القسم، المعنى: أحلف بالذاريات وبهذه الأشياء، قال: وقال قوم: المعنى: وربِّ الذاريات، كما قال ﷻ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤]

٢- قوله: ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ يعني السحاب التي تحمل وقرًا، أي ثقلاً من الماء.

٣- قوله: ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾ يعني السفن تجري ميسرةً في الماء جريًا سهلاً.

---

(١) وهو المروي عن عمر، وعلي، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة وغيرهم. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤١، «جامع البيان» ٢٦/ ١١٦، «فتح الباري» ٨/ ٥٩٨.

(٢) عند تفسيره لآية [الكهف: ٤٥]. ومما قال: الهشم الكسر، والهاشم الذي يهشم الخبز ويكسره في الثريد، وبه سمي هاشمًا. والهشيم ما تكسر وتهشم وتحطم من يبس النبات. وقال المفسرون في الهشيم: إنه الكسير المتفتت.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٥، «تهذيب اللغة» (ذرا).

(٤) من (آية: ٢٣) من هذه السورة، وانظر «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥١.

٤- قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾. قال الكلبي ومقاتل: يعني الملائكة جبريل وميكائل وإسرافيل وملك الموت، يقسمون الأمر بين خلقه في الأرض، وهم المدبرات أمراً.

قال المبرد: يفرقون في الناس ما أمرهم الله به[١].

وقال الفراء: جبريل صاحب الغلظة، وميكائل صاحب الرحمة، وملك الموت يأتي بالموت[٢]. هؤلاء سموا هذه الأربعة من الملائكة في تفسير المقسمات. وغيرهم ذكروا الملائكة على العموم والإطلاق. قالوا في: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ إنهم الملائكة. وهذا أولى من تخصيص الأربعة لقوله: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ﴾ ومعناه: فالجماعات المقسمات، يعني جماعات الملائكة الذين وكلوا بالأمور يقسمونها على ما أمروا به. وتفسير هذه الآيات على ما ذكرنا مروي عن أمير المؤمنين علي ﷺ وتبعه المفسرون في ذلك فقالوا بقوله[٣].

وانتصب ﴿يُسْرًا﴾ على تقدير: فالجاريات جريًا يسرًا، فهو نعت مصدر محذوف، وانتصب: ﴿أَمْرًا﴾ في قوله: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ بالمقسمات، أي يقسمون أمراً أمروا به[٤].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ أ، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٢، «القرطبي» ١٧/ ٣.

(٢) (ك): (بالرحمة) وانظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٢.

(٣) وهو المروي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦١٥، «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤١، «جامع البيان» ٢٦/ ١١٦- ١١٧، «المستدرك» ٢/ ٤٦٧ عن علي بن أبي طالب. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٢٩، «مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٦٨٦.

ويجوز أن يكون المعني: فالمقسمات بالأمر. أي بأمر الله تعالى أمروا بذلك أمرًا. وأما معنى القَسْم بهذه الأشياء، إن قلنا إنه على إضمار الرب كما ذكره الزجاج فهو ظاهر، وإن قلنا إنه أقسم بهذه الأشياء، فوجه ذلك أنه إنما أقسم بالرياح لما فيها من عظيم العبر في هبوبها تارة وسكونها تارة، وما فيها من الحاجة في تنشئة السحاب وتذرية الطعام، واختلافها في العصوف واللين، فهي تقتضي مصرفًا لها، ومسكنًا، ومحركاً، وأقسم بالسحاب لما فيه من الآيات، وهو أنه ينبئ عن مُحَمل حمله الماء وأمسكه من غير عماد وأغاث بمطره العباد، وأحيا البلاد، وصرفه في وقت الغنى عنه بما لو دام لصار الناس إلى الهلال، ولو انقطع أصلاً لأضرّ بهم جميعًا، وأقسم بالسفن لما فيه من الدلائل بتسخير البحر لجريانها، وتقدير الريح لها بما لو زاد لغرق وما في هداية النفوس إلى صنعتها، وما في عظم النفع فيما ينتقل من بلد إلى بلد بها، وأقسم بالملائكة لما فيه من اللطيفة وعظم الفائدة وجلالة المنزلة بتقسيم الأمور بأمر ربها. وقد دل بهذه الأشياء على توحيده في قوله: ﴿ٱلْفُلْكِ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٤].

٥- ثم ذكر جواب القسم فقال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ قال ابن عباس: يزيد ما توعدون من أمر الساعة لحق. وهو قول كائن يقع بكم في الآخرة(١).

وقال مقاتل: إن الذي توعدون من أمر الساعة لحق. وهو قول مجاهد(٢).

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٦، «الوسيط» ٤/ ١٧٣، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٩.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ أ، «تفسير مجاهد» ٢/ ٦١٥.

٦- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ قالوا: وإن الجزاء لكائن. وقال أبو إسحاق: إن المجازاة على أعمالكم لواقعة[١]:

٧- ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ معني الحَبْك في اللغة: إجادة النسج. يقال: حبك الثوب، أي أجاد نسخه، وحبل محبوك، إذا كان شديد الفتل، ومنه قول الراجز:

وإن تجعَّرتْ بمَحْبُوكٍ مُمَرّ[٢]

وفرس محبوك الكفل، أي مدمجه.

قال لبيد:

مُدْمَج الحَارِك مَحْبُوك الكَفَلْ[٣]

قال شمر: والمَحبوك في اللغة ما أجيد عمله، ودابة محبوكة إذا كانت مُدْمَجَة الخَلْق[٤]. وقال أبو عبيدة والمبرد: الحبُك: الطرائق، واحدتها حِبَاك، وحباك الحمام، طرائق على جناحيه، وطرائق الماء حَبكه[٥] وأنشد

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥١.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٢، «اللسان» ١/ ٤٦٥ (جعر) وغيرهما ولم أجده منسوبًا.

ليس الجعارُ منجيًا من القَدرْ وإن تجعَّرت بمحبوك مُمَرّ

والجعار: الحبل. يشد به وسط الرجل إذا نزل في البئر وطرفه في يد رجل. والحبك: الشد. والممر الحبل الذي أجيد فتله، وكل مفتول ممر. انظر: «اللسان» ٣/ ٤٦٦ (مرر).

(٣) البيت في «ديوان لبيد بن ربيعة» ص١٤٤، «تهذيب اللغة» ٤/ ٩٧ (حرك) والحارك: أعلى الكاهل. ورواية الديون:

ساهم الوجه شديد أسْرُهُ مُغبَط الحارِكِ مَحبوكُ الكَفلْ

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ١٠٨ (حبك).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٤، «اللسان» ١/ ٥٥٥ (حبك).

أبو عبيدة لزهير:

مُكَلَّل بأصُولِ النَّبْتِ تَنْسِجُهُ ريحُ الجنوبِ لِضاحِي مائِه حُبُكُ[١]

وأنشد للفرزدق:

وأنت ابن جَبّارَيْ رَبِيعَة حَلَّقَتْ
بك الشمْسُ في الخَضْراء ذاتِ الحَبائِكِ[٢]

وقال الفراء: الحبك تَكَسُّرٌ بكل شيء كالرملة إذا مرت بها الريح، والماء الدائم إذا مرت به الريح، والدرع إذا كانت من الحديد لها حُبُك أيضًا، والشعرة الجعدة تكسُّرها حبك، وواحد الحُبُك حِبَاك وحَبِيكة، مثل طريقة وطرق، ومثال ومثل[٣].

قال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ يريد الخلق الحسن[٤]. وهو قول أبي صالح، وأبي مالك وقتادة، والربيع.

قال الحسن: حُبكتْ بالخلق الحسن[٥]. وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس في تفسير الحبك قال: حسنها واستواؤها[٦].

وروى معمر عن قتادة: ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ذات الخلق الحسن الشديد[٧].

---

(١) البيت في «ديوانه» ص١٧٦، «المحتسب» ٢/ ٢٨٧، «اللسان» ١/ ٥٥٥ (حبك). وفي الألفاظ بعض الاختلاف، والشاهد فيه أن النجم هو نبت يمتد على وجه الأرض بلا ساق.

(٢) انظر: «ديوانه» ٢/ ٥٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٢.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٦، «جامع البيان» ٢٦/ ١١٧.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١١٨.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١١٨، «الدر» ٦/ ١١٢.

(٧) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٢.

وهو قول ابن زيد. قال: ذات[(١)] الشدة. وقرأ قوله: ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢] وهو معنى قول مجاهد: متقنة البنيان[(٢)].

وقال في رواية الكلبي: ذات الطرائق، ولكنها بعيد عن العباد فلا يرونها كحبك الماء إذا ضربته الريح وكحبك الرمل، وكحبك الشَّعْر الجعد[(٣)]. ونحو هذا قال مقاتل سواء[(٤)] وهو قول عكرمة، وقال: إن بنيانها كالبرد المسلسل[(٥)].

وقال عبد الله بن عمرو: هي السماء السابعة[(٦)]. يعني: أنها ذات الطرائق لا التي نراها. والاختيار عند أهل اللغة في تفسير: ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ ذات الطرائق الحسنة[(٧)].

٨- ثم ذكر جواب القسم فقال: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿لَفِى قَوْلٍ

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١١٨، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٣٢.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦١٦، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٩.

(٣) مراد المؤلف من قوله: (وقال في رواية الكلبي) أي ابن عباس، وقد فصل بين الرواية الأولي وهذه بفاصل قد يوهم فوجب التنبيه. انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٦، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٩.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ أ.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١١٨، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٩.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١١٨، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٣١. قال ابن كثير: وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء، كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما- فإنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء... «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٣٢. والصفيق جيد النسج.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٢. وقال الشنقيطي -رحمه الله-: ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ فيه للعلماء أقوال متقاربة لا يكذب بعضها بعضًا.. والآية تشمل الجميع، فكل الأقوال حق. «أضواء البيان» ٧/ ٦٦٢- ٦٦٤.

مُّخْتَلِفٍ﴾. قال عطاء عن ابن عباس: يعني في محمد ﷺ بعضكم يقول شاعر، وبعضكم يقول مجنون. وفي[(١)] القرآن: يؤمن به بعضكم ويكفر به بعضكم[(٢)].

وقال الكلبي: إنكم بين مصدق ومكذب بمحمد والقرآن[(٣)].

٩- ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾ قال أبو عبيدة: يدفع عنه ويحرمه[(٤)].

وقال الفراء: يَصْرف عنه. والكناية في ﴿عَنْهُ﴾ يجوز أن يكون للقرآن، أو للإيمان[(٥)] أو لمحمد ﷺ، كل ذلك قد قيل.

قال ابن عباس: يكذب به من يكذب[(٦)]. والمعنى: يصرف عنه من صُرِفَ حتى يكذب به.

١٠- قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ قال جماعة المفسرين وأهل المعاني[(٧)]: لعن الكذابون. قال ابن الأنباري: هذا تعليم لنا الدعاء عليهم، معناه: قولوا إذا دعيتم عليهم: قتل الخراصوان. قال: والقتل إذا أخبر عن الله به كان بمعنى اللعنة، إن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك[(٨)].

---

(١) في (ك): (يعني في) والصواب ما أثبته.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٧، «الوسيط» ٤/ ١٧٤، «التفسير الكبير» ٢٨/ ١٩٧.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٩، «فتح القدير» ٥/ ٨٣.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٤.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٨٣.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٧، «الوسيط» ٤/ ١٧٤، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٩.

(٧) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٢، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٣، «تفسير غريب القرآن» ٤٢١، «جامع البيان» ٢٦/ ١١٩، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٣٢، «فتح الباري» ٨/ ٥٩٩.

(٨) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٣٣، «فتح القدير» ٥/ ٨٤.

وأما الخراصون فقال أبو إسحاق: هم الكذابون[١]، يقال: قد تَخَرَّص عليّ فلان بالباطل. قال: ويجوز أن ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ يكون الخراصون الذين يتظنون الشيء لا يُحقُّونه فيعملون بما لا يدرون صحته[٢]. الأزهري: وأصل الخْرَصِ التَّظَنِّي فيما لا يستيقنه، ومنه قيل: خرصت النخل والكرم، إذا حزرته، لأن الحزر فيه الظن لا الإحاطة، ثم قيل للكذب خرص لما يدخله من الظنون الكاذبة[٣]. واختلفوا في الخراصين هاهنا مَنْ هم؟ فقال[٤]: هم رؤساء قريش الذين رموه بما رموه به من السحر، وهو اختيار الفراء. قال: هم الذين قالوا: محمد شاعر، كذاب، مجنون، ساحر، وأشباه ذلك، خرصوا ما لا علم لهم به[٥]. وقال ابن عباس: هم المقتسمون[٦]. وهو قول مقاتل. قال: وتخرصهم أنهم قالوا للناس: إن محمدًا شاعر، وساحر، ومجنون[٧].

وقال مجاهد: هم الكهنة. وهو اختيار أبي عبيدة[٨].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٥٢.

(٢) من قوله: (يقال: قد تخرص) من كلام الزجاج، انظر«معاني القرآن» ٥/ ٥٢.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ١٣ (خرص).

(٤) قوله (فقال) يدل على إسقاط صاحب القول، ونحوه عن ابن عباس، وابن زيد وغيرهما. انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٨، «جامع البيان» ٢٦/ ١١٩.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٨٣.

(٦) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٣٤، ومراده من المقتسمين. أي اقسموا القول في النبي ﷺ فمنهم من رماه بالسحر، ومنهم من رماه بالشعر، ومن من رماه بالكهانة.

(٧) انظر«تفسير مقاتل» ١٢٦ أ.

(٨) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٥، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٩، «جامع البيان» ٢٦/ ١١٩، عن ابن عباس.

١١- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ﴾ الغمرة ما غمر الشيء فغطاه. يقال: هذا نهر غمر. أي يغمر فيه مَنْ دخله[١] ومنه: ﴿غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾ وقد مرَّ[٢].

قال ابن عباس: في عمى وجهالة عن أمر الآخرة ساهون لاهون غافلون[٣]. ومعنى السهو في اللغة الغفلة عن الشيء، وذهاب القلب عنه. يقال: سها يسهو سهوًا وسُهوًّا. ذكر ذلك الليث[٤].

١٢- قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ قال ابن عباس: متى يوم القيامة الذي فيه الثواب والعقاب[٥].

وقال الكلبي، ومقاتل: يسألون النبي يقولون: يا محمد متى الساعة وقيامها، واليوم الذي توعدنا به وتزعم أنا نعذب فيه تكذيبًا منهم بالحساب، واستهزاء[٦].

و﴿أَيَّانَ﴾ معناه في اللغة متى، وفيه لغتان، فتح الهمزة وكسرها[٧].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ١٢٨، «اللسان» ٢/ ١٠١٣ (غمر).

(٢) عند تفسيره للآية [الأنعام: ٩٣] قال: الغمرة شدة الموت وما يغشي الإنسان من همومه وسكراته. وغمرة كل شيء كثرته ومعظمة، ومنه غمرة الماء وغمرة الحرب. ويقال: غمره الشيء إذا علاه وغطاه. قال الزجاج: ويقال لكل من كان في شيء كثير قد غمره ذلك. وغمره الدين إذا كثر عليه. هذا هو الأصل ثم يقال للشدائد والمكاره الغمرات.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٨، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٩.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٢٦٦، (سهو)، «اللسان» ٢/ ٢٣. (سها).

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٨.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ أ، «الوسيط» ٤/ ١٧٤، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٩.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٢، «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥٤٩ (أيان)، «الكشاف» ٢/ ١٠٧، وقراءة الكسر لعبد الرحمن السلمي، وهي لغة لسُليم.

وكأنه مركب من أي والآوان[١] فجعلتا كلمة واحدة .

١٣- ثم أخبر الله تعالى عن ذلك اليوم الذي يسألون عنه فقال: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قال أبو إسحاق: نصب (يوم) على وجهين: **أحدهما**: على معنى يقع الجزاء يوم هم على النار . **والثاني**: أن يكون لفظه نصبًا، ومعناه معنى رفع، لأنه مضاف إلى جملة، نقول: يعجبني يوم أنت قائم، ويوم تقوم، وإن شئت تحت، وهو في موضع رفع، وهذا كقوله: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ [هود: ٦٦] ففتح يوم وهو في موضع خفض، لأنك أضفته إلى غير متمكن[٢]. وقد ذكرنا هذه المسألة عند قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[٣] [المائدة: ١١٩]. في قراءة من قرأ بالنصب. ومعنى (يُفْتَنُونَ) يحرقون ويعذبون بالنار، وكذا قال المفسرون .

قال المبرد: يقال: فتنت الدينار، إذا أحرقت عنه ما زيد فيه من الغش[٤]. وهذا معنى قول مجاهد: كما يفتن الذهب في النار[٥]. وقال عكرمة -في هذه الآية-: ألم تر أن الذهب إذا أدخل النار قيل فتن[٦] .

---

(١) في (ك): (والألوان) والصواب ما أثبته.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٢- ٥٣. وفتح (يوم) في [هود: ٦٦] نافع، والسكاكي، وأبو جعفر، والباقون بكسرها. انظر: «حجة القراءات» ص٣٤٤، «النشر» ٢/ ٢٨٩، «الإتحاف» ص٢٥٧.

(٣) وفتح (يوم) نافع، والباقون قرأوا بالرفع. انظر: «حجة القراءات» ص٢٤٢، «النشر» ٢/ ٢٥٦، «الإتحاف» ص٢٠٤.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٢، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٣٣.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٢، «الوسيط» ٤/ ١٧٤.

قال الزجاج: ويقال للحجارة التي كأنها قد أحرقت بالنار الفَتِين[١].

١٤- قوله: ﴿ذُوقُواْ﴾ أي يقول لهم خزنة النار ذوقوا فتنتكم. قال مجاهد والكلبي: حريقكم[٢].

وقال آخرون: عذابكم[٣]. وهو معنًى، والتفسير هو الأول.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ يجوز أن يكون متصلاً بالكلام الأول ويكون هذا إشارة إلى الفتنة وذكر إرادة الإحراق والعذاب[٤]. ويجوز أن يكون الكلام قد تم ثم قيل لهم: هذا العذاب الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا استهزاء وتكذيبًا به. وهذا مذهب أبي عبيدة[٥].

ولما ذكر الله تعالى أن الجزاء على الأعمال كائن بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ ذكر جزاء أهل النار، ثم أعلم ما لأهل الجنة عنده من الجزاء بقوله[٦] تعالى:

١٥-١٦- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ﴾ قال ابن عباس، والمفسرون[٧]: ما أعطاهم من الخير والكرامة. وانتصابه

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٣.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٢١، «الوسيط» ٤/ ١٧٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٣٥، «اللسان» ٢/ ١١٣٧ (فتن).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ ب، «جامع البيان» ٢٦/ ١٢١، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٢٩، وفي «تنوير المقباس» ٥/ ٢٦٨، قال: حرقكم وعذابكم ونضجكم.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٢٨/ ١٩٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٣٥، «فتح القدير» ٥/ ٨٤.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٦، «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٣٢.

(٦) (ك): (بقوله قوله).

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ ب، «الوسيط» ٤/ ١٧٥، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣.

على الحال، والعامل فيه ما يقدر مع الجار في خبر إن؛ لأن المعنى: يستقرون في جنات[(١)].

ثم أثنى عليهم فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ يعني في الدنيا. قال مقاتل: كانوا قبل ذلك الثواب محسنين في أعمالهم[(٢)].

١٧- ثم ذكر إحسانهم فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ والهجع معناه النوم بالليل دون النهار، ومنه يقال: لقيته بعد هجعة. أي بعد نومة من الليل[(٣)]. وكثر الاختلاف في تقدير هذه الآية. وتفسيرها أن (ما) صلة والمعني كانوا يهجعون قليلًا من الليل. أي: لا ينامون بالليل كله ولا كثيره، بل يصلون أكثر الليل[(٤)]. وعلى هذا التأويل قال عطاء[(٥)]: ذاك إذا أمروا بقيام الليل، فكان أبو ذر يأخذ العصا ويعتمد عليها حتى نزلت الرخصة[(٦)]. ويجوز على هذا التأويل معنى آخر، وهو أن يكون الليل اسم الجنس، والمعنى الذي ينامون فيه قليلاً. وهو معنى قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير قال: كانوا قل ليلة تمر بهم إلا صلوا فيها[(٧)].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٣، «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٣٣.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ ب، «الوسيط» ٤/ ١٧٥.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١٢٩، «اللسان» ٣/ ٧٧٤ (هجع).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٤، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٣.

(٥) في (ك): (وعلى هذا التأويل قال عطاء) مكررة.

(٦) انظر: «المصنف» لابن أبي شيبة ٢/ ٢٣٨، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٣٦، «الدر» ٦/ ١١٣، ونسب تخريجه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن نصر.

(٧) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٢، «الوسيط» ٤/ ١٧٥، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٣٣، «المستدرك» ٢/ ٤٦٧ وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال مطرف بن الشِّخِّير: قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها[١].

وقال مجاهد: كانوا لا ينامون كل الليل[٢]. ووجه آخر وهو الوقف على قوله: (قَلِيلاً) ثم ابتدأ فقال: ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ وهذا على نفي النوم عنهم البتة. وهو قول مقاتل والضحاك قالا: كانوا قليلاً[٣]. وعلى هذا القول عطاء عن ابن عباس: المراد بهؤلاء القليل ثمانون من نصارى نجران والشام. آمنوا بمحمد ﷺ وصدقوه فذكرهم الله في غير موضع من القرآن[٤].

وذكر وجهان آخران.

أحدهما: أن ﴿مَا﴾ في هذه الآية ما المصدر، ويكون التقدير: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم. وهذا الوجه ذكره أبو إسحاق والفراء، وكذلك الوجه الأول[٥]. واختاره يعقوب ووقف على قوله: ﴿قَلِيلًا﴾[٦].

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٣، «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٢، «المصنف» ٢/ ٢٣٨، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦١٧، «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٢، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٣٣، «المصنف» ١٣/ ٥٦٨.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٣، «المصنف» ٢/ ٢٣٩، «الوسيط» ٤/ ١٧٥، «التفسير الكبير» ٢٨/ ٢٠٢، وفي «تفسير مقاتل» ١٢٦ ب قال بقلة نومهم، والله أعلم. وهذا القول رده بعض العلماء لما فيه من تفكيك للنظم، وتقدم معمول العامل المنفي بـ(ما) على عامله لا يجوز عند البصريين. انظر: «الكشاف» ٤/ ٢٨، «البحر المحيط» ٨/ ١٣٥، «فتح القدير» ٥/ ٨٤.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٧٥.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٤، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٣.

(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٣٦، وما ذكره القرطبي هو نقل يعقوب له لا اختياره. ثم قال: قال ابن الأنباري: وهذا فاسد، لأن الآية إنما تدل على قلة نومهم، لا على قلة عددهم. قلت: مراد المؤلف- رحمه الله أن يعقوب اختار=

والآخر: أن (ما) بمعني الذي والتقدير: كانوا قليلاً من الليل الذي يهجعون. وهذا قول الكلبي. قال: كانوا قليلاً من الليل الذي يناموا[(١)]. ويجوز في هذا التأويل الوجهان اللذان ذكرنا في التأويل الأول، بأن يجعل الذي يهجعون بعض الليلة الواحدة، وبعض الليالي فيجعل الليل اسم الجنس. واختار المبرد أن تكون (ما) صلة. وقال: لو كان (ما) للمصدر أو بمعنى الذي، لكان ما قبلها مرفوعًا فيكون: قليل هجوعهم، أو قليل الذي يهجعون[(٢)].

١٨- ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وأجاز الفراء وأبو إسحاق النصب مع كون (ما) للمصدر[(٣)]. وأقوال المفسرين موافقة للوجوه التي ذكرناها ودالة عليها. فأما قول من قال: كانوا لا ينامون عن العشاء الآخرة. وهو قول أبي العالية. ونحو ذلك قال محمد بن علي: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة[(٤)].

وروي قتادة عن أنس في هذه الآية قال: كانوا يصلون بين المغرب

= الوجه الأول وهو المتقدم على هذا الوجه، حيث قال: ووجه آخر وهو الوقف على قوله ﴿قَلِيلًا﴾. وانظر «القطع والائتناف» ص٦٨٠- ٦٨١.

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٣، واختار ابن جرير حيث قال: لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحًا لهم وأثني عليهم به، فوصفهم بكثرة العمل وسهر الليل ومكابدته فيما يقربهم منه ويرضيه عنهم، أولي وأشبه من وصفهم من قلة العمل وكثرة النوم، مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٤، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٣.

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٢، «معالم التنزيل» ٤/ ٣٢٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٣٦.

والعشاء[١]. فهذا يحمل على أن الله تعالى عَدَّ هجوعهم قليلاً في جنب تعظيم الصلاة ومحافظتهم عليها حتى لا يشتغلوا عنها بالنوم. ويدل على أن المراد سهرهم بالليل، وقلة نومهم، قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. قال عطاء، والكلبي، ومقاتل، ومجاهد: يصلون[٢]، ففسروا الاستغفار بالصلاة، على أن صلاتهم بالأسحار طلب منهم مغفرة الله تعالى. وذهب آخرون إلى ظاهر الاستغفار باللسان. وهو قول ابن مسعود والحسن. وقال أنس: أمرنا أن نستغفر بالأسحار سبعين استغفاراً[٣].

١٩- ثم ذكر صدقاتهم فقال: ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ معنى المحروم في اللغة: الذي حرم الخير حرمانًا. روي أبو عبيد عن الأصمعي: حَرَمْتُ الرجل العطيةَ أَحْرِمه حِرْمَانًا. وزاد أبو نصر[٤]: وحَرِيمةً. ولغة أخرى: أَحْرَمْتُ، وليست بجيدة[٥].

واختلفوا في المحروم ها هنا مَنْ هو؟ فقال ابن عباس: هو المُحارَفُ. وهو قول نافع، وسعيد بن المسيب، ورواية قيس بن كَرْكَم[٦]

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٣، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦١٨، «تفسير مقاتل» ١٢٦ب، «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٤، «المصنف» ١٣/ ٣٢٧، عن ابن عمر، «الوسيط» ٤/ ١٧٥.

(٣) لم أجده.

(٤) أحمد بن حاتم النحوي: إمام مشهور، كتب: النحو واللغة، وصنف فيهما. قال الأصمعي: لا يُصَدَّق عليَّ إلا أبو نصر. حدث عنه ثعلب، مات سنة (٢٣١هـ). انظر: «الأعلام» ١/ ١٠٤، «إنباه الرواة» ٦/ ٣٦، «تاريخ بغداد» ٤/ ١١٤، «معجم الأدباء» ٢/ ٢٨٣، «معجم المؤلفين» ١/ ١٨٦.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٥/ ٤٦ (حرم).

(٦) قيس بن كَرْكَم. قال ابن حبان: هو قيس بن شُقَي، روي عن ابن عباس، وعنه أبو=

عن ابن عباس. واختيار الفراء[١]. وفسر إبراهيم، ومجاهد: المحروم المحارف، فقالوا: هو الذي ليس له في الغنيمة شيء، ولا في الإسلام سهم، ولا يجري عليه من الفيء شيء[٢]. يدل على صحة هذا التأويل ما روى الحسن بن محمد بن الحنفية[٣] أن النبي ﷺ بعث سرية فغنموا فجاء بعدهم قوم لم يشهدوا فنزلت هذه الآية. وقال قتادة، والزهري: المحروم المتعفف الذي لا يسأل. وذكر الزهري قوله ﷺ: **«ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، والأكلة والأكلتان»**. قالوا: فمن المسكين يا رسول الله؟ قال: **«الذي لا يجد غنى ولا يُعْلم بحاجته فيتصدق عليه»**[٤].

قال الزهري: فذلك المحروم[٥].

= إسحاق الهمداني، وأبو إسحاق السبيعي، قال الأزدي: ليس بذاك، ولا أحفظ له حديثاً مسندًا. انظر: «لسان الميزان» ٤/ ٤٧٩، «التاريخ الكبير» ٤/ ١/ ١٤٩، «الجرح والتعديل» ٧/ ١٠٣، «الثقات» لابن حبان ٥/ ٣١٢.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٤، «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٤، «الكشف والبيان» ١١/ ١٨٣ ب، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٣٤.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ ب، «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٥، «القرطبي» ١٧/ ٣٨، المحارف: الذي لا يصيب خيرًا من وجه توجه له. «اللسان» ١/ ٦١٠ (حرف).

(٣) أبو محمد الحسن بن محمد بن الحنيفة: ثقة، فقيه. يقال: إنه أول من تكلم في الإرجاء. مات سنة (١٠٠هـ) أو قبلها بسنة. انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٥، «الكشف والبيان» ١١/ ١٨٣ ب، «الدر» ٦/ ١١٣.

(٤) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ٢/ ١٥٣، وفي ألفاظه اختلاف. ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: المسكين الذي لا يجد غنى.. ٢/ ٧١٩، والنسائي في كتاب: الزكاة، باب: تفسير المسكين ٢/ ٤٥٣، وأحمد في «المسند» ٢/ ٢٦.

(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٣، «الكشف والبيان» ١١/ ١٨٣ ب، «الوسيط» ٤/ ١٧٥، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣١.

وقال عكرمة: هو الذي لا ينمو له مال[١]. وهو رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وقال ابن زيد: هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته. وهو قول القرظي. قال: المَحروم صاحب الجائحة. واحتج بقوله: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم: ٢٧][٢].

وقال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم في هذا الحق[٣].

وقال ابن سيرين: هو الزكاة[٤]. وهو قول مجاهد في رواية منصور، قال: كانوا إذا حصدوا أعطوا الزكاة[٥].

وروى ابن أبي نجيح عنه قال: حق سوى الزكاة[٦].

٢٠- قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي، ومقاتل: يعني ما فيها من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبت عامًا بعام. وزاد الكلبي: وما فيها من آثار الأمم المهلكة، ففي هذا

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٦، «الكشف والبيان» ١١/ ١٨٣ ب، «الدر» ٦/ ١١٣.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٦، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣١ «القرطبي» ١٧/ ٣٩.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٣٩.

(٤) انظر: «الدر» ٦/ ١١٣، عن ابن عمر، «فتح القدير» ٥/ ٨٤.

(٥) لم أجده.

(٦) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦١٨، «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٦، أخرجه عن زيد بن أسلم ثم قال بعد إيراده للأقوال: فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعم كما قال جل ثناؤه: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾. وبهذا قال النحاس، وأبو حيان، والشوكاني، وغيرهم. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٣٤، «البحر المحيط» ٨/ ١٣٦، «فتح القدير» ٥/ ٨٥.

كله عبر وآيات للموقنين بالله يعرفونه بصنعه ويوحدونه[١].

٢١- ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ المعنى: وفي الأرض وفي أنفسكم آيات، قاله الفراء[٢].

قال مقاتل: وفي خلق أنفسكم حين كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظمًا ثم لحمًا ثم نفخ فيه الروح[٣]. وهذا معنى قول قتادة، وفي خلقه أيضًا إذا فكرت فيه معتبر[٤].

وقال عطاء عن ابن عباس: اختلاف الألسنة والألوان والصور والطبائع[٥]. وروي عن ابن الزبير أنه قال: يعني سبيل الخلاء والبول، يأكل ويشرب من مدخل واحد، ويخرج من سبيلين[٦]. وهذا معنى ما روى عطاء عن ابن عباس: مدخل الطعام والشراب واحد، ومخرجهما موضعان[٧].
قال الفراء: ثم عنفهم فقال: ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[٨] قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم الرب، فتعرفوا أنه قادر على أن يبعثكم كما خلقكم[٩].

٢٢- قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال ابن عباس ومقاتل

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٧، «تفسير مقاتل» ١٢٦ب، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٣٩- ٤٠، «فتح القدير» ٥/ ٨٥.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٤.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ ب

(٤) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٤، «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٦.

(٥) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٧٦، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣١.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٦، «الوسيط» ٤/ ١٧٦، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣١.

(٧) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٧٠.

(٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٤.

(٩) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ ب.

ومجاهد: يريد المطر[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال عطاء: من الثواب والعقاب[٢]. وقال الكلبي: من الخير والشر. وقال مجاهد: الجنة والنار[٣]. وقال مقاتل، والربيع، وابن سيرين: وما توعدون من أمر الساعة[٤].

٢٣- ثم أقسم الرب بنفسه فقال: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ قال الكلبي: يعني هذا الذي قصصت في الكتاب لكائن[٥].

قال أبو إسحاق: يعني أن الذي ذكر من أمر الرزق والآيات وأمر النبي ﷺ حق[٦]. وقال مقاتل: يعني أن أمر الساعة لكائن[٧] ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ نَنطِقُونَ﴾ قرئ ﴿مِثْلَ﴾ رفعًا ونصبًا[٨]. فمن قرأ بالرفع جعله من صفه الحق. قاله الفراء، والزجاج[٩]. قال أبو علي: وجاز أن يكون (مِّثْلَ) وإن كان

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ ب، «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٧، «الوسيط» ٤/ ١٧٦.

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٧٦، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣١.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٧٦، «فتح القدير» ٥/ ٨٥، «الكشف والبيان» ١١/ ١٨٧ أ ونسبه للضحاك، وروي عن مجاهد قال: يعني الخير والشر، وعن الضحاك: الجنة والنار، والمعاني متقاربة، ولعل من قال: الخير والشر، أقرب إلى الصواب، حيث يشمل الدنيا والآخرة، وما فيهما من خير وشر. والله أعلم. انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦١٨، «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٧، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣١.

(٤) انظر: «فتح القدير» ٥/ ٨٥.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٤، «الوسيط» ٤/ ١٧٦، «فتح القدير» ٥/ ٨٥.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٥٤.

(٧) انظر: «تفسر مقاتل» ١٢٦ ب، «الوسيط» ٤/ ١٧٦.

(٨) قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر، ﴿مِثْلَ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. انظر: «حجة القراءات» ص٦٧٩، «النشر» ٢/ ٣٧٧، «الإتحاف» ص٣٩٩.

(٩) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٥، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٤.

مضافًا إلى صفة للنكرة، لأن مثلاً لا تختص بالإضافة لكثرة الأشياء التي يقع التماثل بها، فلما لم تخصه الإضافة ولم يزُل عنه الإيهام والشياع الذي كان فيه قبل الإضافة بقي على تنكيره فقالوا: مررت برجل مثلك، فكذلك في الآية لم يتعرف بالإضافة إلى ﴿أَنَّكُمْ نَطِقُونَ﴾ وإن كان قوله: ﴿أَنَّكُمْ نَطِقُونَ﴾ بمنزلة نطقكم(١). وأمَّا في قوله: ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ﴾ فقال الفراء: العرب تجمعُ بين الشيئين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظهما كقول الشاعر:

ما إنْ رأيتُ ولا سَمِعْتُ به(٢)

فجمع بين ما وإن وهما(٣) جحدان، أحدهما يجزي عن الآخر(٤)، فعلى هذا القول (ما) مع الفعل بمنزلة المصدر، وكذلك ﴿أَنَّ﴾ فكأنه قيل: مثل نطقكم. وقال المبرد: ﴿مَآ﴾ زائدة. وبه قال أبو علي- وأبى أن تكون التي بمنزلة أن مع الفعل فتكون مصدرًا- وقال: لأنه لا فعل معها، والتي تكون مع الفعل بمنزلة اسم المصدر تكون مقرونة مع الفعل كقوله: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٥١](٥) والمعنى: فاليوم ننساهم نسيانًا كنسيان يومهم هذا، ولكونهم

---

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢١٦.

(٢) البيت لدريد بن الصمة يصف الخنساء، وقد رآها تهنأ بعيرًا أجرب وتمام البيت:

كاليوم طالي أينقٍ جُرْبِ

انظر: «ديوان دريد بن الصمة» ص٣٤، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٩٥٥، «شرح المفصل» ٥/ ٨٢، «مغني اللبيب» ص٦٧٩.

(٣) (ك): (وإنهما).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٥.

(٥) انظر: «المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات» ص٣٣٤.

جاحدين بآياتنا. قال: ومثل زيادة (ما) هنا زيادتها في قوله: ﴿مِمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ [نوح: ٢٥] وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ [آل عمران: ١٥٩] و﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠]. وأما منتصب ﴿مِثْلَ﴾ فقال أبو إسحاق: هو في موضع رفع إلا أنه لما أضيفت إلى ﴿أَنَّ﴾ فتح(١).

وشرحه أبو علي فقال: من نصب (مثل) فإنه لما أضاف مثل إلى مبنيٍّ وهو قوله: ﴿أَنَّكُمْ﴾ بناه كما بُني (يومئذ) في قوله: ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ [المعارج: ١١] و﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ [هود: ٦٦] و:

عَلى حِينَ عاتَبْتُ المَشِيبَ على الصِّبَا(٢)

وقوله:

لم يَمْنَعِ الشُّرْبَ منها غيرُ أن نَطَقَتْ(٣)

فغير في موضع رفع بأنه فاعل، (يمنع) وإنما بنيت هذه الأسماء المبهمة نحو مثل، ويوم، وحين، وغير، إذا أضيفت إلى المبنيِّ لأنها تكتسي منه البناء، لأن المضاف يكتسي من المضاف إليه ما فيه من التعريف

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٤.

(٢) البيت للنابغة الذبياني، وتمامه:

وقلت ألمَّا أصْحُ والشَّيْبُ وازع

انظر: «ديوانه» ص١٦٣، «الكتاب» لسيبويه ٢/ ٣٣٢، «الكامل» ١/ ١٥٨، «الخزانة» ٢/ ٤٥٦، «المصنف» ١/ ٥٨، «ارتشاف الضرب» ٢/ ٥٢٠.

(٣) صدر بيت لأبي قيس بن الأسلت، وتمامه:

حمامة في غصون ذات أوقال

انظر: «الكتاب» ١/ ٣٦٩، «أمالي» بن الشجري ١/ ٦٩، «الإنصاف» ص٢٨٧، «الخزانة» ٣/ ٤٠٦، والأوقال: هي الثمار، مفردها وَقْل. «اللسان» ٣/ ٩٧١ (وقل).

والتنكير والجزاء والاستفهام. تقول: هذا غلام زيد، وصاحب القاضي. فيتعرف الاسم بالإضافة إلى المعرفة، وتقول: غلام[١] مَنْ تضرب؟ فيكون استفهامًا كما تقول: صاحب مَنْ تضرب؟ فيكون جزاءً، فمن بنى هذه المبهمة إذا أضافها إلى مبني جعل البناء أحد ما تكتسبه من المضاف إليه، ولا يجوز على هذا: جاءني صاحب خمسة عشر، ولا غلام هذا؛ لأن هذين من الأسماء غير المبهمة، والمبهمة في إبهامها[٢] وبعدها من الاختصاص[٣] كالحروف التي تدل على أمور مبهمة، فلما أضيفت إلى المبنية جاز ذلك فيها. ثم ذكر قولين آخرين في نصب ﴿مِّثْلَ مَآ﴾: **أحدهما**: أن تجعل (ما) مع مثل بمنزلة شيء واحد بنيته على الفتح، وإن كانت ما زائدة، وهذا قول أبي عثمان وأنشد في ذلك:

وَتَـدَاعَـى مَـنْـخِـرَاهُ بِـدَمٍ مِثْلَ ما أثْمَرَ حُمَّاضُ الجَبَلْ[٤]

فذهب إلى أن (مثل ما) بمنزلة شيء واحد، ويدل على جواز بناء مثل مع (ما) وكونه معه بمنزله شيء واحد قول حميد بن ثور:

ووَيْحًا لِمنْ لم يَدْرِ ما هُنَّ ويْحَمَا[٥]

---

(١) (ك): (علا).

(٢) (ك): (أيامها). (٣) (ك): (الاختصان).

(٤) البيت للنابغة الجعدي، والحمَّاض بقلة برية تنبت أيام الربيع في مسايل الماء ولها ثمرة حمراء. انظر: «ديوانه» ص٨٧، «أمالي» ابن الشجري ٢/ ٦٠٤، «شرح المفصل» لابن يعيش ٨/ ١٣٥، «اللسان» ١/ ٧١٩ (حمض)، «رصف المباني» ٣٧٩.

(٥) صدر البيت:

ألاَ هَـيَّـمَـا مِـمَّـا لَـقِـيْـتُ وَهَـيَّـمَـا

وانظر: «ديوانه» ص٦، «اللسان» ٣/ ٩٩٦، (ويح) «الخصائص» ٢/ ١٨١، ونسبه لحميد بن الأرقط «ديوان ابن الأرقط» ص٧: «الحجة» ٦/ ٢١٩.

فبنى ويحًا مع (ما) ولم يلحقه التنوين.

ومثله ما أنشده أحمد بن يحيى:

أَثَــوْرَ مــا أَصِــيــدُكُــمْ أَمْ ثَــوْرَيْــنْ[١]

أراد أثوراً أصيدكم؟ فبني الثور على الفتح وجعله مع (ما) شيئًا واحدًا.

القول الثاني: أن ينتصب على الحال من النكرة الذي هو (حق) في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ والعامل في الحال هو الحق؛ لأنه مصدر. وإلى هذا ذهب أبو عمر الجرمي. وقد حمل أبو الحسن[٢] قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا﴾ [الدخان: ٤- ٥] على الحال، وذو الحال قوله: ﴿أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا﴾ وهو نكرة[٣]. وذكر المبرد أيضًا هذا الوجه فقال: يجوز أن يجعل حالاً للنكرة كقوله: هذا رجل قائمًا[٤] وذكر الفراء والزجاج وجهًا آخر. في انتصاب (مثل ما).

قال الفراء: من نصب (مثل ما) جعله في مذهب مصدر كقولك: إنه لَحَقٌّ حقًا[٥].

وقال الزجاج: يجوز أن يكون منصوبًا على التوكيد على معنى: إنه

---

(١) من الرجز، والآخر:

أَمْ تِـيـكُـم الـجَـمَّـاءَ ذَات الـقَـرْنَـيْـنْ

وهو للنضر بن سلمة، كما في «الخصائص» ٢/ ١٨، «اللسان» ١/ ٣٨٦ (ثور)، «التصريح بمضمون التوضيح» ١/ ٢٤، «الحجة» ٦/ ٢٢٠.

(٢) هو الأخفش، وتقدمت ترجمته.

(٣) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٣٤٨، ٣٥١، ٦/ ٢١٧- ٢٢٢.

(٤) انظر: «البحر المحيط» ٨/ ١٣٧.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٥.

لَحَقٌّ حقًّا، مثل نطقكم[١]. هذا كلامهما. ومعناه أنه نصب لأنه نعت مصدر محذوف. هذا هو الكلام في الإعراب.

وأما المعنى؛ فقال أبو عبيدة: مجازه كما أنكم تنطقون[٢]. وهو قول ابن عباس قال: يريد كما أنكم تنطقون[٣].

قال الفراء: إنه لحق كما أن الآدمي ناطق، وللآدمي نطق لا لغيره[٤]. وقال الزجاج: هذا كما تقول في الكلام: إن هذا لحق كما أنك هاهنا، وإن هذا لحق كما أنك متكلم[٥]. هذا قول هؤلاء وبيانه: أن الله تعالى شبه تحقق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي ووجوده، والواحد منا يعرف أنه ناطق ضرورة، فإذا نطق لم يحتج إلى استدلال على نطقه، وعلى أنه ناطق لا يتخالجه في ذلك شك، فكذلك ما أخبر الله تعالى عنه هو في صدقه ووجوده كالذي نعرفه ضرورةً من غير استدلال بشيء.

٢٤- قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ قصة ضيف إبراهيم قد سبق في سورة هود والحجر[٦].

قال ابن عباس ومقاتل: يريد قد أتاك[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٤.
(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٦.
(٣) لم أجده.
(٤) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٨٥.
(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٥٤.
(٦) من [هود: ٦٩ إلى ٧٦]، ومن [الحجر: ٥١ إلى ٦٠].
(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ ب، «الوسيط» ٤/ ١٧٧.

وقال الكلبي: لم يكن ذلك أتاه حدثيهم في القرآن[١].

قال الفراء: لم يكن علمه النبي ﷺ حتى أنزله عليه[٢].

وقوله: ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ يعني عند الله ﷻ كما قال في صفة الملائكة: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] وعلى هذا دل كلام ابن عباس؛ لأنه ذكر أسماءهم فقال: يريد إسرافيل وجبرائيل وميكائيل[٣]. وهو قول عبدالعزيز بن يحيى. وروي ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: إكرامهم خدمته إياهم بنفسه[٤]. ونحو هذا قال مقاتل: أكرمهم إبراهيم فأحسن عليهم القيام، وكان لا يقوم على رأس ضيف، فلما رأى هيأتهم حسنة قام هو وامرأته سارة لخدمتهم[٥]. وروي عن مجاهد أيضًا أنه قال: أكرمهم بالعجل[٦] وهو قول الكلبي[٧].

٢٥- قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ الكلام في إعراب هذه الآية والقراءات فيها قد مر مستوفى في سورة هود[٨].

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٧٧، ولم ينسبه لقائل.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٨٦.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٧١، «الوسيط» ٤/ ١٧٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٤٤.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٤٥.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ ب، «فتح القدير» ٥/ ٨٧.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٨، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٤٥.

(٧) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٧٧، «فتح القدير» ٥/ ٨٧.

(٨) عن تفسيره [هود: ٦٩] ومما قال: (سلام) التقدير فيه سلام عليكم فحذف الخبر كما حذف من قوله: (فصبر جميل) أي صبر جميل أمثل، أو يكون المعني سلام، وشأني كما أن قوله: (فصبر جميل) يصلح أن يكون المحذوف منه المبتدأ. ومثل ذلك قوله: ﴿فاصفح عنهم وقل سلام﴾ على حذف الخبر أو المبتدأ الذي سلام=

قوله تعالى: ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾. قال الفراء والزجاج: رفعه على معنى: أنتم قوم منكرون[١].

وقال ابن عباس: قال في نفسه قوم منكرون[٢]. وعلى هذا يكون: هؤلاء قوم منكرون. وهو الوجه؛ لأن الظاهر أنه لم يخاطبهم بهذا، ولو خاطبهم لأجابوه ولم يذكر جوابهم عن إنكاره إياهم، وأيضًا فإنه لم تجر عادة الكرام بإنكار ضيفهم من كان، وإخباره بأنه منكرهم. ومعنى ﴿مُّنكَرُونَ﴾ غير معروفين. واختلفوا لم أنكرهم إبراهيم عليه السلام؟ فقال مقاتل: ظن أنهم من الأنس. أي ظنهم إنسًا ولم يعرفهم، فلذلك أنكرهم[٣]. ونحو هذا قال الكلبي وغيره، وهو أنه رأى قومًا طيبي الريح حسان الوجوه فظنهم غُرباً من الآدميين، وحينئذٍ تهيأ لضيافتهم[٤]. وهو قوله:

٢٦- ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ قال ابن عباس: فمضى إلى منزل سارة[٥].

وقال مقاتل: فعمد إلى أهله[٦]. وقال أبو عبيدة: فعدل إلى أهله[٧].

= خبره. اهـ. وفي قوله (سلام) قرأ حمزة والكسائي (سِلْمُ) بكسر السين وإسكان اللام من غير ألف. وقرأ الباقون (سلام) بفتح السين واللام وألف بعدها. انظر: «حجة القراءات» ٣٤٦، «النشر» ٢/ ٢٩٠، «الإتحاف» ص٢٥٨، «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٦٠، «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٣٥٩.

(١) انظر: «معاني القرآن للزجاج» ٣/ ٨٦، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٤.

(٢) «الوسيط» ٤/ ١٧٨، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٢.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ ب.

(٤) انظر: «تفسير القرآن العظيم» ٥/ ٢٧٢.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٧٢، ولفظه: (فرجع إبراهيم إلى أهله).

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ ب.

(٧) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٦.

ومعنى راغ في اللغة: عدل ومال. قال الفراء: فرجع إلى أهله. والروغ وإن كان على هذا المعنى فإنه لا ينطق به حتى يكون صاحبه مُخْفيًا لذهابه ومجيئه. ألا ترى أنك لا تقول: قد راغ أهل مكة، وأنت تريد رجعوا وصدروا(١). ونحو هذا قال أبو إسحاق: عدل إليهم من حيث لا يعلمون(٢).

وقال المبرد: راغ إليه، أي مال وعدل إليه. ولو قلت: راغ عنه، كان معناه مال عنه وتباعد(٣).

٢٧-٢٩- وقوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ قال أبو إسحاق: المعنى فقربه إليهم ليأكلوا منه، فلم يأكلوا. فقال على النكير لحالهم ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ أي: أمركم في ترك الأكل مما أنكره(٤). وما بعد هذا مفسر فيما سبق إلى قوله: ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ﴾(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٦.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٥٤.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ١٨٦، «اللسان» ١/ ١٢٥٧ (روغ).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٥.

(٥) عند تفسير للآيات [هود: ٦٩- ٧٠] ومما قال: المراد بالرسل ها هنا الملائكة الذين أتوا على صورة الآدميين وظنهم أضيافاً. قال ابن عباس: وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل. والبشري هي البشارة بالولد. والحنيذ اشتواء اللحم بالحجارة المسخنة. وقيل النضيج... وأوجس أي أضمر منهم خوفًا قاله أبو عبيدة والزجاج وابن قتيبة.. وقال عامة المفسرين لما رآهم إبراهيم شبانًا أقوياء ولم يتحرموا بطعامه لم يأمن أن يكونوا جاءوا ليلًا أن سُنتهم كانت في ذلك الدهر إذا ورد عليهم القوم فأتوا بالطعام فلم يمسوه ظنوا أنهم عدو ولصوص فهنالك أوجس في نفسه فزعًا ورأوا علامة ذلك في وجهه فقالوا: لا تخف.

قال الفراء: لم تقبل من موضع إلى موضع، إنما هو كقولك: أقبل يشتمني. أي: أخذ في شتمي[(١)].

وروي عن ابن عباس أنه قال: إقبالها في الصرة، أخذها فيها[(٢)]، ومعنى الصرة في اللغة: الصحية. قال أبو عبيدة: يقال: أقبل يصطر[(٣)]. وقال المبرد: القوم في صرة واحدة، إذا ارتفعت أصواتهم وأنشد قول مهلهل[(٤)]:

فلولا الرِّيحُ أسْمعَ أَهْل حَجْرٍ صَرِيرَ البَيْضِ يُقْرَعُ بالذُّكورِ[(٥)]

قال المفسرون: في ضجَّةٍ وصيحة. قال الفراء: وذكروا أن تلك الصحية أوَّه بوزن: عَوّه[(٦)]، وقال بعضهم: كانت بقوله: يا ويلتا[(٧)]. قوله تعالى: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ قال ابن عباس: وضعت أصابعها على وجهها[(٨)]. وقال الكلبي، ومقاتل: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبًا[(٩)]. ومعنى الصك: ضرب الشيء بالشيء العريض[(١٠)].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٧.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٧٤، «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٩.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٧، وتمام كلامه: أي يصوتوا صوتًا شديدًا.

(٤) هو مهلهل بن ربيعة الثعلبي، تقدمت ترجمته.

(٥) البيت ورد في «ديوانه» ص٤١، «الأصمعيات» ص١٥٥.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٨٧، «اللسان» ٢/ ٤٢٨ (صرر).

(٧) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٧٨، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٢.

(٨) لم أجده، والذي ذكره المفسرون هو المروي عن الكلبي، ومقاتل، وعند الطبري عن سفيان قال: وضعت يدها على جبهتها تعجبًا. «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٩. انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٧٤، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٤٧.

(٩) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٧ أ، «الوسيط» ٧/ ١٧٨، «فتح القدير» ٥/ ٨٨.

(١٠) انظر: «تهذيب اللغة» ٩/ ٤٢٨، «اللسان» ٢/ ٤٥٩ (صكك).

قوله: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ قال الفراء: رفعها بضمير تلد عجوز عقيم[١]. وقال أبو إسحاق: المعنى: وقالت أنا عجوز عقيم فكيف ألد، كما قال في موضع آخر: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾[٢]. قال الكلبي: قالت من أين الولد لعجوز عقيم لا تلد[٣]؟

٣٠- ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ أي: كما قلنا لك قال ربك إنك ستلدين غلامًا أي: إنما نخبرك عن الله ﷻ.

٣١-٣٤- وما بعد هذا مفسر فيما مضى[٤].

إلى قوله: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ قال ابن عباس، ومقاتل: للمشركين، والشرك أسرف الذنوب وأعظمها[٥].

٣٥- ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ يعني في قرى قوم لوط ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [الحجر: ٦٥] وهو أن الله تعالى أمر لوطًا بأن يخرج هو ومن معه من المؤمنين، لئلا يصيبهم العذاب.

٣٦- ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ قال مجاهد، ومقاتل والمفسرون: يعني: لوطًا وبنتيه[٦]. وهذا مذكور في مواضع من التنزيل كقوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٣] وقوله: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ

(١) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٨٧.
(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٥.
(٣) لم أجده عند الكلبي والمعنى ظاهر، ونحوه روي عن عامة المفسرين. انظر: «جامع البيان» ٢٦/ ١٢٩، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٣٦.
(٤) عند «تفسيره» للآيات [الحجر: ٧٤- ٧٥].
(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٧٥، «تفسير مقاتل» ١٢٧ أ، «المصنف» ١١/ ٥٢٣ عن مجاهد، «الوسيط» ٤/ ١٧٨، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٢.
(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ١٤/ ٣٣٣، «اللسان» ١/ ٢٩٢ (بيت).

وَأَهْلَهُۥ﴾ [العنكبوت: ٣٢] وقوله: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ [القمر: ٣٤] الآيات. والتقدير في الآية: غير أهل بيت، وكثر استعمال هذا حتى انطلق البيت على أهله، فيقال: بيت شريف، يراد به الأهل(١). وسمّاهم في الآية الأولى: مؤمنين، وفي الثانية: مسلمين، لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم، وقد يكون مسلمًا ولا يكون مؤمنًا كما قال تعالى ذكره: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

٣٧- قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ قال أبو إسحاق: تركنا في مدينة قوم لوط علامة للخائفين تدلهم على أن الله أهلكهم فينكل غيرهم عن فعلهم(٢). هذا قول المفسرين. وقال الفراء: معناه وتركناها آية، وأنت قائل للسماء فيها آية، وأنت تريد هي الآية بعينها(٣).

٣٨- قوله: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ ذكر صاحب النظم أن هذا عطف على قوله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ .﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ أي وفي شأنه وقصته آية. وهو ما ذكر بعد من غرق فرعون(٤).

قال أبو إسحاق: ويجوز أن يكون عطفًا على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾(٥). فيكون المعنى: وتركنا في قصة موسى آية.

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٧٨، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٣٦، «فتح القدير» ٥/ ٨٩.
(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٦.
(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٧.
(٤) وهو قول الزجاج، والزمخشري، وابن عطية، ونسبه القرطبي للفراء. انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٦، «الكشاف» ٤/ ٣٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٤٩، «فتح القدير» ٥/ ٩٠، وقال أبو حيان: وهذا بعيد جدًّا ينزه القرآن عن مثله.
(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٥٦.

٣٩- وقوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ قال ابن عباس، ومقاتل: أي بجمعه وجنده ورهطه[١]. وعلى هذا سمى جمعه ركنًا له، لأنه يتقوي بهم كالبنيان يتقوي بركنه. والباء يكون في ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾ للتعدية، أي جعلهم يتولون[٢]. ويجوز أن يكون المعنى: تولى هو بسبب جنده. أي بقوتهم وشوكتهم، كما تقول: فعلت هذا بقوة فلان.

وقال الفراء: أعرض بقوته في نفسه[٣]. وعلى هذا ركنه قوته. وهذا راجع إلى الأول، لأن قوته بجنده، وقال أبو عبيدة: فتولى بركنه، وبجانبه سواء، إنما هي ناحيته[٤]. وهو اختيار ابن قتيبة. قال: فتولى بركنه ونأى بجانبه سواء[٥]. وعلى هذا ركنه نفسه. وهو قول المؤرج قال: بركنه بجانبه[٦].

٤١- قوله: ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾، قال جماعة المفسرين[٧]: هي التي لا تلقح شجرًا ولا تثير سحابًا ولا تحمل مطرًا ولا خير فيها ولا بركة ولا منفعة ولا رحمة، ولا ينزل بها غيث، إنما هي ريح الإهلاك، وهي عذاب على من أرسلت عليه.

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣، «الوسيط» ٤/ ١٧٩، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٣، وبه قال ابن زيد، ومجاهد.

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ٢٨/ ٢٢.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٨٧.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٧.

(٥) انظر: «تفسير غريب القرآن» ٤٢٢.

(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥.

(٧) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٢، «تفسير مقاتل» ١٢٧ أ، «جامع البيان» ٢٧/ ٤، «فتح القدير» ٨/ ٩٠.

قال سعيد بن المسيب: هي الجنوب[١].

وقال مقاتل: هي الدبور[٢].

وروى عكرمة عن ابن عباس: هي النكباء[٣].

وقال عبيد بن عمير: مسكنها الأرض الرابعة، وما فتح على عاد منها إلا كقدر منخر الثور[٤]. ويقال للتي لا تلد من النساء عقيمًا، وكذلك للذي لا يولد له: يقال له: رجل عقيم، وفحل عقيم إذا كان لا يلقح، وكما وصفت

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٤، «الدر» ٦/ ١١٥. والجنوب: ريح تخالف الشمال تأتي عن يمين القبلة، وهي رياح حارة ومهبها ما بين مهبي الصبا والدبور، وقيل غير ذلك. «اللسان» ١/ ٥٠٧ (جنب).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٧ أ، وهو المروي عن ابن عباس وغيره، انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٧٦ وهذا هو الثابت في الحديث المتفق عليه عن النبي ﷺ قال: **«نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»**. صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب ما جاء في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ ٤/ ١٣٢، كتاب: الاستسقاء، باب: (نصرت بالصبا) ٢/ ٤٠. صحيح مسلم، كتاب: الاستسقاء: باب في ريح الصبا والدبور ٢/ ٦١٧، «المسند» ١/ ٢٢٣-٢٢٨ والدبور: ريح تأتي من دبر الكعبة مما يذهب نحو الشرق. «اللسان» ١/ ٩٤٠ (دبر).

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥، «الدر» ٦/ ١١٥، عن علي بن أبي طالب. والنكباء: كل ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين، وهي تهلك المال وتحبس القطر. «اللسان» ٣/ ٧١٢ (نكب).

(٤) لم أجده. وفي العظمة ٤/ ١٣٣٣: عن عطاء بن يسار -رضي الله عنه- قال: قلت لكعب رحمه الله تعالى: من ساكن الأرض الثانية؟ قال: الريح العقيم، لما أراد الله ﷻ أن يهلك قوم عاد أوحي إلى خزنتها أن افتحوا منها بابًا قالوا: يا ربنا مثل منخر الثور؟ قال: إذًا تكفي الأرض بمن عليها. فقال: افتحوا منها مثل حلقة الخاتم. قال والأقرب أن يكون موقوفًا على عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك والله أعلم.

الرياح باللقاح في قوله: ﴿ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] وسميت بالعقيم ها هنا حين لم تلقح الشجر ولم تحمل المطر، ثم وصف تلك الريح فقال:

٤٢- ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ قال مقاتل: من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم(١) ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ كالشيء الهالك البالي. وذكر تفسير الرميم عند قوله: ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾(٢) قال الفراء: الرميم نبات الأرض إذا يبس وديس(٣).

وقال أبو إسحاق: هو الورق الجاف المتحطم(٤).

٤٣- وقوله: ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ أي وفي ثمود أيضًا آية: ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ﴾ قال صالح لهم ذلك فعقروها، فقال تمتعوا. أي: عيشوا، وقد مر(٥).

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قال عطاء، والكلبي: يعني ثلاثة أيام(٦). والمعنى إلى.

٤٤- ﴿فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ حين يأتيكم العذاب فأتاهم يوم الرابع. وقد قال في سورة هود ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٧ أ، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٣.

(٢) عند تفسيره لآية [الحجر: ٧٨] ومما قال: قال أبو عبيدة: الرميم مثل الرمة. يقال رم العظيم وهو يرم رمًّا وهو رميم. وقال ابن الأعرابي: رمت عظامه وأرمت إذا بليت. وقال أبو عبيدة: الرميم الرفات.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٨٨.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٥٧.

(٥) عند ذكره سبحانه لقصتهم في سورة هود.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٥، «الوسيط» ٤/ ١٧٦، «التفسير الكبير» ٢٨/ ٢٢٣.

دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥].

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد الموت، والصاعقة الموت[(١)].

وقال مقاتل: يعني العذاب[(٢)]. وتفسير الصاعقة كل عذاب مهلك، وقد تقدم القول فيها[(٣)].

وقرأ الكسائي (الصَّعْقَةُ)[(٤)]. قال المبرد: وهي مصدر مثل الضربة. قال: والصعقة إنما هي مثل الزجرة، وهي الصوت الذي يكون عن الصاعقة. والصاعقة هي النازلة بعينها، وأنشد لعويف القوافي[(٥)] فقال:

لاحَ سَحَابٌ فرأَيْنَا بَرْقَه ... ثم تَدَانَى فسَمِعْنَا صَعْقَه

وقوله: ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي يرون ذلك.

والمعنى: أخذتهم الصاعقة عيانًا[(٦)]. وهو معنى قول عطاء: قد رأوا

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٧٩، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٤.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٧ ب، «الوسيط» ٤/ ١٧٩.

(٣) عند تفسيره لآية ١٩ من البقرة، ومما قال: الصاعقة والصعقة الصحية. يغشي منها على من سمعها أو يموت.. ويقال لها الصواعق الشديد من الرعد يسقط معها قطعة نار. وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٧٧، «اللسان» ٢/ ٤٤٢ (صعق).

(٤) قرأ الكسائي (الصَّعْقَةُ) بإسكان العين من غير ألف. وقرأ الباقون (الصاعقة) بالألف وكسر العين. انظر: «حجة القراءات» ٦٨٠ «النشر» ٢/ ٣٧٧، «الإتحاف» ٣٩٩.

(٥) عويف بن معاوية بن عتيبة، شاعر أموي مقل، مدح الوليد، وسليمان بن عبدالملك، وعمر بن عبد العزيز، سمي عويف القوافي لقوله:

سأكذب من قد كان يزعم أنني ... إذا قلت شعرًا لا أجيد القوافيا

انظر: «ألقاب الشعر» ص٣٠٩، «الأغاني» ١٩/ ١٨٤، «الخزانة» ٦/ ٣٨٤، والبيت في «اللسان» ٢/ ٤٤٢ (صعق)، «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٢٢.

(٦) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٧٩، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٤، «فتح القدير» ٥/ ٩١.

العذاب[١].

وقال مجاهد: فجأة[٢] وعلى هذا معنى (ينظرون)، وذلك أن صالحًا قد ضرب لهم الأجل للعذاب ثلاثة أيام، وجعل لنزول العذاب بهم علامات في تلك الأيام، وظهرت تلك العلامات فانتظروا العذاب في اليوم الرابع[٣]. وهذا هو الصحيح؛ لأنه قد ذكر في قصتهم أنهم تحنطوا في اليوم الرابع ولبسوا الأكفان، وكانت أكفانهم الأنطاع، وحنوطهم الصبر[٤].

٤٥- قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ أي ما أطاقوا عذاب الله ولم يقوموا له حين أتاهم، كما تقول: فلان لا يقوم بهذا الأمر ولا يقاومه، أي لا يطيق ولا يحتمله[٥]. وهو معنى قول مقاتل: أي: لم يقوموا للعذاب حين غشيهم[٦].

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد ذهبت أجسامهم وبقيت أرواحهم في العذاب[٧].

والقيام على هذا يراد به النهوض. والمعنى أنهم لم ينهضوا من تلك

---

(١) لم أجده، وهو بمعنى الأول.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٢٠، «جامع البيان» ٢٧/ ٥.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٥، «الوسيط» ٤/ ١٧٩.

(٤) الأنطاع: جمع نطع بالكسر من الأدَم والصَبِر: شجر ورقه كقرب السكاكين طوال غلاظ، في خضرتها غُبْرة، وكُمْدَة مُقَشَعرَّة المنظر. انظر: «اللسان» ٢/ ٤٠٣ (صبر) ٣/ ١١٧ (قطع).

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٢.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٧ ب.

(٧) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٢.

الصرعة ولم يستقلوا بعد تلك النكبة. وهذا معنى قول قتادة: من نهوض[١].

وقال الكلبي: فما استطاعوا أن يقوموا فيردوا العذاب حين غشيهم[٢]. وعلى هذا المعنى[٣]: ما استطاعوا قيامًا لدفع العذاب عنهم حين أتاهم. ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ قال مقاتل: يعني ممتنعين من العذاب حين أهلكوا[٤]. أي: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من عذاب الله.

٤٦- قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ قرئ بالنصب والخفض[٥]. فالخفض ظاهر بالحمل على قوله: (وَفِي مُوسَى) ومن نصب حمل على المعنى وهو أن قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ يدل على أهلكناهم، فكأنه قال: أهلكناهم وأهلكنا قوم نوح. وهذا قول الفراء، والزجاج[٦]. قال: ويجوز أن يحمل على معنى قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ألا ترى أن هذا الكلام يدل على أغرقناهم، فكأنه قال: أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح[٧].

قال المبرد: والنصب أحسن لتراخيه عن عامل الجر، والعرب إذا تراخى المجرور عن عامل الجر حملته على المعنى، والدليل على حسن النصب أن الجار ذكر في قصص الأمم وهو في﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ لم يلحق معهم

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٥، «جامع البيان» ٢٧/ ٥.

(٢) لم أجده عن الكلبي، وتقدم مثله عن مقاتل.

(٣) في (ك): (معنى) ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٧ ب، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٢.

(٥) قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف (وقوم) بالكسر وقرأ الباقون بالنصب. انظر: «حجة القراءات» ص٦٨٠، «النشر» ٢/ ٣٧٧، «الإتحاف» ص٤٠٠.

(٦) انظر «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٨٨- ٨٩.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٧، «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٢٣.

حرف الجر فعمل النصب[١]. واختار أبو عبيد النصب أيضًا. قال: لأن من خفض أراد: وفي قوم نوح، كما قال: ﴿وَفِي عَادٍ﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ وأولئك قوم قص الله، النصب على أنه أشركهم فيما فُعِل بالأمم من العقوبة إذ لم يخبرنا عنهم بخبر خاص[٢].

٤٧- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ يقال: أوسع الرجل، إذا صار ذا وسع وَسَعَة، وهو الغنى والجدة، والموسع المليء ومنه قوله: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. واختلفت العبارات في تفسير: ﴿لَمُوسِعُونَ﴾ هاهنا فقال[٣] عن ابن عباس: لموسعون لخلقي[٤]. قال الكلبي: يعني سعة الرزق[٥].

قال الفراء: لذو سَعَة لخلقنا[٦]. وقال الحسن: قادرون على رزقهم لا نعجز عنه، ولهذا قال مقاتل في تفسيره: لقادرون[٧].

وقال الحسن: مطيعون[٨]. وهذا يعود إلى أنه يقدر على رزقهم ويطيق ذلك، فهو موسع لخلقه في أرزاقهم.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٤٢- ٢٤٣.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٤٣، «التفسير الكبير» ٢٨/ ٢٢٥.

(٣) كذا العبارة في (ك) وفيها سقط ظاهر.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ، وعنه قال: (لموسعون بالرزق) «تنوير المقباس» ٥/ ٢٧٧.

(٥) لم أجده، انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٢.

(٦) في (ك): (حلقنا). انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٨٩.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٧ ب.

(٨) انظر: «الكشف والبيان» ١١/ ١٩٠ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٢.

وقال مجاهد: لقادرون أن نخلق سماء مثلها[١]، يعني أنه لما ذكر قدرته على خلق السماء ذكر أنه موسع لخلق مثلها. أي مطيق قادر.

وقال أبو إسحاق: جعلنا بين السماء والأرض سعة[٢].

قال الأزهري: جعل أبو إسحاق أوسع بمعنى وسع[٣]. وعلى هذا يجوز أيضًا أن يعود التوسع إلى الرزق، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: إنا لموسعون الرزق على خلقنا[٤].

٤٨- قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ قال ابن عباس: فنعم ما وطأت لعبادي[٥]. وأوسعت عليهم، يعني الأرض.

قال أبو إسحاق: المعنى: فنعم الماهدون نحن، ولكن اللفظ بقوله: ﴿فَرَشْنَٰهَا﴾ يدل على المضمر المَحذوف[٦].

٤٩- قوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي صنفين ونوعين، فالزوجان في الحيوان الذكر والأنثى، وفي غير الحيوان المختلفان باللون والطعم. فيدخل في هذا الأبيض والأسود والمر والحلو.

قال مقاتل: يعني الليل والنهار، والشمس والقمر، والبر والبحر، والصيف والشتاء، والبرد والحر، والسهل والجبل، والنور والظلمة[٧].

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٢٨/ ٢٢٧. (٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٥٧.
(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٩٦ (وسع).
(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١١/ ١٩٠ ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٢.
(٥) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٠، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٤.
(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٥/ ٥٧.
(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٧ ب، وهو قول مجاهد أيضًا. انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٦، «تفسير القاسمي» ١٥/ ٥٥٣٥.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تذكرون أنه ليس فيما خلق له عدل ولا مثل. قاله مقاتل[١]. وقال غيره: تذكرون أن خالق الأزواج فرد[٢].

٥٠- قوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد بالتوبة من ذنوبكم[٣].

والمعنى على هذا فروا من العصيان والكفران إلى الطاعة والإيمان. يدل على هذا قوله: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: أنذركم عقابه على الكفر والمعصية. وكذلك الآية التي نهى عن الشرك، وهو قوله:

٥١- ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ﴾ الآية. وجميع المفسرين على أنه أمر محمدًا ﷺ أن يقول هذا للناس[٤]. والكناية في قوله: ﴿مِّنْهُ﴾ تعود على اسم الله. والنذير هو النبي ﷺ وهذا هو الظاهر.

وروى عطاء عن ابن عباس على الضد من ذلك، فجعل الآية خطابًا من الله تعالى للخلق. يقول: لا تجعلوا مع الله إلهًا آخر ﴿إِنِّي لَكُم﴾ يعني نفسه تعالى وعز، ﴿مِّنْهُ﴾ من محمد وسيوفه. ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: أنذرتكم بأسه وسيفه إن أشركتم بي[٥].

٥٢- قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ قال أبو إسحاق: المعنى: الأمر كذلك. أي: كما فعل من قبلهم من الأمم في تكذيب الرسل[٦]. وهو قوله: ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٧ ب، وهو قول مجاهد أيضًا. انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٦، «تفسير القاسمي» ١٥/ ٥٥٣٥.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٤.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٣.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٣، «فتح القدير» ٥/ ٩١.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٤.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٥٨.

مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ﴾ أي: هو ساحر ﴿أَوْ مَجْنُونٌ﴾ قال مقاتل: يعني كقول كفار مكة لمحمد ﷺ. يقول الله تعالى:

٥٣- ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾ أي بهذا القول.

قال مقاتل: يعني أوصى الأول الآخر يقول ذلك لرسوله[(١)].

وقال قتادة: أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب[(٢)].

قال الزجاج: والألف فيه للتوبيخ[(٣)].

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يعني أهل مكة طاغون.

قال ابن عباس: حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك[(٤)]. والمعنى ما أوصى أولهم بذلك، ولكنهم قوم خارجون عن الحد في العصيان.

٥٤-٥٥- قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ يقول: فأعرض عن هؤلاء المشركين فقد بلغت وأنذرت، وهو قوله: ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي لا لوم عليك إذ أديت الرسالة. قال ابن عباس: فحزن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية مخافة أن تنزل بقومه العذاب. ونحو هذا قال مقاتل، وقتادة، وغيرهما. قالوا: واشتد على أصحابه وظنوا أن الوحي قد انقطع، أي: العذاب حضر، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ﴾[(٥)] أي عظ بالقرآن. وفي هذا قولان:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٧ ب.

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٥، «جامع البيان» ٢٧/ ٧.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٨، ونصه: (وهذه ألف التوبيخ وألف الاستفهام).

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٠، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٥.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٧ ب، «جامع البيان» ٢٧/ ٧، «الكشف والبيان» ١١/ ١٩٠ ب، «الدر» ٦/ ١١٦.

أحدهما: أنه أمر بالتولي عن الكفار ووعظ المؤمنين. يدل على هذا قوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الكلبي: عظ بالقرآن من آمن من قومك، فإن الذكرى تنفعهم(١).

القول الثاني: أنه أمر أن يُذكر ويعظ الكفار. وهو قول مقاتل. يقول: عظ كفار مكة بوعيد القرآن، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، يعني من في علم الله أن يؤمن منهم(٢). وهذا القول أشد موافقة لما ذكرنا في الآية الأولى.

٥٦- قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ تعلقت القدرية بهذه الآية وقالوا: دلت الآية على أن الله تعالى خلق كل مكلف لعبادته وأراد منهم العبادة. ولا حجة لهم في هذه الآية إذا تدبرت قول العلماء فيها ومذاهبهم في تفسيرها(٣). والآية فيها مذاهب للمفسرين.

أحدهما: التخصيص، وهو أن المراد بالجن والإنس مؤمنو الفريقين. وهو قول الكلبي، والضحاك، والفراء، وعبد الله بن مسلم. قال الكلبي: هذا خاص لأهل طاعته. يعني: ما خلقت مؤمني الجن والإنس إلا ليعبدون(٤). وقال الضحاك: هذا خاص في أهل عبادة الله وطاعته. يدل عليه قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] والذين ذرأهم للنار لا يكونون ممن ذرأهم لعبادته. وهذه الآية التي نحن

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨١، «معالم «التنزيل» ٤/ ٢٣٥.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٧ ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٥، «فتح القدير» ٥/ ٩٢.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨، «دقائق التفسير» لابن تيمية ٤/ ٥٢٧، «فتح القدير» ٥/ ٩٢.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١١/ ١٩٠ ب، «الوسيط» ٤/ ١٨١، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٥.

فيها مطلقة، وآية الذرء مقيدة، والمطلق يحمل على المقيد، وإذا جمعنا بين الآيتين علمنا أن الذين خلقوا للعبادة غير أولئك[١].

وقال الفراء: هذه الآية خاصة. يقول: وما خلقت أهل السعادة من الفريقين إلا ليوحدوني...[٢] لأهل القدر حجة وقد فُسِّر.

وقال عبد الله بن مسلم: يعني المؤمنين[٣]. واحتج[٤] هؤلاء لمذهبهم بقراءة ابن عباس...[٥] (الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون)[٦] معناه: إلا لآمرهم بعبادتي وأدعوهم إليها. وهو قول أمير المؤمنين[٧] ...رضي الله عنه، ومقاتل، واختيار الزجاج.

قال مقاتل: يعني إلا لآمرهم بالعبادة، ولو أنهم خلقوا للعبادة ما عصوا....[٨].

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٥، «فتح القدير» ٥/ ٩٢.

(٢) في (ك): بياض. وتمام العبارة في «معاني القرآن» ٣/ ٨٩، (وقال بعضهم: خلقهم ليفعلوا ففعل بعضهم وترك بعض وليس فيه).

(٣) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٢٢.

(٤) كذا في (ك). ولعل في العبارة سقطاً، حيث لم يذكر من قال بهذا القول وهو القول الثاني، وقد فسروا قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي لأدعوهم إلى عبادتي.

(٥) (ك): كلمة لم تظهر ولعلها (وما خلقت).

(٦) وبها قرأ ابن مسعود، وأبي. انظر: «الكشف والبيان» ١١/ ١٩١ أ، «الوسيط» ٤/ ١٨١، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٥، «روح المعاني» ٢٧/ ٢٢.

(٧) في (ك): كلمة لم تقرأ وهي (علي) وانظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٥.

(٨) في (ك): كلمة لم تقرأ وهي (طرفة عين) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٧ ب.

وقال الزجاج: المعنى: وما خلقت الجن والأنس إلا لأدعوهم إلى عبادتي[١]. هذا كلامهم وتفسيرهم. قالوا....[٢] العبادة غير الدعاء إليها والأمر بها، والله تعالى قال: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وأنتم تقولون إلا لآمرهم بذلك. قيل: قد يقال...[٣] هذا إذا لم يشتبه ودلت الحال عليه، ما تقول لإنسان أكرمته وأحسنت إليه لتأمره يصنع لك شيئًا: ما أكرمتك إلا لتصنع هذا. وأنت تريد: إلا لآمرك بذلك. وكثرة من لا يعبد الله من الكفار يدل على أنه لم يخلقهم لعبادته[٤].

واختار صاحب النظم هذا المذهب، واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُۥا﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣][٥]. قال: معناه: ليأمركم إذا استويتم على ظهوره أن تذكروه، ولو كان على ظاهره لوجب أن يكون ذلك عامًا في الإتيان به.

المذهب الثالث: أن المفسرين قالوا في قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ إلا ليوحدوني، والمؤمنون يوحدون الله تعالى طوعًا في الشدة والرخاء، الكفار يوحدونه في الشدة والبلاء وعند البأس. وهذا معنى رواية حبان عن الكلبي[٦] هذا جملة أقوال المفسرين .

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٨.

(٢) في (ك): الكلمة غير واضحة، لعلها (وتفسير).

(٣) كذا في (ك). والعبارة مستقيمة ولعل الكلمة الساقطة (مثل).

(٤) انظر: «البحر المحيط» ٨/ ١٤٣، «روح المعاني» ٢٧/ ٢٠-٢١.

(٥) ورجح الشنقيطي في تفسيره ٧/ ٦٧٣ هذا القول لدلالة آيات القرآن عليه.

(٦) انظر: «الكشف والبيان» ١١/ ١٩٢ أ، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٦.

وأما أهل المعاني فلهم أيضًا أقوال سديدة في معنى الآية:

أحدها: أن المعنى قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ إلا ليخضعوا لي ويتذللوا. وهذا معنى العبادة في اللغة، وكل أحد من مؤمن وكافر، وبر وفاجر، فهو خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئته، خَلَقه على ما أراد، ورزقه كما قضى، لا يملك أحد لنفسه خروجًا عما خلق عليه، فقد حصل هذا الخضوع والتذلل من كل أحد(١).

القول الثاني: أن معنى الخلق في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ﴾ خلق التكليف والاختيار، لا خلق الجبلة والطبيعة(٢)، فمن وفقه وسدده أقام العبادة التي خلق لها، ومن خذله وطرده حرمها وعمل ما خلق له(٣). وقد بين النبي ﷺ هذا المعنى بقوله: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»(٤).

٥٧- قوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: ما أريد أن يرزقوا من خلقي أحدًا، ونحوه قال مقاتل، والزجاج. وقال الكلبي: ﴿مِّن رِّزْقٍ﴾ أن يرزقوا أنفسهم. ونحوه قال

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ١١/ ١٩١ب، ١٩٢أ، «الوسيط» ٤/ ١٨١، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٥، «فتح القدير ٥/ ٩٢. وهو اختيار ابن جرير أيضًا «جامع البيان» ٢٧/ ٨.

(٢) انظر: «دقائق التفسير» ٤/ ٥٢٩، «فتح القدير» ٨/ ٦٠٠.

(٣) في (ك): (لها).

(٤) حديث متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب: التفسير سورة ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ٦/ ٢١٢، كتاب: القدر، باب: جف القلم على علم الله ٨/ ١٥٣، ومسلم في كتاب: القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي ٤/ ٢٠٤١. وأخرجه أحمد في «المسند» ١/ ٨٢، ١٢٩، انظر: «شرح الطحاوية» ٣١٨ وما ذكره المؤلف هنا جزء من الحديث. اقتصر على مكان الشاهد منه.

الفراء[١].

وقوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ قال ابن عباس: أن يطعموا لي عبدًا. وهو قول الفراء والزجاج. قالا: أن يطعموا أحدًا من خلقي[٢].

والآخرون قالوا: أن يرزقوني. ومرادهم أن يرزقوا عبادي؛ لأن الله تعالى غير مرتزق ولا طاعم، ويستحيل في وصفه الاستطعام وسؤال الرزق، وإنما أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال الله فمن أطعم عيال رجل ورزقهم فقد أطعمه ورزقه[٣]. وهذا كما قال ﷺ فيما يخبر به عن ربه أن الله تعالى يقول: «**عبدي استطعمتك فلم تطعمني**»[٤]، والمعنى: لم تطعم عبدي. والآية محمولة على أنه ما أوجب ذلك على عباده، ولم يكلفهم القيام برزق الخلق والإطعام، وإن كان قد ندب إلى إطعام الجائع وذي الحاجة إلى الطعام.

٥٨- ثم بين أن الرزاق هو لا غيره. فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ قال ابن عباس: الرزاق لجميع خلقه. ﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ﴾ على جميع ما خلق[٥]. وقال مقاتل: يعني: ذو البطش[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩٠، «جامع البيان» للطبري ٢٧/ ٨، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٩.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩٠، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٥٩.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨١، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٥، «فتح القدير» ٥/ ٩٢.

(٤) جزء من الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم في كتاب: البر، باب: فضل عيادة المريض ٤/ ١٩٩١.

(٥) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٢، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٦.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ.

وقوله: ﴿ٱلْمَتِينُ﴾ معناه في صفة الله القوي[١]. وقد مَتُنَ شأنه، إذا قوي[٢]، ثم ذكر أن لمشركي مكة من العذاب مثل ما لغيرهم من الأمم الكافرة وهو قوله:

٥٩- ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ قال مقاتل: يعني مشركي مكة[٣]. ﴿ذَنُوبًا﴾ الذَّنوب في كلام العرب: الدلو العظيم.

أنشد الفراء:

إنَّا إذا نَازَعَنَا سَرَيْت ... لنا ذَنُوبٌ من نَدَاك ذنوب[٤]

وأنشد المبرد لعلقمة بن عبدة:

وفي كلِّ حَيٍّ قد خَبَطْتَ بنِعْمَةٍ ... فحُقَّ لِشَأسٍ من نَداك ذَنُوبُ[٥]

قال ابن قتيبة: كانوا يستقون فيكون لكل واحد ذنوب، فحمل الذنوب مكان الحظ والنصيب[٦]، وبهذا جاء التفسير. قال أبو إسحاق: يعني: نصيبًا من العذاب، مثل نصيب أصحابهم الذين أهلكوا نحو قوم نوح،

---

(١) انظر: «روح المعاني» ٢٧/ ٢٣.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١٤/ ٣٠٥، «اللسان» ٣/ ٤٣٤ (متن).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ.

(٤) البيت لرؤبة. انظر: «ديوانه» ص١٣٢، «أمالي ابن الشجري» ٢/ ١٨١، «شرح المفصل» ٥/ ٤٨، «المفضليات» ٦٩٦، «تهذيب اللغة» ١٤/ ٤٣٨، «اللسان» ١/ ١٠٧٩ (ذنب).

(٥) البيت في «ديوان علقمة» ص٤٨، الكتاب ٤/ ٤٧١، «شرح المفصل ٥/ ٤٨، «المفضليات» ص٣٩٦، «المذكر والمؤنث» ص٣٣٧، «الإيضاح في شرح المفصل» ٢/ ٥١٦، «المصنف» ٢/ ٣٣٢، وشأس هو أخو علقمة. والبيت من قصيدة يمدح بها الحارث بن شمر الغساني.

(٦) انظر: «تأويل المشكل» ١٥٠، «تفسير غريب القرآن» ٤٢٣.

وعاد، وثمود[١]. وعبارة المفسرين مختلفة في تفسير الذنوب، والأصل ما ذكرنا، قال قتادة، ومقاتل، وأبو العالية: عذابًا مثل عذاب أصحابهم[٢].

وقال مجاهد: سجلاً. وقال إبراهيم: طرفًا[٣].

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي بالعذاب، يعني أنهم أخِّروا إلى يوم القيامة، يدل على ذلك قوله:

٦٠- ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِى يُوعَدُونَ﴾ قال الكلبي، وعطاء، ومقاتل: يعني يوم القيامة[٤].



(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٥٩.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ، «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٥. وهو المروي عن ابن عباس. انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٧٩، «جامع البيان» ٢٧/ ٩.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٩.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٦، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٣٨.

سورة الطور

تفسير سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿وَالطُّورِ﴾ ذكرنا تفسير الطور في سورة البقرة[(١)]. قال عامة المفسرين[(٢)]: أقسم الله بالجبل الذي كلّم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وهو بمدين[(٣)] واسمه زبير. ونحو هذا قال الفراء والزجاج وابن قتيبة[(٤)].

٢- قوله: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ المسطور معناه المكتوب من قولك: سطر يسطر سطرًا. وذكرنا هذا عند تفسير الأساطير[(٥)]. وأكثر المفسرين

---

(١) عند تفسيره لآية (٦٣) من سورة البقرة. ومما قال: الطور قيل: إنه الجبل بالسريانية .. وقيل: إنه اسم جبل بعينه. والطَّوْرُ: التارة، والحدبين الشيئين، والطُّورُ الجبل. وطُورُ سيناءَ: جبلٌ بالشام.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ، «الوسيط» ٤/ ١٣، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٨.

(٣) مدين على بحر القلزم، وهو المعروف حاليًا بالبحر الأحمر، محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل. وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب. انظر: «معجم البلدان» ٥/ ٧٧.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩١، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٦١، «تفسير غريب القرآن» ص٤٢٤.

(٥) عند تفسيره لآية (٢٥) من سورة الأنعام. ومما قال: السطر هو أن تجعل شيئًا ممتدًا مؤلفًا ومن ذلك سطر الكتاب، وسطر من شجر مغروس، ونحو ذلك قال ابن =

على أن المراد بالكتاب ها هنا ما أثبت على بني آدم من أعمالهم. وهو قول مقاتل، ومجاهد، والكلبي، والزجاج[(١)]. وذكر فيه أنه[(٢)] اللوح المحفوظ[(٣)]. وقيل: هو ما كتبه الله لموسى من التوراة[(٤)]. والصحيح هو القول الأول لقوله[(٥)] تعالى:

٣- ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ ولم يثبت أن اللوح المحفوظ من الرق. ولا أن ما كتب لموسى كان على الرق. والمراد بالكتاب، المكتوب، سُمّي بالمصدر. والرق مما كتب فيه. قال أبو عبيدة: الرق الورق[(٦)].

وقال الليث: الرَّقُّ الصحيفة البيضاء[(٧)].

= السكيت. يقال: سَطْرٌ وَسَطرٌ فمن قال سطرٌ فجمعه في القليل أسطر وفي الكثير سطور ومن قال سطَرَ جَمَعَه أسطارًا ثم أساطير جمع الجمع، قاله اللحياني، واختار الزجاج أن يكون واحدها أسطورة. انظر: «البسيط» ٢/ ٨٩ ب.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٠، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٦١، «الكشف والبيان» ١١/ ١٩٣ ب، «الوسيط» ٤/ ١٨٢، وبه قال الفراء، وابن قتيبة. انظر: «تفسير غريب القرآن»: ٤٢٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٩، «فتح القدير» ٥/ ٩٤، ولم أجده عن الكلبي.

(٢) في (ك): (أن).

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨١، عن ابن عباس، وقد جمع القولين فقال: وأقسم باللوح المحفوظ مكتوب فيه أعمال بني آدم. «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٦.

(٤) انظر: «الكشف البيان» ١١/ ١٩٣ ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٩، ونُسب للكلبي.

(٥) في (ك): (قوله) والصواب ما أثبته. قال الشنقيطي: والأظهر أن الكتاب المسطور هو القرآن العظيم.. «أضواء البيان» ٧/ ٦٨٣.

(٦) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٠.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٨٤ (رقق).

وقال المبرد: الرق، ما رُقّق من الجلد ليكتب فيه. والمنشور: المبسوط يتباعد أطرافه(١).

قال مقاتل: يخرج إليهم أعمالهم يومئذٍ في رق، يعني أديم الصحف(٢). ونحو هذا قال الكلبي.

قال الفراء: الرق الصحائف التي تخرج إلى بني آدم يوم القيامة فآخذ كتابه بيمينه وآخذ بشماله(٣). وهذا كقوله: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

٤- قوله: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ روى أنس عن النبي ﷺ قال: «**البيت المعمور في السماء السابعة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة**»(٤).

وقال ابن عباس: البيت المعمور في السماء بحيال الكعبة، يحجه كل يوم سبعون ألف(٥) ملك يسمى الضُّراح(٦). ونحو هذا قال جماعة المفسرين(٧)، إلا الحسن فقد روي عنه أنه قال: هو الكعبة. ومعنى

---

(١) انظر: «اللسان» ١٠/ ١٢٩ (رقق)، «القرطبي» ١٧/ ٥٩، «فتح القدير» ٥/ ٩٤.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٩١.

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» ٢٧/ ١١، وابن المنذر، وابن مردويه، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٦٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي في «شعب الإيمان». وانظر: «الدر» ٦/ ١١٧.

(٥) في (ك): (ألف) ساقطة.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨١، «الكشف البيان» ١١/ ١٩٣ ب، «الوسيط» ٤/ ١٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٥٩.

(٧) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٢٤، «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ، «جامع البيان» ٢٧/ ١١، «تفسير ابن كثير» ٤/ ٢٣٩، قال: وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد من السلف.

﴿ٱلْمَعْمُورِ﴾ أنه معمور بكثرة الغاشية والزائرين[١] .

قال مقاتل: عمارته أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يصلون فيه[٢]. وقال الكلبي: المعمور بالملائكة. قال: وهو بيت في السماء السادسة، بناه آدم فرفع أيام الطوفان[٣] .

وروى عطاء عن ابن عباس أنه في السماء الدنيا[٤]. قال: وكان ابن عباس يقول: لله في السموات والأرضين خمسة عشر بيتًا، كل واحد يحاذي صاحبه، سبعة على الأرضين وسبعة في السموات. والكعبة الخامس عشر[٥] .

٥- قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾. قال علي رضي الله عنه: يعني السماء. وهو قول قتادة، ومجاهد، والجميع[٦]. قال مقاتل: المرفوع من الأرض مسيرة خمسمائة عام[٧]. وسَمَّى السماء سقفًا؛ لأنها للأرض كالسقف. وقد قال عَزّ ذكره: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢] وروى عطاء عن ابن عباس قال: السقف المرفوع هو العرش، وهو سقف الجنة[٨] .

---

(١) انظر: «الكشف البيان» ١١/ ١٩٤ أ- ب، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٦٠، «فتح القدير» ٥/ ٩٤، «روح المعاني» ٢٧/ ٢٧.
(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ.
(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨١، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩١.
(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٦٠، عن الربيع بن أنس.
(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٦٠.
(٦) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٢٤، «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٦، «جامع البيان» ٢٧/ ١٠، «العظمة» ٣/ ١٠٣٠.
(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ.
(٨) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٦٠، «فتح القدير» ٥/ ٩٤.

٦- وقوله: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ قال الفراء: المسجور في كلام العرب المملوء[(١)]. يقال: سجرت الإناء، إذا ملأته. قال لبيد:

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا   مَسْجُورَةً مُتَجَاوِرًا قُلَّامُهَا[(٢)]

وقال المبرد: البحر المسجور المملوء عند العرب، وأنشد هو وأبو عبيدة للنمر بن تَوْلَبْ يصف وعلاً:

إذا شَاءَ طَالَعَ مَسْجُورَةً   تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ والسَّاسَمَا[(٣)]

يريد: به عينًا مملوءة. وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، والكلبي، ومقاتل قالوا: الممتلئ. وقال قتادة: المملوء[(٤)].

روى النَّزَّال بن سَبْرة عن علي رضي الله عنه قال: هو بحر تحت العرش فيه ماء غليظ، يقال له: بحر الحيوان، يمطر العباد بعد النفخة

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٩١.

(٢) البيت ورد في «ديوانه» ص١٠، وفي «شرح المعلقات السبع» (معلقة لبيد) للزوزني ص٨٢، «جمهرة أشعار العرب» ص٦٨، «المُحتسب» ٢/ ٣٧١، وقوله: (قُلَّامُهَا) ضرب من شجر الحمض، ويروى (أقلامها) وهو قصب اليراع. والسَّرِيُّ: النهر الصغير والجمع الأسرية.
والبيت في وصف العير والأتان، وقد توسطا جانب النهر الصغير وشقا عينًا مملوءة ماء، قد كثر نبتها.

(٣) في (ك): (والساسماير) والصواب ما أثبته.
والبيت في «ديوانه» ص١٦٥، «الخزانة» ١١/ ٩٥، «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٠، «تفسير غريب القرآن» ص٤٢٤ والنبع: شجر أصفر العود رزينة ثقيلة في اليد، إذا تقادم احمر.
والساسم: قيل هو جمع سِمْسِم، وقد يكون من الخشب يشبه الأبنوس. «اللسان» ١/ ٥٦٩ (نبع) ٢/ ١٤٢ (سسم).

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨١، «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ، «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٧، «جامع البيان» ٢٧/ ١١.

الأولى منه أربعين صباحًا، فينبتون في قبورهم[١]. وهذا قول الكلبي، ومقاتل، قالا: يحيي الله به الموتى فيما بين النفختين[٢].

وقال مجاهد ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ الموقد[٣]. قال الليث: السجر إيقادك في التنور تسجره بالوقود سجرًا. والسَّجُورُ اسم الحطب[٤]. وهذا قول الضحاك وشَمِر بن عطية، وكعب. قالوا: البحر المسجور يسجر فيزاد في نار جهنم[٥].

وقد روي هذا في الحديث: أن الله تعالى يجعل البحار كلها نارًا فتجعل نار جهنم[٦]. قال المبرد: وهذا القول يرجع أصله إلى القول الأول؛ لأن معنى: سجرت التنور، ملأته حطبًا ونارًا[٧]. قال الفراء: وكان علي رضي الله عنه يقول: مسجور بالنار. أي مملوء[٨].

وقال ابن عباس في رواية عطية: البحر المسجور هو اليابس الذي قد نضب ماؤه وذهب. وهو قول أبي العالية، ورواية ذي الرمة الشاعر، عن ابن

---

(١) انظر: «الكشف البيان» ١١/ ١٩٥ أ، «الوسيط» ٤/ ١٨٥، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٦٢.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ، «الوسيط» ٤/ ١٨٥.

(٣) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٢٤.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١٠/ ٥٧٥ (سجر).

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١١، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٧، «الدر» ٦/ ١١، ونسب إخراجه لأبي الشيخ عن كعب.

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤٨، وقال محققه: لم نقف على هذا الحديث سندًا فيما بين أيدينا من المصادر، وقد أورده بعض المفسرين كالمصنف بلا سند.

(٧) انظر: «اللسان» ٢/ ٩٩ (سجر).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩١.

عباس[١] وليس له رواية غير هذا[٢].

قال أبو زيد: المسجور يكون المملوء، ويكون الذي ليس فيه شيء[٣]. أقسم الله تعالى بما ذكر من هذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظم النعمة والعبرة من وجوب التدبير لذلك، وطلب ما فيها من دقائق الحكمة، والواو في قوله: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ وما بعدها من الواوات للعطف على المُقْسَم به، ولا يجوز أن يكون للقسم، لأن جواب القسم الأول وهو قوله: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ لم يأت بعد، وإذا لم يأت جواب الأول، لم يجز أن يستأنف قسم آخر، وقد ذكرنا هذا الفصل في ابتداء سورة (ص)[٤].

٧- وجواب هذه الأقسام قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾[٥] قال ابن عباس والمفسرون: إن عذاب ربك للمشركين والكافرين والمنافقين لكائن[٦]. يعني في الآخرة يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٢، «الكشف والبيان» ١١/ ١٩٥ أ، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٤٠.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٦١، وقال: قاله ابن أبي داود.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١٠/ ٥٧٧، «اللسان» ٢/ ١٠٠ (سجر). وفي «النوادر» لأبي زيد ٥٨ قال: التسجير الامتلاء. يقال: بحر مسجور ومسجر. أي مملوء غاية الامتلاء.

واختار ابن جرير قول من قال: البحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض، ووجهه بأنه ليس موقدًا اليوم فهو مملوء. «جامع البيان» ٢٧/ ١١. وقال ابن الأنباري في «أضداده» ص٤٤: والمسجور من الأضداد. يقال المسجور للمملوء والمسجور للفارغ...

(٤) عند تفسيره الآية (١، ٢) من سورة ص. وتقدم [ص: ٦٩].

(٥) انظر «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٤٩.

(٦) انظر «التحرير والتنوير» ٥/ ٢٢، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٧.

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾.

قال أبو إسحاق: (يومَ) منصوب بقوله: ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ أي لواقع يوم القيامة[١]. ومعنى المور في اللغة: الاختلاف والاضطراب والذهاب والمجيء والتردد.

والداغصة[٢] تمور في الركبة، والبعير يمور عضده موراً، إذا مشى. وروى عمرو[٣] عن أبيه: المور الدوران، ويقال: مار يمور مورًا، إذا جعل يذهب ويجيء ويتردد، ومنه قوله:

٩- ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾[٤]. قال المبرد: أي تتحرك إما لسير وإما لدوران. قال ابن عباس، ومجاهد: تدور بما فيها دورانًا وتتكفأ تكفؤ السفينة وتضطرب وتتحرك وتستدير، كل هذا من عبارات المفسرين[٥].

١٠- ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ قال ابن عباس: كسير السحاب اليوم في الدنيا[٦].

وقال مقاتل: تسير عن أماكنها حتى تستوي بالأرض[٧]. وهذا

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٦١.

(٢) الداغصة عظم مدور يموج فوق رضف الركبة. والداغصة الشحمة التي تحت الجلدة الكائنة فوق الركبة. انظر: «القاموس المحيط» ٢/ ٣٠٣، «اللسان» ١/ ٩٨٩ (دغص).

(٣) هو: عمرو بن أبي عمرو الشيباني.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٢٩٧، «اللسان» ٣/ ٥٤٨ (مور).

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٢، «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ، «جامع البيان» ٢٧/ ١٣، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٧.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٦٣.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨، «الوسيط» ٤/ ١٨٥.

كقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧] وقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥] وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ [النمل: ٨٨] الآيات. وقد ذكر الله تعالى في الواقعة أنها تصير هباء منثورًا[1]. ثم ذكر ما للمكذبين في ذلك اليوم بقوله:

١١- ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ قال الكلبي: الشدة من العذاب يومئذ للمكذبين بالإيمان[2]. وذكرنا قديمًا تفسير الويل[3].

١٢- ثم نعت هؤلاء المكذبين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ ومعنى الخوض في اللغة الدخول في الماء، ثم يتفرع منه الدخول في الأمر بالقول[4]. وأراد بالخوض ها هنا خوضهم في حديث محمد بالتكذيب والاستهزاء، ولهذا قال المفسرون: في باطل يلعبون. قال عطاء: يخوضون في تكذيبك ويلهون بذكرك[5].

١٣- قوله: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ يوم بدل من قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾[6] ومعنى

---

(١) قال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾. [الواقعة ٥، ٦].

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٥، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٨.

(٣) عند تفسيره لآية (٧٩) من سورة البقرة. قال: قال ابن عباس: الويل شدة العذاب. وقال الزجاج: الويل كلمة يستعملها كل واقع في هلكة وأصله في اللغة العذاب. وقال ابن قتيبة: قال الأصمعي: الويل تقبيح. وروى الأزهري.. عن أبي طالب النحوي أنه قال: قولهم: (ويله) كان أصلها (وي) وصلت بـ(له) ومعنى (وي) حزن له ومنه قولهم: ويه، معناه حزن أخرج مخرج الندب. والويل: حلول الشر، والويلة: الفضيحة، والبلية. والويل كلمة عذاب، والهلاك يدعى بها من له وقع في هلكة يستحقها. وانظر: «اللسان» ٣/ ٩٩٧ (ويل).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ٤٦٦، «اللسان» ١/ ٩٢٠ (خوض).

(٥) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٥، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٨، «الجامع» للقرطبي ١٧/ ٦٤.

(٦) انظر: «مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٢٣١.

الدَّع في اللغة: الدفع في قسوة وعنف. قال أبو عبيدة[١]: دععت[٢] في قفاه، أي دفعت، ومنه قوله: ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]، وأنشد الليث:

إذا القَوْمُ في المَحْلِ دَعُّوا اليَتِيمَا[٣]

قال عامة المفسرين: يدفعون إلى النار دفعًا على وجوههم[٤]. وقال قتادة: يزعجون إليها إزعاجًا[٥]. وقال مجاهد: دفرًا في أقفيتهم[٦].

قال ابن الأعرابي: الدفر: الدفع[٧]. قال مقاتل: يغلون أيديهم إلى أعناقهم، وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم وراء ظهورهم، ثم يدفعون إلى جهنم دفعًا على وجوههم، حتى إذا دنوا منها قال لهم خزنتها قوله:

١٤- ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[٨] قال ابن عباس: أي في الدنيا[٩].

ثم وبخوا بما كانوا يدعون في حال التكذيب قبل انكشاف الأمر، فقيل لهم لما عاينوا مصداق الخبر

١٥- ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ أي هذا الذي ترون. والمعنى يعود إلى العذاب،

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣١.
(٢) في (ك): (دعت) والصواب ما أثبته.
(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه.
(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٤، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٤١.
(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٧، «جامع البيان» ٢٧/ ١٤.
(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٩٢، «اللسان» ١/ ٩٨٣ (دعع).
(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ١٤/ ١٠٢، «اللسان» ١/ ٩٩١ (دفر).
(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨/ ب، «الوسيط» ٤/ ١٨٥.
(٩) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٢.

ولذلك ذكر بلفظ التذكير في قوله: ﴿هَٰذَا﴾. قوله: ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ يريد: أم قد غطي على أبصاركم، وذلك أنهم كانوا يكذبون محمدًا ﷺ فيما يوعدهم من العذاب وينسبونه إلى السحر، وإلى أنه يسحر الناس ويغطي على أبصارهم بالسحر، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ وقد مر[1]. فلما شاهدوا ما وعدوا به من العذاب قيل لهم للتوبيخ والتبكيت: أفسحر ما ترون، أم قد غطي على أبصاركم فلا ترون كما كنتم تدعون في الدنيا أنه يفعل بكم. وهذا معنى قول مقاتل[2]. ويجوز أن يكون المعنى في قوله: ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ التهديد. يقول: أم لا تبصرون العذاب فتكذبون به كما كنتم تكذبون به في الدنيا إذا كنتم لا تبصرونه. فلما ألقوا فيها قالت لهم الخزنة:

١٦- ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ أي: على العذاب ومقاساة حر النار ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال أبو إسحاق: مرفوع بالابتداء والخبر محذوف. المعنى: سواء عليكم الصبر والجزع[3]. يدل على ذلك أنهم أقروا بهذا في قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي الأمر جار عليكم بالعدل، ما جوزيتم إلا جزاء أعمالكم، والمعنى: إنما تجزون جزاء ما كنتم تعملون، أي الكفر والتكذيب.

١٨- فقوله تعالى: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ . قال ابن عباس،

---

(١) عند تفسيره لآية (١٥) من سورة الحجر.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٨.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٦٢.

ومقاتل: معجبين[(١)]. وذكرنا تفسير هذا الحرف في سورة يس[(٢)].

١٩- قوله تعالى: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ يقال: هَنُؤَ يَهْنُؤ هَنَاءَةً فهو هنيء[(٣)]. وهنيئًا هاهنا نعت محذوف على تقدير: إمتاعًا هنيئاً، وأمرهم بالأكل والشرب يدل على الإمتاع، كأنه قيل: أمتعتم بنعيم الجنة إمتاعًا هنيئًا، ويجوز أن يقول: أراد شربًا هنيئًا، أو أكلاً هنيئًا. واقتصر على صفة مصدر أحد الفعلين من الآخر. وقال الزجاج: (هنيئاً) صفة في موضع المصدر، أي: ليهنأكم ما صرتم إليه هنيئا[(٤)]. وذكرنا تفسير الهنيء في أول سورة النساء[(٥)].

قال مقاتل: يعني حلالاً.

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٣، «تفسير مقاتل» ١٢٨ ب.

(٢) عند تفسيره لآية (٥٥) من سورة يس قال: ﴿فَـٰكِهُونَ﴾ قال ابن عباس: ناعمون. وقال مقاتل وقتادة: أي معجبون بما هم فيه. وهو قول الحسن والكلبي. وهذان القولان عليهما أهل التفسير ولكل منهما أصل في اللغة. فمن قال فاكهين ناعمين، فأصله من الفكهية والفاكهة وهى المزاح والكلام الطيب. يقال: فاكهت القوم بملح الكلام مفاكهةً. روى أبو عبيد عن زيد: الفَكِهُ الطيب النفس الضحوك.. ومن قال الفاكهة المعجب فإن العرب تقول: فكهنا من كذا أي تعجبنا. ومنه قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أي تعجبون. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج٥/ ٦٣، «تهذيب اللغة» ٦/ ٢٥ (فكه)، «الأضداد» لابن الأنبارى٥٤.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٤٣٣ (هنأ) ذكره عن الليث.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٦٣.

(٥) عند تفسيره لآية (٤) من سورة النساء. ومما قال: قال الأصمعي: يقال في الدعاء للرجل: هنئت ولا تَنْكَه. أي أصبت خيرًا ولا أصابك الضر. وقال أبو الهيثم: معنى قوله ﴿هنئت﴾ يريد ظفرت على الدعاء له. وأصل الهنيء من الهناء. وهو معالجة الجرب بالقطران. فالهنيء شفاء من المرض كالهناء شفاء من الجرب، قال المفسرون: معنى الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء.

وقال الكلبي: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ لا يموتون[١] . ومقاتل ذهب إلى أن الحرام وخيم العاقبة، وطعام الجنة لما كان مأمون العاقبة وصف بالهنيء. وذهب الكلبي إلى أن الموت ينغص النعمة، ولما كان أهل الجنة يأمنوا الموت وصف نعيمهم بالهنيء .

٢٠- قوله تعالي: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ تفسير هذه الحروف قد تقدَّم فيما سبق.

ووصف ابن عباس هذه السرر فيما روي عنه عطاء قال: يريد من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، والسرير مثل ما بين مكة وأيْلة[٢] .

وقال الكلبي: طول السرير في السماء مائة عام، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه، فإذا جلس عليه ارتفع به إلى مكانه[٣].

قوله تعالي: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ ذكرنا تفسيره في آخر سورة الدخان[٤].

٢١- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال ابن عباس: يعنى المهاجرين والأنصار والتابعين[٥] .

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ ب.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٦٥، «فتح القدير» ٥/ ٩٦ .

(٣) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٦، «التفسير الكبير» ١٩/ ١٥٣، «القرطبي» ١٠/ ٣٣، «روح المعاني» ١٤/ ٥٩، وأيْلَةُ بالفتح مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. انظر: «معجم البلدان» ١/ ٣٤٧.

(٤) عند تفسيره لآية (٥٤) من سورة الدخان. وملخصه: أن الله تعالى أنكحهم في الجنة الحور العين، والحور في اللغة البيض وقيل الحسان الأعين.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٦٧، «روح المعاني» ٢٧/ ٣٢، وقال (لكن =

﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ اختلفوا في أن هذا الإيمان من المؤمنين الذين ذكروا في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أم من الذرية؟ فقال قتادة: بإيمان من الذرية[١]، والمعنى: واتبعتهم ذريتهم في الإيمان؛ لأن الذرية إذا لم تتبع الأصل بالإيمان لم تجتمع معه في الجنة. وعلى هذا المراد بالذرية الكبار. ويجوز أن يكون المراد بالإيمان إيمان الذين آمنوا[٢].

والمعنى: وأتبعهم بإيمان من الآباء ذريتهم، والذرية تتبع الآباء وإن كانت صغارًا في كثير من أحكام الإيمان وهو الميراث، والدفن في مقابر المسلمين، وحكمهم حكم الآباء في أحكامهم، إلا فيما كان موضوعًا عن الصغير لصغره. وعلى هذا القول، المراد بالذرية: الصغار.

قال أبو علي: فإن جعلت الذرية للكبار[٣] كان قوله: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ حالاً من الفاعلين الذين هم ذريتهم[٤]. وكلا القولين مروي عن ابن عباس[٥]. والوجه أن تحمل الذرية على ما بينًا. وعلى هذه الجملة يدل كلام

= لا أظن صحته). وقال الشوكاني: وقيل المراد بالذين آمنوا المهاجرون والأنصار فقط، وظاهر الآية العموم، ولا يوجب تخصيصها بالمهاجرين والأنصار، كونهم السبب في نزولها إن صح ذلك، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. انظر: «فتح القدير» ٥/ ٩٨.

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٦٦.

(٢) وهو المروي عن ابن عباس، والضحاك.
انظر: «جامع البيان» ١٧/ ١٥، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٩.

(٣) في (ك): (فإذا حملت الذرية الكبار) والصواب ما أثبته.

(٤) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٥٥.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٦٦ .

المفسرين[١].

والذرية تقع على الصغير والكبير، والواحد والكثير[٢]. فمن وقوعها على الصغير الواحد قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨] ومن وقوعها على الكبار البالغين قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

ومن وقوعها على الكبير قوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ [مريم: ٥٨]. روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه**» ثم قرأ هذه الآية[٣].

وقال عبد الله في هذه الآية: الرجل يكون له القِدم وتكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقر بهم عينه وإن لم يبلغوا ذلك[٤].

وقال أبو مجلز: يجمعهم الله له ما كان يحب أن يُجْمعوا له في الدنيا[٥]. وقال الشعبي: أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة[٦].

---

(١) انظر «الكشف البيان» ١١/ ١٩٦ ب، «الوسيط» ٤/ ١٦، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٩.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٣ (ذرأ).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤٧ موقوفًا على ابن عباس، والحاكم في مستدركه، كتاب: التفسير، سورة الطور ٢/ ٤٦٨، والبزار عن ابن عباس، عن النبي ﷺ وفيه قيس بن الربيع. وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف.
انظر: «مجمع الزوائد» ٧/ ١١٤، وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» ٢٧/ ١٥، «البحر المحيط» ٨/ ١٤٨، وانظر: «تخريجات الكشاف» ص١٦٠، «الصواعق المرسلة» ١/ ٣٩١ - ٣٩٢، «التفسير القيم» ص٤٤٩. وبه قال الجمهور.

(٤) انظر: «التفسير القيم» ص٤٥١.

(٥) انظر: «الدر» ٦/ ١١٩، ونسب إخراجه لابن المنذر.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٦.

وقال الكلبي عن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء، وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء. وهذا القول اختيار الفراء[(١)]. والآباء على هذا القول داخلون في اسم الذرية.

وذكرنا جواز ذلك عند قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[(٢)] عني بالذرية الآباء. والأكثرون على القول الأول. وهو أن الأبناء يلحقون بدرجة الآباء.

قال إبراهيم: أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئًا[(٣)]. وهو اختيار الزجاج. قال: تأويل الآية أن الأبناء يلحقون بالآباء إذا كانت مراتب الآباء في الجنة أعلى من مراتبهم، ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئًا[(٤)]. وذلك قوله: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ وذكرنا تفسير الألت عند قوله: ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾[(٥)] والقراء على فتح اللام

(١) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٩٢، «القرطبي» ١٧/ ٦، «التفسير القيم» ص٤٥١.

(٢) عند تفسيره لآية (٤١) من سورة يس. ومما قال: قال ثعلب: الذرية تقع على الآباء. وقال الفراء: جعل الذرية التي كانت مع نوح لأهل مكة لأنها أصل لهم، وقال الزجاج: قيل لأهل مكة (حملنا ذريتهم) لأن من حمل مع نوح فهم أباؤهم وذرياتهم. فهذه الأقوال تدل على أن الآباء يجوز أن تسمى ذرية الأبناء. وقد كشف صاحب النظم عن هذا فقال: جعل الله الآباء ذرية للأبناء. وجاز ذلك لأن الذرية مأخوذة من ذرأ الله الخلق فسمى الولد ذرية لأنه ذري من الأب فكما جاز أن يقال للولد ذرية لأبيه لأنه ذري منه كذلك يجوز أن يقال للأب ذرية للابن ابنه ذري منه.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٦، «الدر» ٦/ ١١٩، وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر وهناد.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٦٥ -٦٦.

(٥) عند تفسيره للآية (١٤) من سورة الحجرات، ومما قال: لاتَ اجتمع أربع لغات: أَلَتَ، وآلَتَ، ولاَتَ، وأَلاَتَ. كلها معناها النقصان. قال ابن عباس ومقاتل: لاينقصكم من ثواب أعمالكم شيئًا. انظر: «البسيط» ٦٥٦ بتحقيق السحيباني.

في: (ألتناهم) وهو الأشهر الأعرف.

وقرأ ابن كثير بكسر اللام[١]. ويشبه أن يكون ذلك لغة، فقد جاءت حروف على فَعِلَ وفَعَلَ، مثل: نَقِمَ يَنْقَمُ، ونَقَم يَنْقِم.

وقد رويت هذه القراءة عن يحيى بن يعمر، ومكانه مكانه[٢].

قال ابن عباس: لم تنقص الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذرياتهم[٣]. وهذه الآية رد ظاهر على القدرية حين أنكروا أن يعطي الله تعالى ذكره مؤمنًا من فضله ما لا يستحقه بعمله. وتم الكلام عند قوله: ﴿مِن شَىْءٍ﴾[٤]، ثم ابتدأ: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ قال ابن عباس: ارتهن أهل جهنم بأعمالهم[٥]. أي أخذوا وحبسوا في جهنم، ولكن الكلام في نفس الآية يدل على ما ذكر؛ لأن الله وصف منازل أهل الجنة، ثم ذكر أهل النار وأنهم ارتهنوا بعملهم، فدل معنى الكلام على أنهم معذبون، فإن أهل الجنة في نعيمهم.

وقال مقاتل: كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مرتهن في النار[٦]. ويدل على صحة ما ذكر ما قال الكلبي، وهو أن الله تعالى استثنى المؤمنين في قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾[٧] فدل على أن

---

(١) انظر: «حجة القراءات السبع» ص٦٢، «النشر» ٢/ ٣٧٧، «الإتحاف» ص٤٠٠.

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٢٦.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٤، «جامع البيان» ٢٧/ ١٧، «الوسيط» ٤/ ١٨٧.

(٤) انظر: «القطع والائتناف» ص٦٦ قال: وهو قول أبي حاتم.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٦٨.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٩.

(٧) آية (٣٨، ٣٩) من سورة المدثر. ولم أجد القول عن الكلبي أو غيره.

المراد بقوله: ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ الكافر لا المسلم[١].

ثم ذكر ما يزيدهم[٢] من الخير والنعمة فقال:

٢٢- ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني غير الذي كان لهم زيادة من الله تعالى أمدهم بها[٣]. قال الكلبي، ومقاتل: يعنى غير الذي كان لهم زيادة من الله تعالى أمدهم بها.

٢٣- ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ يتعاطون[٤] والمعنى أن هذا يأخذ من يد هذا وهذا يأخذ من يد هذا كالشيء المتنازع فيه، تنزعه من صاحبك، وصاحبك ينزعه منك. هذا هو الأصل ثم صار التنازع اسمًا للتناول، والمنازعة اسمًا للمناولة[٥] وقال الأعشى:

نازَعتُهُمْ قُضُبَ الرّيْحَانِ مُتّكئا وَقَـهْـوَةً مُـزّةً رَاوُقُـهَـا خَـضِـلُ[٦]

وقال الأخطل:

نازَعْتُهمُ طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وقد
صَاحَ الدَّجَاجُ وحَانَتْ وَقْعَةُ السَّاري[٧]

---

(١) واختيار ابن جرير، والنحاس، وابن كثير، وغيرهم العموم، وأن كل إنسان مرتهن بعمله، فإن قام به على الوجه الذي أمره الله به فكه، وإلا أهلكه. انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٧، «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٥٣، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٤٢، «فتح القدير» ٥/ ٩٨.

(٢) في (ك): (ما يزيد) والتصويب من الوسيط.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٩.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ ب، «جامع البيان» ٢٧/ ١٧.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤١، «اللسان» ٣/ ٦١٦ (نزع).

(٦) انظر: «ديوان النابغة» ص١٤٧، والقهوة: الخمر، والراووق: إناء الخمر، والخضل: الندي.

(٧) انظر: «ديوان الأخطل» ١٠/ ١٩٨، «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٣، ومعنى (نازعته) ناولته. والشمول: الطيبة الريح.

وجميع أهل اللغة قالوا في معنى (يتنازعون): يتعاطون. وهو قول أبي عبيدة، والمبرد، والزجاج، وابن قتيبة[١].

قوله تعالى: ﴿فِيهَا كَأْسًا﴾ قال ابن عباس، ومقاتل، يعني الخمر[٢]. وقد ذكرنا أن الكأس معناه الإناء فيه الشراب، فإذا كان فارغًا فليس بكأس، ولما لم ينفك الكأس عما فيه، جاز أن يسمى ما فيه باسم الكأس[٣].

قوله تعالى: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ قال ابن عباس: يريد لا يلغون ولا يأثمون[٤]. وعبارات المفسرين مختلفة الألفاظ، فقد قالوا: لا فضول ولا باطل ولا سباب ولا تخاصم فيها[٥].

قال أبو إسحاق: أي لا يجري بينهم ما يُلْغَى، ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا لشربة الخمر[٦].

وقال ابن قتيبة: أي: لا يذهب بعقولهم فيلغوا ويرفثوا كما يكون من خمر الدنيا[٧]. فإذا لم يذهب بعقولهم لم يكن منهم ما يؤثم. والتأثيم تفعيل

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٢، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٦٣ «غريب القرآن» ٤٢٥.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٤، «تفسير مقاتل» ١٢٨ ب.

(٣) انظر: «المفردات» ٤٤٣، «تهذيب اللغة» ١٠/ ٣١٣ (كيس)، «اللسان» ٣/ ٢٠٦ (كأس).

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٤، «جامع البيان» ٢٧/ ١٧.

(٥) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٢٤، «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٨، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٤٢.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٦٣.

(٧) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٢٥.

من الإثم. يقال: أثمه، إذا جعله ذا إثم. يعني أن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين. والكلام في التنوين وتركه في مثل هذا قد تقدم عند قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾[(١)].

وقوله: ﴿فِيهَآ﴾ من قوله: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ في موضع رفع بأنه خبر مبتدأ على قول سيبويه، لأنه خبر عن قوله: ﴿لَّا لَغْوٌ﴾ والتقدير: لا لغو فيها ولا تأثيم فيها، واستغني عن ذكر خبر الثاني لدلالة خبر الأول عليه كقوله: زيد منطلق وعمرو[(٢)].

٢٤- قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ قال الكلبي: بالخدمة غلمان لهم[(٣)]. قال مقاتل: لا يكبرون أبدًا[(٤)]. ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في الحسن والبياض ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ في الصدف لم تمسه الأيدي ولم تره الأعين.

وقال عطاء: يريد مثل اللؤلؤ حين يخرج من أصدافه قبل أن يصيبه الطيب والدهن[(٥)].

---

(١) عند تفسيره لآية (١٩٧) من سورة البقرة. وفي قوله ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو، ويعقوب: ﴿لَغْوٌ * تَأْثِيمٌ﴾، بالنصب وقرأ الباقون ﴿لَغْوٌ * تَأْثِيمٌ﴾ بالرفع والتنوين.
انظر: «حجة القراءات»: ٦٨٣، «النشر» ٢/ ٢١١، «الإتحاف» ١٣٤. وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ بالرفع والتنوين، وقرأ الباقون بالفتح من غير تنوين. انظر: «البسيط» ١/ ١٢٢ أ- ب، الحجة ٢/ ٢٨٦، «النشر» ٢/ ٢١١، «الإتحاف» ص١٣٥.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٠، ٥/ ٦٣، «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٢٦.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٨، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٠.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ ب، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٦٩.

(٥) لم أجده.

ومعنى: ﴿مَّكۡنُونٌ﴾ مصون فيما تكنه أي تستره[١]. ذكرنا تفسير هذا الحرف في مواضع، وعلى ما ذكر مقاتل، وعطاء: أراد أنه مكنون في الصدف[٢]. وقال الكلبي: قد خُبِّئ وكُنَّ من الحر والقر والمطر فلم يتغير[٣]. وعلى هذا هو مكنون في غير الصدف. قال الحسن في هذه الآية: قالوا: يا رسول الله، الخادم كاللؤلؤ، فكيف بالمخدوم؟ قال: «**كما بين القمر ليلة البدر والكوكب**»[٤]. ونحو هذا ذكر قتادة[٥].

وروت عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدمه فيجيبه ألف يناديه كلهم لبيك لبيك**»[٦].

وقال أبو عبد الرحمن المعافري[٧]: إنه ليصف الرجل من أهل الجنة

---

(١) الكِنُّ والكنَّةُ والكِنانُ: وِقاء كل شيء وسِترهُ، والكِنُّ: البيت أيضًا. والجمع أكْنانٌ وأكِنَّةٌ، «اللسان» ٣/ ٣٠٤ (كَنَنَ).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٠.

(٣) لم أجده عن الكلبي، وفي «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٤، قال: (قد كن من الحر والبرد والقر).
والقُرُّ: هو البرد عامة. وقال بعضهم: القُرُّ في الشتاء والبرد في الشتاء والصيف، «اللسان» ٣/ ٥٢ (قرر).

(٤) أخرجه الثعلبي من رواية الحسن مرسلًا. انظر: «الكشف البيان» ١١/ ١٩٧ ب، تخريجات الكشاف: ١٦٠.

(٥) أخرجه عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر.
انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٨، «جامع البيان» ٢٧/ ١٨، «الدر» ٦/ ١١٩.

(٦) أخرج الثعلبي من رواية عمر بن عبد العزيز البصري، عن يوسف بن أبي طيبة، عن وكيع، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة نحوه. انظر: «الكشف البيان» ١١/ ١٩٧ ب، «تخريجات الكشاف» ص١٦٠.

(٧) لم أجد ترجمته.

سماطان لا يرى طرفهما من غلمانه حتى إذا مر مشوا وراءه[(١)] .

وقال حميد بن هلال[(٢)]: ذكرنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة وألبس لباسهم، وحُلِّي حليهم، وأُري أزواجه وخدمه، أخذه سوار فرح لو كان ينبغي له أن يموت لمات من سوار فرحه، فيقال له: أرأيت سوار فرحتك، فإنها قائمة لك أبدًا[(٣)] .

٢٧- قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ قال ابن عباس: يتذاكرون ما كانوا فيه في الدنيا من التعب والنصب والخوف[(٤)]. وقال مقاتل: زار بعضهم بعضًا فتساءلوا بينهم ما كانوا فيه من المشقة في الدنيا فذلك قوله:

٢٨- ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي في دار الدنيا مشفقين من العذاب.

٢٩- ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ يعني جهنم الحارة[(٥)]. ونحو هذا قال الحسن في السموم أنه من أسماء جهنم[(٦)] .

وقال عطاء: يريد الطبق السابع من جهنم وهو الأعلى[(٧)] .

---

(١) لم أجد هذا القول.

(٢) حميد بن هلال العدوي، أبو نصر البصري، ثقة، عالم، توقف فيه ابن سيرين لدخوله عمل السلطان. انظر: «تقريب التهذيب» ١/ ٢٠٤، «صفة الصفوة» ٣/ ٢٦٠، «سير أعلام النبلاء» ٥/ ٣٠٩.

(٣) انظر: «صفة الصفوة» ٣/ ٢٦٠.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٨، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٠. ومعنى قوله: أخذه سوار الفرح، أي: دَبَّ فيه الفرح دَبيبَ الشَّرَاب. انظر: «اللسان» ٢/ ٢٣٧ (سور).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٨ ب، ١٢٩ أ.

(٦) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٠، «زاد المسير» ٨/ ٥٣، «القرطبي» ١٧/ ٧٠.

(٧) لم أجده.

وقال الكلبي: (عذاب السموم) عذاب النار[١]. وهو قول أبي عبيدة[٢].

ومعنى السموم في اللغة: الريح الحارة تكون بالنهار، وقد تكون بالليل أيضًا.

قال أهل المعاني: معنى السموم الحر الذي يدخل في مسام البدن بما يوجب ألمه، ومنه ريح السموم، ومسام البدن الخروق الدقاق، وعلى هذا حر جهنم وحر النار مما يدخل في مسام البدن[٣].

وقال أبو إسحاق: ﴿عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ أي سموم جهنم[٤]. وعلى هذا سموم جهنم ما يوجد من لفح أوارها[٥] وحرارة لهوبها كالريح الحارة التي تهب فتؤذي الإنسان. فكأنهم قالوا: وقانا الله حر جهنم حتى لم يصبنا وهج نارها.

قال[٦]: وسياق هذه الآيات يدل على أنهم يتساءلون في الجنة عن أحوالهم التي كانت في الدنيا، كأن بعضهم يقول لبعض: بم صرت إلى هذه المنزلة؟ وفي الكلام دليل على ذلك، وهو قولهم في جواب المسألة: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي من المصير إلى عذاب الله فعملنا بطاعته[٧].

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٨، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٠، «زاد المسير» ص٥٣.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٣.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٣٢٠، «اللسان» ٢/ ٢٠٨ (سمم).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٦٤.

(٥) وَرَتِ النارُ تَرِي وَرْيًا ورِيةً حَسَنةً. اتَّقد، وأوْرَيتُ النار أوريها إيراء. «اللسان» ٣/ ٩١٦ (ورى).

(٦) أي الزجاج.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٦٤.

قال إبراهيم التيمي: ينبغي لمن لم يحزن في الدنيا ولم يخف، أن يكون من أهل النار، وأن لا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] وقالوا:

٢٨- ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾[١]. ثم قرنوا الجواب مع ذلك بالإخلاص والتوحيد وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي نوحده ولا ندعو إلهًا غيره. وهو قول ابن عباس[٢].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ وقرئ ﴿أَنَّهُۥ﴾ بالفتح[٣].

والمعنى: ندعوه لأنه هو البر الرحيم. أي فلرحمته يجيب من دعاه، فلذلك ندعوه، ومن كسر الهمزة قطع الكلام مما قبله واستأنف[٤]، وهو اختيار أبي عبيد قال: نقرؤها كسرًا على الابتداء، أي إن ربنا كذلك على كل حال. قال: ومن نصب أراد ندعوه لأنه، أو بأنه. فيصير المعنى: أنه يدعى من أجل هذا[٥].

والتأويل الأول أعم وأحب إليّ، قال المبرد: قال أبو عبيد: الكسر أعم، ولا وجه له، لأن قوله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ بمعنى لأنه، أو بأنه دائم ثابت في الله ﷻ مثل قولهم لو ابتدأوا فقالوا: إنه، وأما قوله: من نصب يصير المعنى فيه أن الله يدعى من أجل هذا، فهو كما وصف، وليس

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» ٣/ ٩١.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٦، «جامع البيان» ٢٧/ ١٨.

(٣) قرأ نافع، والكسائي، وأبو جعفر «أنه» بالفتح، وقرأ الباقون «إنه» بالكسر. انظر: «حجة القراءات» ص٦٨٤، «النشر» ٢/ ٣٧٨، «الإتحاف» ص٤٠١.

(٤) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٢٧.

(٥) انظر: «حجة القراءات» ص٦٨٤.

في هذا علة توهن هذه القراءة، وإنما يدعو المسلمون ويستغفرون ربهم لأنه الغفور الرحيم. والمعنى في القراءتين يؤول إلى شيء واحد والله أعلم[١].

قال الكلبي ومقاتل: إنه هو البر الصادق فيما وعد أولياءه، الرحيم بالمؤمنين[٢].

٢٩- قوله ﴿فَذَكِّرْ﴾ قال المفسرون: فعظ بالقرآن أهل مكة. والمعنى: ذكرهم بما أعتدنا للمؤمنين والكافرين.

﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس، ومقاتل: برحمة ربك عليك[٣]. والمعنى: بإنعامه عليك بالنبوة ورحمته إياك حتى عصمك وطهرك[٤].

قوله: ﴿بِكَاهِنٍ﴾ يقال: كَهَنَ الرجل يَكْهَنُ كَهانةً، مثل: كتب يكتب كتابة، وقَلّ ما يقال إلا تَكَهَّنَ الرجل، ويقال: كهن لهم، إذا قال لهم قول الكهنة[٥]، وهم الذين كانت الشياطين تلقي إليهم ما يسترقون فيخبرون الناس به، وكانت الكهانة في العرب قبل مبعث النبي ﷺ فلما بعث ومنعت الشياطين من استراق السمع بطل علم الكهانة[٦].

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٥٤.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٩ أ.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٩ أ، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٠.

(٤) وفي «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٦، قال: بالنبوة والإسلام.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٢٤، «اللسان» ٣/ ٣٠٩ (كهن) وهو قول الليث.

(٦) انظر: «فتح الباري» ١٠/ ٢١٦- ٢١٩، ومما نقله عن القرطبي قوله: (كانوا في الجاهلية يترافعون إلى الكهان في الوقائع والأحكام ويرجعون إلى أقوالهم، وقد انقطعت الكهانة بالبعثة المحمدية، لكن بقي في الوجود من يتشبه بهم..).

قال المفسرون: ما أنت بكاهن تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي. أي لست تقول ما تقوله[١] كهانة، ولا تنطق إلا بوحي. والكاهن الذي يوهم أنه يعلم الغيبَ بطريق خدمة الجن إياه وإخبارهم، والمجنون المارق الذي يغطي على عقله. وهذا جواب لكفار مكة حين قالوا: إنه كاهن ومجنون وشاعر، وقد علموا أنه ليس كما قالوا، ولكنهم قالوا ذلك على جهة التكذيب ليستريحوا إلى ذلك كما يستريح السفهاء إلى التكذيب على أعدائهم.

٣٠- قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ أي بل أيقولون: ﴿شَاعِرٌ﴾ أي هو شاعر ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ ريب الدهر صروفه وحوادثه من قولهم: رابه الأمر ريبًا، أي نابه وأصابه[٢]. والمنون الدهر في قول الفراء[٣]، والأصمعي، والكسائي، وأصله من المنّ بمعنى القطع، وذلك أنه يقطع الأعمال.

قال الفراء: المنون يذكر ويؤنث، فمن ذكره أراد به الدهر، ومن أنث أراد المنية. وقول الهذلي[٤]:

أَمِنَ الـمُـنـونِ وَرَيْـبِـهِ تَـتَـوَجَّـعُ

روي بالوجهين.

وقال الكسائي: المنون واحد في اللفظ، وقد يذهب به مذهب الجماع وأنشد قول عدي:

---

(١) في (ك): (مقول).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٢٥٢، «اللسان» ١/ ١٢٦٣ (ريب).

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٩٣.

(٤) البيت في «ديوانه» ص٨٧، «الخصائص» ١/ ٩٤، «شرح المفصل» لابن يعيش ٤/ ١٠، «المذكر والمؤنث» ص٢٢٧.

مَنْ رأيْتَ المَنُونَ عَدّيْنَ أم من ... ذا عَلَيْه من أن يُضَامَ خَفِيرُ[١]

عدين: أي تركن وجاوزن.

قال: والعرب تقول: لا أكلمك آخر المنون. أي: آخر الدهر[٢] وكلا القولين في المنون ذكره المفسرون.

قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد حدثان الموت[٣].

وقال الكلبي عنه: أوجاع الموت[٤].

وقال مقاتل: يعني الموت. وهو قول مقاتل[٥].

وقال مجاهد: حوادث الدهر[٦]. والمعنى: ما يصيبه من الدهر أو من الموت. ومعنى التربص بالشيء: انتظار الدوائر به. وأنشد ابن عباس:

---

(١) هو عدي بن زيد العبادي، والبيت في ديوانه.

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٩، ولم ينسبه.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٦.

(٤) لعل مراد المؤلف رحمه الله من قوله (وقال مقاتل) أي فيما يرويه عن ابن عباس، حيث روى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبخاري عن ابن عباس في قوله ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ قال: الموت. وفي «تفسير مقاتل» قال: حوادث الدهر.
انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٩ أ، «جامع البيان» ٢٧/ ١٩، «فتح الباري» ٨/ ٦٠٢، «الدر» ٦/ ١٢٠.

(٥) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٢٦، «جامع البيان» ٢٧/ ١٩.

(٦) أخرجه ابن الأنباري عن ابن عباس في الوقف والابتداء، وابن دريد في «الجمهرة» ١/ ٢٥٩، وفي «اللسان» ١/ ١١٠٦ (ربص) ولم ينسبه لقائل. والذي ذكره المفسرون لا يدل على إنشاد ابن عباس لهذا البيت، وإنما ذكروا قوله ثم قالوا: وقال الشاعر، وربما ذكروا القول ونسبوه لغيره.
انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٩، «القرطبي» ١٧/ ٧٢، «فتح القدير» ٥/ ٩٩.

تَرَبَّصْ بها رَيْبَ المَنُونِ لعلّها تُطَلَّقُ يومًا أو يَمُوتُ حَلِيلُهَا[١]

قال المفسرون: قال المشركون: ننتظر بمحمد الموت وحوادث الدهر فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة، وأن أباه توفي شابًّا ونحن نرجو أن يموت كما مات أبوه شابًّا[٢]. وقال الأخفش: يريد نتربص به إلى ريب المنون، فحذف الجر كما تقول:

قصدت زيدًا وقصدت إلى زيد، وعمدت زيدًا وعمدت إلى زيد[٣].

وأصله من المنِّ، قال الله تعالى:

٣١- ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ قال الكلبي: انتظروا بي الموت ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ بكم من المنتظرين عذابكم، فعذبوا يوم بدر بالسيف، وهو قول جماعة المفسرين[٤].

قال أبو إسحاق: وجاء في التفسير أن هؤلاء الذين قالوا هذا هلكوا كلهم قبل وفاة رسول الله ﷺ[٥].

٣٢- قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد التكذيب[٦]. يعني أن الله تعالى أشار بقوله: ﴿بِهَٰذَآ﴾ إلى ما ذكر

---

(١) أخرج ابن جرير نحوه عن ابن عباس بإسناد حسن، وأخرجه ابن إسحاق في السيرة. انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٩، «فتح الباري» ٨/ ٦٠٢، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٠، «مرويات ابن عباس» للحميدي ٢/ ٨٢٩.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٧٢، «فتح القدير» ٥/ ٩٩.

(٣) في «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٩٧، قال: وقال ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ لأنك تقول: تربصتُ زيدًا، أي تربصت به.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٩، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤١، «القرطبي» ١٧/ ٧٣.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٦٥.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٦.

عنهم مما يدل على تكذيبهم. يقول: أم تأمرهم أحلامهم بترك القبول ممن يدعوهم إلى التوحيد، ويأتيهم على ذلك بالدلائل، وهم يعبدون أحجارًا .

قال الفراء: الأحلام في هذا الموضع العقول والألباب[(١)]. وكانت عظماء قريش توصف بالأحلام والنهى، وبأنهم أولوا العقول فقال الله تعالى -منكرًا عليهم-: أتأمرهم أحلامهم بهذا. وهذا تهكم وإزراء[(٢)] بأحلامهم، وأنها لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل[(٣)]، وفيه رد على من يوجب شيئًا بالعقل، وأن الهدى يكتسب بالعقل .

وقوله: ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: أم يكفرون طغيانًا، وقد ظهر لهم الحق. وأول الآية إنكار عليهم، وآخرها إيجاب. وهو قوله: ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد حملهم الطغيان على تكذيبك[(٤)]. ومثل هذه الآية في النظم قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ قال عطاء: افتعله[(٥)].

وقال الكلبي: تكذّبه من تلقاء نفسه[(٦)] .

وقال مقاتل: اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه[(٧)].

والتقوّل: تكلف القول، ولا يستعمل إلا في الكذب، لأنه تكلف القول من غير حقيقة بمعنى يرجع إلى أصل[(٨)].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٩٣.

(٢) أزرى بالشيء إزراء: تهاون به. انظر: المصباح (زرى).

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٩، «الوسيط» ٤/ ١٨٩، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤١.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٩.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٧٣.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٧، «الوسيط» ٤/ ١٨٩.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٩ أ.

(٨) انظر: «تهذيب اللغة» ٩/ ٣١١، «اللسان» ٣/ ١٠٨٩ (قول) «الجامع لأحكام=

قوله تعالى: ﴿بَل﴾ أي ليس الأمر على ما زعموا ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالقرآن استكبارًا. ثم ألزمهم الحجة على أنهم كذبوا فيما قالوا بقوله:

٣٣- ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ أي: إذ قالوا إن محمدًا تقوّله، فقد زعموا أنه من قول البشر فليقولوا مثله.

قال ابن عباس، ومقاتل: بقرآن من تلقاء أنفسهم مثل هذا القرآن كما جاء به ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ أن محمدًا تقوّله[1]. وهذا دليل على الإعجاز؛ لأن الله تعالى تحداهم بالقرآن فما رام أحد منهم أن يعارضه بشيء واللسان لسانهم.

٣٥- ثم احتج عليهم بابتداء الخلق:

قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد من غير نطفة ولا طين[2].

وقال الكلبي: من غير أب[3].

وقال مقاتل: أكانوا خلقًا من غير شيء هكذا[4].

والمعنى: أوجدوا كما هم عليه من كمال الخلقة، وخلقوا من غير أن

= القرآن» ١٧/ ٧٣، «فتح القدير» ٥/ ٩٩ وقوله: (بمعنى يرجع إلى أصل) ليست في المراجع السابقة، ولعل معناها إن صحت، أي ليس للتقول وهو الكذب أصل وإنما هو اختلاق وافتراء فقط.

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٧، «تفسير مقاتل» ١٢٩ أ.

(٢) لم أجده عن ابن عباس، والذي ذكره المفسرون عنه قوله: (من غير رب خلقهم وقدرهم).

انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤١، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٧٤.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٧٤.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٩ أ.

كان لهم ابتداء من التراب، ثم من الأب ثم من النطفة والعلقة. وهذا استفهام إنكاري، أي أنهم خلقوا أطوارًا، وذلك يدل على قادر رددهم وصرّفهم في أحوالهم، ولم يوجدوا ابتداء كما يخلق الجماد ابتداءً من غير تقدم سبب من أب وأم، فلا تقوم عليه الحجة، وهؤلاء خلقوا من أشياء ليستدلوا بذلك فتقوم عليهم الحجة. هذا معنى قول المفسرين(١) .

وأهل المعاني جعلوا ﴿مِنْ﴾ بمعنى اللام .

قال أبو إسحاق: أم خلقوا لغير شيء. أي أخلقوا باطلاً لا يحاسبون ولا يؤمرون؟!(٢) ونحو هذا قال ابن كيسان: أم خلقوا عبثًا وتركوا سُدى لا يؤمرون ولا ينهون(٣). ويدل على هذا المعنى قوله: ﴿أَمْ هُمُ الخالِقون﴾ أي: أهم الخالقون أنفسهم فلا يأتمرون لأمر الله، ولا ينتهون عما نهى الله عنه، لأن هذا من صفة الخالق لا من صفة المخلوق. والمخلوق يجب عليه ائتمار خالقه.

٣٦- قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فيكونوا هم الخالقين ﴿بل﴾ ليس الأمر على هذا. لم يخلقوا شيئًا ثم ﴿لا يُوقِنون﴾ قال ابن عباس: بربوبيتي ودوام ملكي(٤).

وقال مقاتل: بتوحيد الخالق(٥) .

وقال أهل المعاني: لا يوقنون بالحق(٦).

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٢٠، «فتح الباري» ٨/ ٦٠٣، «فتح القدير» ٥/ ١٠١.
(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٦٥.
(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٩، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤١، «القرطبي» ١٧/ ٧٤.
(٤) لم أجده.
(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٩ أ.
(٦) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٩.

٣٧- قوله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ قال مقاتل: يقول أبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاءوا[(١)]. ونحو هذا قال عكرمة: يعني النبوة[(٢)]. وهذا كقوله: ﴿أَهُم يَقْسِمُونَ رحمة ربِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقال الكلبي: خزائن المطر والرزق[(٣)].

وقال أهل المعاني: هذا عام في جميع مقدورات الله تعالى، وضرب لها المثل بالخزائن، لأن الخزانة بيت مهيأ لجَمْع[(٤)] أنواع مختلفة، ومقدوراته كالخزائن التي فيها من كل أجناس المعاني لا نهاية له[(٥)] يخرج ما شاء بإيجاده إياه. يقول: أعندهم خزائن ربك فقد أمنوا أن يجري الأمور على خلاف ما يحبون.

﴿أم هُمُ المُسيطرون﴾ أي: الأرباب المسلطون، ومصدره التسطير[(٦)]، ويقال: تسيطرت عليّ، أي: اتخذتني خولا، وعلى هذا قول الليث وأبي عبيدة[(٧)].

وقال المبرد: المسيطر المتغلب على الشيء، يقال: تسيطرت علينا أي تكلفت أن تقصرنا على ما تحب[(٨)].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٩ أ، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤١.
(٢) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤١، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٧٤.
(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٨٩، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤١، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٧٤، عن ابن عباس، وكذا في «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٨.
(٤) (ك): (لجميع).
(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ١٧/ ٧٤، ٧٥، «البحر المحيط» ١/ ١٥٢ عن الرماني.
(٦) (ك): (التسطير).
(٧) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٣، «تهذيب اللغة» ١٢/ ٣٢٦ (سطر).
(٨) انظر: «اللسان» ٢/ ١٤٣ (سطر)، «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٦٦.

قال أبو علي: وقد جاء على هذا البناء مُبَيْطِر ومُهَيمن ومبيقر[١]. والصاد جائز في (المصيطر)[٢].

ذكرنا ذلك في الصراط[٣].

وقال المفسرون في تفسير هذا الحرف: المسلطون الجبارون الأرباب القاهرون. كل هذا ألفاظهم .

قال عطاء عن ابن عباس: المسلطون على عبادي[٤].

وقال مقاتل: أم هم المسلطون على الناس فيجبرونهم على ما شاءوا ويمنعونهم ما شاءوا[٥].

قال الكلبي: أم هم المسلطون على تلك الخزائن ينزلون منها على

---

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٢.
والبيطرة: معالجة الدواب، والمبيطر: معالج الدواب. والبيقرة: مشية فيها تقارب. «اللسان» ١/ ٢٢٥، ٢٤٢ (بطر)، (بقر).

(٢) قال الفراء: كتابتها بالصاد، والقراءة بالسين والصاد، «معاني القرآن» ٣/ ٩٣، وابن كثير، وحفص، وابن عامر في رواية الحلواني عن هشام، عن عمار، والكسائي في رواية الفراء: قرأوا (المسيطرون) بالسين، وقرأ حمزة بالإشمام، وقرأ الباقون بالصاد.
انظر: «حجة القراء السبعة» ١/ ٤٩، ٦/ ٢٢٨، «حجة القراءات» ٦٨٤، «النشر» ٢/ ٣٧٨، «الإتحاف» ٤٠١

(٣) عند تفسيره لآية (٦) من سورة الفاتحة. والقراءة في قوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ رويت عن ابن كثير السين والصاد وروي عن أبي عمرو السين والصاد والمضارعة بين الزاي والصاد. رواه عنه العريان بن أبي سفيان، وروى عنه الأصمعي (الزراط) بالزاي. والباقون بالصاد، غير أن حمزة يلفظ بها بين الصاد والزاي. انظر: «الحجة» ١/ ٤٩.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤١، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٧٥.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٩ أ.

الخلق[١]، هذا كلامهم، والمعنى: أم هم الأرباب فلا يكونوا تحت أمر ونهي يفعلون ما شاءوا.

٣٨- قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ قال أبو عبيدة: السلم السبب والمَرْقَى[٢].

وقد مرَّ تفسير السُّلّم[٣].

وقوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ قال أبو عبيدة: معنى ﴿فِيهِ﴾ به وعليه[٤].

وقال المبرد: (فيه) هاهنا بمنزلة (عليه) في الفائدة. والأصل مختلف، فإذا قلت: عليه، فمعناه العلو والارتفاع، وإذا قلت: فيه، فمعناه أنه مكان حواه[٥]. وهذا كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] وقد مر.

ومعنى الآية: ألهم سلم إلى السماء يستمعون عليه الوحي فقد وثقوا بما هم عليه وردوا ما سواه. قال المفسرون: يقول: ألهم سبب إلى السماء يرتقون عليه فيستمعون الوحي فيدعون أنهم سمعوا من الله ما هم عليه وأنه حق ﴿فليأتِ مُسْتَمعهم﴾ إن دعوا ذلك ﴿بسُلطانٍ مُبين﴾ بحجة واضحة.

وقال أبو إسحاق: المعنى ألهم كجبريل الذي يأتي النبي ﷺ بالوحي ويبين عن الله ﷻ.

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٨، «التفسير الكبير» ٢٨/ ٢٦١.

(٢) انظر: «اللسان» ٢/ ١٩٠ (سلم).

(٣) عند تفسيره لآية (٣٥) من سورة الأنعام. وقد ذكر معنى الآية ولم يتطرق لمعنى السلم قال الزجاج: والسلم مشتق من السَّلامة وهو الشيء الذي يُسلمك إلى مصعدك. وانظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢٤٤.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٣.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٦٦، «البحر المحيط» ٨/ ١٥٢.

٣٩- ثم سفه أحلامهم في جعلهم البنات لله فقال: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَـٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾[١]، وهذا كقوله: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الصافات: ١٤٩] وقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ [الزخرف: ١٦] الآية. ومعنى الآية الإنكار عليهم، أي: أنتم جاعلون له ما تكرهون وأنتم حكماء عند أنفسكم ﴿أم تَسْأَلُهم أَجْراً﴾ على ما جئتم به من الدين والشريعة ﴿فَهُم من مَغْرَمٍ﴾ أي غرم ﴿مُثْقَلُون﴾ قال مقاتل: أثقلهم الغرم فلا يستطيعون الإيمان من أجل الغرم[٢]. وكل هذا إنما ذكر قطعًا لحجتهم وبيانًا أن الحجة عليهم من كل وجه.

٤١- قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد هل نزل عليهم وحي من السماء فهم يكتبون[٣]؟

قال: يريد كتبوه وعلموه. وهذا مجمل، وقد فسره مقاتل فقال: أعندهم علم الغيب بأن الله لا يبعثهم، وأن ما يقول محمد ﷺ غير كائن، ومعهم بذلك كتاب فهم يكتبون[٤].

وهذا وهم؛ لأنهم لو علموا الغيب لم[٥] يوجب ذلك إنكار البعث وأمر محمد ﷺ، ولكن المعنى ما قال قتادة: أن هذا جواب لقولهم: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ يقول الله تعالى: أعندهم الغيب حتى علموا أن

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٦٧.
(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٩ ب.
(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٨، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٢، «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ١٧/ ٧٦.
(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٩ ب.
(٥) (لم) ساقطة من (ك).

محمدًا يموت قبلهم[١]. وعلى هذا قوله: ﴿فهم يكتبون﴾ يجوز أن يكون معناه: يكتبون ذلك الذي عندهم من علم الغيب.

وقال ابن قتيبة[٢]: معناه: يحكمون. والكتاب بمعنى الحكم قد ورد في كثير من المواضع كقوله: ﴿كَتَبَ علَى نفْسِهِ الرَّحْمة﴾ [الأنعام: ٥٤] أي قضى وأوجب. وكقوله ﷺ: «**سأقضي بينكم بكتاب الله**»[٣] أي بحكمه.

٤٢- قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعني: أيريدون أن يكيدوك ويمكروا بك مكراً يغتالونك به ﴿فالذين كَفَرُوا هُمُ المكيدون﴾ أي: المجزيون بكيدهم في الدنيا والآخرة. يريد أن ضرر ذلك يعود عليهم ويحيق بهم مكرهم. وقال الكلبي ومقاتل: يعني بكيدهم ما اجتمعوا ليكيدوا به في دار الندوة، فجزاهم الله بكيدهم أن قتلهم ببدر، فذلك قوله تعالى: ﴿فالذين كَفَرُوا همُ المكيدون﴾[٤].

٤٣- ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ هذا إنكار عليهم ما اتخذوه من الآلهة دون الله. يقول: ألهم إله دون الله، يعني: إلهًا يخلق ويرزق ويحيي ويميت.

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٩٠، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٢، «القرطبي» ١٧/ ٧٦.
قلت: قول المؤلف رحمه الله: (وهذا وهم) رد لقول مقاتل. وظاهر الآية لا يرده. إذا في قوله تعالى ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ..﴾ ما يرد كل افتراءاتهم وتكذيبهم للنبي ﷺ حيث لم يستندوا على وحي أو عقل، ويدخل ضمن دلالة الآية دعواهم بأن النبي ﷺ سيموت في شبابه كما مات الشعراء من أمثاله النابغة وزهير. والله أعلم.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٧٦.

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٣/ ٢٤١، وفي مواضع أخرى ولفظه: «**لأقضين بينكما بكتاب الله**»، ومسلم في كتاب الحدود، وأحمد في المسند ٤/ ١١٥.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٩ ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٢، «القرطبي» ١٧/ ٧٦.

وهذا معنى قول مقاتل: ألهم إله يمنعهم من مكرنا بهم[١]. يعني: إن الذين اتخذوهم آلهة ليست بآلهة تدفع وتضر وتنفع.

ثم نزه نفسه بقوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: عمن يجعلونه شريكًا لله.

٤٤- ثم ذكر عنادهم وقساوة قلوبهم فقال: قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ قال مقاتل: يعني: جانبًا من السماء يسقط عليهم لعذابهم لقالوا من تكذيبهم: هذا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ بعضه على بعض[٢]. والمعنى: إن عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم، وقالوا هو قطعة من السحاب، وهذا معنى قول ابن عباس[٣].

قال أبو إسحاق: أعلم الله ﷻ أن هؤلاء لا يعتبرون ولا يوقنون ولا يؤمنون بأبهر ما يكون من الآيات[٤].

٤٥- ثم أخبر[٥] نبيه عن إيمانهم فقال:

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يقول: فخل عنهم، يعني لا تهتم بهم حتى يعاينوا يوم موتهم. وهذا تهديد لهم. ومعنى (يصعقون): يموتون، من قوله: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] وقُرِئَ ﴿يُصْعَقُونَ﴾ بضم الياء[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٩ ب.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٩، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٢.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٦٨.

(٥) (ك): (حشب) ولعل الصواب ما أثبته.

(٦) قرأ ابن عامر، وعاصم (يُصعقون) بضم الياء، وقرأ الباقون بفتحها.
انظر: «حجة القراءات» ص٦٨٤، «النشر» ٢/ ٣٧٩، «الإتحاف» ص٤٠١.

قال الفراء: يقال صُعِقَ الرجُلُ وصَعِقَ مثل سُعِد وسَعِد. لغات كلها صواب[(١)]. وحكى الأخفش أيضًا صُعق. وعلى هذا يجوز مصعوق.

وقال أبو علي: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ بضم الياء منقول من صَعِقُوا هم، وأصعقهم الله فيصعقون من باب يُكرمون[(٢)]. ومنه قول ابن مقبل:

.... أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُه[(٣)]

٤٧- ثم أعلم الله ﷻ أنه يعجل لهم العذاب في الدنيا فقال: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعني كفار مكة ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ قالوا: يعني القتل ببدر[(٤)].

وقال مجاهد: يعني الجوع والقحط الذي أصابهم[(٥)]. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون ما يصيرون إليه، وما هو نازل بهم.

ثم أمر نبيه ﷺ بالصبر.

٤٨- قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي إلى أن يقع بهم

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٩٤.

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٨٨.

(٣) انظر: «ديوانه» ص٢٥٢، «مجالس ثعلب» ص١٢٨، «الحيوان» ٧/ ٢٣٣، «همع الهوامع» ١/ ٨٣، «الدر اللوامع» ١/ ٧، والبيت بتمامه:

ترى النُّعَراتِ الخُضْرَ تحت لَبانِه فُرادَى ومثنى أصْعَقَتْها صَواهِلُهْ

والصهل: حدة الصوت، ويطلق على صوت الخيل، «اللسان» ٢/ ٤٨٧ (صهل).

(٤) قال ابن عباس، ومقاتل. انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٩ ب، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٣.

(٥) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٢٦.

ورجح ابن جرير، وابن كثير، وغيرهما حمل الآية على العموم، حيث تشمل الذين ظلموا أنفسهم بالكفر إلى يوم القيامة، والعذاب في الدنيا بالجوع وغيره وفي القبر. كل ذلك دون يوم القيامة الذي فيه يصعقون.

انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٢٢، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٤٥.

العذاب الذي حكمنا عليهم، فإنا نرى ما تقاسي منهم. وهو قوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ قال ابن عباس: يريد أرى وأسمع ما يعمل بك[١].

وقال أبو إسحاق: أي إنك بحيث نراك ونحفظك ونرعاك، فلا يصلون إلى مكروهك[٢]. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أكثر المفسرين على أنه أمر أن يقول حين يقوم من مجلسه: سبحان الله وبحمده، وهو قول أبي الأحوص، وسعيد بن جبير، وعطاء[٣].

قال ابن عباس: صلِّ لله حين تقوم من منامك، يعني: صلاة الصبح[٤].

وقال الكلبي: سبِّح الله حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل في الصلاة[٥].

وقال الضحاك: أمر أن يقول حين يقوم للصلاة: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلا[٦].

٤٩- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ قال ابن عباس: يريد فصل له كقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾[٧] [الإسراء: ٧٩] وقال

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٩١، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٣.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٩١.

(٣) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٤٩، «جامع البيان» ٢٧/ ٢٢، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٣.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٩، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٣.

(٥) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٣، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٧٩.

(٦) انظر: ، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٧٩، «فتح القدير» ٥/ ١٠٣.

(٧) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٨٩، «الوسيط» ٤/ ١٩١.

مقاتل: يقول فصلِّ المغرب والعشاء[١] .

وقوله: ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ يعني الركعتين قبل صلاة الفجر في قول الجميع[٢]. وذلك حين تدبر النجوم. أي تولي فلا تظهر لضوء الصبح. والكلام في هذا ذكرناه في قوله: ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾، وذكر عن الضحاك، وابن زيد أن المراد به صلاة الفجر الفريضة[٣].



(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٠ أ، «الوسيط» ٤/ ١٩١.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٢٣، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٨٠، «الاستذكار» ٥/ ٤٣١ عن علي وأبي هريرة.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٢٤، «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٤.